بلدان
الخلافة الشرقية

يتناول وصف العراق والجزيرة وإيران
وأقاليم آسية الوسطى
منذ الفتح الإسلامي حتى أيام تيمور

تأليف
كي لسترنج

نقله إلى العربية

بشير فرنسيس　　　　كوركيس عواد

مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحیم

بلدان الخلافه الشرقيه

كاتب:

كی لسترنج

نشرت فی الطباعهٔ:

المكتبه الحيدريه

رقمی الناشر:

مركز القائميهٔ باصفهان للتحريات الكمبيوتريهٔ

الفهرس

بلدان الخلافه الشرقیه

اشاره

سرشناسه : لسترنج،کی

عنوان و نام پدیدآور : بلدان الخلافه الشرقیه: یتناول صفه العراق والجزیره وایران واقالیم آسیه الوسطی منذالفتح الاسلامی حتی ایام تیمور /کی لسترنج

مشخصات نشر : [بی جا]: مکتبه الحیدریه، ۱۴۲۷ق. =۱۳۸۵ش. =۲۰۰۶م.

مشخصات ظاهری : ن،۵۹۲ص.

فروست : مطبوعات المجمع العلمی العراقی

شابک : :۹۶۴۵۰۳۰۸۸۹

وضعیت فهرست نویسی : در انتظار فهرستنویسی

شماره کتابشناسی ملی : ۱۰۸۰۴۵۸

===========

ظاهرا افست از چاپ زیر:

نام کتاب: بلدان الخلافه الشرقیه / تعریب بشیر فرنسیس- کورکیس عواد

نویسنده: لسترینج، گای

تاریخ وفات مؤلف: ۱۹۳۳ م

موضوع: جغرافیای شهرها

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱

ناشر: شریف رضی

مکان چاپ: قم

سال چاپ: ۱۴۱۳ ه. ق

نوبت چاپ: اول

=========

بلدان الخلافه الشرقيه

bldan alkhlafah alshrkiah

تألیف: کی لسترنج تاریخ النشر: ۰۱/۰۱/۱۹۵۴

سعر السوق: ۲۵.۰۰$

الناشر: منشورات الشریف الرضی سعرنا: ۲۵$

النوع: ورقی غلاف فنی، حجم: ۲۴×۱۷، عدد الصفحات: ۵۹۴ صفحه الطبعه: ۱ مجلدات: ۱

مده التأمین: یتوفر عاده فی غضون ۳۰ یوم

اللغه: عربی

مضامین الکتاب

أنهر الری العظیمه- بغداد- المدائن و ما فی جنوبها من مدن علی دجله حتی فم الصلح.

(۴۰- ۵۸)

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، الفهرس، ص: ۲

الفصل الثالث العراق (تابع) واسط- البطائح- المذار و القرنه- دجله العوراء- البصره و أنهارها- الابله و عبادان-

دجله فوق بغداد- البردان- طسوج دجيل- عكبرا و حربى و القادسيه.

(۵۹- ۷۵)

الفصل الرابع العراق (تابع) سامراء- تكريت- النهروان- باعقوبا و غيرها من المدن- مدينه جسر النهروان و طريق خراسان- جلولاء و خانقين- البندنيجين و بيات- مدن الفرات من الحديثه الى الانبار- نهر عيسى- المحول و صرصر و نهر الملك- نهر كوثى.

(۷۶- ۹۵)

الفصل الخامس العراق (تتمه) انشطار الفرات- نهر سورا- قصر ابن هبيره- النيل و نهر النيل- نهر النرس- نهر البداه و بماديتا- نهر الكوفه- مدينه الكوفه- القادسيه- مشهد على و كربلاء- استانات العراق الاثنا عشر- التجاره و الصناعه- طرق العراق.

(۹۶- ۱۱۳)

الفصل السادس الجزيره الديار الثلاث- ديار ربيعه- الموصل و نينوى و المدن المجاوره- الزاب الكبير و الحديثه و اربل- الزاب الصغير و السن و داقوق- الخابور الصغير و الحسنيه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، الفهرس، ص: ۳

و العماديه- جزيره ابن عمر و جبل الجودى- نصيبين و رأس العين- ماردين و دنيسر- الهرماس و الخابور- عربان و الثرثار- سنجار و الحضر- بلد و أذرمه.

(۱۱۴- ۱۳۱)

الفصل السابع الجزيره (تتمه) ديار مضر- الرقه و الرافقه- نهر البليخ و حران- اذسا و حصن مسلمه- قرقيسياء- نهر سعيد و الرحبه و الداليه- رصافه الشام- عانه- بالس و جسر منبج و سميساط- سروج- ديار بكر- آمد و حانى و منابع دجله- ميافارقين و ارزن- حصن كيفا و تل فاقان- سعرت.

(۱۳۲- ۱۴۶)

الفصل الثامن الفرات الاعلى الفرات الشرقى أى ارسناس- ملاسكرد و موش- شمشاط و حصن زياد أى خربوط- الفرات الغربى- ارزن الروم أى قاليقلا- ارزنجان و كمخ- قلعه ابريق أى تفريك(Tephrike) - ملطيه و طرنده- زبطره و الحدث- حصن منصور و بهسنا و قنطره سنجه- تجارات الجزيره و غلاتها- المسالك.

(۱۴۷- ۱۵۸)

الفصل

التاسع بلاد الروم- أى آسيه الصغرى بلاد الروم- الثغور من ملطيه الى طرسوس- الدربان الكبيران فى جبال طوروس- طريق القسطنطينيه المار بالابواب القليقيه- طرابزون- حصارات القسطنطينيه الثلاثه- غزوات المسلمين فى آسيه الصغرى- نهب عموريه بامر

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، الفهرس، ص: ۴

المعتصم- فتح السلاجقه آسيه الصغرى- مملكه ارمينيه الصغرى- الصليبيون- أجلّ مدن السلاجقه فى بلاد الروم.

(۱۵۹- ۱۷۵)

الفصل العاشر بلاد الروم (تتمه) الامارات التركمانيه العشر- ابن بطوطه و المستوفى- قيساريه و سيواس- سلطان العراق- أمير قرمان- قونيه- أمير تكه و العلايا و انطاليه- أمير حميد و اكريدور- أمير جرميان و كوتاهيه و سورى حصار- أمير منتشا و ميلاس- أمير آيدين و افسوس و ازمير- أمير صاروخان و مغنيسيه- أمير قراصى و برغامس- الولايه العثمانيه و برصى- أمير قزل احمد لى: صنوب (سينوب).

(۱۷۶- ۱۹۲)

الفصل الحادى عشر اذربيجان بحيره ارميه- تبريز- سراو- المراغه و أنهارها- بسوى واشنه- مدينه ارميه و سلماس و خوى و مرند- نخجوان- القناطر على نهر أرس(Araxes) - جبل سبلان- اردبيل و آهر- سفيد روذ و روافده- الميانج- خلخال و فيروزاباد- نهر شال و ولايه شاهرود.

(۱۹۳- ۲۰۵)

الفصل الثانى عشر كيلان و الاقاليم الشماليه الغربيه الجيلانات- اقليما الديلم و طالش- بروان و دولاب و خشم- لاهجان و رشت و غيرهما من مدن كيلان- اقليم موغان- باجروان و برزند- محمود اباد- ورثان- اقليم الران- برذعه- البيلقان- كنجه و شمكور- نهر الكر و نهر

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، الفهرس، ص: ۵

الرس- اقليم شروان- شماخى- باكويه و باب الابواب- اقليم كرجستان أو جورجيا- تفليس و قرص- اقليم ارمينيه- دبيل أو دوين- بحيره وان- اخلاط و ارجيش و وان و بتليس- حاصلات و تجارات الاقاليم الشماليه.

(۲۰۶-

(۲۱۹

الفصل الثالث عشر الجبال اقليم الجبال أو عراق العجم، و نواحيه الاربع- قرميسين أى كرمان شاهان- بهستون و منحوتاتها- كنكور- الدينور- شهرزور- حلوان- طريق خراسان العظيم- كرند- كردستان فى عهد السلاجقه- بهار- جمجمال- ألانى و أليشتر- همذان و رساتيقها- در كزين- خرقانين و آوه الشماليه- نهاوند- كرج روذ راور و كرج ابى دلف- فرهان.

(۲۲۰- ۲۳۴)

الفصل الرابع عشر الجبال (تابع) اللر الصغرى- بروجرد- خرماباذ- شابر خواست- سيروان و الصيمره- اصفهان و كورها- فيروزان و فافان و نهر زنده رود- اردستان- قاشان- قم و كلبيكان و نهر قم- آوه و ساوه- نهر كاوماها.

(۲۳۵- ۲۴۸)

الفصل الخامس عشر الجبال (تتمه) الرى- ورامين و طهران- قزوين و قلعه ألموت- زنجان- السلطانيه-

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، الفهرس، ص: ۶

شيز أو ستوريق- خونج- ناحيتا الطالقان و طارم- قلعه شميران- تجارات اقليم الجبال و غلاته- مسالك اقليم الجبال و اذربيجان و اقاليم الحدود الشماليه الغربيه.

(۲۴۹- ۲۶۶)

الفصل السادس عشر خوزستان نهر دجيل أى كارون- خوزستان و الاهواز- تستر أو شوستر- الشاذروان العظيم- نهر المسرقان- عسكر مكرم- جنديسابور- دزفول- السوس و نهر كرخه- بصنا و متوث- قرقوب و دور الراسبى- الحويزه و نهر تيرى- الدورق و كوره سرّق- حصن مهدى- فيض دجيل- رامهرمز و كوره الزط- بلاد اللر الكبرى- ايذج أو مال أمير- سوسن- لردكان- تجارات خوزستان و غلاته- مسالكه.

(۲۶۷- ۲۸۲)

الفصل السابع عشر فارس تقسيم الاقليم الى خمس كور- كوره اردشير خره- شيراز- بحيره ماهلويه- نهر سكان- جويم- بحيره دشت أرزن- كوار- خبر و الصيمكان- كارزين و كوره قباذ خره- جهرم- جويم أبى أحمد- ماندستان- ايراهستان- جور أو فيروز اباد- أسياف فارس- جزيره قيس- سيراف- نجيرم- توج- الغندجان- خارك و سائر جزر خليج فارس.

(۲۸۳-

(۲۹۷

الفصل الثامن عشر فارس (تابع) كوره شابور خرّه- مدينه سابور و كهفها- نهر رتين- النوبنجان- القلعه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، الفهرس، ص: ۷

البيضاء و شعب بوّان- زموم الاكراد- كازرون و بحيره كازرون- نهر أخشين و نهر جرشيق- جره و قنطره سبوك- كوره ارجان- نهر طاب- بهبهان- نهر شيرين- كنبذ ملغان- مهروبان- سينيز و جنابه- نهر الشاذكان.

(۲۹۸- ۳۱۰

الفصل التاسع عشر فارس (تابع) كوره اصطخر و مدينه اصطخر أى برسبوليس- نهر الكر و بلوار- بحيره البختكان و ما حولها من مدن- سهل مرودشت- البيضاء و مايين- كوشك زرد- سرمق و يزد خواست- الطرق الثلاث من شيراز الى اصفهان- أبرقوه- يزد:

ناحيتها و مدنها- ناحيه الروذان و مدنها- شهر بابك و هراه.

(۳۱۱- ۳۲۴

الفصل العشرون فارس (تتمه) كوره دار أبجرد أو كوره شبانكاره- مدينه دار أبجرد- در كان و ايك- نيريز و اصطهبانات- فسا و رونيز و خسو- لار و فرج- طارم- سورو- تجارات فارس و صناعاتها- مسالك اقليم فارس.

(۳۲۵- ۳۳۶

الفصل الحادى و العشرون كرمان كور كرمان الخمس- قصبتا الاقليم- القصبه الأولى: السيرجان، موضعها و تاريخها- القصبه الثانيه: بردسير، و هى مدينه كرمان اليوم- ماهان و وليها- خبيص- زرند و كوه بنان و هى كوبنان (Cobinan) لدى ماركو بولو.

(۳۳۷- ۳۴۸

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، الفهرس، ص: ۸

الفصل الثانى و العشرون كرمان (تتمه) كوره السيرجان- كورتا بم و نرماسير- ريكان- جيرفت و قمادين: كمادى(Camadi) لدى ماركو پولو- دلفريد- جبال البارز و القفص- روذكان و المنوجان- هرمز العتيقه و الجديده و كمبرون- تجارات اقليم كرمان- مسالكها.

(۳۴۹- ۳۵۹

الفصل الثالث و العشرون المفازه الكبرى و مكران امتداد المفازه الكبرى و خواصها- الواحات الثلاث: الجرمق و نابند و سنيج- أهم مسالك المفازه-

اقليم مكران- فنزبور و ميناء التيز- مدن أخرى- السند و الهند- ميناء الديبل- المنصوره و الملتان- نهر مهران (Indus)- كوره طوران و قصدار- كوره البدهه و قندابيل.

(٣٦٠- ٣٧١)

الفصل الرابع و العشرون سجستان سجستان أى نيمروز و زابلستان- زرنج و هى القاعده- بحيره زره- نهر هيلمند و الانهار الآخذه منه- العاصمه العتيقه للاقليم و هى رام شهرستان- نه- فره و نهر فره- نهر خاش و رستاق نيشك- قرنين و مدن أخرى- روذبار و بست- رساتيق زميداور- رخج و بالس أى والشتان- قندهار- غزنه و كابل- معدن الفضه- المسالك فى سجستان.

(٣٧٢- ٣٩١)

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، الفهرس، ص: ٩

الفصل الخامس و العشرون قوهستان اقليم قوهستان، هو تونو كاين(Tunocain) لدى ماركو پولو- قاين و تون- ترشيز و رستاق بشت: سروه زرادشت العظيمه- زاوه- بوزجان و اقليم زم- رستاق باخرز و مالن- خواف- زيركوه- دشت بياض- كناباد و بجستان- طبس التمر- خوست أو خوسف برجند- مومناباد- طبس مسينان، و دره.

(٣٩٢- ٤٠٣)

الفصل السادس و العشرون قومس و طبرستان و جرجان اقليم قومس- الدامغان- بسطام- بيار- سمنان و خوار- طريق خراسان المار بقومس- اقليم طبرستان أو مازندران- آمل- ساريه- جبل دماوند و رساتيق فادوسبان و قارن و روبنج- فيروز كوه و غيرها من القلاع- ناتل و سالوس و ناحيه رويان- حصن الطاق و ناحيه رستمدار- ممطير و طميسه- كبود جامه و خليج نيم مردان- اقليم كركان أو جرجان- نهر جرجان و نهر أترك- مدينه جرجان و استراباد- ميناء أبسكون- ناحيه دهستان و آخر- مسالك طبرستان و جرجان.

(٤٠٤- ٤٢٢)

الفصل السابع و العشرون خراسان أرباع خراسان الاربعه- ربع نيسابور- مدينه نيسابور و شاذياخ- كوره نيسابور- طوس و المشهد- بيهق و سبزوار- جوين

و جاجرم و اسفرايين- استوا و كوجان- رادكان و نسا و ابيورد- كلات- خابران و سرخس.

(۴۳۸ -۴۲۳)

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، الفهرس، ص: ۱۰

الفصل الثامن و العشرون خراسان (تابع) ربع مرو- نهر مرغاب- مرو الكبرى و قراها- آمل و زم على جيحون- مرو الروذ أو مرو الصغرى و قصر الأحنف.

(۴۴۸ -۴۳۹)

الفصل التاسع و العشرون خراسان (تابع) ربع هراه- نهر هراه أو هرى رود- مدينه هراه- مالن و المدن التى فى أعلى نهر هرى رود- بوشنج- كوره اسفزار- كوره بادغيس و مدنها- كنج رستاق- رساتيق غرجستان و الغور- الباميان.

(۴۶۱ -۴۴۹)

الفصل الثلاثون خراسان (تتمه) ربع بلخ فى اقليم خراسان- مدينه بلخ و النوبهار- ناحيه الجوزجان- الطالقان و الجرزوان- ميمنه أو اليهوديه- الفارياب، شبرقان، أنبار، واندخود- ناحيه طخارستان- خلم، سمنجان و اندرابه- و رواليز و الطايقان- تجارات خراسان و غلاته- المسالك فى خراسان و قوهستان.

(۴۷۵ -۴۶۲)

الفصل الحادى و الثلاثون ماوراء النهر (نهر جيحون) بلاد ماوراء النهر اجمالا- اسما جيحون(Oxus) و سيحون(Jaxartes) - روافد نهر جيحون العليا- بدخشان و وخان- الختل و الوخش- القباذيان و الصغانيان و مدنهما- قنطره الحجاره- ترمذ- الابواب الحديد- كالف و اخسيسك و فربر- بحر آرال أى بحيره خوارزم- انجماد ماء جيحون شتاء.

(۴۸۸ -۴۷۶)

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، الفهرس، ص: ۱۱

الفصل الثانى و الثلاثون خوارزم اقليم خوارزم- قصبتاه: كاث و الجرجانيه- اركنج القديمه و الجديده- خيوه و هزار اسب- انهار خوارزم و المدن التى على يمين جيحون و يساره- المجرى الاسفل لجيحون الى قزوين- تجارات خوارزم و غلاته.

(۵۰۲ -۴۸۹)

الفصل الثالث و الثلاثون الصغد بخارا و المدن الخمس داخل أسوارها- بيكند- سمرقند- جبل البتم و نهر زرفشان أى نهر السغد- كرمينيه- دبوسيه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، الفهرس، ص: ۱۲

ثبت الخوارط رقم الخارطه/ الصفحه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱

مقدمه الترجمه

صفه أقاليم الدوله العباسيه من العراق الى اقاصى الشرق

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳

عنى المؤرخون المسلمون الاقدمون عنايه كبيره بوضع التصانيف البلدانيه:

من معجمات و رحلات و مسالك و خطط و خوارط و مصورات، تناولوا فيها بالوصف و التخطيط

أقاليم العالم المعروف فى أيامهم. فلم يدعوا شارده و لا وارده وقعت اليهم بالمشاهده و المعاينه أو بالسماع و النقل الا دوّنوها فى أسفارهم. فخلّفوا لنا بذلك ثروه علميه ثمينه صارت مرجعا أساسيا لمن يبحث فى جغرافيا البلاد الاسلاميه و غيرها، من الوجهه العمرانيه و التاريخيه و الاقتصاديه و الخططيه. و لا ريب فى أن عنايه الاولين بهذه الموضوعات، كابن حوقل و ابن خرداذبه و المقدسى و الاصطخرى و ياقوت، انما كانت صفحه من صفحات النهضه العلميه التى ازدهرت منذ صدر الدوله العباسيه.

و الى اولئك المصنفين الثقات الذين كتبوا بالعربيه، و لا يتعدى ز منهم فى الغالب المئه التاسعه للهجره (المئه الخامسه عشره للميلاد)، نجد جماعه ممن كتب بالفارسيه و التركيه. و بعض ما كتبه هؤلاء مستمد من المصادر العربيه و بعضه من زياداتهم. و تصانيفهم هذه لا يستغنى عنها الباحث فى الجغرافيا التاريخيه للاقطار الاسلاميه، و لا سيما ما تأخر ز منه عن اولئك المصنفين الاولين. و أشهرهم الحاج خليفه و أبو الغازى.

و حين بدأ اهتمام الغربيين ببلاد الشرق- و مبعث ذلك أسباب كثيره مختلفه-، رأينا منهم من قصد هذه الديار مستطلعا حال بلدانها و آثارها دارسا لغاتها و تاريخها.

فصنفوا فى ذلك الكتب و كتبوا المقالات و وضعوا الخوارط. و منهم من وجه همه الى مخلفات اولئك المصنفين الاقدمين، فأقبلوا عليها يتدارسونها، و كانت يومذاك مخطوطات تفرق شملها فى خزائن كتب العالم، و يحققونها و ينشرونها بالطبع و ينقلون بعضها الى لغاتهم. و منهم من انصرف الى التأليف فى الجغرافيا التاريخيه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴

للبلدان الاسلاميه بلغته، مستمدا ماده بحثه من اولئك و هؤلاء جميعا.

و لعل فى طليعه من

يـذكر من علماء هـذا الصـنف الاخير، البحاثه الانكليزى المشـهور گى لسترنـج، مؤلف هذا الكتاب الذى نضع ترجمته اليوم بين أيـدى قراء العربيه. فقـد ألفينا كتابه أجمعها ماده و أكثرها شـمولا. حوى بين دفتيه صـفه الاقاليم الاسـلاميه من الفرات غربا حتى أقاصـى ما بلغته الـدوله العباسـيه فى أواسط آسـيه شـرقا. و هو الى ذلك كثيرا ما تناول زمنا تقـدم عصـر هـذه الدوله و تأخر عنه استيفاء للموضوع الـذى يعالجه. و قـد رجع فى كتابه هـذا الى امهات التآليف البلـدانيه و التاريخيه التى انتهت الينا من المصـنفين المسلمين الاقدمين، و يدخل فى ذلك المطبوع و المخطوط، كما رجع الى ما كتبه المستشرقون و الرحالون من أبناء الغرب.

و قـد جعل المؤلف لكتابه هذا خوارط عديده استند فى وضـعها الى الخوارط الجغرافيه الحديثه و أثبت فيها التسـميات القديمه حسـبما هـداه اليه علمه و دلّه عليه بحثه. فذكر فى هذه الخوارط أشـهر كور الاقاليم الاسـلاميه و مدنها و قراها و أنهارها، مبيّنا ما كان يتخللها من مسالك، فان حصل فى تعيين بعض المواقع شـى ء من الوهم، فمردّ ذلك فى الغالب الى أن كثيرا من التسميات لا يعرف من أمره اليوم شى ء، و مبنى تعيينه على الحدس و التخمين. و لابد من القول ان متن الكتاب و خوارطه وحده متماسكه يكمل بعضها بعضا.

ثم أن المؤلف، على مـا بـان لنـا من تتبع النصوص التى نقلها من المراجع القـديمه، كان أمينا فى نقلها حريصا على رجع الفضـل لـذويه. و لم يـتردد قـط فى أن ينوّه بـالمرجع الـذى استقى منه و بزمنه كلمـا نقـل منه. و ان و هم المؤلف أحيانـا فى نقـل بعض النصوص أو فهمها على غير وجهها- على ما أشرنا اليه

فی موطنه- فقد سبق هو الی الاعتذار عن ذلک فی مقدمته، بکون معظم مراجعه مکتوبا بالعربیه و الفارسیه و الترکیه، و هی لغات قلّ من أجادها معا.

و المؤلف، علی ما سیری القارئ، متمکن من موضوعه، خبیر بدقائقه، مطلع علی اصوله و فروعه، یتنقل فیه تنقّل العارف. و لیس أدلّ علی ذلک من تصانیفه الکثیره فی هذا الباب- و سیرد ذکرها فی ترجمه حیاته.

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۵

و لقد راعینا فی نقل هذا الکتاب، أن تکون الترجمه العربیه مطابقه للاصل. و لما کان المؤلف قد رجع الی جمله کبیره من المصادر العربیه القدیمه، منقّبا فیها و ناقلا منها ما یتعلق بموضوعه، رأینا لزاما علینا أن نعود الی تلک الاصول أنفسها فننقل منها النصوص بالحرف الواحد أو نوفّق بین جمله نصوص أدمجها المؤلف نفسه فی صفه مدینه أو موضع ما. و ننتقی من ألفاظ الحضاره و العمران و من تعابیر تلک المصادر ما طابق سیاق البحث فی الاصل الانکلیزی و تمشی مع اسلوب المصنفین الاقدمین فی هذه الموضوعات. و لم نغفل مراجعه ما ظهر من کتب بعد تألیف هذا السفر. فاستعنّا بها فی استکمال بعض جوانب الموضوع بما أضفناه من حواش حیثما اقتضی الامر، و قد ذیلناها بحرف (م).

و لا یسعنا، و نحن نقدّم ترجمه هذا السفر الی قراء العربیه، الا أن نشید بفضل المجمع العلمی العراقی، الذی رأی ما لهذا الکتاب من جزیل الفائده و عظیم النفع، فعهد الینا نقله الی العربیه و أقرّ طبعه بنفقته، و عنی بنشره خدمه للعلم. فله منا أبلغ الشکر و أطیب الثناء.

بشیر فرنسیس کورکیس عواد

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۶

ترجمه لسترنج مؤلف الکتاب

ولد

لسترنج Guy Le Strange فی هنستنتن هل بانكلتره سنه ۱۸۵۴، و توفی فی كمبرج فی ۲۴ كانون الاول ۱۹۳۳، عن عمر ناهز الثمانين سنه.

أمضى لسترنج وقتا طويلا- من عمره خارج بلاده، فعاش فی باريس مع امه. و هناك اتصل بالمستشرق موهل Julius Mohl ناشر الشاهنامه و مترجمها الى الفرنسيه. فشوّقه الى درس اللغتين الفارسيه و العربيه. و حضر فی باريس دروس المستشرق ستانسلاس گويارStanislas Guyard فی اللغه العربيه. فحفّزته هذه الدراسات الى زياره بلاد فارس و هو فی عنفوان شبابه، فمكث فيها ثلاث سنوات (۱۸۷۷- ۱۸۸۰) توفر فی أثنائها على الوقوف على تاريخ هذه البلاد و أحوالها و لغتها. و كان من ثمار ذلك أن نشر سنه ۱۸۸۲ بمشاركه هگردHaggard قصهThe Vizir of Lankuran بالفارسيه مع ترجمه انكليزيه لها و معجم لألفاظها و تعليق عليها. و فی سنه ۱۸۸۶ نشر ترجمه قصه فارسيه اخرى عنوانهاThe Alchemist . و نشر فی سنه ۱۹۱۵ القسم الجغرافی من كتاب «نزهه القلوب» لحمد اللّه المستوفی القزوينی

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۷

مع ترجمه له، فی سلسله مطبوعات لجنه گب. و كان لسترنج من أعضاء هذه اللجنه العاملين.

و لكن أجلّ الميادين التی برز فيها لسترنج و رفعته الى مصاف كبار المستشرقين، كان فی ما ألفه من كتب فی الجغرافيا التاريخيه للبلاد الاسلاميه.

فقد نشر فی سنه ۱۸۸۶ ترجمه لما كتبه المقدسی عن فلسطين فی كتابه «أحسن التقاسيم فی معرفه الاقاليم». و فی سنه ۱۸۹۰ ظهر كتابه «فلسطين فی عهد الاسلام»Palestine Under the Moslems . و فی سنه ۱۸۹۵ نشر قطعه من كتاب «عجائب الاقاليم السبعه» لابن سرابيون (سهراب) فيها صفه أنهار العراق و الجزيره، مع ترجمه انكليزيه و تعليقات و

خارطه. و فی سنه ۱۹۰۰ طبع کتابه الموسوم «بغداد فی عهد الخلافه العباسیه»Baghdad During the Abbasid Caliphate . ثم أصدر فی سنه ۱۹۰۵ کتابه «بلدان الخلافه الشرقیه»The Lands of the Eastern Caliphate . و هو هذا الذی نقدم الیوم ترجمته بالعربیه.

و فی سنه ۱۹۱۲ نقل صفه اقلیم فارس من کتاب «فارسنامه» لابن البلخی و نشره فی سلسله کتب الجمعیه الآسیویه الملکیه. و قد ساهم أیضا فی نشر «تجارب الامم» لمسکویه الذی طبعت بعض أجزائه لجنه گب. و له مقالات عدیده فی الجغرافیا التاریخیه لبلاد الاسلام، نشرها فی مجله الجمعیه الآسیویه الملکیه منذ انتخابه عضوا فیها سنه ۱۸۸۰ حتی وفاته.

و قد انجز لسترنج جمیع هذه التآلیف الجلیله و هو یعانی ضعفا شدیدا فی بصره، آل به سنه ۱۹۱۲ الی العمی. و لم یحل العمی دون مواصله نشاطه العلمی، فکان یلجأ الی من یقرأ و یکتب له. و انکبّ و هو فی هذه الحال علی دراسه الاسبانیه فأثمر ذلک نشره سنه ۱۹۲۰ «کتاب الاغانی الاسبانیه»

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۸ The Book of Spanish Ballads

. و فی سنه ۱۹۲۶ نقل من الاسبانیه تاریخ «دون جوان الفارسی»Don Juan of Persia و فی سنه ۱۹۲۸ نشر حوادث «سفاره کلافیجو»The Embassy of Clavijo

و التفّ حول لسترنج کثیر من الاصدقاء و المعجبین به. و کان من أقرب أصدقائه الیه، المستشرق براون E .G .Browne الذی مهد له السبل الی العمل فی جامعه کمبرج حیث ألقی محاضرات کثیره فی شتی المواضیع. و قد اشتغلا معا فی لجنه گب التذکاریه. و لم تخل أیام لسترنج من تلمیذ، شیخ أو شاب، یتلقی عنه العلم بالفارسیه أو العربیه أو الاسبانیه.

لسترنج فی

اواخر ايامه

(عن صوره فتغرافيه زودنا بها البروفسور ملوان)

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٩

مقدمه المؤلف

حاولت فى هذه الصفحات، أن أجمع فى مجلد معتدل الحجم ما تفرق من أخبار فى مؤلفات جغرافيى القرون الوسطى: العرب و الفرس و الترک ممن وصف بلاد العراق و الجزيره و فارس و الاصقاع الدانيه من آسيه الوسطى.

و ما نقلت عنه من مراجع يبدأ بمصنفات المسلمين الاقدمين و ينتهى بالمؤلفين الذين وصفوا استيطان هذه البلدان فيما بعد وفاه تيمورلنک- أى بعد الفتوحات الكبرى فى آسيه الوسطى- ففى و سعنا القول ان بالقرن الخامس عشر للميلاد ختمت العصور الوسطى فى آسيه.

و ما السفر الذى أضعه بين أيدى القراء الا تكمله لكتاب «بغداد فى عهد الخلافه العباسيه» المطبوع سنه ١٩٠٠ وصله للبحث الجغرافى الذى بدأته بكتاب «فلسطين فى عهد الاسلام» الصادر سنه ١٨٩٠.

و لكى احافظ على اعتدال حجم هذا الكتاب، ضربت صفحا عن جغرافيا جزيره العرب و وصف المدينتين المقدستين مكه و المدينه، مع أن معظم هذه البلاد كان تابعا لدوله بنى العباس. و قد يتناول هذا الموضوع من هو أدرى به منى من الباحثين فيكتب الجغرافيا التاريخيه لجزيره العرب و لمصر الفاطميه فى الجانب الثانى من البحر الاحمر. و يصف أقاليم شمالى أفريقيه المختلفه و بلدان الخلافه الغربيه فى الاندلس البعيده التى ازدهرت على قصر عمرها. فحينذاك يتكامل علمنا بالبلاد الاسلاميه.

و ان أردنا أن يكون التاريخ الاسلامى ممتعا مفيدا و أن يفهم على حقيقته فهما صحيحا، وجب علينا أن نبحث فى الجغرافيا التاريخيه للشرق الأدنى خلال

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١٠

العصور الوسطى بحثا مستفيضا شاملا. و ها أنذا قد بذلت أول جهد فى هذا السبيل.

أما ما يفتقر اليه هـذا الكتاب من مزيـد العنايه به و جعله خيرا مما هو عليه الآن فأنا أول المسلّمين لـذلك. و مهما يكن الامر فقد مهـدت الطريق لمن يتنـاول الموضوع من بعـدى بمـا أشـرت اليه فى الحواشـى من مراجع كل قول و بما قوّمته من أغلاط كتاب سالفين، فكان ما جئت به باكوره التآليف فى وصف أقاليم الخلافه العباسـيه وصـفا كاملا خلال هـذه الحقبه. و ما كتابى هـذا الا مجمـل و لست أدعى أنه وعى كـل وارده و شـارده، فقـد اضـطررت للمحـافظه على الحجم الـذى أردته له، الى تحاشـى ترجمه نصوص الرحلات المنتهيه الينـا من مؤلفى الاسـلام ترجمه كـامله. و على ذكر الرحلات أقول ان الحاجه تمس الى اصـدار طبعه جديده لكتاب «طرق البريد و السفر فى بلاد الشرق»

Sprenger, Post und Reise Routen des Orients

مصححه تصحيحا وافيا بالاستناد الى المتون المنشوره حديثا.

ذلـك بالرغم من أن ترجمه المسالك و الممالك التى ألحقها الاسـتاذ دى غويه بطبعته لابن خرداذبه و قـدامه، قـد سـدّت هـذه الفجوه الى حد بعيد.

و قد ألحقت بوصف كل اقليم، ذكر تجاراته و صـناعاته على ما جاء فى المصادر التى اعتمدت عليها. على أن ما أوردته ليس الا نزرا يسـيرا، و من أراد الوقوف على تجارات و صـناعات الشـرق الاسـلامى فى العصور الوسطى، فليرجع الى الفصل الموسوم ب «التجاره و الصـناعه» من كتاب فون كريمر «تاريخ حضاره الشرق» Culturgeschichte des Orients فهو ما زال خير ما كتب فى هذا الشأن.

و يرى القارئ بعد ثبت «مضامين» الكتاب، أسـماء البلدانيين المسلمين مرتبه بحسب سياق زمنهم. و قد أشرت اليهم فى الهوامش بالحروف الاولى من أسمائهم.

أما غيرهم ممن رجعت اليهم فى الحواشى، فقد ذكرت أسماءهم كامله لدى

الاشـاره الاـولى اليهم فقـط. و من اليسـير معرفه أسـماء مؤلفاتهم حين النقل منهم فى ما يلى المره الاولى بالرجوع الى الفهرسـت الهجائى للوقوف على أول ذكر لهم فى الكتاب.

و سيقف القارئ فى الفصل التمهيدى، على وصف موجز لمؤلفات

البلدانيين العرب. و كنت قد بسطت القول فيها فى كتاب «فلسطين فى عهد الاسلام» Palestine Under the Moslems .

و لقد ذكرت السـنين بالتاريخ الهجرى مقرونه بما يوافقها من السـنين الميلاديه (بين قوسين). و أرانى فى غنى عن التعليق على ما اتبعته فى ضبط الاعلام:

فقد جريت فيه على الطريقه الشائعه الاستعمال. و حسبى أن أذكر أن حرف (و) العربى يلفظ عاده (ف V) بالفارسيه و أن (ض- ظ) يلفظان بالفارسيه (ز)، و (ث) يلفظ) (س).

و لا ريب فى أن كتابا مثل هذا، أعتمد فى تأليفه على مصادر يكاد جميعها يكون شرقيا، قد يقع القارئ على هفوات جمه فيه. ثم انه لتعدد المراجع، لا مناص من الزلل. و انى لأشكر فضل من يهدينى الى صواب أو ينبهنى الى سهو.

و أرجو أن يقـدم غيرى على العنـايه بموضوع الجغرافيـا التـاريخيه. فـان ظهر كتاب غير هـذا أوفى بحثا و أشـمل موضوعا، يكون كتابى قد أصاب الغايه من تمهيد الطريق الى ما هو أحسن.

شارع سان فرنسسكو بوفيرينو رقم ٣ فلورنسه- ايطاليه أيار ١٩٠٥

لسترنج

البلدانيون المسلمون و قد رتبت أسماؤهم بحسب زمن تصانيفهم الاسم/ السنه الهجريه/ السنه الميلاديه

ابن خرداذبه ٢٥٠ (٨٦٤)

قدامه ٢٦٦ (٨٨٠)

اليعقوبى ٢٧٨ (٨٩١)

ابن سرابيون ٢٩٠ (٩٠٣)

ابن رسته ٢٩٠ (٩٠٣)

ابن الفقیه ۲۹۰ (۹۰۳)

المسعودی ۳۳۲ (۹۴۳)

الاصطخری ۳۴۰ (۹۵۱)

ابن حوقل ۳۶۷ (۹۷۸)

المقدسی ۳۷۵ (۹۸۳)

ناصر خسرو ۴۳۸ (۱۰۴۷)

فارسنامه ۵۰۰ (۱۱۰۷)

الادریسی ۵۴۸

(۱۱۵۴)

ابن جبیر ۵۸۰ (۱۱۸۴)

یاقوت ۶۲۳ (۱۲۲۵)

القزوینی ۶۷۴ (۱۲۷۵)

مراصد الاطلاع ۷۰۰ (۱۳۰۰)

أبو الفداء ۷۲۱ (۱۳۲۱)

المستوفی ۷۴۰ (۱۳۴۰)

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۳

الاسم/ السنه الهجریه/ السنه المیلادیه

ابن بطوطه ۷۵۶ (۱۳۵۵)

حافظ ابرو ۸۲۰ (۱۴۱۷)

علی الیزدی ۸۲۸ (۱۴۲۵)

جهان نما ۱۰۱۰ (۱۶۰۰)

أبو الغازی ۱۰۱۵ (۱۶۰۴)

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۴

الفصل الاول تمهید

بلاد ما بین النهرین و فارس و اقالیمها فی ایام الخلفاء العباسیین- الأقالیم فی الأطراف الشمالیه الغربیه و الشمالیه الشرقیه- الطرق من بغداد الی اقاصی حدود بلاد الاسلام- البلدانیون المسلمون و تصانیفهم- المؤلفون الآخرون- اسماء المواضع فی الأقالیم العربیه و الترکیه و الفارسیه.

کانت بلاد العراق و الجزیره و فارس تؤلف مملکه الاکاسره الساسانیین التی قضی علیها العرب قضاء مبرما حین ساروا لهدایه العالم الی الاسلام بعد وفاه النبی محمد. أما الروم البزنطیون، و هم الدوله العظمی الثانیه التی هاجمها المسلمون، فلم یغلبوها کل الغلبه، بل استولوا علی أقسام متفرقه من أقالیمها الغنیه، لا سیما سواحلها المطله علی جنوب البحر المتوسط و شرقه. و أما فی غیر

ذلك، فقد أفلح القياصره فى صد تقدم الخلفاء، و ظلوا على ذلك قرونا عده. بل ان دوله الروم عاشت مئتى سنه و نيّفا بعد زوال الخلافه العباسيه.

على أن العرب اكتسحوا مملكه الساسانيين و أخضعوها لسلطانهم. أما يزدجرد آخر الاكاسره فقد اعترضه بعضهم و قتله . و انضوت بلاد فارس كلها الى الاسلام. و كانت دوله الخلفاء الذين اضطلعوا بتدبير المملكه الفارسيه العابره، قد نهجت نهج الاكاسره فى الحكم. و لا سيما فى أيام العباسيين الذين غلبوا خصومهم الامويين بعد وفاه النبى بقرن و نيف من الزمن، و نقلوا قاعده الخلافه من الشام الى العراق، و أسسوا بغداد

على دجله، على بضعه أميال فوق طيسفون

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١٥

عاصمه الساسانيين الشتويه الاولى. و سرعان ما أصبحت بغداد قاعده الدوله الاسلاميه فى الشرق. و لكن هذه الدوله منذ أيام أول خلفاء بنى العباس، لم تحافظ على وحدتها، و لو اسميّا. فانفصلت عنها الاندلس، و ما عتم أن قام فى قرطبه خليفه أموى زاحم خليفه بغداد العباسى. و لم يمض قرن و بعض قرن على قيام دولتهم حتى أفلتت مصر من أيديهم. فحين أعلن أمير قرطبه الاموى نفسه أميرا للمؤمنين فى الاندلس، كانت السلطه قد انتقلت فى مصر الى الفاطميين الذين أخذوا بنظام الخلافه أيضا، و نبذوا طاعتهم لبغداد. أما الشام فقد كانت تواكب مصر فى أغلب الاحيان. و أما جزيره العرب فكانت تتنازعها الاثنتان. أما فى الشرق البعيد، فقد استقلت أقاليم كثيره عن الخليفه العباسى، بيد أنها لم تقم فيها خلافه تناوى ء بغداد . و بالاجمال فجميع تلك الاقاليم الواسعه التى كانت تؤلف المملكه الساسانيه قبل الاسلام، لبثت حتى الاخير خاضعه لخلفاء بنى العباس خضوعا اسميّا، ان لم يكن حقيقيا. فان هاتيك البلاد المتراميه الاطراف التى يحدها شرقا صحارى آسيه الوسطى و جبال أفغانستان، و غربا دوله الروم البزنطيين، كانت منقسمه الى أقاليم عديده سنتبسط فى صفه أحوالها فى الفصول الآتيه من الكتاب. و قد ظلت أسماء الاقاليم و حدودها فى أيام العرب على ما كانت عليه فى أيام الاكاسره فى الغالب (على ما انتهى اليه علمنا). فالشرق فى واقع الامر، لم يتغير الا قليلا بحيث ان الاسماء و الحدود لم يطرأ عليها تبدل يذكر حتى يومنا هذا، و ان كانت أحوال البلاد السياسيه و أوضاعها الاقتصاديه أى الماديه

قد تغيرت على ما هو منتظر تغيرا كبيرا فى خلال الالف و الثلاثمئه سنه الاخيره.

و قبل أن أتوغل فى هذا الموضوع، أرى أن اوجز القول فى هذه الاقاليم المختلفه تبعا لسياق ورودها فى الفصول الآتيه.

فالاقليم السهلى العظيم الذى أطلق عليه اليونان اسم «ميزوبوتاميه»Mesopotamia (أى ما بين النهرين) ما هو الا هبه الرافدين: الفرات و دجله.

و هذا النهر الاخير (على ما سنبين فى الفصل الثانى) لم يكن مجراه الاسفل أيام

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١۶

العباسيين فيما هو عليه اليوم. و نظره واحده الى الخارطه ترينا أن باديه العرب القاحله، تمتد حتى طف الفرات الغربى، اذ ليس لهذا النهر روافد فى يمينه.

أما دجله، فحاله خلاف ذلك: لأن الجبال الايرانيه تبعد مسافه كبيره عن شرقيّه، فتنحدر منها جداول كثيره تؤلف روافد عده لدجله تصب فى يساره. و قد ورث المسلمون عن الساسانيين فى العراق نظاما للرى جعل هذا الاقليم من أخصب بلاد الدنيا . و سنتبسط فى ذكر هذا النظام. و لكن نكتفى الآن بالقول ان العرب كانوا يسقون أرض ما بين النهرين بتحويل الفائض من ماء الفرات الى جمله أنهر تأخذ من الفرات الى دجله مخترقه سهول ما بين هذين النهرين. أما الارض من شرقى دجله حتى سفوح جبال ايران، فقد كان بعضها تسقيه أنهار تنحدر من هذه الجبال، و بعضها تسقيه جمله أنهار تخرج من دجله و تعود اليه فى جانبه الايسر. و كانت هذه الانهار تستوعب مياه فيضانات كثير من الانهار الصغيره التى تنبع فى الجبال الشرقيه.

و قد قسم العرب بلاد ما بين النهرين الى اقليمين: الاسفل و الاعلى. و قوام الاقليم الاسفل أرض الرسوب الخصبه و هى بلاد بابل القديمه،

و قد عرف هذا الاقليم بالعراق. و حدّه الشمالى (و قد اختلف باختلاف الازمان) خط يمتد من الشرق الى الغرب مبتدئا من دجله و منتهيا بالفرات، حيث يأخذ هذان النهران باقتراب أحدهما من الآخر فى السهل الذى بينهما. و لاريب أن أكبر مدن العراق فى أيام بنى العباس كانت بغداد. و لكن قبل قيام الدوله العباسيه بقرن، أنشأ

المسلمون الاولون بعد فتح العراق، ثلاث مدن كبيره و هى: واسط و الكوفه و البصره. ظلت هذه المدن مزدهره بضعه قرون، و كانت هى و الانبار (و الانبار مدينه من أيام الساسانيين) التى على الفرات فى خط عرض بغداد، أكبر المدن الآهله فى اقليم العراق أيام بنى العباس.

و تمتد فى شمال أرض الرسوب، السهول الصخريه فى أعالى ما بين النهرين. و هناك قامت مملكه نينوى فى العصور القديمه. و قد سمى العرب بلاد ما بين النهرين العليا بالجزيره، لأن تلك السهول العظيمه تحيط بها مياه أعالى الفرات و دجله و الأنهار التى تنصب فيهما جنوبى السهول الصخريه.

و يمتد اقليم الجزيره شمالا حتى الجبال التى ينبع فيها هذان النهران العظيمان.

و كانت الجزيره تنقسم الى ثلاثه أقسام، نسب كل قسم منها الى القبيله العربيه التى نزلته أيام الاكاسره. و أشهر مدنها: الموصل و هى على مقربه من أطلال نينوى، و آمد فى أعالى دجله، و الرقه على عدوه الفرات الكبرى بالقرب من طف الباديه. و فى أقصى الطرف الآخر من هذه الباديه مدينه دمشق.

و يصف الفصل الذى يليه، البلاد الجبليه التى يخرج منها النهران التوأمان، و هما منبعا الفرات. و هذه البلاد قد تناوبتها أيدى العرب و الروم. فقد كانت مدنها

و حصونها تاره بيد المسلمين و تاره بيد النصارى، بحسب مدّ الحرب و جزرها بينهم. و لم يستقر العرب فى هذه الاصقاع، و لهذا جاء وصفها فى مصادرنا الاولى مختصرا فى الغالب. و نظير ذلك ما كان من أمر الاقليم المعروف ببلاد الروم بل بمدى أوسع: فقد لبث هذا الاقليم حتى النصف الاخير من المئه الخامسه للهجره (المئه الحاديه عشره للميلاد) جزءا لا يتجزأ من دوله الروم البزنطيين و مرجع ذلك أنه كان يفصل بين هذا الاقليم و بين بلدان الخلافه، حاجز عظيم و هو جبال طوروس. على أن المسلمين كانوا فى نحو كل سنه يغزون بلاد الاناضول عابرين دروب جبال طوروس. و لقد حاصروا القسطنطينيه غير مره

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١٨

دون جدوى و أقاموا فى بعض الاوقات حاميات، و استولوا على حصون فى هضبه آسيه الصغرى. أما فى ما عدا ذلك فلم يكتب لخلفاء بنى العباس الاستيلاء على تلك البلاد. فقد غزوا غزوات كثيره فى آسيه الصغرى، دون أن يتاح لهم أخذ رقعه فيها. و لم يتوطد حكم المسلمين هناك حتى ضعفت الخلافه فحلّ السلاجقه الاتراك فى هذه الهضاب التى غنموها من البزنطيين، فصارت آسيه الصغرى، أى بلاد الروم أخيرا، من جمله ديار المسلمين. و هى ما زالت على ذلك. و فى شرق اقليم الجزيره العليا، و هى بلاد ما بين النهرين، اقليم اذربيجان. و قد عرف قديما باسم «أتروباتين»Atropatene و يحدّه من أعلاه نهر أرس Araxes و من أسفله النهر الابيض و هو «سفيدرود»، و كلاهما يصب فى بحر قزوين. و أبرز العوارض الطبيعيه فى هذا الاقليم، البحيره الملحه الكبرى المعروفه الآن ببحيره أرميه، و بقربها تبريز و مراغه

قاعدتا الاقليم. و الى شرقها: أردبيل، و هى من كبار مدنه و أقربها الى بحر قزوين. و تناول الفصل الذى يليه، جمله أقاليم صغيره على الحدود الشماليه الغربيه. أولها گيلان أو جيلان، على بحر قزوين حيث يشق سفيد رود جبل ألبرز و هو الحاجز الجبلى فى الهضبه الايرانيه. و يجرى هذا النهر فى سهل رسوبى كوّنه الغرين فألف دلتا صغيره فى داخل بحر قزوين. و تناول هذا الفصل أيضا صفه اقليم موقان، و هو عند فم نهرى أرس و الكرCyrus المتحد. و اقليم أران الى غربه، و هو بين هذين النهرين. و اقليم شروان فى شمال الكر، و كرجستان «جورجيه» عند منابعه. و فى آخره: أرمينيه الاسلاميه عند منابع أرس و هى الاقليم الجبلى المحيط ببحيره وان.

و فى جنوب شرقى أذربيجان، اقليم ماذى الخصب الذى أحسن العرب فى تسميته باقليم الجبال. فان جباله تشرف على سهل ما بين النهرين الاسفل. و هذه الجبال تمتد شرقا حتى تبلغ حدود المفازه الكبرى فى أواسط ايران. و لما علا شأن الاكراد و عظم أمرهم فى الازمنه الاخيره، عرف القسم الغربى من اقليم الجبال بكردستان. و سيمرّ بنا أن اقليم الجبال فى القرون الوسطى غالبا ما أخطأوا فى تسميته بالعراق العجمى تمييزا له عن العراق العربى الذى يراد به بلاد

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١٩

ما بين النهرين السفلى. و فى اقليم الجبال، مدن كثيره: ففى الغرب كرمانشاه و همذان (و هى اكبتاناEcbatana القديمه). و فى الشمال الشرقى: الرى (و هى(Rhages . و فى الجنوب الشرقى: أصفهان. ثم ابتنى مغول فارس مدينه السلطانيه فى سهول هذا الاقليم الشماليه، و قد أخذت مكان بغداد حينا من الزمن

فأضحت قاعده هذا القسم من دولتهم التى كانت تتألف فى أيام الايلخانيين من بلاد ما بين النهرين و فارس. و كانت تخرج من جبال «اقليم الجبال» أنهار كثيره، منها كارون، و قد سماه العرب دجيل (تصغير دجله). و هذا النهر بعد أن ينساب فى مجرى طويل متعرج يصب فى رأس خليج فارس الى شرق المصب المشترك للفرات و دجله.

أما اقليم خوزستان، فهو فى جنوب ماذى و شرق العراق، على جانبى المجرى الاسفل لنهر كارون، أى دجيل و فروعه العديده. كان هذا الاقليم عظيم الخصب وافر الخير. و أشهر مدنه تستر و الاهواز. و لوفره مياهه زكت غلات أرضه. و فى شرق خوزستان على الخليج، اقليم فارس العظيم. و هو بلاد برسس Persis القديمه مهد المملكه الفارسيه. و قد ظل هذا الاقليم فى أيام العباسيين منقسما الى خمس كور على نحو ما كان عليه فى عهد الساسانيين.

و كانت فارس مكتظه بالمدن الصغيره و الكبيره. و أجلّها شيراز قاعده الاقليم، و اصطخر (پرسپوليس(Persepolis و يزد، و أرّجان، و دار أبجرد.

و كانت جزر الخليج تعد من أعمال فارس. و كانت جزيره قيس مركزا تجاريا ذا شأن قبل نشوء مدينه هرمز. و أبرز العوارض الطبيعيه فى فارس بحيره بختيكان الكبرى الملحه، و رقع مائيه اخرى أصغر منها منتشره فى وديان الهضبه العريضه. و ما فى هذا الاقليم من جبال، متشعب من سلاسل اقليم الجبال، و قد مرت الاشاره اليه. و صارت كوره دار أبجرد فى فارس اقليما قائما بنفسه فى أيام المغول. و كانت تسمى فى المئه السابعه (الثالثه عشره للميلاد) شبان كاره و فى أواخر العصور الوسطى الحقت كوره يزد أيضا باقليم الجبال.

و فى شرق فارس، اقليم كرمان. و

هو دون سالفه خصبا لخلوه من الانهار تقريبا. و لمتاخمته المفازه الكبرى. و كان لهذا الاقليم قصبتان فى أيام العباسيين،

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٢٠

و هما: السيرجان و كرمان. و أشهر مدنه: هرمز على الساحل و جيرفت فى الداخل، و كانت مدينه رائجه التجاره. و أبرز العوارض الطبيعيه فى هضبه ايران العاليه: المفازه الكبرى فى وسط بلاد فارس. و هذه المفازه مقفره ملحه مترامیه الاطراف، تنحرف باتجاه الجنوب الشرقى قاطعه بلاد فارس من الرى فى لحف الجبال المشرف جانبها الشمالى على بحر قزوين. و هى تنبسط كنطاق عريض يندمج طرفه الاسفل بجبال مكران، الاقليم المتاخم للمحيط الهندى.

و فى هذه المفازه واحات قليله و تغطى الاملاح رقعه واسعه من سطحها المجدب.

على أن عبور المفازه هيّن شتاء ففيها مسالك كثيره واضحه المعالم تربط بين المدن القائمه على جوانبها. و مع ذلك فان هذه المفازه الكبرى حاجز يحول دون الاتصال الدائم بين اقليمى فارس و كرمان، و هما فى شفيرها الجنوبى الغربى و الاقليمين الشرقيين فيما يلى حدها الآخر، و نعنى بذلك خراسان و معه سيستان فى جنوبه الشرقى. و كان لهذا الحاجز الصحراوى أثر كبير فى تاريخ بلاد فارس خلال جميع أدواره. و بعد أن ذكرنا فى هذا الفصل ما انتهى الينا من أقوال البلدانيين المسلمين فى المفازه الكبرى، تناولنا بالبحث اقليم مكران الذى يصاقب الهند من شرقه و يصعد المرتفعات المشرفه على وادى الاندس(Indus) و يعرف قسم منه اليوم ببلوجستان. على أن مراجعنا لم تستوف صفه هذه الانحاء.

و الى شمال مكران، عبر أضيق أقسام المفازه، بازاء كرمان، اقليم سجستان أى سيستان. و هو فى شرق زره، البحيره الواسعه الضحله. و يصب فى

هذه البحيره نهر هلمند و غيره من الانهار الكثيره المنحدره من جبال أفغانستان الشاهقه- فوق كابل و غزنه- الى الجنوب الغربى. و فى هذا الموضع مدينه قندهار.

و هى فى سهل يحف به رافدان من روافد هلمند. و مدينه زرنج قاعده سجستان، عند مصب هذا النهر الكبير فى بحيره زره. و فى شمال غربى بحيره زره، على شفير المفازه الكبرى، الاقليم الجبلى المسمى قوهستان (أى بلاد الجبال) و أشهر مدنه: تون و قاين و قد ذكرهما ماركو بولو فى رحلته معا باسم تنوكين

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٢١ (Tunocain)

و يؤلف اقليما سجستان و قوهستان حدود خراسان الجنوبيه و هو الاقليم الشرقى العظيم فى بلاد فارس.

و يحسن بنا قبل أن نصف هذا الاقليم الاخير الاشاره الى الاقاليم الصغيره الثلاثه: قومس و طبرستان و جرجان و هى موضوع الفصل المقبل. فقومس و قصبته الدامغان، يمتد بحذاء الحافه الشماليه للمفازه الكبرى شرقى الرى.

و فيه السفوح الجنوبيه لجبال ألبرز التى تفصل هضبه ايران العاليه عن بحر قزوين.

و هذه الجبال، و لا سيما جانبها الشمالى، تنحدر الى بحر قزوين و تؤلف اقليم طبرستان المسمى أيضا مازندران، الممتد من كيلان و دلتا النهر الابيض (سفيد رود) فى الغرب الى الزاويه الجنوبيه الشرقيه من بحر قزوين. و يتصل هاهنا اقليم طبرستان بجرجان، أى كركان، و هو هركانيه(Hircania) القديمه، و فيه الاوديه التى يسقيها نهر اترك(Atrak) و نهر جرجان. و على هذا الاخير تقوم مدينه جرجان. و يمتد اقليم جرجان شرقا من بحر قزوين الى الصحراء التى تفصل خراسان عن الارض الزراعيه فى دلتا جيحون(Oxus) و هى التى يقال لها اقليم خوارزم.

و اقليم خراسان الحالى ليس الا

بقیه للصقع الکبیر الذی کان یعرف بهذا الاسم منذ أیام العباسیین حتی أواخر العصور الوسطی. فان اقلیم خراسان، کان حینذاک یضم أیضا ما هو الیوم شمال غربی أفغانستان. و کان یکتنف خراسان فی العصور الوسطی نهر بدخشان من الشرق و نهر جیحون و صحراء خوارزم من الشمال. و قسّم البلدانیون المسلمون خراسان الی أربعه أرباع، عرف کل ربع باسم قصبته، و هی: نیسابور و مرو و هراه و بلخ. و أبرز

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۲

العوارض الطبیعیه فی خراسان: النهران العظیمان، نهر هراه و نهر مرو.

و مخرجهما فی جبال البلاد المعروفه الیوم بأفغانستان، و ینعطفان شمالا، ثم یفنی ماؤهما فی رمال الصحراء أمام خوارزم، فلا ینتهیان الی بحر أو بحیره.

و یتناول الفصل الذی یلیه أعالی نهر جیحون و صفه جمله أقالیم صغیره تمتد من بدخشان فالی الغرب و تقع فی شمال هذا النهر العظیم و علی روافد ضفته الیمنی. و فی هذا الفصل أیضا وصفنا اقلیم خوارزم و هو فی جنوب بحر آرال.

و قوامه دلتا هذا النهر، و قصبته القدیمه أرکنج. و قد أفردنا بعض صفحات هذا الفصل لایضاح المجری القدیم لنهر جیحون الماد الی بحر قزوین، و هو موضوع قد کثر حوله الجدل. و وراء هذا النهر، فیما بینه و بین سیحون(Jaxartes) ، اقلیم الصغد و هو صغدیانا(Soghdiana) القدیم، و فیه المدینتان الجلیلتان:

سمرقند و بخاری، و هما علی نهر الصغد. و هذا الفصل یسبق آخر فصول الکتاب. أما الفصل الاخیر، فیتناول بالبحث الاقالیم التی علی نهر سیحون من اقلیم فرغانه، بالقرب من تخوم صحاری الصین، و قاعدته أخسیکث، الی الشاش و هی طشقند الحدیثه. کما یتناول اقلیم أسبیجاب فی الشمال

الغربى. و وراء هـذا الاـقليم ينسـاب نهر سـيحون حـتى يصـب فى أعلى بحر آرال مـارا بـالتيه الصـحراوى القـارس. و لـم يـذكر البلدانيون العرب الاقدمون الا أخبارا مختصـره عن هذه الاقاليم الشـماليه التى فى أقاصـى الشرق فيما وراء آسيه الوسطى. و تلك الاصقاع موطن الترک و لم تصبح ذات شأن الا بعد الغزو المغولى. و مما يؤسف عليه أنه لم ينته الينا مما يعتد به من الاخبار عن هـذه الحقبه الاـ النزر القليل. و فى الغالب لم يسـعفنا البلـدانيون العرب فى ذلک. و کان لنا العوض بالمؤلفين الفرس و الترک، و لکن ما انتهى الينا منهم مشوش لا يوثق به.

و حين بلغت الدوله الاسلاميه أقصى اتساعها فى أيام بنى العباس، انشئ نظام محکم للطرق مرکزه بغداد. فکانت الطرق الآتيه من أقاصـى الشـرق تعبر دجله ميممه شـطر الحجاز لأداء فريضه الحج، اذ على المسـلمين الحج الى مکه و لو مره واحده فى العمر . و قد انتهت الينا من ذلک الزمن أوصاف وافيه عن نظام

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-کورکيس عواد، النص، ص: ٢٣

الطرق هـذا (و قـد ورثه العرب عن مملکه الفرس القـديمه) و فى وسـعنا أن نجمـل وصف أهم الطرق التى تخترق الاقـاليم المار ذکرها فى الفقرات السابقه.

و أشـهر الطرق العامه: طريق خراسان العظيم الضارب الى الشرق. و هو يربط العاصمه بمدن ما وراء النهر التى فى تخوم الصين. و لعل هـذا الطريق أوفر الطرق حظا من وصف البلـدانيين له. يبدأ من باب خراسان فى بغداد الشـرقيه، ثم يقطع السـهل عابرا أنهارا عديـده فوق قناطر حسـنه البناء، حتى يبلغ حلوان و هى أسـفل الـدرب المؤدى الى جبال ايران. و هناک يدخل هذا الطريق اقليم الجبال. و

بعـد أن يصـعد الجبـال صـعودا حـادا، يصـل كرمنشـاه قاعـده كردسـتان فيجتـاز اقليم الجبال من أقصاه الى أقصاه باتجاه الشـمال الشرقى، و يمر بهمذان، فالرى. و من الرى فما بعدها يأخذ نحو الشرق فى الغالب، فيمر بقومس تاركا جبال طبرستان فى يساره و المفازه الكبرى فى جنوبه، حتى يدخل اقليم خراسان قرب مدينه بسطام. ثم يتابع سيره فيأتى الى نيسابور، ثم الى طوس حتى يبلغ مرو. و بعد أن يبارح مرو، يجتاز الصـحراء فيبلغ ضـفه نهر جيحون عند آمل، ثم الى بخارى، فسـمرقند، و هما فى اقليم الصغد. و ينشـطر الطريق فى زامين، و هى على مسافه قصـيره من سـمرقند، شـطرين: الايسر- يتابع سيره الى الشاش (و هى طشقند الآن) ثم الى معبر النهر عند أترار(Utrar) - فى أسافل نهر جيحون. أما الشطر الثانى، فلدى مبارحته زامين، ينعطف يمينا ثم يتجه الى

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۴

اقليم فرغانه و نهر سيحون الاعلى، فيبلغ أخسيكث قاعدته. و ينتهى أخيرا الى أزكند على تخوم صحراء الصين.

هـذا مـا كـان عليه طريق خراسان العظيم فى أقصـى مـداه. و ما زال طريق البريـد فى يومنا هـذا، الـذى يقطع بلاد فارس و مركزه طهران و هى قرب الرى القديمه، يقتفى ذياك الطريق الطويل نفسه الذى وصـفه البلدانيون العرب الاولون. و بعد سقوط الخلافه العباسـيه، تغير بعض نظام الطرق بانشاء مدينه السلطانيه التى أضحت قاعده المغول. على أن كل ما طرأ فى الواقع لم يكن الا فتح طريق فرعى يتجه شمالا من همذان الى السلطانيه التى صارت حينا من الزمن مركزا للطرق فى هذه الربوع بدلا من الرى.

و فى أوائل أيام الدوله العباسيه، كان يتشعب من المدن الكبرى التى

على طريق خراسان العظيم، طرق من يساره و يمينه، تمتد الى سائر أنحاء بلاد فارس. فكان يخرج من جوار كرمانشاه، طريق يأخذ الى الشمال نحو تبريز و غيرها من المدن التى على بحيره أرميه. و لهذا الطريق شعب تنتهى الى اردبيل و الى مواضع على نهر أرس. و يخرج من همذان طريق نحو الجنوب الشرقى الى أصفهان، كما يخرج من الرى نحو الشمال الغربى الى زنجان طريق معروف المسافات. و منها طريق يؤدى الى اردبيل. و كانت نيسابور فى خراسان مركز طرق فرعيه كثيره يتجه أحدها جنوبا الى طبس على شفير المفازه الكبرى فى قوهستان. و طريق آخر كان يذهب الى قاين و آخر يتجه نحو الجنوب الشرقى الى هراه ثم الى زرنج فى سجستان. و من مرو، يبدأ طريق يحاذى نهر مرو صاعدا الى نهر مرو الاصغر (أى مرو الرود) حيث يلتقى بطريق آت من هراه، فيمضى الى بلخ و أصقاع الحدود الشرقيه فيما وراء نهر جيحون(Oxus) .

ثم أنه كان يخرج من بخارى، طريق نحو الشمال الغربى يوصلها بأركنج فى خوارزم. و طريق نحو الجنوب الغربى يوصلها بترمذ على نهر جيحون بازاء بلخ.

و بهذا، يكمل وصف نظام طريق خراسان و فروعه. و لنعد الآن الى بغداد، لنجمل القول فى الطرق العامه الخارجه منها الى الجهات الاخرى.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٢٥

فقد كان بانحدار دجله، الطريق المار بواسط الى البصره، الميناء التجارى العظيم على خليج فارس، و ما فى هذا الطريق من مسافات و مراحل، فى كلاـ البر و الماء، معروف لدينا. و من واسط و البصره، كان يصل طريق الى الاهواز فى خوزستان، ثم يشرّق الى شيراز فى فارس. و

كانت هذه المدينه مركزا لكثير من الطرق: طريق يذهب شمالا الى أصفهان ثم الى الرى، و طريق نحو الشمال الشرقى يمر بيزد مخترقا المفازه الكبرى، حتى يصل الى طبس. و هذه تتصل بنيسابور. و يصل شيراز بالسيرجان و كرمان فى الشرق جمله طرق. ثم فى شرقيهما يصلها بزرنج فى سجستان طريق يخترق المفازه الكبرى. و كان يتفرع من شيراز طريقان: نحو الجنوب الشرقى و الجنوب، يؤديان الى موانئ خليج فارس. أحدهما يمر بدارابجرد الى سور و قرب هرمز، و الثانى الى سيراف، و كانت حينا من الزمن أجلّ موانئ اقليم فارس

و اذا عدنا الى بغداد، مركز الطرق العام، ألفينا طريق الحج الى مكه و المدينه يبدأ من بغداد الغربيه فيتجه جنوبا الى الكوفه على طف الباديه العربيه، فيقطعها بخط يكاد يكون مستقيما حتى الحجاز. و قد كان يخرج من البصره طريق ثان للحج، يسير فى بادئ أمره فى موازاه الطريق الاول، و يلتقيان أخيرا على مرحلتين من شمال مكه. و كان يخرج من بغداد، من شمالها الغربى، طريق يصل الى الفرات عند الانبار، و منها يصعد بمحاذاه النهر الى الرقه. و كان يخرج من الرقه طريق يخترق باديه الشام الى دمشق، و طرق غيرها كثيره تذهب شمالا الى ثغور الروم. ثم أنه كان يمتد من بغداد الى الشمال، طرق تصعد الى الموصل فى جانبى دجله. و من الموصل كان هذا الطريق يصل الى آمد من جهه، و الى قرقيسياء على الفرات فى الجنوب الغربى من جهه ثانيه. و كانت تخرج من آمد طرق تتصل بمعظم الثغور التى بازاء بلاد الروم.

هذا مجمل ما كانت عليه المسالك الخارجه من بغداد فى أيام العباسيين.

و كانت تلك المسالك،

بمـا يتخللهـا من محطـات للبريـد، تربط العاصـمه بأقاليم الـدوله النائيه. و لقـد عنى البلـدانيون العرب بوصف هـذه المسالك كل العنايه و للرجوع الى ما كتبوه، يحسن بنا أن نوجز القول فى اولئك الاقدمين بحسب

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٢۶

زمن كتابه تصانيفهم. فعلى ما كتبوه كان اعتمادنا فى ما أوردنا من أخبار فى فصول هذا الكتاب .

و أقدم اولئك المصـنفين، عاش فى أواسط المئه الثالثه للهجره (المئه التاسـعه للميلاد). و أول ما دوّنه العرب فى صفه البلدان من كتب، كان فى المسالك.

فـان هاتيك المصـنفات تبسـطت فى ذكر مختلف الطرق، و ضـمنت ذلك نبـذا من الاخبار عن المـدن التى كانت تمر بها تلك الطرق، و ذكرت ما يرتفع من كل اقليم من أقاليم الـدوله من خراج و غله. و فى طليعه ما ذكر مما فى أيدينا من كتب المسالك، أربعه يكمل بعضها بعضا، لأن نصوصها فى كثير من المواضع مخرومه.

و مؤلفو هذه الكتب من أهل المئه الثالثه (التاسعه) و هم: ابن خرداذبه و قدامه و اليعقوبى و ابن رسته.

فالاثنان الاولان يكادان يتفقان فى مادتهما. فابن خرداذبه كان صاحب البريـد فى اقليم الجبال، و قدامه كان من عمال الخراج. و على ذلـك فمسالكهمـا قـد ذكرت المسافـات التى على طريق خراسـان العظيم و غيره من الطرق الكبيره التى كـانت تتشـعب من بغداد، مرحله مرحله على ما بيّناه فى الفقرات السابقه.

و مما يؤسف عليه، ان كتاب اليعقوبى لم ينته الينا كله. و قد تيسّر لنا أن نصف عاصـمه العباسيين و صفا خططيا مفصلا بالاستناد الى ما جاء عن بغداد فى كتابه و فى كتاب ابن سرابيون. هذا الى أن اليعقوبى أورد أخبارا ثمينه عن كثير من

المدن الاخرى، و تفاصيل عن الطرق التى تخترق اقليم العراق مما لا وجود له فى غير كتابه. أما ابن سرابيون، معاصره، فلم يصلنا من كتابه غير قسم . و هذا

القسم، الى احتوائه على صفه بغداد، فان قيمته الكبرى فى ذكر أنهار العراق و الجزيره. كما أن ابن سرابيون أوجز القول فى صفه أنهار الاقاليم الاخرى.

أما ابن رسته، فقد صنّف كتابا مماثلا لكتاب اليعقوبى، و زاد عليه تنويهه بالمدن، الا أن أفضل ما جاءنا به هو تدقيقه فى كلامه على طريق خراسان العظيم حتى طوس قرب المشهد، و ذكره ما تفرّع منه من طرق لاسيما الذاهب من طوس الى أصفهان و هراه. و مثل ذلك و صفه الطريق من بغداد فجنوبا الى الكوفه و الى البصره مع تتمته المتجهه شرقا الى شيراز. و هو لم يقتصر على ذكر مسافات هذه الطرق و منازلها، بل وصف طبيعه الارض التى تخترقها مبيّنا عما اذا كان الطريق فى الجبال صاعدا أم هابطا، أم كان الطريق فى السهول. فوصف ابن رسته هذا كبير الشأن فى تعيين الخطوط التى كانت تقطعها هذه الطرق و تثبيت مواضع كثير من الاماكن الدارسه. و من ثقات المؤلفين الآخرين: ابن الفقيه، و هو معاصر لابن رسته فقد كتب كشكولا بلدانيا عجيبا جدا لم ينته الينا يا للأسف غير مختصره على أن بعض أقواله فى الامكنه نافع فى استكمال أخبار من تقدمه و تصحيحها .

أما البلدانيون الذين نهجوا نهجا متسقا فيما كتبوا، فكان أول ظهورهم فى المئه الرابعه للهجره (العاشره للميلاد) و قد وفوا القول فى صفه كل اقليم من أقاليم الدوله الاسلاميه و لم يذكروا شيئا

عن المسالك الا عرضا. و لكنهم بوجه عام ذكروا ما فى كل اقليم من طرق. و لا مراء فى أن تصانيفهم أرقى من كتب المسالك و نحن مدينون لهم بالتفاصيل البلدانيه الواسعه التى سيقف عليها القارئ

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۸

فى تضاعيف هذا الكتاب. و فى طليعه هؤلاء ثلاثه هم: الاصطخرى و ابن حوقل و المقدسى. فتصانيفهم زاخره بالفوائد. و ما كتاب ابن حوقل الا نسخه محدثه موسعه منقحه لكتاب الاصطخرى. على أن الاصطخرى، و هو من أهل اصطخر (برسبوليس)، قد وصف فارس موطنه و صفا مسهبا فيه لا تجده فى ابن حوقل الذى اختصر هذا الفصل عن فارس بالقياس الى سائر فصول كتابه. أما المقدسى، و قد عاصرهما، فانه كتب جغرافيته باسلوب خاص يختلف عمن سبقه. ذلك أنه بناه على ما شاهده بنفسه فى مختلف الاقاليم. فلعل كتابه أعظم من كل ما صنفه البلدانيون العرب و أكثرها اصاله. فوصفه للأمكنه و العادات و الطبائع و التجارات و الصناعات و تلخيصه لخصائص كل اقليم يعدان من خير ما كتب فى سلسله مصنفات العرب فى القرون الوسطى.

و يحسن بنا أن نشير الى أننا مدينون لاولئك البلدانيين المنهجيين الثلاثه فى تعيين معظم الاسماء التى ذكرت فى الخوارط الملحقه بكتابنا تعيينا صحيحا. فانهم أوردوا فى آخر كل فصل ثبتا بالمسافات، أى منازل الطرق و مراحلها التى و صفناها، أو ما فى الاقليم المبحوث فيه من طرق. و هم الى ذكر الطرق، قد أشاروا الى عدد كبير من الطرق الفرعيه التى بين المدن المجاوره. و هذه المسافات التى سردوها ابتداء من نقاط معروفه قد أعانتنا على مل ء الخارطه بشبكه من نقاط التثليث، فأوقفتنا على مواضع

بعض المدن التى مضى ز من طويل على اندراسها و زوال معالمها فى معظم الاحوال، فتسنى لنا تعيينها فى الخارطه بوجه تقريبى.

مثال ذلك مدينه توّج فى بلاد فارس: فانه لم يتحقق موضع خرائبها الى اليوم، و ان كنا قد تمكنّا الآن من تعيين موضعها فى الخارطه ضمن أضيق نطاق. و من مؤلفى المئه الرابعه أيضا (العاشره): المسعودى. فقد صنف كتابين: أولهما تاريخى فى جملته و هو «مروج الذهب» و ثانيهما من التصانيف الجامعه الزاخره بأخبار و فوائد غريبه و هو كتاب «التنبيه و الاشراف» .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۹

فاذا انتهينا الى المئه الخامسه و السادسه (الحاديه عشره و الثانيه عشره)، أصبنا كتابين لحاجّين من مشاهير الرحالين، و وصفهما لما مرا به من أماكن كبير الشأن. أحدهما ناصر خسرو، و هو رجل فارسى خرج حاجا من خراسان فى منتصف المئه الخامسه (الحاديه عشره) الى مكه، ثم عاد اليها بعد طوافه بمصر و الشام و اختراقه الجزيره العربيه. و يومياته التى دوّنها بالفارسيه من أقدم ما وقع لنا فى هذه اللغه من تصانيف و بعده بقرن خرج ابن جبير الرحاله العربى الأندلسى، حاجا من غرناطه. و وصفه للعراق، و لا سيما بغداد، من اروع ما انتهى الينا. و من التصانيف الفارسيه الواصله الينا من اوائل المئه السادسه (الثانيه عشره) مؤلّف يسمى «فارسنامه» (كتاب فارس) تناول مؤلفه هذا الاقليم بوصف ثمين قد أوفى على الغايه. و وصل الينا من منتصف هذا القرن أيضا، مصنّف جغرافى علمى للادريسى الذى عاش فى بلاط الملك النورمندى روجر الثانى ملك صقليه. دوّن الشريف الادريسى كتابه باللغه العربيه و وصف العالم المعروف فى زمنه بحسب الاقاليم المناخيه وصفا

تشقّ مراجعته. فقد قطّع أوصال الولايات المختلفه فى الغالب اعتباطا لأنه جرى فى وصفها بحسب الاقاليم أى بحسب مناطق العرض. فبلاد العراق و الجزيره مثلا جاء وصف بعضها فى الاقليم الثالث و بعضها فى الاقليم الرابع. و المؤلف الى ذلك لم يكن وا أسفا، واقفا بنفسه على بلاد فارس و لا على الاصقاع التى فى شرق البحر المتوسط و هو ما نهتم له فى كتابنا. الا أنه زار آسيه الصغرى و قد كانت حتى زمنه ولايه تابعه لدوله الروم . و وصفه لهذه البلاد لا يثمّن، الا أن أسماء الامكنه (بسبب تصحيف المخطوط) لا تتيسر قراءتها فى كثير من الاحوال

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٠

اذ أن التصحيف قد بلغ فيها حدا لا يمكن معه تبيّن وجه الصواب فى الاصل .

و وصلنا من مصنفات المئه السابعه (الثالثه عشره)، و فيها كان الغزو المغولى و سقوط الخلافه العباسيه، «معجم البلدان» لياقوت الحموى. و هو سفر كبير كثير الاجزاء. و مع أن مصنّفه استقاه ممن تقدم من المؤلفين، الا أنه زاد عليهم مشاهداته فى رحلاته الواسعه المدى. فهو كتاب لا يقدّر بثمن اذا روجع بنقد و تمحيص. صنّف ياقوت المواد فيه على الترتيب الهجائى و اقتبس، دون تقيّد، من كل ما وضعه أسلافه من بلدانيى العرب، و بينهم مؤلفون لم يكن لنا أن نطلع على ما دوّنوه لولا مقتبسات ياقوت منهم. كالرحاله ابن مهلهل الذى كتب فى سنه ٣٣٠ (٩٤٢). و بعد مضى ثلاثه أرباع القرن على تأليف هذا المعجم الكبير، ظهر مختصر له بعنوان «مراصد الاطلاع» لمؤلف من أهل العراق له فى الغالب استدراكات ثمينه موثوق بها على الامكنه التى فى أنحاء بغداد.

و ممن نشأ فی نحو هـذا الزمن: القزوینی، و قـد دوّن کتابـا فی جزءین وصف فیهما الارض ضـمنهما فوائـد فی تجارات مختلف المـدن و الاقالیم و غلاتها. و انتهی الینا من النصف الاول من المئه الثامنه (الرابعه عشـره) کتاب منسّق فی البلـدان لأبی الفـداء. و أبو الفدا أمیر شامی. و مع أنه ألّف کتابه نقلا عمن تقدمه فی

الغالب، فانه أضاف الیه مشاهداته لما زاره من بلدان .

و ممـا جاءنا من هـذا الزمن نفسه، أی النصف الاول من المئه الثامنه (الرابعه عشـره)، رحله ابن بطوطه. و ابن بطوطه رجل مغربی قام برحلات طویله جاری فیها مارکو بولو البندقی. و قد دوّن کتابه بالعربیه. أما حمد اللّه المسـتوفی، و قد عاصر ابن بطوطه، فقد کتـب بالفارسـیه وصـفا لمملکـه ایران المغـولیه (بلاـد العراق و فـارس) اوضـح فیـه حـال البلاـد بعـد أن حـلّ فیهـا المغـول أیـام الایلخانیین.

و صـنّف المسـتوفی کتابا فی التأریـخ و هو «تاریـخ گزیـده» (زبـده التاریخ) و هذا السـفر، الی قیمته العظیمه عن العهد المغولی، یحتوی فی الغالب علی فوائد جغرافیه جلیله .

و فی طلیعه ما وصلنا من مصادر عن عهد تیمور، کتاب تأریخی لعلی الیزدی.

ثم مصـنّف جغرافی لحافظ أبرو و کلاهما بالفارسـیه. و یرقی عهدهما الی النصف الاول من المئه التاسعه للهجره (الخامسه عشره للمیلاد). و مما نذکر من المصادر أیضا عما بعد فتوحات تیمور، تصانیف مؤلفین ترکیین أحدهما کتب بالترکیه الشرقیه و الثانی بالترکیه العثمانیه، و هما من أهل النصف الاول من المئه الحادیه

عشره (السابعه عشره). و هذان السفران هما: «تأریخ الترک و المغول» لأبی الغازی أمیر

خوارزم، و جغرافيه العالم المسماه «جهان نما» للحاج خليفه واضع الكشف المشهور بأسماء الكتب .

و لا ـ مندوحه لنا، ان ابتغينا التعمق فى بعض التفاصيل، من الرجوع الى مصنفات كثير من المؤرخين العرب. فقد كان المؤلفون الاقدمون يعالجون التأريخ و البلدان معا فى مصنفاتهم. فمن ذلك كتاب «فتوح البلدان» للبلاذرى، و قد ألّفه فى المئه الثالثه للهجره (التاسعه للميلاد). وصف فيه فتوح المسلمين فى الشرق و الغرب بحسب وقوعها. و هذا الكتاب جليل القدر لأنه يرينا حال البلاد حين أصبح الاسلام الدين السائد فيها. و لدينا الى كتاب «تاريخ اليعقوبى»، و قد مر ذكره، كتاب آخر يرقى الى المئه الثالثه (التاسعه) صنفه ابن مسكويه و لم يطبع منه غير القسم السادس. و مما يدخل فى هذا الباب تأريخ حمزه الاصفهانى، و قد كتبه فى منتصف المئه الرابعه (العاشره). و مع أن هذا الكتاب مؤلف بالعربيه، الا أنه رجع فى تأليفه الى كثير من الكتب الفارسيه الضائعه الآن و أورد فيه حقائق كنا على جهل بها لولاه.

على أن أكمل التواريخ العربيه و أجمعها المنتهيه الينا من أوائل المئه الرابعه (العاشره) تأريخ الطبرى. و الطبرى ممن عاش فى ذلك الزمن. و هذا الكتاب مرجع جغرافى أساسى. و يحسن أن يعتمد على تاريخ ابن الاثير فى تعرف أحوال العباسيين فى أواخر عهدهم. و كذلك الموجز فى التأريخ الاسلامى المعروف ب «الفخرى». و يفيدنا تأريخ ابن خلدون فى استكمال الاخبار اليسيره التى

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٣

نجدها فى تاريخ ابن الاثير. و يزيدنا تعريفا بها كتاب «و فيات الاعيان» لابن خلّكان. فكل هؤلاء المؤلفين دوّنوا مؤلفاتهم باللغه العربيه . و مما يحسن ذكره من المؤلفات التاريخيه

باللغه الفارسیه «روضه الصفا» لمیرخواند و «حبیب السیر» لخواند میر حفیده. و هما کتابان جلیلان حویا فوائد جغرافیه ثمینه، لاسیما ما اتصل بالاقالیم الفارسیه. و لا تفوتنا الاشاره أیضا الی تاریخین فارسیین آخرین یبحثان فی الدوله السلجوقیه فی آسیه الصغری و کرمان و قد رجعت الیهما غیر مره فی صفحات کتابی باسم المؤرخین ابن بیبی و ابن ابراهیم .

و یحسن بنا، لاکمال ما بسطناه، أن نخصّص بضع صفحات نختتم بها هذا الفصل التمهیدی، نذکر فیها شیئا عن أسماء الامکنه التی وردت فی فصول الکتاب و ثبتت فی خوارطه. فمعظم أسماء الامکنه فی اقلیمی العراق و الجزیره

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۳۴

اما أن یکون عربی النجار أو ارامیا، اذ کانت الثانیه هی لغه القوم الشائعه قبل الفتح الاسلامی. و لأسماء المدن بالعربیه معنی، و من الامثله علی ذلک الکوفه و البصره و واسط. أما الاسماء الارامیه، فمن الیسیر تمییزها من صیغتها و من انتهائها بحرف الالف الطویله. مثال ذلک: «جبلتا». و معانی هذه الاسماء أیضا لا تصعب معرفتها بوجه عام. فمثلا «عبرتا» معناها (المعبر، أی موضع العبور) فهی تعیّن موضعا لجسر علی قوارب. و «باجسرا» و معناها فی العربیه (بیت الجسر).

أما الاسماء الفارسیه القدیمه مثل «بغداد» (أی موضع عطیه اللّه) فنادر.

و تجد أیضا هنا و هناک اسما یونانیا ما زال حیّا مثل «الأبله» و هی «أبلوغس»(Apologos) .

و لم تصبح بلاد الروم فی آسیه الصغری بلادا اسلامیه، علی ما بیّنا، الا بعد الفتح السلجوقی لها فی النصف الثانی من المئه الخامسه (الحادیه عشره). و من ثمّه، فالاسماء الیونانیه فیها انتهت الینا بصیغتین: قدیمه (عربیه) و حدیثه (ترکیه). فسلوسیه(Seleucia) مثلا عرفت أولا بسلوقیه ثم

بسلفكه(Selefkeh) . و هركليه(Heraclia) نجدها أولاـ بصيغه هرقله و فى العصور الحديثه أراكليه(Arakliyah) و لا ريب أنه بعد الفتح السلجوقى للبلاد و السياده العثمانيه التى أعقبت ذلك، حلّت التسميات التركيه محل الاسماء اليونانيه القديمه. و لكن ما يجب ذكره بصدد ضبط التهجئه، أن الالفباء العربيه غريبه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٥

عن التركيه غرابتها عن اليونانيه. و لهذا صار للكلمات التركيه (كما يظهر ذلك فى كل معجم تركى) تهجئتان مختلفتان. و كان حال أسماء الامكنه حال ألفاظ اللغه نفسها. فنجد اسم «قراحصار» و «قره حصار» و «قره سى» و «قراسى» و «قرمان» و «قرامان» و غير ذلك من الامثله الكثيره.

و اذا ألقينا نظره على خوارط الاقاليم الفارسيه، تبيّن لنا قله الاسماء المنحدره من أصل عربى. فمن الصعب أن نجد أسماء مدن بالعربيه هناك ما عدا المراغه فى أذربيجان و بيزا (البيضاء أى «البلده البيضاء») فى فارس. فالمسلمون لم يغيّروا الاسماء فى الواقع أو غيّروها بعض التغيير حينما استولوا على المملكه الساسانيه . و كثيرا ما نجد قرى و منازل ذات أسماء مأخوذه من أشياء طبيعيه أو مشهوره، كقريه الآس و قريه الجمل و قريه الملح. فقد كانت تسمى بالفارسيه: ده مرد، ده اشتران، ده نمك. و قد أورد البلدانيون العرب هذه الاسماء مترجمه دائما، فنجد فى تصانيفهم القرى السالفه الذكر مثلا باسم قريه الآس و قريه الجمل و قريه الملح . و لدينا ما يؤيد أن الاسم الفارسى كان هو المستعمل فى كل الاوقات فى بلاد فارس. و بعباره اخرى، ان الامر هنا على نحو ما هو عليه عندنا حين نقول: الغابه السوداء(Black Forest) و هى بالالمانيه(Schwarz -Wald) و رأس الرجاء الصالح(Cape

of Good Hope) فمثل هذه الاسماء يرد عاده بصيغ متنوعه فی الخوارط و فی الكتب علی حسب لغه المتكلم.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۶

و مما تحسن الاشاره اليه، أننا قد نجد فی جداول الاسماء العربيه، اسم منزل بالعربيه لم ينته الينا ما يقابله بالفارسيه. فمن ذلک «رأس الكلب» و قد يكون الموضع ما صار يعرف بعد ذلک باسم «سمنان» و نعت العرب أحيانا مدينه فارسيه فعرفت فی أوان واحد باسمها و بنعتها، علی نحو ما كان الامر فی كنكوار فقد سماها المسلمون الاولون «قصر اللصوص» لأن دوابهم كانت تسرق فيها.

و مع ذلک فالاسم الذی عاش فی الاخير هو «كنكوار» لا النعت العربی، حتی أنه لما أسس المسلمون الفاتحون عاصمه اقليميه جديده، علی نحو ما حصل فی شيراز التی سرعان ما حجبت اصطخر القديمه «برسبوليس»، كانوا قد اتخذوا للمدينه الجديده علی ما يظهر اسم القريه الفارسيه الاصليه و خلّدوه لها. و لا يمكن تحقق أصل اسم شيراز و اشتقاقه علی ما يبدو، شأن غيره من الاسماء الكثيره.

اذ أننا يا للأسف نكاد نجهل جغرافيا المملكه الساسانيه القديمه برمتها.

أما تهجئه الاسماء، فكانت بالطبع تتغير بتغير الزمن. فان «طريثيث» أصبح «ترشيز» و «همذان» صارت تهجئتها فی الكتب الحديثه «همدان» .

و قد تستعمل الی ذلک أيضا، تهجئه عربيه و تهجئه فارسيه لاسم ما فی وقت واحد. مثال ذلک «قاشان» العربيه فهی تكتب فی الفارسيه «كاشان»، و «صاهک» ظهرت أخيرا «جاهک» و «صغانيان»: «جغانيان» و بمقتضی قواعد اللغه العربيه فی الالفاظ الثلاثيه ذات الحروف الصحيحه، فان: بم الفارسيه يجب أن تكتب فی العربيه مشدده «بمّ» و قم: «قمّ» مجاراه لمخارج الحروف فی العربيه. و لم يستعمل الحرف

الصحيح الاـخير المشـدد فى الفارسـيه البته. و قـد يحصل أن يبطل اسـتعمال اسم لأسـباب مجهوله ليحل محله اسم آخر، و لكنه فارسـى كالأـول، على نحـو مـا حـدث فى «قرماسـين» أو «قرميسـين» الـتى عرفـت بعدئـذ بـاسم «كرمانشاهـان» ثم اختصـرت الى «كرمانشاه» فى الوقت الحاضر.

و كما أننا نجهل المنشأ الاصلى لهذه الاسماء، نجهل أيضا عله تبديلها.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۷

أما «أل» أداه التعريف العربيه التى تعرّف بها أسماء الامكنه، فاستعمالها سماعى الى حد بعيد. لأن القاعده الصرفيه تقضى بادخال «أل» التعريف على الاسـماء العربيه دون الاعجميه، غير أن هذه القاعده لا تطّرد دائما. ففى العراق، حيث معظم الاسـماء من أصل سامى بطبيعه الحال، نجـد أن دجله يكتب دائما بـدون «أل». أما الفرات فقـد دخلته «أل» التعريف و ان كان مثل صـنوه اسـما غير عربى . و فى تسـميه الاقـاليم الفارسـيه درجـوا على اسـقاط «أل» التعريـف العربيـه بمرور الزمـن: فالسـيرجان (بـالعربيه) أصـبحت بالفارسـيه سـيرجان. و مهما يكن من أمر فاسـتعمال هذه الاداه عرفى. فليس من تفسـير لاسـتعمال العرب «أل» التعريف على اسم «الرى» بينما نجد أن اسم «جى» و هو الاسم القديم لقسم من أصفهان يكتب دائما بدون «أل» .

و كان العرب مقلّين فى اطلاق التسميات فكان ذلك عله كثير من الارتباك.

فالقاعده عندهم أن يسمّوا عاصمه اقليم باسم ذلك الاقليم، حتى و لو كان لتلك العاصمه اسم آخر: فدمشق مثلا ما زالت تعرف عندهم بالشام و هى عاصـمه الشام، و زرنج أهم مدن سجسـتان كانوا يسـمونها فى الغالب سجستان أو مدينه سجستان و يريدون بها مدينه ذلك الاقليم. و قد أدى هذا الاستعمال طبعا الى ارتباك حينما يكون للاقليم عاصمتان، كما حدث مثلا

فی اقلیم کرمان. فان اسم کرمان (و نقصد المدینه) اطلق فی الکتب القدیمه علی العاصمه الاولی السیرجان.

و فی العصور الاخیره اطلق هذا الاسم علی کرمان المدینه الحالیه و هی غیر تلک المدینه بالمره. و لم تصبح عاصمه الا بعد خراب السیرجان. و کذلک اذا قارنا بین الخوارط الموضوعه استنادا الی روایات بلدانیی القرون الوسطی و بین خوارط هذه

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۳۸

الایام، رأینا فی الغالب أن اسم مدینه مندرسه قد بقی محافظا علیه فی الولایه الحدیثه. و هکذا الامر فی بلده السیرجان المندرسه مثلا، فان هذا الاسم نفسه ما زال مستعملا لولایه السیرجان الحدیثه. و نحو ذلک «بردسیر» و «جیرفت» و کانا قبلا اسمین لبلدتین جلیلتین فبقیا لولایتیهما فقط. و مجمل القول فالولایه و قصبتها یطلق علیهما دائما اسم واحد، و بمرور الزمن یهجر اما اسم الولایه أو اسم المدینه. و بناء علی ما تقدم من الامثله فان اسم مقاطعه اردون القدیمه یطلق الآن علی بلده صغیره تعرف باسم اردون، و قد کان یقال لها قدیما خوار (خوار الری).

و فی الجغرافیا الطبیعیه، لم تکن التسمیات العربیه وافره أیضا. نعم نجد بوجه عام أن قمم جبال مشهوره لها أسماء تعرف بها (مثل دماوند و ألوند) و لکنهم لم یطلقوا اسما خاصا علی سلسله من الجبال. فسلسله جبال طوروس العظیمه التی تحجز بلاد الروم عن غیرها، تذکر غالبا (و خطأ) باسم جبل لکام، غیر أن هذا الاسم لیس الا جبلا واحدا من مجموعه طوروس الداخله (انتی طوروس).

و لم یطلق البلدانیون العرب اسما لسلسله القمم الطویله التی تتألف منها جبال ألبرز العظیمه الشهره الفاصله بین هضبه ایران و بحر قزوین. و لقد کانوا

يطلقون عاده على البحيرات الكبيره أسماء خاصه (مثل: ماهالو، زره، جيجست).

و لكن المألوف أن البحيره كانت تعرف باسم أشهر مدينه على سواحلها كبحيره أرميه و بحيره و ان و نسبت أيضا الى مدينه أرجيش. بل أن البحار كان الامر فى تسميتها أكثر غموضا. فكانت تذكر تسميات مختلفه مقتبسه من الاقاليم أو المدن الكبيره الواقعه على سواحلها. و هكذا سمى بحر قزوين بتسميات شتى فقيل فيه: «بحر طبرستان» و «بحر گيلان» و «بحر جرجان» و كذلك «بحر باكو» و عرف أخيرا ببحر الخزر نسبه الى مملكه الخزر التى قامت فى شماله فى أوائل العصور الوسطى. و مثل ذلك «آرال» فقد كان يعرف ببحر خوارزم.

و عرف خليج فارس ببحر فارس.

و فى الختام أود أن أجعل القارئ يحيط علما بأننى لم أذكر فى فصول الكتاب الا منتخبات مما بيدنا من مصادر اذ أن المدن و القرى التى وردت أسماؤها

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۹

فى هذا الاقليم أو ذاك، كثيره جدا. و هى و لا شك أكثر من ضعف الاسماء المثبته فى فهرست هذا الكتاب. و قد أغفلت ذكر أسماء المواضع التى لم يكن فى الامكان تعيينها تعيينا تقريبيا. أما الخوارط، فهى على ما يرى ليست الا رسوما بيانيه لايضاح المتن، و هى لا تبين عما كان عليه أى قطر فى حقبه ما من الزمن. و هكذا فالمدن التى تعاقبت الواحده بعد الاخرى اشير اليها غالبا فى الخوارط كأنها كانت كلها فى وقت واحد. و المتن كفيل بايضاح ما اذا كانت هذه المدن تعزى الى زمن واحد أم لا .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۰

الفصل الثانى العراق

تقسيم ارض ما بين النهرين الى

شمـاليه و جنوبيه- العراق أى بلاد بابل- التغير فى مجريى الفرات و دجله- أنهر الرى العظيمه- بغـداد- المـدائن و ما فى جنوبها من مـدن على دجله حتى فم الصـلح قسـمت الطبيعه سـهل مـا بين النهرين العظيم الـذى اتخـذ الفرات و دجله فيه مجرييهمـا الى قسـمين: الشـمالى (و هو مملكه آشور القديمه) و معظمه مراع تغطى سهلا حجرىّ الاصل. و الجنوبى (و هو بلاد بابل القديمه) و أرضه رسوبيه خصـبه يكثر فيها النخيل و تسـقيها أنهار الرى. و عدّ أهل الشـرق هذه البلاد من جنان الدنيا الاربع لوفره خصبها. و قد سمى العرب ما بين النهرين الشمالى بالجزيره، و الجنوبى بالعراق. و معنى العراق «الجرف» أو «الساحل» و أما

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۱

كيف جرى استعمال هذا الاسم فى العهود السالفه فأمر يعتريه الشك، فلعله يمثّل اسما قديما ضاع الآن، أو أنه اريد به فى الاصل غير هذا المعنى و كان العرب يسمون السهل الرسوبى بأرض السواد أى الارض السوداء. و اتسع مدلول كلمه السواد حتى صارت هى و العراق لفظين مترادفين فى الغالب.

و أصبح يراد بها اقليم بلاد بابل جميعه .

و قـد تغيرت الحدود بين العراق و الجزيره فى أزمنه مختلفه فكان الحد بينهما لدى البلدانيين العرب الاولين يطابق بوجه عام خطا يذهب شمالا من الانبار على الفرات الى تكريت على دجله. و كانت كلتا هاتين المدينتين تعد من أعمال العراق.

أما من أعقبهم من البلـدانيين، فقـد جعلوا الخط يـذهب من تكريت باتجاه الغرب تقريبا، فأدخلوا فى العراق كثيرا من المدن التى على الفرات فى شمال الانبار.

و هذا الخط، بالنظر الى الجغرافيا الطبيعيه، أقرب الى التقسيم الطبيعى بين الاقليمين. و هو يقطع

الفرات أسفل من عانه حيث ينعطف النهر انعطافه الكبير نحو الجنوب. و قد سمى العرب نهر «يفراتس»(Euphrates) بالفرات كما سموا «تايگرس»(Tigris) بدجله خاليا من «أل» التعريف. و هذا الاسم الاخير ورد فى الترجوم بصوره «ديكلات» التى تقابل الشطر الاخير من كلمه «حدّاقل»(Hiddekel) و هى الصيغه التى ذكر بها دجله فى سفر التكوين .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۲

و لما فتح المسلمون العراق فى خلال النصف الاول من المئه الاولى للهجره (السابعه للميلاد)، كانت طيسفون، و هى على دجله، و قد سموها المدائن، أجلّ مدن هذا الاقليم و العاصمه الشتائيه للملوك الساسانيين. و لرغبه العرب فى مدن يسكنونها و يعسكرون فيها، أسسوا فى زمن قصير مدنا ثلاثا: الكوفه و البصره و واسط سرعان ما نمت و صارت أهم مدن هذا الاقليم الاسلامى الجديد.

و كانت الكوفه و البصره بوجه خاص عاصمتى العراق الشقيقتين فى أيام بنى اميه .

و لما انتقل الامر من الامويين الى العباسيين، اقتضى الحال اتخاذ عاصمه جديده لدولتهم الجديده. فأسس ثانى خلفاء بنى العباس بغداد على دجله فوق طيسفون (المدائن) ببضعه أميال. و ما عتمت بغداد أن غطت على ما اتصفت به دمشق من مفاخر فى العهد الاموى و أصبحت قاعده الخلافه العباسيه و عاصمه العراق أيضا بطبيعه الحال. و علا شأن اقليم العراق فصار قلب الدوله الاسلاميه و مركزها فى الشرق.

و كانت أحوال العراق الطبيعيه فى القرون الوسطى تختلف اختلافا بيّنا عما نعهده الآن، لما طرأ من تغير عظيم فى مجريى الفرات و دجله، و ما نجم عن ذلك من خراب فى أنهر الرى العديده التى جعلت من العراق فى زمن الخلفاء الاولين جنه عدن لخصب أرضه. ينساب دجله

اليوم فى مجرى متعرج يأخذ الى الجنوب الشرقى و يلتقى على نحو ۲۵۰ ميلا (بخط مستقيم) أسفل من بغداد هو و مياه الفرات فى القرنه. و من اقتران النهرين يتكون نهر يعرف بشط العرب، كان يجرى حينذاك فى مجرى عريض أى فى فيض يصب فى خليج فارس.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۳

و كان يبلغ طوله زهاء مئه ميل فى أعدل الخطوط. و هذا ما يرى فى الخارطه الحديثه. و يغلب على الظن أن دجله كان منذ صدر الاسلام حتى منتصف المئه لعاشره (السادسه عشره) اذا تجاوز أسفل بغداد بمئه ميل انحرف عن اتجاهه الجنوبى، حيث مجراه الحالى، فانساب الى واسط فى مجرى يعرف اليوم بشط الحى (أى شط الحيه) على ما سيأتى بيانه. و كانت مدينه واسط على جانبى النهر. و على نحو ستين ميلا- أسفل من واسط كان دجله يوزع معظم مائه على أنهار الرى، و كانت بقيته تتشعب ثم تفنى فى البطيحه العظمى.

و كانت البطيحه العظمى طوال القرون الوسطى، تتبطّح فى رقعه يبلغ عرضها خمسين ميلا و طولها قرابه مئتى ميل، و تمتد جنوبا حتى تناوح البصره.

و كانت البطيحه يأتيها الماء من الفرات عند موضع فى شمالها الغربى، يبعد بضعه أميال عن جنوب الكوفه، اذ كان عمود الفرات فى تلك الايام شط الكوفه. و لم يكن شط الحله حينذاك (و هو عموده الآن) الا نهرا عظيما للرى يعرف بنهر سورا. و كان على الحافه الشماليه من أسفل البطيحه العظمى، أهوار يوصل ما بينها أزقه لسير السفن. و قد كان دجله يدخل البطائح عند القطر، و كانت السفن تخرج منها الى موضع (قرب القرنه الحاليه) تجتمع فيه مياه الفرات و

دجله فتجری فی نهر أبی الأسد الی رأس فیض شط العرب ، و کانت سفن النهر تنحدر فی هذا الطریق المائی دون أن تلقی صعوبه من بغداد حتی البصره. و البصره فرضه

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۴۴

بغداد. و قد کانت عند منتهی نهر قصیر یحمل من الفیض الی الغرب- و الفیض هو دجله العوراء علی ما کان یعرف به شط العرب فی الغالب حینذاک.

و دجله الحالی علی ما یری فی الخارطه الحدیثه، یجری فی شرق شط الحی منسلا من عند قریه یقال لها الیوم کوت العماره ، و هی فی موضع بلده ماذرایا القرون الوسطی. و مجری دجله الحالی هذا الی القرنه هو المجری نفسه الذی کان أیام الساسانیین علی ما یبدو، حین لم تکن البطیحه العظمی التی وصفها البلدانیون العرب قد تبطّحت. و قد ذهب المؤرخ البلاذری الی أن نشأه البطیحه کانت فی أیام قباذ الاول الملک الساسانی، و قد تولی العرش فی أواخر المئه الخامسه للمیلاد. ففی أیامه اغفل أمر السدود فی دجله اغفالا دام سنین کثیره.

و ارتفعت المیاه فجأه فتدفقت من جمله بثوق، فغلب الماء علی ما کان من الارضین منخفضا فی جنوبه و جنوبه الغربی. و فی عهد أنوشروان العادل ابن قباذ و خلیفته، رممت السدود بعض الترمیم حتی عادت تلک الارضین الی عمارتها و زراعتها.

الا أنه فی عهد کسری أبرویز، و قد عاصر النبی محمد، زاد الفرات و دجله ثانیه فی نحو السنه السابعه أو الثامنه للهجره (۶۲۹ م) زیاده عظیمه لم یر مثلها قبلها. و انبثقت بثوق عظام فی مواضع لا تحصی، و غلب الماء علی الارضین.

و علی ما جاء فی البلاذری، ان کسری أبرویز،

رکب بنفسه لسد تلک البثوق بعد فوات الاوان و «نثر الاموال علی الانطاع و قتل الفعله بالکفایه و صلب علی بعض البثوق فیما یقال أربعین جسّارا فی یوم، فلم یقدر للماء علی حیله». و لما لم تعد المیاه الی حالها الاولی، أصبحت ما غمرته من بقاع بطیحه دائمه. اذ أنه

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۴۵

للفوضی التی سادت السنوات التالیه، و لقیام الجیوش الاسلامیه باکتساح بلاد ما بین النهرین، و لانحلال المملکه الساسانیه، بقی حال السدود علی ما آلت الیه مغفله بطبیعه الحال. «فکانت البثوق تنفجر فلا یلتفت الیها، و یعجز الدهاقین (أی النبلاء الفرس الذین کانوا یملکون تلک الارض) عن سد عظمها فاتسعت البطیحه و عرضت».

و الاخبار الماره الذکر عن تکوّن البطیحه الکبری و اشاره ابن رسته الی هذه الحقبه من آخر عهد الساسانیین، تبین أول تحول کبیر لدجله من مجراه الشرقی، فیما وراء ماذرایا، الی مجراه الغربی (أی شط الحی) . ثم أن دجله «خرقت الارض حتی مرت بین یدی واسط قبل أن تکون واسط». فلما تحولت دجله علی ما ذکر ابن رسته- صارت الارضین المتاخمه للمجری الشرقی القدیم صحاری و مفاوز، و قد کانت علی هذه الحال فی المئه الثالثه (التاسعه) حین کتب کتابه.

ثم وصف ابن رسته ما بقی من دجله- و کان طوله سته فراسخ (فوق القرنه)- الصاعد شمالا الی عبدسی و المذار حیث سکرت دجله و واضح أن هذا النهر هو أسافل مجری دجله الشرقی القدیم و الحدیث. و قال ابن رسته ان هذا السکر، و قد کان فی أیامه یعرقل الملاحه فیما فوق هذا الموضع، لم یکن موجودا فی أیام الساسانیین. فکانت السفن تجری الی شمال

عبدسی و المذار حتی ملتقاه بدجله (أی دجله أیامه) ثانیه فی کوره فی شمال واسط (فی ماذرایا) حتی تأتی المدائن، فلا عائق فی النهر یحول دون سیر السفن. ثم یوالی ابن رسته قوله:

«فکانت سفن البحر قبل الاسلام تجری من بلاد الهند، فتدخل دجله البصره (أی فیض دجله) حتی تأتی المدائن (طیسفون) فتمر حتی تخرج فوق فم

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۴۶

الصلح فتصیر الی دجله (أی موضع دجله السفلی فی الازمنه المتأخره) بغداد».

فأسفل دجله الحالی، ینساب فی المجری الاصلی الذی کان یتبعه بوجه عام فی أیام الساسانیین. و لکنه کان طوال العصر العباسی، ینحدر الی البطیحه فی مجراه الغربی المار بواسط. و لسائل أن یسأل: متی تحوّل النهر ثانیه الی مجراه الشرقی الحالی؟ و الجواب عن هذا، ان التحول حصل و لا شک تدریجا من ترسّب الطمی فی المجری الغربی. و مهما یکن من أمر فان مراجعنا الاسلامیه حتی عهد تیمور و بدء المئه التاسعه (الخامسه عشره) أجمعت علی أن دجله الاسفل کان ما زال یمر بواسط. و قد أید حافظ ابرو هذا الامر، حین کتب فی سنه ۸۲۰ (۱۴۱۷ م). و فی طلیعه الرحالین الذین نوهوا بالفرع الشرقی و ذکروا أنه نهر صالح لسیر السفن هو جون نیوبری(John Newberie) فانه بعد أن زار بغداد أقلع فی سنه ۱۵۸۱ م بسفینه الی البصره فبلغها فی سته أیام، و کان قد مر فی الیوم الخامس بالقرنه، فقال انها «قلعه تقوم عند ملتقی نهر فرّو (الفرات) بنهر بغداد (دجله)». و فی القرن الذی یلیه انحدر تافرنیه الفرنسی برحله فی دجله کسلفه. فقد غادر بغداد فی شباط سنه ۱۶۵۲ م. و ذکر أنه علی مسافه

غير قليله أسفل من هذه المدينه، يتفرع دجله الى فرعين، كان الفرع الغربى (و هو المار بواسط) فى أيامه قد أصبح غير صالح لسير السفن، و كان يجرى فى ناحيه ما بين النهرين- على حد قوله- فاتبع الرحاله الفرنسى فى سفينته النهر الشرقى الحالى الذى كان يجرى فى ناحيه «كلديه القديمه» بعد مغادرته (كوت) العماره. و قبل وصوله البصره بشى ء يسير مر بالقرنه فقال: ان دجله و الفرات يلتقيان هناك و يعد نشوء البطيحه العظمى و ما تلا ذلك من تبدل فى مجريى الفرات

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۷

و دجله أهم ما يلفت النظر للحاله الطبيعيه لأرض ما بين النهرين السفلى فى أيام الخلافه. و لا يقل عن ذلك شأنا ما كان عليه نظام الرى الذى ورثه العرب بعد الفتح بانتقال البلاد اليهم من الفرس. و بوجيز القول نجد أن العراق جميعا، مما كان فى شمال البطيحه و واقعا بين النهرين، كانت تشقه على ما قد بيّنّا، أنهار تلو انهار، تأخذ من الفرات و تتجه نحو الشرق فتصب فى دجله. بينما كان فى شرق دجله، نهر طوله مئتا ميل يعرف بالنهروان يبدأ أسفل من تكريت و ينتهى فى دجله على نحو من خمسين ميلا من شمال واسط و كان يروى ما فى الجانب الابعد من دجله، أى ما تاخم ايران. و سنبسط القول فى هذا النظام المائى العظيم فى موضعه من الكتاب. على أننا، ان ألقينا نظره الى الخارطه المرفقه الموضوعه بالاستناد الى ما كتبه المؤلفون المعاصرون، بان لنا أن مرجع حصب العراق العجيب فى أيام العباسيين كان نظامهم الدقيق فى استغلال مصادر المياه كل الاستغلال. فبينما كانت الاراضى الممتده بين

الفرات و دجله تكاد تسقيها كلها الانهار الآخذه من الفرات الى ناحيه الشرق، كانت الاراضى التى فى يسار دجله و أمام سفوح الجبال الايرانيه، تسقيها أنهار تأخذ من النهروان. فقد كانت توزع مياه دجله الفائضه على الاراضى الشرقيه توزيعا فنيا اقتصاديا، و تجرّ مياه فيضان الانهار الكثيره المنحدره من جبال كردستان.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۸

و قد عنيت فى أحد تآليفى السابقه، بوصف خطط بغداد و غايه ما نتوخاه الآن هو أن نلخص أهم الاخبار عن هذه المدينه اظهارا لمنزله العاصمه العباسيه بين مدن العراق و ايضاحا لنظام الطرق (و قد نوهنا به فى الفصل الاول) الذى كانت بغداد مركزه.

فأول الانهار الكبيره التى كانت تحمل من الفرات الى دجله، نهر عيسى .

و فى نحو سنه ۱۴۵ (۷۶۲) ابتنى المنصور فوق مصب نهر عيسى فى دجله المدينه المدوره و هى نواه مدينه بغداد. و كان للمدينه المدوره أربعه أبواب متساويه الابعاد بعضها عن بعض، بين الباب و الباب ميل عربى. و يخرج من كل باب طريق. ثم نشأت مع الايام أرباض واسعه على هذه الطرق الاربعه. و لم يمض وقت طويل عليها حتى اندمجت فى نطاق المدينه و قام منها مدينه بغداد الكبرى.

و كانت أبواب المدينه المدوره الاربعه:

(۱) باب البصره فى الجنوب الشرقى، و هو يفضى الى الارباض الممتده على ضفه دجله حيث تصب فروع نهر عيسى المختلفه.

(۲) باب الكوفه فى الجنوب الغربى من بغداد، و يخرج منه طريق الى الجنوب و هو طريق الحج الى مكه.

(۳) باب الشام فى الشمال الغربى، حيث يتفرع الطريق يسارا الى الانبار على الفرات و يمينا الى المدن الواقعه على ضفه دجله الغربيه شمال بغداد.

(۴) باب

خراسان المؤدى الى الجسر الكبير لمن أراد عبور النهر. و هذا الجسر كان يفضى الى بغداد الشرقيه، و هى التى عرفت بعسكر المهدى أولا، و المهدى هو ابن المنصور و خليفته. و قد بنى المهدى هاهنا قصره، و أنشأ أيضا المسجد الجامع فى بغداد الشرقيه.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۹

و كان فى الجانب الشرقى ثلاث محلات: المحله التى بالقرب من رأس الجسر، و قد عرفت بالرصافه. و محله الشمّاسيه فوقها على النهر. و محله المخرّم تحتها. و كان يطيف بهذه المحلات الثلاث من بغداد الشرقيه سور نصف دائرى يبدأ من ضفه النهر فوق الشماسيه و ينتهى بالنهر أيضا تحت المخرم. و كان يخترق القسم الوسطى الضيّق من بغداد الشرقيه، أول طريق خراسان الذى يبدأ من باب خراسان فى المدينه المدوره، و يعبر الجسر الكبير الى باب خراسان (الثانى) فى بغداد الشرقيه. و منه- على ما بيّنّا فى الفصل السابق- يتابع سيره شرقا حتى يبلغ أقاصى ديار الاسلام.

و كان يخرج من باب الكوفه فى المدينه المدوره، طريق الكوفه، أى طريق الحج- على ما بيّنّا- فيتجه جنوبا. و كان الربض العظيم الممتد من هذا الباب الى نحو فرسخ من أسوار المدينه المدوره يعرف بالكرخ. و فى غربى المدينه المدوره ربض باب المحوّل، و كان الوصول اليه من باب الكوفه و باب الشام.

و فيه مجتمع الطرق التى تتصل بالطريق الغربى الكبير الذاهب الى الانبار مارا ببلده المحوّل. و كان فى شمال باب الشام محله الحربيه (تناظر الكرخ فى جنوب المدينه المدوره). و كانت المقابر الشماليه فى بغداد الغربيه فيما وراء محله الحربيه، يكتنف دجله جانبين منها. و عرفت هذه المقابر بعدئذ بالكاظمين و سميت

بذلك نسبه الى ضريحى امامين من أئمه الشيعه .

و مدينه بغداد، تتوسط اربعه طساسيج: كل طسوجين منها فى جانب من دجله ففى الجانب الغربى طسوج قطر بل فى شمال نهر عيسى، و طسوج بادوريا فى جنوبه. و فى الجانب الشرقى طسوج نهر بوق و هو فى شمال طريق خراسان، و طسوج كلواذى فى الجنوب. و كانت بلده كلواذى قائمه على ضفه دجله على

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۰

شى ء يسير تحت اقصى ابواب بغداد الشرقيه الى الجنوب . و يخرج من بغداد، و هى المركز الذى تتفرع منه طرق الدوله جميعها، طريقان- على ما ذكرنا- يذهب احدهما الى الجنوب و الآخر الى الغرب، و كانا ينفصلان عند باب الكوفه فى المدينه المدوره. و طريقان يذهبان الى الشمال و الى الشرق يخترقان بغداد الشرقيه و يبدآن من منتهى الجسر الكبير. فالطريق الجنوبى و هو الذاهب الى الكوفه (و مكه) كان بعد ان يغادر ربض الكرخ، يصل الى بلده صرصر و هى على نهر صرصر ثانى الانهار الكبيره الآخذه من الفرات الى دجله، و يجرى بموازاه نهر عيسى فى جنوبه. و يبدأ الطريق الغربى، أى طريق الانبار، من باب الكوفه فيخترق ربض براثا، و بعد نحو فرسخ يصل الى بلده المحوّل على نهر عيسى. و الطريق الشرقى، أى طريق خراسان، يترك بغداد الشرقيه، على ما بينا الآن، عند باب خراسان شمال محله المخرم. و اول مدينه يبلغها: جسر النهروان و عندها معبر النهر العظيم: النهروان. و آخر الطرق: الطريق الشمالى، و كان يخترق محله الشماسيه فباب البردان فى بغداد الشرقيه، و ما يعتم ان يصل الى بلده البردان و هى على ضفه دجله الشرقيه.

ثم يتابع سيره يسار النهر فيبلغ سامراء و مدن ما بين النهرين الشمالى (اقليم الجزيره).

و فى غضون القرون الخمسه التى عاشت فيها الخلافه العباسيه، تغيرت خطط بغداد و ارباضها تغيرا كبيرا، لاتساع المدينه من جهه و خراب بعض اقسامها من جهه اخرى. و ما صورناه فى الفقرات السابقه ان هو الا صوره المدينه على ما كانت عليه فى خلافه هرون الرشيد. و كانت الحروب الداخليه التى نشبت بعد وفاته، قد اوقعت الخراب فى المدينه المدوره. و فى سنه ۲۲۱ (۸۳۶)، نقل مقام الخلافه الى سامراء فضؤل شأن بغداد فى عهد سبعه من الخلفاء، و امست مدينه اقليم لا غير. و لما هجرت سامراء سنه ۲۷۹ (۸۹۲) و عاد الخليفه الى العاصمه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۱

القديمه، كانت بغداد الشرقيه، و قد استجد فيها الكثير من القصور، قد خلفت مجد المدينه المدوره التى ازدادت خرابا على خراب. و أقام الخلفاء فى الجانب الشرقى خلال القرون الاربعه التاليه حتى الفتح المغولى دون ان يتحولوا عنه.

و قد ابتنى الخلفاء فى اواخر العصر العباسى قصورهم هذه فى جنوب المخرّم.

و المخرّم سفلى المحلات الثلاث التى فى داخل اسوار بغداد الشرقيه على ما كانت عليه فى ايام هرون الرشيد. و كانت هذه المحلات الثلاث فى الزمن الذى نتكلم عليه، قد استولى عليها الخراب، الا انه ما عتم ان نشأ حول القصور المحدثه ارباض جديده، ما كاد يمضى عليها وقت طويل حتى احيطت هى ايضا بسور عظيم نصف دائرى. و قد كان سور بغداد الشرقيه الجديد يضم قسما من محله المخرم العتيقه، و بدؤه من ضفه النهر فوق القصور، و انتهاؤه فى ضفه النهر تحتها (أى انه يصاقب

طسوج كلواذى). و كان المستظهر قد بنى السور فى سنه ۴۸۸ (۱۰۹۵) ثم رمّ غير مره. الا انه فى سنه ۶۵۶ (۱۲۵۸) لم يقو على صد هجوم المغول فانتهى الامر بسقوط الخلافه العباسيه. و مازال هذا السور المتشعث قائما حتى اليوم يحتضن ما تبقى من مدينه الخلفاء، و يحمى بغداد الحديثه عاصمه العراق اليوم مثلما كانت بالامس و مقام و اليها التركى .

و على سبعه فراسخ اسفل من بغداد: المدائن، على جانبى دجله. و المدائن

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۲

هو الاسم الذى اطلقه العرب على اطلال العاصمتين التوأمين: قطيسفون و سلوقيه التى اسسها السلوقيون الاولون قبل الميلاد بثلاثه قرون. و سلوقيه، و هى فى الجانب الغربى، قد سميت باسم سلوقس نقطور. اما «قطيسفون»، و قد اختصر العرب اسمها فقالوا طيسفون، فلا يعرف اصل اشتقاقه. و هو و ان بدا اغريقيا، فقد يكون تصحيفا لاسم المدينه الفارسى القديم، اذ لسنا نعلم ما كان يسمى به الساسانيون عاصمه دولتهم هذه و فى سنه ۵۴۰ للميلاد، استولى انوشروان العادل على انطاكيه الشام و سلوقيه نهر الكلب، و اجلى اهل سلوقيه هذه الى عاصمته طيسفون على عاده ملوك الفرس، فانزلهم فيها فى ربض جديد فى جانب دجله الشرقى، أى بازاء موضع سلوقيه العراق. و كان هذا الربض باقيا حين فتح العرب العراق بعد ذلك بقرن. و كان ما زال يعرف ب «روميه» أى المدينه الروميه «اليونانيه» و قد ذكر بعضهم انها بنيت على غرار انطاكيه.

و كانت المدائن على ما ذكر المصنفون المسلمون تتألف من سبع مدن ذات اسماء معروفه على اختلاف فى قراءتها. و الظاهر ان خمسا من هذه المدن فقط كانت قائمه عامره حينما

كتب اليعقوبى فى المئه الثالثه (التاسعه)، و هى: المدينه العتيقه أى طيسفون. و على ميل من جنوبها اسبانبر. و بجوارها روميه و هذه المدن فى الجانب الشرقى. و فى الجانب الآخر من دجله كانت بهرسير و هى تصحيف «به- اردشير»- (أى بلده الملك اردشير الطيبه)- و على فرسخ من اسفلها: ساباط، و كان الفرس على ما ذكر ياقوت يسمونها بلاس أباذ.

و القصر الساسانى الفخم الذى ما زالت بقاياه قائمه فى الجانب الشرقى من

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۳

دجله، سماه العرب: ايوان كسرى. و كان هذا الايوان، على ما جاء فى اليعقوبى يقوم فى اسبانبر. و هناك بناء فخم آخر يعرف بالقصر الابيض، كان يرى فى المدينه العتيقه على ميل من شمالها. الا ان هذا الاخير قد اندرس و عفت آثاره منذ ابتداء المئه الرابعه (العاشره). فان جميع المصنفين المتأخرين، اطلقوا اسم «القصر الابيض» و «ايوان كسرى» دون تفريق على البناء المعقود الكبير و هو الاثر الوحيد القائم حتى اليوم فى هذا الموضع من أبنيه الملوك الساسانيين. و قد كاد هذا البناء يمحق عن آخره فى اواسط المئه الثانيه (الثامنه) حين كان المنصور يبنى بغداد. فان هذا الخليفه امر بنقض القصر الساسانى و استعمال آجره فى بناء مدينته الجديده، و حاول وزيره الفارسى، خالد البرمكى، دون جدوى، اقناعه بالعدول عن نقضه، فقد اصر الخليفه على ذلك و لكن الوزير تحقق رأيه حين بدئ بالنقض و تبين ان ذلك يكلف اكثر من صنع الآجر الجديد للبناء. فترك ايوان كسرى، على ما سماه به ياقوت، قائما فى مكانه. و بعد ذلك بزمن نقل شى ء كثير من آجره لبناء اسوار «قصر التاج» الجديد فى بغداد

الشرقيه. و قد فرغ الخليفه على المكتفى من بنائه فى سنه ۲۹۰ (۹۰۳).

و المدائن، و قد عمها الخراب اليوم، كانت فى المئه الرابعه (العاشره) بلده صغيره آهله ذات مسجد جامع عامر بنى فى زمن الفتح الاسلامى. و بالقرب منه ضريح سلمان الفارسى من اشهر صحابه النبى محمد. و كانت اسواق المدائن من الآجر، عامره. و قد عقد الخليفه المنصور مجلسه حينا من الزمن فى روميه المجاوره لها. كما اقام المأمون ايضا فى ساباط، و هى فى الجانب الثانى من النهر.

و كانت فخامه قصر الاكاسره العتيق و روعته موضوعا تحدث به البلدانيون العرب و افاضوا فى الكلام عليه. فقد ذكر اليعقوبى ان علو قمه الطاق عن الارض ثمانون ذراعا. و اشار ياقوت الى عظم آجره: فطول كل آجره نحو ذراع فى عرض اقل من شبر . و روى المستوفى، و قد سرد حديثا خرافيا عن المدائن و قصرها،

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۴

ان فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) صارت المدائن و روميه خرابا يبابا و ان بقيت القرى التى بازائها فى الجانب الغربى آهله. و كان من اعمر تلك القرى على قوله بهرسير، و قد مر ذكرها، سماها ياقوت حين زارها: الرومقان. و الى جنوبها:

زريران، و هى على مرحله فى طريق الحاج، و فى غربها صرصر، و قد مر ذكرها.

و هى على نهر صرصر و هو يصب فى دجله على شى ء يسير فوق المدائن. و الطسوج الذى حول المدائن الممتد شرقا من دجله الى النهروان، كان يعرف بالراذان (الاعلى و الاسفل). و قد سرد ياقوت اسماء قرى عديده فيه، و اطرى المستوفى و فره غلاته .

و دير العاقول (أى عقله «النهر» و

عوجته)، ما زالت الخارطه الحديثه تشير اليه، و هو فى الجانب الشرقى على عشره فراسخ اسفل المدائن. و اسمه يدل على شكل مجرى دجله فى هذا الموضع. و قد كان ديرا للنصارى حوله مدينه كبيره كانت من اجلّ مدن طسوج النهروان الاوسط. و كان فى المدينه مسجد جامع لا يبعد كثيرا عن السوق. و ذكر ابن رسته فى نهايه المئه الثالثه (التاسعه) المآصر على دجله فى هذا الموضع «و بها اصحاب السياره و المأصر من قبل السلطان».

قال: «و المأصر ان تشد سفينتان من احد جانبى دجله و سفينتان من الجانب الآخر، و تشد السفن على شطين ثم تؤخذ قلوس (حبال) على عرض دجله و تشد رؤوسها الى السفن لئلا تجوز السفن بالليل». و ذكر المقدسى فى المئه الرابعه (العاشره) ان «ليس على دجله من نحو واسط مدينه اجلّ من دير العاقول، كبيره عامره آهله». ثم ان دجله حوّل مجراه. فذكر ياقوت فى المئه السابعه (الثالثه عشره)

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۵

ان دير العاقول كان على شاطئ دجله، فاما الآن فبينه و بين دجله مقدار ميل، و هو بمفرده فى وسط البريه. على ان المستوفى بعد ياقوت بقرن كان يعد دير العاقول مدينه كبيره ذات هواء رطب لتوسطها بساتين النخيل.

و فى الضفه الشرقيه ايضا على ثلاثه فراسخ فوق دير العاقول، بلده السيب الصغيره، و سميت بسيب بنى قوما تفريقا لها عن غيرها. و كانت تكثر فيها بساتين الزيتون، و اشتهر امرها فى التاريخ بالوقعه التى جرت فيها سنه ۲۶۲ (۸۷۶) حين تغلبت جيوش الخليفه المعتمد على يعقوب الصفار. و على بعد قليل اسفل من دير العاقول، دير مر مارى الملقب بالسليح، و

يعرف أيضا بدير قّنى أو (قنه)، و هو فى الجانب الشرقى، بينه و بين دجله ميل، على سته عشر فرسخا من بغداد. وصفه الشابشتى المؤرخ فى المئه الرابعه (العاشره)، (و عنه نقل ياقوت)، بانه «دير عظيم شبيه بالحصن المنيع و عليه سور عظيم عال محكم البناء، و فيه مئه قلايه لرهبانه، و هم يتبايعون هذه القلالى بينهم من الف دينار الى مائتى دينار (۵۰۰- ۱۰۰ باون). و حول كل قلايه بستان، و تباع غله البستان منها من مائتى دينار الى خمسين دينارا (۱۰۰- ۲۵ باونا) و فى وسطه نهر جار».

و بالقرب من دير قنى على نهر دجله: الصافيه. و هى بليده قال ياقوت انها كانت فى ايامه خرابا، و بازائها فى الجانب الغربى: همانيه (أو همينيا) و ما زالت ترى فى الخارطه الحديثه و هى على فرسخين جنوب شرقى دير العاقول. و فى بدء المئه الثالثه (التاسعه) كانت همانيه بلده قليله الشأن، فبعد وفاه الخليفه الامين حجر فيها المأمون حينا من الزمن: ابنى الامين و امه زبيده ارمله هرون الرشيد .

و وصف ياقوت فى المئه السابعه (الثالثه عشره) همانيه بقوله: انها قريه كبيره

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۶

حولها مزارع حسنه .

و على اربعه فراسخ جنوب شرقى دير العاقول، جرجرايا أو جرجراى و ما زالت باقيه . و وصفها المقدسى فى المئه الرابعه (العاشره) بانها «بلده عظيمه، الجامع بقرب الساحل عامر، و لهم ماء يدور حول قطعه من المدينه». و ذكر اليعقوبى، و قد سبقه بقرن، انها «ديار اشراف الفرس، و هى مدينه النهروان الاسفل». و كانت فى المئه السابعه (الثالثه عشره)، على ما جاء فى ياقوت، قد «خربت مع ما خرب

من النهروانات». و فی جانب دجله الغربی، علی اربعه فراسخ اسفل من جرجرایا، حیث الخرائب المعروفه الیوم بتل نعمان، تقوم بلده النعمانیه، و قد ذکر یاقوت انها «بلیده بین واسط و بغداد فی نصف الطریق» و هی مدینه الزاب الاعلی و مسجدها الجامع فی السوق و زاد الیعقوبی علی ذلک ان فی مدینه النعمانیه دیر هزقل، و فیه یعالج المجانین. و اشتهرت النعمانیه، علی ما ذکر ابن رسته، لان «بها تتخذ الطنافس الحریر». و فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) ذکر المستوفی النعمانیه انها بلده زاهره حولها بساتین النخیل .

و کانت جبّل بلیده فی الجانب الشرقی علی تسعه فراسخ اسفل من جرجرایا.

و ذکر ابن رسته فی المئه الثالثه (التاسعه) ان بها «دار طبیخ للسلطان» و هی مدینه کبیره و بها مسجد جامع فی السوق. و قال المقدسی ان جبل تلی دیر

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۵۷

العاقول فی الکبر. الا انها صارت فی ایام یاقوت قریه کبیره .

و کانت بلده ماذرایا حیث تقوم الیوم کوت العماره عند مخرج شط الحی من مجری دجله الشرقی و هو دجله الحالی المنحدر الیوم باتجاه الجنوب الشرقی الی القرنه. و کانت ماذرایا فی ضفته الشرقیه. و کان یسکنها فی المئه الثالثه (التاسعه) اشراف الفرس، و عندها کان مصب النهروان فی دجله. و یلی ماذرایا سفلا: المبارک، و هی بلده بازاء نهر سابس الذی هو فی الجانب الغربی من دجله و بلده نهر سابس کانت عند فم النهر الذی الاسم. و سیأتی الکلام علی ذلک. و کانت هذه البلده قصبه طسوج الزاب الاسفل، و قیل انها کانت علی خمسه فراسخ من جبل و فی الضفه المقابله، علی خمسه

فراسخ بانحدار دجله: نهر الصلح و بلده فم الصلح عند فمه أي مخرجه. و كانت على سبعه فراسخ فوق واسط. و فم الصلح، على ما جاء فی ابن رسته، «مدينه على شرقی دجله. و بها مسجد جامع و أسواق». و قد اشتهر أمرها فی التاريخ الاسلامی بالقصر الفخم الذی أنشأه فيها الحسن بن سهل وزير المأمون. و فيه بنی المأمون ببوران ابنته. فأنفق فی ذلك العرس على العطايا و الهبات أموال جسام تفوق حدود التصديق، على ما فصله المسعودی فی كتابه . ثم خربت فم الصلح.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۸

فلما زارها ياقوت فی المئه السابعه (الثالثه عشره) وجد البلده و ما جاورها من قرى على امتداد النهر خرابا الا قليلا و من بلده فم الصلح كان المسجد الجامع فی واسط يرى فی الأفق الجنوبی.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۹

الفصل الثالث العراق (تابع)

واسط- البطائح- المذار و القرنه- دجله العوراء- البصره و انهارها- الأبله و عبادان- دجله فوق بغداد- البردان- طسوج دجيل- عكبرا و حربى و القادسيه.

سميت واسط واسطا، لتوسطها بين الكوفه و البصره و الاهواز. فهی على خمسين فرسخا من كل واحده منها. و قد كانت اعظم مدن طسوج كسكر، بل كانت على ما ذكرنا احدى مدن العراق الكبرى الثلاث قبل بناء بغداد.

ابتنى الحجاج، والی العراق المشهور فی أيام الخليفه عبد الملك الاموی، مدينه واسط فی نحو سنه ۸۴ ه (۷۰۳). و كانت واسط على جانبی دجله، بينهما جسر سفن. لها جامعان، فی كل جانب جامع. و ذكر اليعقوبی ان الجانب الشرقی من واسط كان مدينه قبل زمن الحجاج. و الغلبه على سكان هذا الجانب، حتى المئه الثالثه (التاسعه)،

للعجم. و بنى الحجاج فى المدينه الغربيه القصر الاخضر و يقال له القبه الخضراء، و هو المشهور بقبته العظيمه فقد كانت ترى من اعلاها فم الصلح، و هى على سبعه فراسخ فى شمالها. كانت ارض واسط و فيره الخصب «و بها قوام مدينه السلام اذا أسنتت نواحيها أو عيهت» و كان خراجها فى العام ألف

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۶۰

ألف درهم (۴۰ الف دينار) على ما ذكر ابن حوقل. و قد كان فى واسط سنه ۳۵۸ ه (۹۶۹ م) . وروى المقدسى، ان جامع الجانب الشرقى قد بناه الحجاج كذلك و كانت أسواقها حسنه عامره، و قد جعل فى طرفى الجسر موضعان تدخل فيهما السفن لتفريغ و سقها.

و بقيت واسط طوال عصور الخلافه من اشهر مدن العراق. و يظهر ان جانبها الشرقى كان اول ما انتابه الخراب منها. فالقزوينى، و كان قاضيا فى واسط فى النصف الاخير من المئه السابعه (الثالثه عشره)، ذكر ان المدينه بمفردها فى جانب دجله الغربى. واشاد ابن بطوطه، و كان فيها فى اوائل المئه التاليه، بمبانيها الفخمه، و قال ان فيها مدرسه عظيمه حافله فيها نحو ثلاثمئه خلوه ينزلها القادمون للتعلم.

و نوه المستوفى، و هو ممن عاصر ابن بطوطه، بما حولها من بساتين النخيل الكثيفه التى ترطب هواءها كثيرا. و فى نهايه المئه الثامنه للهجره (الرابعه عشره) ورد ذكر واسط غير مره بكونها موضعا ذا شأن فى حروب تيمور الذى أقام فيها حاميه قويه. و لكن بعد ذلك بنحو قرن، ابتعد مجرى دجله عن واسط- على ما بينا فى مطلع الفصل السابق- و تحوّل الى مجراه الشرقى المنحدر الى القرنه. فاستولى الخراب على سائر المدينه. فلما

كتب الحاج خليفه فى مطلع المئه الحاديه عشره (السابعه عشره)، قال انها بمفردها فى وسط البريه و ان النهر قد كان مشهورا بقصبه الذى تتخذ منه الاقلام .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۶۱

و على ما ذكر ياقوت، كان دجله أسفل من واسط، اذا انفصل عنها، انقسم الى خمسه أنهر عظام تحمل السفن، ذكرها باسمائها . ثم تصب فى البطائح.

و هذا القول يوافق ما ذكره المصنفون الاولون. فقد ذكر ابن سرابيون، جمله مدن على دجله أسفل من واسط و فوق القطر، و هى فم البطيحه فى المئه الرابعه (العاشره). و أولى هذه المدن: الرصافه فى الجانب الايسر على عشره فراسخ من واسط. و بالقرب منها نهر يحمل من دجله شرقا و يصب فى البطيحه، يقال له نهر بان. و فى مصبه بلده بهذا الاسم. و يلفظ ايضا نهر أبان. و اسفله:

الفاروث، فدير العمال. و هذه المواضع فى الجانب الشرقى، و بازائها ثلاثه أنهر تجرى غربا و تصب فى البطائح، هى اولا نهر قريش و عليه قريه كبيره بهذا الاسم، فنهر السيب و عليه بلدتا الجوامد و العقر، فنهر بردودى أوله عند قريه الشديديه. و كلها كانت مدنا ذات شأن فى البطيحه حول الجامده و قربها، و يقال لها ايضا «الجوامد» (بصيغه الجمع). و الى ذلك فقد وصف المقدسى مدينه كبيره فى هذه البقعه تعرف بالصليق على بحيره حولها ضياع و مزارع حسنه. و كان تجاه هذه الأمكنه على الجانب الشرقى من دجله: الحوانيت و بها المأصر يشدّ جانبى دجله كالمأصر الذى قد وصفناه فى دير العاقول (ص ۵۴). و كان هذا المأصر

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۶۲

عند القطر

على اثنى عشر فرسخا اسفل الرصافه حيث كان دجله فى المئه الثالثه (التاسعه)، على ما ذكر ابن رسته، يتشعب ثلاث شعب و ينصب ماؤه فى البطائح .

و البطائح جمع البطيحه و قد و صفناها فى صفحه ۴۳. و الرقعه التى تبطّحت فيها هذه البطائح، تنتشر فيها المدن و القرى، و كل واحده منها تتوسّد نهرها.

و مع ان هواءها و خم، فان تربتها كانت حين تجف غايه فى الخصب. فابن رسته، و قد كتب فى نهايه المئه الثالثه (التاسعه)، وصف البطائح بقوله ينبت فيها القصب، و يخرج من هذه البطائح أنهار منها سمكهم من الطرى و المالح، كان يحمل الى النواحى المجاوره. اما مياه دجله فالظاهر انها من قطر فشرقا- و لعلها كانت تتبع مجرى الفرات الحالى بوجه التقريب- تشق طريقها بين اهوار متصله الى نهر ابى الاسد، و تنصبّ مياه البطائح من هذا النهر الى فيض البصره. و البطائح ان خلت من القصب، سماها العرب الهور أو الهول. و يصل فيما بينها أزقه تسير فيها الزواريق. اما السفن النهريه الكبيره فانها تجنح أسفل القطر على ما جاء فى ابن رسته: «و يحمل بعض ما فيها فى الزواريق فتمر فى شبه أزقه قصب تصل ما بين الاهوار. و بين هذه الازقه، مواضع- متخذه من قصب- أشباه الدكاكين- عليها اكواخ من قصب يكتنون بها من البقّ» و فيها مسالح يعمل رجالها على تطهير المجرى و حمايه الملاحين، لان فى البطائح مكامن طبيعيه يختبئ فيها اللصوص .

و قد سرد ابن سرابيون أسماء اربعه من هذه الاهوار التى تحمل الماء الى البصره: الاول هور بحصّى، و الثانى هور بكمصى، و الثالث هور بصرياثا، و الهور الرابع المحمديه و هو

اعظم الاهوار، و فيه كانت المناره المسماه مناره حسان.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۶۳

و انما عرفت بذلك نسبه الى حسان النبطى الذى كان فى خدمه الحجاج عامل بنى اميه، فاعاد بعض تلك الارضين الى عماره. و يلى الهور الاخير زقاق قصب و هو مادّ الى نهر ابى الاسد، و يمرّ النهر بالحاله و قريه الكوانين، و هو يحمل ماء البطيحه الى رأس فيض دجله. و ابو الاسد هذا، و نهره يتفق هو و مجرى الفرات الحالى فوق القرنه، كان من موالى الخليفه المنصور. و حين كان قائدا للجيش فى البصره، حفر بها النهر على ما ذكر ياقوت، و قيل ان السفن لم تدخله لضيقه، فوسعه حتى دخلته فنسب اليه. و كان على ما ذكر ياقوت، محفورا قبله منذ ايام الساسانيين.

اما القرنه، و هى حيث يقترن اليوم الفرات بدجله، فلم يذكرها احد من البلدانيين العرب . و اول اشاره الى قلعه القرنه، وردت فى جهان نما التركيه فى مطلع المئه الحاديه عشره (السابعه عشره).

و كان القسم الاسفل من مجرى دجله الشرقى- و هو دجله الزمن الساسانى و زمننا ايضا- فى العصور الوسطى، على ما قد ذكرنا، تصعد اليه المياه المرتده و قد سكر فى نهايته الشماليه. و كانت هذه المياه المرتده تسمى نهر المذار. و كان طوله سته فراسخ و يؤدى الى مدينتى عبدسى (أو عبداسى) و المذار اللتين لا يعرف موضعهما الصحيح. و كان ما يحف بجانبيه من اراض- أعنى بامتداد عقيق دجله الشرقى حينذاك- يعرف بجوخى، و هى تمتد الى الشمال الغربى حتى كسكر، كوره واسط. و كانت المذار فى ايام الفتح الاسلامى بلده جليله، و هى قصبه ميسان و

عرفت ايضا بدستميسان. و بينهما و بين البصره اربعه ايام، و بها مشهد عامر عظيم فيه ضريح عبد اللّه بن على بن أبى طالب. اما مدينه عبدسى، القريبه منها فانها على ما ذكر ياقوت، فارسيه الأصل، و اسمها تعريب افداسهى اسمها القديم، و كانت مصنعه فى كوره كسكر قبل الفتح. و كانت كسكر و ميسان كورتى القسم الشرقى من البطائح. و على ما ذكر القزوينى، كان يجلب من كسكر الرز الجيد، و تربى فى مراعيها الجواميس و البقر و الجداء. و تكثر فى اهوار القصب: البطوط و الفراريج التى تصاد بالشباك و تحمل الى اسواق المدن المجاوره. و كان يصاد فى انهارها كثير من الشبوط فيملح و يحمل الى غيرها. و فى ميسان مشهد العزير

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۶۴

النبى و يسمى عزرا. و قد ذكر القزوينى انه «معمور يقوم بخدمته اليهود، و عليه وقوف و تأتيه النذور» فقد كان مشهورا فى تلك الانحاء ان الصلاه فيه مقبوله مستجابه . بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد ؛ النص ؛ ص۶۴

الفيض العريض المتكون من اقتران مياه دجله و الفرات، يبلغ مئه ميل طولا، و هو يبدأ من فم نهر ابى الاسد و يصب فى خليج فارس عند عبادان. و قد عرف هذا الفيض ايضا بدجله العوراء و بفيض البصره. و سماه الفرس بهمن شير و هو يعرف اليوم بشط العرب. و يدركه المدّ و الجزر من خليج فارس حتى رأسه عند المذار و عبدسى شمالا. و يدرك المد انهار البصره العديده و انهار الرى فى شرق الفيض و فى غربه ثم يجزر منها. و تقع البصره، ثغر العراق التجارى الكبير، على

طفّ الباديه على بعد قليل من غرب الفيض. و كانت السفن تبلغه من البصره بنهرين. و فى شمال البصره و جنوبها انهار كثيره تحمل مياه البطائح السفلى الى دجله العوراء. و كان يصب فى الجانب الشرقى من الفيض انهار اخرى كثيره. هذا الى نهر محفور يقال له نهر بيان على نحو من ثلاثين ميلا فوق عبادان، يصل فيض دجله بفيض دجيل (نهر كارون)، و دجيل ينحدر من اقليم خوزستان و يصب فى خليج فارس عند سليمانان .

و البصره- و قد اشتق اسمها من الحجاره السود - أنشئت فى أيام عمر فى سنه ١٧ (٦٣٨)، و أقطع سوادها القبائل العربيه التى نزلت فيها بعد تقويض الدوله الساسانيه. و سرعان ما اتسعت هذه المدينه فاذا هى و الكوفه تصبحان من عواصم العراق الجديده. و فى سنه ٣٦ (٦٥٦)، جرت قرب البصره وقعه الجمل

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٦٥

المشهوره و مع ان الامام عليا قد تغلب على من سبّب موت الخليفه عثمان، فذلك لم يؤثر فى مجرى الامور. و فى هذه الوقعه قتل طلحه و الزبير الصحابيان المشهوران. و البصره، على نحو اثنى عشر ميلا من فيض دجله فى خط مستقيم.

و قد شق اليها من دجله نهران: نهر معقل من الشمال الشرقى و تأتيه السفن النازله من بغداد، و نهر الأبلّه و تسير فيه السفن من البصره نحو الجنوب الشرقى فتخرج الى خليج فارس عند عبادان. و يتألف مما توسط بين هذين النهرين و بين مياه الفيض فى الشرق، الجزيره الكبرى، على ما كانت تسمى به. و بلده الأبلّه فى الزاويه الجنوبيه الشرقيه لهذه الجزيره، فوق مصب نهر الأبلّه فى الفيض.

و كانت البصره تقوم

على امتداد النهر الموصل بين نهرى معقل و الأبلّه. و كانت دورها من ناحيه البر غربا تطيف بها الباديه بشكل قوس. و للبصره فى هذه الجهه باب يقال له باب الباديه. و فى المئه الرابعه (العاشره) كان امتدادها من النهر الى هذا الباب نحو ثلاثه أميال. أما طولها فيزيد على ذلك بكثير. و أكثر دورها بالآجر. و حول اسوارها ارض خصبه تسقيها انهار صغار كثيره، ويليها بساتين النخيل الواسعه. و ذكر المقدسى ان بالبصره ثلاثه جوامع: احدها على الباب الغربى فى وجه الباديه و هو القديم، و جامع ثان فى الاسواق «بهىّ جليل عامر آهل ليس بالعراق مثله، على أساطين مبيّضه». و جامع ثالث «على طرف البلده».

و فى البصره ثلاث اسواق فيها الدكاكين و الخانات، و هذه الاسواق كأسواق بغداد سعه. و كان المربد من اشهر محالها فى الباب الغربى، و فيه تحطّ القوافل الآتيه من الباديه. و هو أكثر أقسام المدينه اكتظاظا و بها قبر طلحه و الزبير.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۶۶

و كان كثير من محال البصره حين كتب المقدسى قد آل الى الخراب . و ذكر المقدسى فيما ذكر من دور العلم: دار كتب كانت فى المئه الرابعه (العاشره)، انشأها ابن سوّار و وقفها. و أنشأ أيضا دار كتب مثلها فى مدينه رامهرمز بخوزستان. «و أجرى فى الدارين على من قصدهما و لزم القراءه و النسخ».

و كانت دار الكتب فى البصره حافله بجمهره كبيره من الاسفار.

و قد عانت البصره كثيرا من جراء الحروب و الفتن المذكوره فى تاريخ الدوله العباسيه. ففى سنه ۲۵۷ (۸۷۱) حين كانت ثوره الزنج على أشدها، خرب صاحب الزنج- و كان يدعى انه من

سلاله الامام علی- البصره و أحرق معظم أقسامها. و كان الجامع مما خرب. و انتهب جنده المدينه ثلاثه أيام . و فی سنه ۳۱۱ (۹۲۳) نهب زعيم القرامطه مدينه البصره، و دام النهب فی هذه المره سبعه عشر يوما. و لكن المدينه استرجعت بعض رخائها السابق. فلما زارها الرحاله الفارسی ناصر خسرو فی سنه ۴۴۳ (۱۰۵۲) قال: بها خلق كثير و لها سور عظيم يحيط بها، و كان معظم البصره خرابا. و كان بيت الخليفه علی، قرب المسجد الجامع. و كان فيها ثلاثه عشر مزارا تشير الی الاحداث المختلفه التی جرت حين مقام علی فيها. و سرد ناصر خسرو أيضا اسماء العشرين ناحيه المحيطه بالمدينه.

و فی سنه ۵۱۷ (۱۱۲۳) استحدث القاضی عبد السلام سورا للمدينه كان يمتد نصف فرسخ فی داخل حدودها القديمه. و كانت البصره فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) حين زارها ابن بطوطه بعد الفتح المغولی، مدينه آهله. و قد تكلم ابن بطوطه علی مسجد علی بن ابی طالب فقال: انه «بناء عال مثل الحصن

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۶۷

و له سبع صوامع و هم يصلون الجمعه فيه فلا يأتونه الا فی الجمعه». و بينه الآن و بين أحيائها العامره ميلان و حوله الخرائب، و كذلک بينه (أی بين الجامع) و بين السور الاول ميلان. و بالقرب من السور قبر طلحه و قبر الزبير. اما البلده نفسها فلم يبق فيها غير ثلاثه أحياء آهله. و سرد المستوفی، و قد كتب فی ذلک الزمن نفسه، اخبارا طويله عن البصره، فذكر ان جامعها لم يجدده الا الخليفه علی، و كان أعظم جامع فی الاسلام- و لم يبن جامع أوسع منه- و

عيّن على قبله هذا الجامع فى اتجاهها الصحيح. و كان فيه مناره تتحرك أو تبقى ساكنه وفقا للقسم الذى يحلف به فى وجهها ان كان صدقا أو كذبا و هى كرامه تعزى الى الامام على بن ابى طالب و كان رافعها. و للمستوفى كلام آخر فى مشاهد البصره.

و أطرى بساتينها الغنّ و نخيلها الـذى يحف بالمـدينه حتى انه لالتفاف اشـجارها لا يكاد يرى الرائى أبعد من مئه خطوه. و تمرها من أجود التمور و تجارته رابحه فى الهند و الصين.

و اشـتهرت البصـره فى كل الازمنه بانهارها. و قد عدّت، على ما ذكر ابن حوقل فى المئه الرابعه (العاشـره)، فزادت على مئه الف نهر تجرى فى أكثرها الزواريق. و نهر معقل، و قد بيّنّا انه هو النهر الكبير الآتى من جهه بغداد، حفره معقل بن يسار الصـحابى فى أيام عمر. و هـذا النهر و نهر الابله، و هما يمتـدان من البصـره نحو الجنوب الشـرقى، كان طول كل منهما أربعه فراسـخ. و كانت بساتين نهر الابله بامتداد الجانب الجنوبى للجزيره الكبرى، احدى جنان الدنيا الاربع .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۶۸

و الأبلّه، و هى تعريب اسـمها اليونانى(Apologos) ، يرجع تاريخهـا الى العهـد الساسـانى بل الى أقـدم من ذلك . و هى على الفيض، ذات هواء حار.

و لما ابتنى المسلمون البصره مدينتهم الجديده، جعلوها فى الداخل عند طّف الباديه. و كانت الابله على ما بينا، عند فم نهر الأبله من قبـل الشـمال فى الجزيره الكبرى و بازائهـا من نحو الجنوب البلـده المسـماه شقّ عثمـان (و يقـال ان عثمان هـذا حفيـد سـميه الخليفه الثالث) و كانت فوق فم نهر الابله و تجاهه فى الجانب الشرقى

من الفیض، مرحله ینزل فیها من یعبر دجله و یرید خوزستان. و کان یقال لهذا الموضع عسکر ابی جعفر، أی عسکر الخلیفه المنصور. و کانت الابله فی المئه الرابعه (العاشره) بلده کبیره ذات مسجد جامع. و کان شق عثمان مثل ذلک.

و هما علی ما روی المقدسی عامرتان. و ذکر ناصر خسرو، و قد زارها بعد ذلک بنصف قرن، ان قصور هاتین المدینتین و أسواقهما و جامعیهما فی حال حسنه.

و لکن المغول بعد ذلک بقرنین خرّبوا هذه الجهات. و لما کتب القزوینی فی المئه السابعه (الثالثه عشره) قال ان هذه المواضع قد آلت الی الخراب. و بقی شق عثمان مشهورا بسدرته العظیمه. و بعد ذلک بقرن وصف ابن بطوطه الأبلّه فقال هی الآن قریه. و قد نهضت فی العصر الحدیث من حالتها هذه التی ألمت بها حین قامت البصره الحدیثه فی موضعها القدیم .

«و کان علی رکن الأبله فی دجله بین یدی نهرها، خور عظیم الخطر جسیم الضرر، و کانت أکثر السفن تغرق فیه». و علی ما جاء فی ابن حوقل «احتالت له بعض نساء بنی العباس- ذکر بعضهم انها زبیده- بمراکب أوسقتها بالحجاره العظام و بلّعتها ذلک المکان فابتلعها، و قد توافت علی مقدار فانسد المکان

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۶۹

و زال الضرر». و ذکر ابن سرابیون الانهار التسعه و کلها یصب الی فیض البصره فی جانبه الغربی و هی: نهر معقل و ثلاثه فوقه و أربعه جنوب البصره بین نهر الابله و فم الفیض علی ان أهم هذه الانهار هو نهر ابی الخصیب- و انما سمی بذلک نسبه الی مولی من موالی الخلیفه المنصور- فقد بنی علیه فی أواسط المئه

الثالثه (التاسعه)، حصن عظيم للثوار من الزنـج. و هـذه المـدينه التى سـماها الزنـج «المختاره» كانت حصـينه مكينه فامتنعت زمنا طويلا على جيوش الخليفه العباسـى التى جردها عليها و لم يقض بعـد ذلك على فتنه الزنـج القضاء النهائى الا بعد حروب دامت خمس عشره سنه .

و كـانت أهـم الانهـار فى شـرقى فيض دجلـه، على مـا ذكر ابـن سـرابيون، نهر الريّان و عليه أو على مقربه منه مـدينتا المفتـح و الدسكره و لا يعلم موضعهما الصحيح، و ان كانت الاولى ذات شأن بحيث غلب أسمها على الفيض فسمى دجله المفتح.

و أسـفل هـذا النهر، نهر بيـان و عنـد فمه بلـده بيـان على خمسه فراسـخ من الابله بازائهـا على الفيض. و فى موضـعها اليوم ميناء المحمره على نهر الحفار و هذا النهر يصل أعالى فيض دجله بفيض دجيل (كارون). قال المقدسـى، و قد كتب بعد ابن سـرابيون بثلاثه أرباع القرن، ان هـذا النهر، و طوله أربعه فراسـخ، قد شـقه عضد الدوله البويهى. و قبل ذلك بقرن ذكره قدامه باسم «النهر الجديـد» و كـانت تسير فيه السـفن الآتيه من البصـره الى الاهواز و كـانت السـفن قبـل ان يشـق النهر العضـدى (على مـا سـماه المقدسى) تذهب فى النهر الى البحر ثم تعود فتدخل من البحر الى فيض دجله ماره ببيان الى الابله .

و الجزيره الكبرى التى بين الفيضـين (أى فيض دجله و دجيل)، سماها ياقوت ميان روذان (و هو فارسى معناه وسط الانهار) و قد وصفها المقدسى بانها

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٧٠

سبخه فى زاويه منهـا على ساحـل البحر مـدينه عبـادان، و فى زاويه أخرى عنـد فيض دجيـل سـليمانان. و ما زالت عبادان قائمه و لكنها الآن

على فيض دجيل تبعد عن ساحل خليج فارس الحالى أكثر من عشرين ميلا، اذ ان البحر قد انحسر الى هذا المدى بفعل دلتا النهر العظيم. و مع ذلك فالمقدسى فى المئه الرابعه (العاشره) وصف عبادان بان ليس وراءها بلد و لا قريه غير البحر، فيها صنّاع الحصر من الحلفاء التى تنبت فى الجزيره و حولها مسالح عظيمه لحراسه فم الفيض. و قال ناصر خسرو، و قد حل فيها سنه ۴۳۸ (۱۰۴۷)، ان البحر فى زمنه كان يبتعد عنها أقل من فرسخين فى اثناء الجزر. و قد أقاموا فيه ما عرف بالخشاب و هو بمثابه منار «يتكون من أربعه أعمده كبيره من خشب الساج على هيئه المنجنيق و هو مربع قاعدته متسعه و قمته ضيقه و يرتفع عن سطح البحر أربعين ذراعا و على قمته حجاره و قرميد مقامه على عمد من خشب كأنها سقف و من فوقها أربعه عقود يقف بها الحراس ... ففى الليل يشعلون سراجا فى زجاجه بحيث لا تطفؤه الرياح و ذلك حتى يراه الملاحون من بعيد فيحتاطون و ينجون.» و كانت عبادان كثيره الجوامع و الرباطات و لكنها حين مر بها ابن بطوطه فى المئه الثامنه كانت قد صارت قريه كبيره بينها و بين الساحل ثلاثه أميال. و مع ذلك فان المستوفى، معاصر ابن بطوطه، قال فى عبادان انها ميناء كبير و روى ان جبايتها بلغت اربعمئه و واحدا

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۷۱

و اربعين ألف دينار بصرف زمنه تدفع الى بيت مال البصره. و كانت ميناء سليمانان على بضعه فراسخ شرق عبادان، و هى تعد فى الغالب من أعمال خوزستان. و ما نعرفه عنها ان مؤسسها

رجل يقال له سليمان بن جابر الملقب بالزاهد .

و لنعد الى سمت بغداد لنصف المدن التى على امتداد دجله فى شمال العاصمه حتى حدود العراق و المدن القريبه من ضفاف النهروان. و لقد تكلمنا قبلا (انظر الصفحه ۵۰) على الطريق العام من بغداد الى الموصل و المدن الشماليه التى على دجله الشرقيه أى اليسرى. فهذا الطريق كان يبدأ فى شرقى بغداد من باب البردان بمحله الشماسيه. و بعد نحو أربعه فراسخ يبلغ بليده البردان و هى ما زالت قائمه باسم تحرّف الى بدران . و عند البردان قريتان أخريان جليلتا الشأن هما بزوغى و المزرفه. و المزرفه على ثلاثه فراسخ فوق بغداد . و يلتقى نهر الخالص و دجله عند الراشديه قرب البردان، على ما سيأتى بيانه، و ينتهى فوق ملتقاه منعطف دجله الكبير المتجه شرقا و هو المنعطف الذى يبدأ من القادسيه على ستين ميلا شمال بغداد. و قد كان مجرى النهر فى القرون الوسطى يتابع فى الغالب خطا مستقيما من القادسيه الى البردان. و اطلال ما كان على شرقى عقيقه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۷۲

من مدن قد أشير اليها فى الخارطه، و ذكرها ابن سرابيون و غيره من المصنفين الأولين.

و الظاهر ان مجرى دجله قد تحول هنا غير مره، فالمجرى الحالى (الشرقى) لدجله سماه مؤلف المراصد، و قد كتب كتابه فى نحو سنه ۷۰۰ (۱۳۰۰)، الشطيطه و من أعظم التبدلات فى مجراه، ما حصل أيام الخليفه المستنصر، أعنى بين سنتى ۶۲۳ و ۶۴۰ (۱۲۲۶- ۱۲۴۲) فقد روت الأخبار ان الخليفه شق كثيرا من الانهار لسقى ما أجدب من أراض بتحّول المجرى الاصلى عنها.

و قد تكلم المسعودى منذ أوائل المئه

الرابعه (العاشره) على تسويه شرعيه لمطالبات بالاراضى بين أهل الجانب الغربى و الجانب الشرقى فوق بغداد، نشأت من هذا التحول الأخير لمجرى دجله. فما كان من مدن فى الجانب الشرقى (و ترى اطلالها الآن على عقيق دجله و هو يبعد كثيرا عن غرب المجرى الحالى): عكبرا و هى أشهرها و يجاورها أوانا و يليها بانحدار النهر بصرى. و هذه المدن الثلاث على نحو عشره فراسخ من بغداد. و كانت تكتنفها البساتين التى يقصدها أصحاب اللهو و الطرب. و قد أطرى المقدسى أعناب عكبرا بوجه خاص و قال انها مدينه كبيره عامره. و فوق عكبرا بشى ء يسير، بلده علث أو العلث و ما زالت تعيّن فى خوارطنا و لكن فى الجانب الغربى. و وصفها المقدسى بقوله انها مدينه كبيره آهله على نهر يجرّ اليها من دجله. و فى شمال غربى العلث حيث ينعطف النهر اليوم الى ناحيه الشرق انعطافه العظيم: قادسيه دجله، فلا يخلطن بين هذه القادسيه و قادسيه الفرات التى كانت فى غرب هذا النهر . و كانت قادسيه دجله مشهوره بعمل

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٧٣

الزجاج . و بازائها يأخذ نهر دجيل من دجله مادا صوب الجنوب .

و نهر دجيل (و هو غير نهر دجيل المعروف بنهر كارون)، كان فى أصله، على ما سنبينه فى الفصل الآتى، يحمل من الفرات الى دجله. غير انه فى مطلع المئه الرابعه (العاشره) انطمر قسمه الغربى و بقى الماء فى مجراه الاسفل و هو قسمه الشرقى، بشقّ نهر جديد يأخذ من دجله أسفل القادسيه. و كان دجيل يسقى طسوج مسكن الخصب فى شمال بغداد الغربيه مما يلى طسوج قطربل.

فنهر دجيل الأخير هذا، على ذلک،

كان يأخذ من دجله ثم يصب فيه بازاء عكبرا و يتفرع منه أنهار كثيره، منها ما يمد الى الجنوب فيسقى الحربيه الربض الشمالى الكبير فى بغداد الغربيه (أنظر ص ۴۹). و كان فى طسوج دجيل، و يسمى أيضا مسكن، كثير من القرى و المدن فى غرب عكبرا و دجله و أهمها: حربى و قد زارها ابن جبير فى سنه ۵۸۰ (۱۱۸۴) و كانت حينذاك قائمه. و فى هذا الموضع اليوم بقايا قنطره كبيره فوق النهر شيدها، على ما جاء فى (الفخرى)، الخليفه المستنصر باللّه فى سنه ۶۲۹ (۱۲۳۲) و هو ما تؤيده الكتابه التى ما زالت فيها .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۷۴

و قرب حربى كانت الحظيره «ينسج فيها الثياب الكرباس الصفيق و يحملها التجار الى البلاد». و سرد ياقوت، الى ذلك، أسماء قرى كثيره و هى مئه قريه و نيف كانت فى هذا الطسوج، و ما زال كثير منها يرى فى الخارطه ك «بلد» قرب الحظيره. و ظل طسوج دجيل و مدينته حربى حتى المئه الثامنه (الرابعه عشره) فى غايه الخصب على ما وصفه به المستوفى. و كان رمّانه أجود ما يرى فى أسواق بغداد.

و كان فى هذا الطسوج مدن كثيره غيرها. فعلى عشره أميال فوق القادسيه مدينه سامراء و سيأتى وصفها فى الفصل الآتى. و تتوسط المسافه بينهما: المطيره و هى فوق موضع تفرع ثلاثه أنهار صغيره من يسار (شرق) دجله. و فى منتصف الطريق بين المطيره و القادسيه و أسفل صدور هذه الأنهر يقوم بر كوار و يقال له أيضا بلكوار و بزكوار. و قريه المطيره على ما جاء فى ياقوت «نسبت الى مطر الشيبانى، و كان يرى

رأى الخوارج، و انما هى المطريه فغيرت و قيل المطيره» .

و كـان أيضـا على عشـره أميـال شـمال سامراء، كرخ فيروز و يقال له أيضا كرخ سامراء تمييزا له عن الكرخ، المحله الجنوبيه فى الجانب الغربى من بغداد. ثم الى شماله «الدور» و بالقرب منها يحمل النهروان من يسار دجله. و بازائها يأخذ

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۷۵

من ضـفه دجله الغربيه، أى اليمنى، نهر الاسحاقى و هو نهر يأخذ من دجله ثم يعود اليه ثانيه بازاء المطيره. و مواضع هذه الأمكنه جميعا تعينها الانهار و هى و ان كان بعضها خرائب، الا انها ما زالت موجوده، و لكن علمنا بها لا يتجاوز اسماءها.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۷۶

الفصل الرابع العراق «تتمه»

سامراء- تكريت- النهروان- باعقوبا و غيرها من المدن- مدينه جسر النهروان و طريق خراسان- جلولاء و خانقين- البندنيجين و بيات- مـدن الفرات من الحـديثه الى الانبار- نهر عيسـى- المحول و صرصـر و نهر الملك- نهر كوثى كانت مـدينه سامراء التى اتخذها سـبعه من خلفاء بنى العباس عاصمه لهم مدى نصف قرن و نيف، أى من سنه ۲۲۱ الى ۲۷۹ ه (۸۳۶- ۸۹۲)، معروفه قبل الفتـح العربى، ثم بقيت بعـد ان تهـاوت من ذروه عزهـا الـذى لم يـدم كثيرا مـدينه ذات شـأن ردحـا طويلاـ من الزمن. و اسـمها بالآـراميه سـامرا، فـأمر الخليفه المعتصم، حين أقـام فيها، ان تسـمى سـر من رأى. و بهـذه الصـيغه الاخيره وجـد اسـمها فى النقود العباسـيه المضـروبه فيها. و كانت التسـميه مع ذلك تلفظ بصور مختلفه، ذكر ابن خلكان سـتا منها أشـهرها «سامراء» و هو الاسـم الذى اختاره ياقوت عنوانا لبحثه عن هذه المدينه .

بلدان الخلافه الشرقيه/

تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٧٧

و انتهى الينـا من اليعقوبى، و قـد كتب فى آخر المئه الثـالثه (التاسـعه)، حـديث طويل مفصل لسامراء و قصورها. فالخلفاء السـبعه الـذين أقـاموا فيها، و كانوا فى الغالب أسـرى جنـدهم من الترك، قـد شـغلوا وقت فراغهم المفروض عليهم فرضا، بالبناء و تنظيم الأحيـاء و ميـادين اللعب. قـامت المـدينه نفسـها على ضـفه دجله الشـرقيه فامتـدت قصورها سـبعه فراسـخ بمحاذاه النهر و قام فى الجانب الغربى كثير من القصور و أنفق الخلفاء، الواحـد تلو الآخر أموالا طائله لا يكاد العقل يصـدقها، على انشاء ميادين جديـده للصـيد و اللعب، و كـانت الارض التى بنى عليها الخليفه المعتصم (و هو أصـغر أبناء هرون الرشـيد) أول قصـر له حين قـدم الى سامراء فى سنه ٢٢١ (٨٣۶)، ديرا للنصارى اشتراه من أصحابه بأربعه آلاف دينار (٢٠٠٠ باون) و كانت أرضه تعرف بالطيرهان. و أقطع جنده الاتراك قطائع فى الكرخ و ما فوقها حتى الدور، و قطائع أخرى فى جنوبى سامراء فى جهه المطيره.

و بنى الخليفه أول مسجد جامع قرب ضفه دجله الشرقيه. و خطّ قصره.

و كتب فى اشخاص الفعله و البنائين و أهل المهن من سائر انحاء الدوله، و فى حمل الساج و سائر الخشب و الجذوع من البصره، و فرش الرخام من انطاكيه و اللاذقيه. و اختط الشارع المسـمى بالشارع الاعظم، بموازاه دجله. و قامت على يمين الشارع و يساره القصور الجديـده و القطـائع. و كـان الشارع الاعظم ممتـدا من المطيره الى الكرخ و فى جانبيه دروب و أسواق. و انشأ أيضا بيت المال الجديد

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٧٨

و دواوين الدوله و دار العامه التى يجلس فيها الخليفه يوم

الاثنين و الخميس.

و لما فرغ المعتصم من الخطط و وضع الاساس للبناء فى جانب سامراء، عقد جسرا الى الجانب الغربى من دجله. فأنشأ هناك البساتين و الأجنّه و حمل النخل اليها من البصره و حملت الغروس من الشام و خراسان و سائر الاقاليم. و كان يسقى الجانب الغربى أنهار تحمل من الاسحاقى، و قد مر ذكره، حفره اسحق بن ابراهيم صاحب شرطه المعتصم. فهذه كانت الارض المسماه بالطيرهان، و فيها قال اليعقوبى ان سامراء صحراء من أرض الطيرهان. و لما توفى المعتصم فى سنه ٢٢٧ (٨٤٢) كانت سامراء قد أخذت تنافس بغداد فى فخامه قصورها و جمال مبانيها. و اكمل ابناه الواثق و المتوكل اللذان تعاقبا على الخلافه من بعده، ما بدأ به أبوهما. فقد بنى هرون الواثق القصر المعروف بالهارونى، نسبه اليه، على دجله و جعل فيه مجالس فى دكه شرقيه و دكه غربيه. و حفر الواثق فرضه من النهر تصلح لدخول السفن التى تردها من بغداد. و خلفه أخوه جعفر المتوكل على اللّٰه فى سنه ٢٣٢ (٨٤٧) فنزل الهارونى أولا، الا انه فى سنه ٢٤٥ (٨٥٩) ابتدأ ببناء قصر جديد له على ثلاثه فراسخ شمال الكرخ، و مدّ الشارع الاعظم، و عرف قصره و المدينه الجديده التى قامت حوله بالمتوكليه أو القصر الجعفرى، و ما زالت أطلال القصر الجعفرى فى الزاويه التى يؤلفها تفرّع النهروان هناك، و اندمجت به الماحوزه و هى المدينه القديمه.

و بنى المتوكل أيضا جامعا جديدا واسعا فى مكان الجامع الذى بناه أبوه، اذ ضاق على أهل العاصمه الجديده. و امتدت القصور و البساتين من المطيره الى الدور و اتصلت. و فى سنه ٢٤٧ (٨٦١) قتل المنتصر أباه المتوكل فى

قصـره المعروف بالجعفری فی المتوكليه. و أقام الخلفاء الاربعه الـذين أعقبوه فی ذلك العهد المضـطرب، فی قصـر الجوسق فی غربی دجله قباله سامراء، و هو من أبنيه المعتصم. و قـد أقام المعتمد بن المتوكل و آخر الخلفاء، فی سامراء فی الجوسق أولا، ثم ابتنی له قصرا جديدا فی الجانب الشرقی و هو القصر المعروف بالمعشوق .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٧٩

و من هـذا القصـر انتقـل مركز الـدوله الی بغـداد قبيل وفاه المعتمـد فی سـنه ٢٧٩ (٨٩٢). و قـد نوهت مراجعنـا باسـماء كثير من القصور الأخری. فذكر ابن سرابيون قصر الجص المشهور و هو من أبنيه المعتصم علی الاسحاقی .

و سـرد يـاقوت أسـماء جمله كبيره من القصور، و زاد علی غيره مبينـا ما أنفقه الخلفاء عليها من أموال خياليه. فكان مجموع تلك النفقات مئتی مليون و أربعه ملايين درهم أی ما يعادل نحوا من ثمانيه ملايين باون استرلينی.

و كـان طبيعيـا ان يزول عز سامراء و يضـيع مجـدها بعوده الخلفاء منها الی بغـداد و ان تؤول قصورها الكثيره الی الخراب . و لقد أطنب ابن حوقـل، و هو من أهـل المئه الرابعه (العاشـره)، فی وصف بساتينهـا الزاهره العـامره لا- سيما مـا كـان منهـا فی الجانب الغربی. و لكن المقدسـی قال ان الكرخ فی الشمال أصبح فی أيامه أعمر منها (أی من سامراء) و كان المسجد الجامع فی سامراء مـا زال قائمـا، قـال فيه المقدسـی: «بهـا جامع كبير يختار علی جامع دمشق قـد لبست حيطانه بالمينا و جعلت فيه اساطين الرخام و فرش به، و له مناره طويله». و قال ياقوت:

انها مناره الجامع الاول الذی بناه المعتصم فقد «أمر برفع مناره لتعلو أصوات المؤذنين

فیها». و کانت هذه المناره تشاهد من مسافه فرسخ من کل جهه .

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۸۰

و الظاهر ان هذه المناره القدیمه، و هی ما زالت شاخصه تعرف ب «الملویه» کانت ذات مرقاه حلزونیه تدور حولها من خارج یصعد بها الی قمتها. و الملویه الآن علی نحو نصف میل من شمال سامراء الحالیه. و هذا ما رآه المستوفی فی النصف الاول من المئه الثامنه (الرابعه عشره) فقد قال ان المناره القائمه فی المسجد الجامع یومذاک یبلغ طولها مئه و سبعین ذراعا و لها مرقاه من خارجها لا یری مثلها فی مکان آخر و زاد علی ذلک ان قد بناها الخلیفه المعتصم .

اما ما هو أحدث من ذلک من مراجع، فلم یزدنا علما بسامراء الا قلیلا. ثم صار جل اهل سامراء من الشیعه، اذ ان فیها ضریحی الامامین العاشر و الحادی عشر: علی الهادی و ابنه الحسن العسکری. و فی جامعها سرداب الغیبه یقولون ان الامام الثانی عشر غاب فیه فی سنه ۲۶۴ (۸۷۸) و هو القائم المهدی المنتظر الذی سیعود فی آخر الزمان . و یقوم هذان الضریحان فی الموضع المعروف بعسکر المعتصم. و الی هذا الموضع نسب الامام العاشر فعرف بالعسکری. و فی اوائل المئه الثامنه (الرابعه عشره) حین کتب المستوفی، و هو شیعی، ذکر هذه المراقد بوجه خاص و قال ان فی المسجد الجامع القریب من هذه المراقد، فضلا عن منارته العظیمه التی أشرنا الیها، حوضا مشهورا من حجر، یعرف بقصعه فرعون ، محیطها ثلاث و عشرون خطوه و ارتفاعها سبع اذرع و ثخنها نصف ذراع، قائمه فی صحن

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۸۱

الجامع

للوضوء. و قد امر الخليفه المعتصم بعملها. و زاد المستوفى على ذلك ان معظم سامراء فى ايامه قد استولى الخراب عليه و لم يبق من المدينه الا قليل. و ايد هذا القول وصف ابن بطوطه لها، و قد زار سامراء سنه ٧٣٠ (١٣٣٠) .

و على ثلاثين ميلا من شمال سامراء، مدينه تكريت على ضفه دجله الغربيه.

و كانت تعد آخر مدينه فى حد العراق. و هى مشهوره بقلعتها الحصينه المطله على دجله. و ذكر ابن حوقل فى المئه الرابعه (العاشره) ان أكثر أهلها نصارى و ان لهم ديرا هناك. و كانت هذه المدينه، على ما ذكر المقدسى، معروفه بصنّاع الصوف و انها معدن السمسم. و زاد المستوفى على ذلك ما يقال من ان البطيخ يزرع فيها ثلاث مرات فى السنه بالرغم من بروده هوائها. و ذكر ابن جبير حين مر فى تكريت سنه ٥٨٠ (١١٨٤) انه يطيف بالبلد سور محيطه سته آلاف خطوه و ابراجه مكينه.

و قد اطرى ابن بطوطه اسواقها و جوامعها الكثيره .

و النهروان يحمل من دجله، و أوله أسفل الدور بشى ء يسير على ما قد بيّنا.

و كان يعرف فى أعلاه بالقاطول الكسروى لأن الأكاسره أول من أحدثه.

و كان يسقى الارضين التى فى شرقى دجله من فوق سامراء الى نحو مئه ميل جنوب بغداد. و ذكر ابن سرابيون عددا كبيرا مما على ضفافه من مدن، و اشار الى الجسور و الشاذروانات، غير ان جلّها قد زال الآن، و ان كانت معالم النهر ما زالت ترى

فى الخارطه. و بعد ان يتجاوز النهروان الدور التى سميت دور عربايا أو دور الحارث تمييزا لها عن غيرها من المدن

الكثيره التى عرفت بهـذا الاـسم، يمر مماسـا لقصـر المتوكليه و غيره ممـا فى ظاهر شـمالى سامراء من احياء، و عليه هناك قنطره حجـاره . ثم يمر الى الايتـاخيه و هى قريه و قطيعه منسوبه الى ايتاخ التركى، و قـد كان صاحب حرس الخليفه المعتصم، و كانت أولاـ تعرف بـدير أبى صـفره، و عليه هنـاك قنطره كسـرويه. و انمـا سـمى الـدير بهـذا الاسم نسـبه الى ابى صـفره و هم قوم من الخوارج. ثم يمر النهروان الى المحمديه و هى بلده صغيره و عليه هناك جسر زواريق . و المحمديه هذه على ما قال ياقوت اسم حديث للايتاخيه، سـماها المتوكل المحمديه باسم ابنه محمد المنتصـر و قد تولى الخلافه بعد مصرع أبيه. و على بعد قليل أسفل من هـذه المواضع، يلتقى بالنهروان القواطيل الثلاثه و هى: اليهودى فالمأمونى فأبو الجنـد. و أوائلها كلها موضع واحـد فى جانب دجله الايسـر قرب المطيره أسـفل من سامراء، و كانت تسـقى البقاع الخصبه فى جنوب المدينه. و أقيم فى النهروان، فوق مصاب هـذه القواطيل فيه، أول سـد من السـدود الكثيره (الشاذروانات)، ثم يمر الى المأمونيه و هى قريه كبيره عند مصب أول قاطول. و كان على قاطول اليهودى بين المطيره و المأمونيه قنطره تعرف بقنطره وصـيف، نسبه الى وصيف القائد التركى فى أيام المعتصم. و القاطول الثانى و هو المأمونى، يصب فى النهروان أسفل من قريه القناطر. و القاطول الثالث و هو أبو

الجنـد، و سـمى أبا الجنـد لكثره ما كان يسـقى من الارضـين و هى التى جعلت أرزاقا للجنـد. و كان أبو الجنـد أجلّ القواطيل و أعمرها شاطئا حفره هرون الرشيد و

بنى له فيه قصرا يوم أقام هناك ابّان حفره. و كانت على جانبيه مدينه طفّر و عليه هناك جسر زواريق. و وصف ياقوت طفر، و قد زارها فى المئه السابعه (الثالثه عشره)، انها «قاع موحش ليس به ماء و لا مرعى بين باعقوبا و دقوقا» . و قد سلكه ياقوت مره من بغداد الى اربل فلم ير فيه أثر ساكن و لا أثر طارق. و قال ان دليله كان يستقبل الجدى حتى أصبح و قد قطعه.

و على أربعه فراسخ أسفل من التقاء آخر هذه القواطيل الثلاثه و النهروان، مدينه صولى (أو صلوى) و تسمى أيضا باب صلوى أو باصلوى. و أسفل منها مدينه باعقوبا، على عشره فراسخ شمال بغداد. و هى مدينه طسوج النهروان الاعلى. و عند باعقوبا يعرف القاطول الكبير ب «تامرا» و يبقى بهذا الاسم حتى يصل الى باجسرا و منها الى البلده المسماه جسر النهروان. و بالقرب من باجسرا (و هى الصيغه الارامية لبيت الجسر)، و هى وسط طسوج عامر تحف به النخيل يحمل من يمين تامرا، نهر يقال له نهر الخالص و يصب فى دجله عند البردان شمال بغداد. و يحمل من الخالص أنهار كثيره تسقى بغداد الشرقيه.

أما جسر النهروان، و يقطعه طريق خراسان الذاهب من بغداد، فسيأتى الكلام عليه فى سياق بحثنا هذا. و يحمل هنا من يمين النهروان نهر يقال له نهر بين يصب فى دجله عند كلواذى. و يتفرع من هذا النهر أنهار كثيره تسقى المحلات السفلى فى بغداد الشرقيه «و يحمل من النهروان نهر يقال له نهر ديالى أوله اسفل الجسر بميل، يمر بقرى و ضياع و يصب فى دجله أسفل بغداد بثلاثه أميال» .

تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۸۴

و من جنوب مدينه جسر النهروان، يعرف النهر باسم النهروان. ثم يمر الى الشاذروان الأعلى، ثم يمر الى جسر بوران، و انما سمى بـذلك نسبه الى زوجه الخليفه المأمون. و أسفل من جسر بوران: يرزاطيه (لعلها برزاطيه) ثم يمر الى مدينه عبرتا، و قد ذكر ياقوت انها اسم أعجمى و فيها سوق عامر، ثم الى الشاذروان الاسفل، ثم يمر الى اسكاف بنى الجنيد، و هى مدينه فى جانبين و النهر يشقها. و يؤخذ مما ذكره ياقوت، ان بنى الجنيد كانوا رؤساء هذه الناحيه و كان فيهم كرم، و زاد على ذلك قوله «و هاتان الناحيتان الآن (المئه السابعه- الثالثه عشره) خراب، بخراب النهروان منذ أيام الملوك السلجوقيه، كان قد انسد نهر النهروان، و اشتغل الملوك عن اصلاحه و حفره باختلافهم، و تطرقها عساكرهم، فخربت الكوره بأجمعها».

و يمر النهروان بعد اسكاف بنى الجنيد، بنحو ستين ميلا، بين قرى متصله و ضياع ماده الى ان يصب فى دجله أسفل ماذرايا بشئ يسير. و ماذرايا، على ما قد بيّنا، فى جنوب جبّل و فوق المبارک التى بازاء مدينه نهر سابس، و كانت فى زمن ياقوت خرابا و لم يبق لاسمها أثر فى الخارطه الآن. على انها قد كانت أسفل كوت العماره حيث يبتعد دجله عن شط الحى على ما تقدم بيانه .

و هذه الأقسام الثلاثه للنهروان (و اعنى بها القاطول و تامرا و النهروان) مع فروعه الثلاثه (الخالص و نهر بين و ديالى) التى تعود مياهها الى دجله بعد ان تسقى نواحى بغداد الشرقيه، توضح ما أورده ابن سرابيون عن الشبكه المائيه المعقده. فالأسماء التى أطلقها عليها لا توافق ما صارت اليه

بعد زمنه. فان نظره واحده الى الخارطه الحديثه ترينا ان النهروان البالغ طوله مئتى ميل، كانت تجتمع فيه مياه الجداول و مخارجها من الجبال الفارسيه. و لولا ان النهروان قد حفر، لطغت مياهها (فى أيام الفيضان) على الجانب الايسر لدجله. فقسم تامرا

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٨٥

من النهروان كان فى مبدئه جدولا من هذه الجداول. فقد ذكر ياقوت انه «خيف ان ينزل من الأرض الصخريه الى الترابيه فيحفرها، ففرش سبعه فراسخ و سيق على ذلك الفرش سبعه أنهار كل نهر منها لكوره من كور بغداد» الشرقيه.

و كان الخالص و ديالى، على ما ذكر، فرعين لتامرا (و على كل حال فان الخالص الذى ذكره البلدانيون العرب ليس بالنهر المعروف بالخالص اليوم، اذ ان النهر الحالى يجرى على مقربه من شمال غربى باعقوبا). و الخالص فى أيام ياقوت اسم كوره فى شمال طريق خراسان، و ينتهى أحد أطرافها الى أسوار بغداد الشرقيه.

و فى المئه الثالثه (التاسعه) جعل ابن رسته و ابن خرداذبه النهروان اسم نهر يأتى من الجبال و يصب فى القاطول عند صلوى. و ذكر المستوفى فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) ان النهروان كان اسما لنهر ديالى الذى يخرج من جبال كردستان و يتألف من اقتران نهرين هما شروان و يسمى فى أسفله تيمرا و نهر حلوان و هو يمر الى قصر شيرين و خانقين و يصيران فوق باعقوبا نهرا واحدا يصب فى النهروان .

اما بلده النهروان المعروفه أيضا بجسر النهروان، فهى أول مرحله فى طريق خراسان من بغداد. و كانت فى القديم موضعا جليل الشأن و قد حلّ محلها الآن دسكره سفوه الصغيره. و قد وصف ابن رسته فى المئه الثالثه

(التاسعه) بلده النهروان بأنها مدينه يشقها نهر النهروان بنصفين فى وسطها و قال: «فى الجانب الغربى أسواق و مسجد جامع و نواعير تسقى أراضيها. و فى الجانب الشرقى مسجد جامع و سوق و حول المسجد خانات ينزلها الحاج و الماره». و نوه ابن حوقل فى المئه الآتيه بكثره غلاتها و خيراتها. و زاد المقدسى على ذلك ان الجانب الشرقى كان فى يومه أعمر و فيه المسجد الجامع، و لما كتب المستوفى فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) كانت بلده النهروان خرابا لان طريق خراسان قد عدل عنها واتجه شمالا مارا بباعقوبا و ظلت تلك البقعه الخصبه هناك حتى أيامه تعرف بطسوج

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۸۶

طريق خراسان و كانت باعقوبا على ما ذكر المستوفى أولى مدنه، و هى ذات بساتين و نخيل متصله تؤتى أجود أنواع النارنج و الأترج .

و تعرف بلده براز الروز الآن ببلده الروز (أو بلد روز) و هى فى شمال شرقى بلده النهروان. و ذكرها ياقوت غير مره. و كان الخليفه المعتضد قد بنى فيها قصرا . و تعد من طسوج تامرا. و هى من شرقى طريق خراسان، و قد أشار اليها المستوفى أيضا. و المرحله التى تلى مدينه النهروان فى طريق خراسان دسكره الملك و قد وصفها ابن رسته بقوله «هى مدينه كبيره و بها قصر من بناء الأكاسره حوله سور مشرف و ليس داخله شى ء من البناء له باب واحد مما يلى المغرب». و يتبين من موضع هذه الدسكره انه يطابق موضع دستجرد المشهوره حيث ابتنى خسرو برويز قصرا عظيما جاء فى التاريخ ان هر قل نهبه و أحرقه عن آخره فى سنه ۶۲۸ للميلاد. و

هذا القصر، و بقيت خرائبه على ما يظهر الى المئه الرابعه (العاشره)، يعرف بدستجرد كسرويه، قد رآه الرحاله ابن مهلهل (و قد نقل عنه ياقوت) فقال «فيها أبنيه عجيبه من جواسق و ايوانات، كلها من الصخر المهندم، لا يشك الناظر اليها انها من صخره واحده منقوره» اما الدسكره،

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٨٧

البلده العربيه، فان ابن حوقل ذكر فى المئه الرابعه (العاشره) ان فى الدسكره حصنا قويا بناه المسلمون . و قال المقدسى فى هذه المدينه انها «مدينه صغيره سوقها واحد طويل، الجامع أسفله، غام بآزاج». و على مقربه من الدسكره، قريه شهربان، ذكرها ياقوت و المستوفى و أشار الأخير الى ان من أعمال هذه البلده ثمانين ضيعه انشأتها الأميره گلبان من بنات الاكاسره.

و كانت المرحله التاليه فى طريق خراسان، مدينه جلولاء، تحفّ بها الاشجار و لا سور لها. و على مقربه من هذه المدينه قنطره من بناء الاكاسره من حجر مرصصه، و هناك قريه يقال لها الهارونيه. و على ما فى ياقوت، انها كانت فوق النهر الذى تسير فيه السفن من باعقوبا الى باجسرا. و بها كانت الوقعه المشهوره على الفرس للمسلمين سنه ١٦ (٦٣٧) فاستباحهم المسلمون و فرّ الملك يزدجرد. و سمى المستوفى هذا الموضع رباط جلولاء، لان فيه رباطا بناه ملكشاه السلجوقى. و موضع جلولاء فى وقتنا هذا هو مرحله قزلرباط (أى الرباط الاحمر) الحديثه. و كان فى شرق جلولاء، مدينه خانقين و قد أشار المقدسى الى انها مدينه «على جاده حلوان». و ذكرها ابن رسته فقال: «بها واد عظيم قد بنيت عليه قنطره عظيمه بجص و آجر و طيقان». و بالقرب من خانقين عين للنفط عظيمه كثيره

الدخل. و قال ياقوت: «بها قنطره عظيمه على واد تكون ۲۴ طاقا» فى أيامه أى فى المئه السابعه (الثالثه عشره) عليها جاده خراسان.

و لما كتب المستوفى فى القرن التالى، ذكر ان خانقين قد آلت الى الخراب فلا تعدو قريه كبيره الا ان ناحيتها لبثت وافره الغلات .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۸۸

و على سته فراسخ مما يلى خانقين، فى وسط الطريق الى حلوان، و هى أول بلده فى اقليم الجبال، تقوم قصر شيرين. و كانت شيرين معشوقه الملك كسرى ابرويز. و هناك قريه كبيره ذات أسوار و اطلال قصر ساسانى، وصفه ابن رسته فى المئه الثالثه (التاسعه) بقوله: «فيه ايوان عظيم كبير مبنى بالجص و الآجر، و حول الايوان حجر ينفذ بعضها الى بعض و منها أبواب تؤدى الى الايوان و الدكان بالبلاط و المرمر». و لياقوت و المستوفى وصف طويل لقصر شيرين التى ما زالت أطلالها باقيه. و مما ينّوه به ان حكايه فرهاد، عشيق الملكه شيرين و بلهبذ المغنى و العوّاد و شبديز فرس الملك ابرويز المشهور، قد صارت من الحكايات المحليه فى كثير من البقاع فى تلك الارجاء و تطلّ على قصر شيرين الجبال العظيمه التى عند بدايه هضبه فارس. و حلوان، المرحله التاليه فى طريق خراسان، و هى و ان كانت تعد من أعمال العراق فى الغالب، الا انها لوقوعها فى المضيق الجبلى، سنأتى على وصفها فى فصل آخر.

و فى جنوب طريق خراسان عند حدود خوزستان، مدينتان مهمتان تحسن الاشاره اليهما، هما: البندنيجين و بيات. و البندنيجين اسم لم يبق له ذكر فى الخارطه، الا ان هذه المدينه كانت أهم مدن طسوجى بادرايا و باكسايا، و

مـا زالت قريه باكسايـا قـائمه و لابـد ان يكـون موضـع البنـدنيجين على مقربه منهـا . و هـذان الطسوجـان ممـا يلى شـمال شـرقى النهروان، فيهما عدد كبير من القرى الخصبه.

و كانت البندنيجين مركز هذين الطسوجين، عرفت بالفارسيه على ما رواه ياقوت و ندنيكان. و ذكر المستوفى ان الاسم فى أيامه كان يلفظ بندنيكان و انها فى ناحيه لحف جبال كردستان، و ينحدر نهرها من أرّجان. و البندنيجين، على ما ذكر ابن

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٨٩

خرداذبه، كـانت هى و براز الروز فى كوره واحـده. امـا بيـات، و ما زالت خرائبها ظاهره، فقـد ذكرها المسـتوفى بقوله: ان مخرج نهرها جبال كردسـتان و يفنى فى المفاوز فلا يصل دجله و مع ان ماءه كان على شى ء من الملوحه، فان كثيرا من النواحى كانت تسـقى منه. و الظـاهر، ان بيـات كـانت حيث بلـده الطيب التى ذكرهـا ابن حوقل بقوله: «يتخـذ بالطيب تككك تشـبه الارمنى» . و كـانت الطيب بلـده قليله الشأن فى أيام العباسـيين. و تجاور خرائبها بقايا بلـده بيات الحادثه بعـدها. و روى ياقوت ان أهل الطيب «نبط و لغتهم نبطيه» ، و يرجعون نسبهم الى شيث بن آدم .

و لنصف الآـن مـدن العراق التى على الفرات و على الانهار الحامله من الفرات الى دجله. فقـد بيّنا قبلا، ان الخط الـذى يبـدأ من دجله عنـد تكريت و يتجه غربا الى الفرات ثم يعبره أسـفل من عانه بشـى ء يسـير عنـد انعطاف النهر جنوبا، هو الحد الطبيعى بين اقليمى الجزيره و العراق، على ما قال المستوفى.

و من جنوب هذا الخط يبدأ السواد، و هو أرض بلاد بابل الرسوبيه. و فى شماله السهول الحجريه فيما بين النهرين

الأعلى. و تعد «حديثه» الفرات و هى على خمسه و ثلاثين ميلا أسفل من عانه، أقصى مدينه فى شمال هذا القسم. و عرفت بحديثه النوره تمييزا لها عن حديثه دجله. و ذكر ياقوت ان فيها قلعه حصينه فى وسط الفرات، و الماء يحيط بها، أنشئت فى أيام عمر بعد الفتح العربى بوقت يسير. و وصفها المستوفى بانها مقابل تكريت موضعا و هواء. و بين الحديثه وهيت، للمنحدر، بلدتا آلوسه و ناووسه و هما على الفرات بين الواحده و الأخرى سبعه فراسخ. و آلوسه، على ما ذكر ياقوت، بلده صغيره و ما زالت قائمه الى اليوم

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٩٠

و يقترن ذكر هاتين البلدتين فى أخبار الفتح الاسلامى. و كانت الناووسه تحسب من قرى هيت. و كانت هيت مدينه عليها سور و لها قلعه حصينه و فيها نخيل كثير و هى على جانب الفرات الغربى. و ذكر ابن حوقل ان هيت مدينه عامره. و قال المستوفى فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) ان من أعمالها نيفا و ثلاثين قريه، منها قريه جبه (جبّى) و كانت تكثر فيها فاكهه البلاد البارده و الحاره كالجوز و اللوز و التمر و النارنج، غير ان المدينه نفسها لم تكن طيبه السكنى لما يخالط هواءها من روائح كريهه تنبعث من عيون القير المجاوره لها .

و فى أيام الفتح الاسلامى، كان خندق سابور (و هو الملك سابور الثانى) موجودا. و قد حفر هذا الخندق فى المئه الرابعه للميلاد، سابور ذو الاكتاف على ما أسماه العرب. يبدأ هذا الخندق من هيت و يمتد جنوبا الى الأبلّه (قرب البصره الحديثه) حتى ينفذ الى البحر. و كان الماء يجرى فيه أول

أمره «و جعل عليه المناظر و المسالح ليكون مانعا لمن أراد السواد من أهل الباديه». و ما زالت ترى بعض أقسامه الجافه. و عين التمر، و هى فى جنوب هيت فى الباديه، قال فيها المقدسى انها بلده حصينه، و يخرج من عين التمر نهر يمرّ بارضها و يصب فى الفرات أسفل من مدينه هيت. و منها يحمل القسب و التمر الى سائر البلاد و من موضع يقال له شفاثا بقربها. على ان موضع هذين

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٩١

غير معروف .

و كان على اثنى عشر فرسخا اسفل من هيت، قريه الرّب حيث كان يحمل نهر دجيل القديم من يسار الفرات قبل المئه الرابعه (العاشره) و يشرّق فيسقى طسوجى مسكن و قطر بل ثم يصل الى الارباض الشماليه لبغداد الغربيه. و قد انطمر هذا القسم الغربى من دجيل على ما قد بينا. و حين كتب الاصطخرى فى سنه ٣٤٠ (٩٥١) كان دجيل يأخذ ماءه من دجله بازاء القادسيه، و قد أوضحنا ذلك فى كلامنا على طسوج مسكن. أما الأنبار، و هى على يسار الفرات، فقد كانت من مدن العراق العظيمه أيام العباسيين. و يرتقى زمنها الى ما قبل الفتح الاسلامى. و قد سماها الفرس فيروز سابور (و باليونانيه بيريسابور(Perisabor و كان أول من عمرها شابور و صار اسم فيروز سابور يطلق فى أيام العرب على الطسوج الذى يكتنفها. و يقال ان هذه المدينه انما سميت بالانبار «لانه كان يجمع بها أنابير الحنطه و الشعير و القتّ و التبن، و كانت الاكاسره ترزق أصحابها منها ثم جددها أبو العباس السفاح أول خلفاء بنى العباس و بنى بها قصورا و أقام بها الى ان

مـات». و أقـام بها أيضا أخوه المنصور حينا من الزمن ثم انتقل منها الى بغـداد عاصـمه بنى العباس الجديـده التى أخـذ المنصور بنائها. و حكى المسـتوفى، ان اليهود الـذين سـباهم نبوخـذ نصـر من بيت المقدس الى بابل كانوا قد حبسوا فى الانبار. و قال ان دور أسوارها كان فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) خمسه آلاف خطوه .

و منزله الانبار فى انها عند مخرج أول نهر كبير صالح لسير السفن يحمل

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٩٢

من الفرات الى دجله و يصب فى الفرضه جنوبى المـدينه المـدوّره فى الجـانب الغربى. و هـذا النهر هو نهر عيسـى، و انمـا عرف بذلك نسـبه الى عيسى الامير العباسى، و هو اما ان يكون عيسى بن موسى ابن عم المنصور، أو عيسى بن على عم الخليفه (و اليه ينسب النهر فى الاغلب). و مهما يكن الامر، فان الامير عيسـى اطلق اسـمه على النهر اذ جدد حفره و جعله صالحا لسير السفن من الفرات حتى بغداد. و كان على هذا النهر بعد خروجه من الفرات أسفل الانبار بشى ء قليل، قنطره مهوله يقال لها قنطره دممّا نسبه الى قريه دممّا و كانت على ضـفه الفرات عند الفلوجه. ثم يمر فيسقى قرى طسوج فيروز سابور و ضياعه حتى ينتهى الى المحوّل على فرسـخ واحد من أرباض الجانب الغربى من بغداد. فاذا صار الى المحول تفرع من يساره نهر الصـراه و هو النهر الذى يؤلف الحد الفاصل بين طسوج قطر بل فى شمال بغداد الغربيه و طسوج بادوريا فى جنوبها. و نهر الصراه الذى كان يجرى غالبا بموازاه نهر عيسى يصب فى دجله أسفل من باب البصره أحد أبواب المدينه المدوره.

و كانت تتفرع من هذين النهرين جميع أنهار بغداد الغربيه الا ما تفرع من نهر دجيل و هو قليل.

أما المحوّل، فقد سميت بذلك لان عندها يحوّل ما يكون فى السفن الآتيه من مدن الفرات الى بغداد الى سفن اصغر منها تعبر من تحت القناطر العديده التى تعلو نهر عيسى فيما يلى المحوّل الى ربض الكرخ. و كانت المحول بليده حسنه طيبه نزهه كثيره البساتين و الفواكه و الاسواق و المياه، و كان فيها حتى المئه الثامنه (الرابعه عشره) قليل من البنايات الفخمه. ذكر المستوفى منها قصرا بناه الخليفه المعتصم فوق تل لا يقربه البعوض بفعل رقيه. و لا يعرف الآن موضع المحول الصحيح، بيد انه يجب ان يكون فى شمال شرقى التل البابلى القديم المعروف بعقرقوف الذى ذكره البلدانيون العرب كثيرا . و قد ربط المستوفى بين هذا

التل و أسطوره نمرود الجبار الذى ألقى بابراهيم فى نار تنّور حاميه .

و على ثلاثه فراسخ أسفل من قريه دممّا يحمل من الفرات، النهر الثانى الكبير الى دجله، و هو نهر صرصر و مصبه فوق المدائن بأربعه فراسخ. و كانت اسافل هذا النهر تسقى طسوج بادوريا فى جنوب بغداد الغربيه. و ذكر ابن سرابيون انه يسقى منه بالدوالى و الشواديف. و فوق مصب هذا النهر فى دجله بشى ء يسير عند زريران و حيث يمكن رؤيه قصر الاكاسره الابيض فى المدائن، كانت مدينه صرصر العامره و عليه فيها جسر من مراكب يعبر عليه طريق الكوفه.

و مدينه صرصر على فرسخين من الكرخ، الربض الجنوبى الكبير فى جانب بغداد الغربى. و كان نهر صرصر على ما ذكر ابن حوقل تجرى فيه السفن.

و مدينه صرصر عامره بالنخيل و الزروع. و شبّهها المقدسى ببعض قرى فلسطين فى طراز بنائها. و ظلت صرصر مدينه ذات شأن حتى ختام المئه الثامنه (الرابعه عشره) حينما استولى تيمور على بغداد و عسكر فى الارباض المجاوره لها.

اما النهر الثالث الذى يحمل من الفرات الى دجله فكان نهر الملك. و أوله عند قريه الفلوجه أسفل من فوهه نهر صرصر بخمسه فراسخ، و مصبه فى

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٩۴

دجله أسفل من المدائن بثلاثه فراسخ. و كان نهر الملك معروفا منذ الازمنه القديمه فقد ذكره اليونان باسم نهر ملخا(Malcha) . و على ما فى ياقوت «قيل ان أول من حفره سليمان بن داود (عم)، و قيل انه حفره الاسكندر الكبير. و كانت على ضفافه مدينه يقال لها نهر الملك، عليه فيها جسر من سفن يعبر عليه طريق الكوفه» و هى على سبعه أميال جنوبا من صرصر. و مدينه نهر الملك، كانت على ما ذكر ابن حوقل «أكبر من صرصر، عامره بأهلها و هى أكثر نخلا و زرعا و ثمرا و شجرا منها». و زاد المستوفى على ذلك ان قد كان فى كورتها نيف و ثلاثمئه قريه .

و النهر الرابع الذى كان يحمل من الفرات الى دجله هو نهر كوثى. أوله أسفل من نهر الملك بثلاثه فراسخ. و يصب فى دجله أسفل المدائن بعشره فراسخ. و كان هذا النهر يسقى طسوج كوثى من كوره اردشير بابكان (نسبه الى الملك الساسانى الاول) و يسقى فرع آخر منه طسوج نهر جوبر. و كانت مدينه كوثى ربّا، و فيها جسر من سفن، على هذا النهر، و يقال انها تطابق كوثى الوارد ذكرها فى التوراه فى

سفر الملک الثانی (۱۷: ۲۴) و کانت مدینه ذات شأن فی ناحیه بابل. و کوثی، علی ما جاء فی الروایات الاسلامیه، «یزعمون انها نار النمرود بن کنعان التی طرح فیها ابراهیم و اسمها من کوثی جد ابراهیم الخلیل». و قال ابن حوقل فی المئه الرابعه (العاشره): «کوثی بلدان و ناحیتان تعرف احداهما بکوثی الطریق و الاخری بکوثی ربّا. و یزعم قوم ان کوثی ربّا مدینه کانت أکبر من بابل. و بها تلال رماد عظیمه قالوا هی رماد نار نمرود».

و زاد المقدسی علی ذلک «بقرب کوثی الطریق شبه مناره «قدیمه» لهم فیها کلام».

و روت کتب الرحلات ان مدینه کوثی و موضعها علی ما تشیر الیه الخوارط هو تل

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۹۵

ابراهیم علی ما یظهر، و کانت علی أربعه أمیال جنوب مدینه نهر الملک .

و علی بضعه أمیال من شمال کوثی، قریه فراشا الکبیره و هی مرحله تتوسط بین بغداد و الحله فی طریق الحاج الذاهب الی الکوفه علی ما کان علیه فی نهایه المئه السادسه (الثانیه عشره). وصفها ابن جبیر و کان فیها سنه ۵۸۰ (۱۱۸۴) فقال «قریه کثیره العماره یشقها الماء ... و فیها خان کبیر یحدق به جدار عال له شرفات صغار». و ذکر المستوفی فراشا أیضا فی وصفه للمسالک فقال انها علی سبعه فراسخ جنوب صرصر . بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۹۶

الفصل الخامس العراق «تتمه»

انشطار الفرات- نهر سورا- قصر ابن هبیره- النیل و نهر النیل- نهر النرس- نهر البداه و بمبادیتا- نهر الکوفه- مدینه الکوفه- القادسیه- مشهد علی و کربلاء- استانات العراق الاثنا عشر- التجاره و الصناعه- طرق العراق کان نهر الفرات فی المئه

الرابعه (العاشره) «اذا جاوز نهر كوثى بسته فراسخ، انقسم الى قسمين»: الغربى، و هو النهر الايمن، عمود الفرات.

و كان يماس مدينه الكوفه و ينتهى الى البطائح. و الشرقى، و هو النهر الايسر، عمود الفرات الحالى. سماه ابن سرابيون و غيره من البلدانيين العرب نهر سورا أو سوران. ثم كان يتشعب الى انهار تصب فى البطائح. و ذكر ابن سرابيون ان نهر سورا (و هو الفرات الحالى)، كان فى ايامه نهرا عظيما أعظم من نهر الكوفه و أعرض منه. و كان نهر سورا الاعلى، حيث ينقسم الفرات، يسقى طسوج سورا و بربيسما و باروسما، و كانت هذه الطساسيج قسما من استان بهقباذ الاوسط. ثم يمر بغرب مدينه يقال لها قصر ابن هبيره و بينهما ميلان. و عندها، على النهر، جسر سورا و عليه يمر طريق الحج من قصر ابن هبيره الى الكوفه.

و مدينه القصر، و سميت بذلك اختصارا، هى قصر ابن هبيره ينسب الى مؤسسه ابن هبيره عامل العراق من قبل مروان الثانى آخر خلفاء بنى أميه.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٩٧

و لم يعش ابن هبيره ليستتمه. و بعد زوال بنى أميه، نزله السفاح أول خلفاء بنى العباس «و استتم تسقيف مقاصير فيه، و زاد فى بنائه و سماه الهاشميه»، تخليدا لاسم جده هاشم. و ظل الناس يسمون المدينه التى نشأت حول قصر الخليفه باسم العامل الاموى، و بقى الامر كذلك حتى نزول المنصور فى الهاشميه قبل بنائه بغداد، فكانوا يسمونها قصر ابن هبيره أو مدينه ابن هبيره على العاده الاولى. و كان قصر ابن هبيره فى المئه الرابعه (العاشره) أكبر مدينه بين بغداد و الكوفه، و هو على نهر يخرج من

نهر سورا يقال له نهر ابى رحى، أوله من فوق القصر و يصب الى سورا أسفل من القصر. و كانت المدينه، على ما ذكر المقدسى، «كبيره جيده الاسواق كثيره اليهود، و الجامع فى السوق». على انه فى مطلع المئه السادسه (الثانيه عشره) انحطت و قلّ شأنها على ما يظهر بارتفاع شأن الحله حتى ان موضعها اليوم أصبح غير معروف و ان اشارت اليها الخوارط باحدى الاخربه الكثيره التى على بضعه أميال شمال الاطلال الواسعه لبابل القديمه.

اما مدينه الحله، و هى على بضعه أميال من اطلال بابل على الفرات أى نهر سورا على ما كان يسمى به فى المئه الرابعه (العاشره)، فقد عرفت فى هذا الزمن بالجامعين. و كان معظمها فى أول أمرها فى الجانب الشرقى، و كانت موضعا عامرا كثير الخصب. ثم بنى سيف الدوله رئيس بنى مزيد فى نحو سنه ۴۹۵ (۱۱۰۲) الحله بازائها، أى فى الجانب الايمن. و سرعان ما علا شأنها لوجود جسر عظيم فيها معقود على مراكب متصله. و صار طريق الحج من بغداد الى الكوفه يعبر الفرات عليه لما بطل الطريق المار بقصر ابن هبيره (و كان قد آل حينذاك الى الخراب) الذى كان يعبر جسر سورا. و ما ان حلت المئه السادسه (الثانيه عشره) حتى صار نهر سورا عمودا للفرات شأنه اليوم و بطل مع الزمن استعمال اسم نهر سورا. و فى سنه ۵۸۰ (۱۱۸۴) عبر ابن جبير جسرا فى الحله على الفرات، و كان هذا الجسر «عظيما معقودا على مراكب كبار تحف بها من جانبها سلاسل من حديد». و كانت الحله آنذاك مدينه كبيره على جانب الفرات الغربى ممتده مع الفرات. و لابن بطوطه، و قد اقتفى خطوات

سلفه فی أوائل المئه الثامنه (الرابعه عشره)، وصف طویل لجسر السفن المشهور هذا

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ٩٨

فی الحله، فقد کان علی جانبی هذا الجسر سلاسل من حدید مربوطه فی کلا الشطین الی خشبه عظیمه مثبته بالساحل. و قد اطری أسواق المدینه. و ما ذکره ابن بطوطه أورده معاصره المستوفی بکماله فقال ان الحله أخذت تمتد فی جانب الفرات الشرقی علی نحو ما هی علیه فی جانبه الغربی. و کان النخیل یکثر فی داخلها و خارجها فکان ذلک سببا لرطوبه هوائها. و اضاف المستوفی الی ذلک ان أهل الحله کلهم امامیه اثنا عشریه و لهم بها مقام یسمونه مشهد صاحب الزمان المهدی المنتظر الذی اختفی فی سامراء سنه ٢۶۴ (٨٧٨) و سیخرج لهدایه الناس الی الایمان (أنظر ص ٨٠ أعلاه) .

و اذا ما عدنا ثانیه الی وصف ابن سرابیون فی المئه الرابعه (العاشره) لنهر سورا، ألفیناه یقول ان هذا النهر کان علی ما قد بینا، یمر فی غرب اطلال بابل. و ذکر المقدسی ان فی هذه الاطلال قریه قریبه من جسر. و للمستوفی حدیث طویل عن الکهنه العظام الذین عاشوا فی بابل و عن الجب الذی فی قمه التل، و قد حبس فیه الملاکان الساقطان هاروت و ماروت الی یوم الدین .

و فوق بابل یأخذ من سورا، آخر الانهار الکثیره التی تحمل من الفرات الی دجله. و هذا النهر، و یعرف الیوم بشط النیل، قد سماه ابن سرابیون فی قسمه الاعلی غرب مدینه النیل ب «الصراه الکبیره». و یشبه هذا الاسم اسم

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ٩٩

نهر آخر اشهر منه فی بغداد الغربیه (أنظر ص ٩٢) و

نهر الصـراه الكبيره، يجرى الى الشـرق ابتـداءا من مخرجه و يمر بقرى عـامره كثيره، و تتفرع منه أنهار صـغيره متعـدده. و قبل ان يصل مدينه النيل بشـى ء يسير، يتفرع من يساره نهر صراه جاماسب ثم يعود فيصب فيه أسفل المدينه. و كان الحجاج، عامل بنى أميه المشـهور على العراق، قد اعاد حفر صراه جاماسب. و لكن اسمه، على ما انتهى الينا، بقى ينسب الى جاماسب، كبير الموابذه الـذى عاون الملك كشـتاسب فى توطيـد دين زرادشت فى بلاد فارس فى قـديم الزمان. كما بنى الحجاج مـدينه النيل و صارت أجل مـدينه فى هذا الطسوج كله. و اطلالها ما زال يشار اليها فى الخارطه باسم النيليه . و قد سـمى هذا النهر باسم نيل مصـر على ما يقال. و يمر الصراه الكبيره بمدينه النيل، و عليه هناك قنطره عظيمه يقال لها قنطره الماسى.

و ما كان من النهر فى غربى المدينه، و هو الذى سـماه ابن سـرابيون الصراه الكبيره، عرف فى أيام أبى الفداء بنهر النيل أيضا. اما ابن سرابيون فقد اطلق هذا الاسم على ما جاوز منه شرق مدينه النيل فقط.

و يمر هـذا النهر بقرى و رسـاتيق على جـانبيه فيسـقيها حتى يصل هورا يقال له الهول قرب دجله بازاء النعمانيه (أنظر ص ٥٦). و منه يتفرع نهر يقال له الزاب الاعلى يحمل الى دجله رأسا. اما نهر النيل نفسه فانه من الهول ينساب فى طريقه جنوبا فيسير بموازاه دجله مسافه قليله حتى يصـير فى أسـفل مـدينه نهر سابس. و مـدينه سابس على مسـيره يوم فوق واسط، و عنـدها يصب النهر فى دجله. و ربما ينساب بعض مائه فى الزاب الاسفل الى دجله. و مما يحسن

تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١٠٠

بيانه أيضا ان ما كان من النيل أسفل الهول يقال له نهر سابس و اليه نسبت المدينه التى على يمين دجله، على ما بينا فى (ص ٥٧). و لقد تبدلت تسميات هذه الانهار فى أزمنه مختلفه: ففى المئه السابعه (الثالثه عشره) ذكر ياقوت ان مجرى النهر من مدينه النيل الى النعمانيه كان يسمى نهر الزاب الاعلى، بينما يظهر ان زابه الاسفل يطابق نهر سابس لدى ابن سرابيون. و على كل فان معظم أقسام هذين النهرين قد جفت فى المئه السابعه (الثالثه عشره) و ان بقى عامرا ما كان على جانبيهما من رساتيق.

فاذا عدنا الى اطلال بابل على الفرات، وجدنا اسفل منها على نهر سورا قنطره يقال لها قنطره القامغان «و الماء فيها منصب عظيم»، على ما ذكر ابن سرابيون. و على سته فراسخ اسفل من هذه القنطره، بالقرب من الجامعين- الحله الحديثه-، ينقسم نهر سورا الى قسمين: يتجه الايمن جنوبا فيمر بالجامعين، و الايسر و يقال له نهر النرس يجرى نحو الجنوب الشرقى فيسقى حمام عمر و غيرها من القرى و ينتهى الى مدينه نفر. و قد سمى هذا النهر بذلك نسبه الى نرسى (نرسس) الملك الساسانى الذى اعتلى العرش فى سنه ٢٩٢ للميلاد و قد كان أمر بحفره. و بعد ان يجرى جنوبا بشى ء يسير، يصب نهر النرس و نهر سورا ماءهما فى نهر البداه الذى يخترق حافه البطائح الشماليه. و نهر البداه أو البداه هذا كان مغيضا يأخذ من يسار فرات الكوفه على مسيره يوم شمال مدينه الكوفه و ربما من قرب بلده قنطره الكوفه و يقال لها أيضا القناطير. و لعل الطريق العام كان يعبر نهر

البداه عليها. و مدينه القناطير هذه على سبعه و عشرين ميلا جنوب جسر السفن العظيم الذى على سورا. و هذا الجسر على ثمانيه و عشرين ميلاـ شمال الكوفه و لعل القناطير تجاور أو تطابق موضع فومبديته(Pombedita) العبريه (و بالعربيه فم البداه) و كانت، على ما ذكر بنيامين التطيلى فى المئه السادسه (الثانيه عشره)، مركزا علميا عظيما لليهود فى بلاد بابل. و بعد ان يجرى نهر البداه نيفا و خمسين ميلا و يستقبل فى يساره مياه نهر سورا الاسفل و نهر النرس، يصب أخيرا فى البطائح قرب مدينه نفر .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١٠١

و كان الطسوجان اللذان بين منقسم الفرات الاسفل، و نهر سورا الى شرقهما و عمود الفرات الى غربهما، يعرفان بطسوج الفلوجه العليا و السفلى، و فى اسفلهما يمر النهر بمدينه القنطره و بفم نهر البداه ثم ينتهى الى الكوفه فى الجانب الغربى من الفرات تجاه الجسر. و فى جنوب الكوفه كانت مياه هذا النهر تنصب فى البطائح من فروع صغيره له. و النهر القديم سماه قدامه و المسعودى نهر العلقمى، و هو على ما يظهر يطابق نهر الهنديه الحالى الذى ينشطر اليوم من الفرات فى أسفل المسيب. و كان يمر بخرائب الكوفه القديمه ثم يلتقى بعمود الفرات الحالى بعد ان يجرى بين أهوار البطائح التى كانت فى العصر العباسى.

و أسس المسلمون مدينه الكوفه عقيب فتحهم بلاد العراق بعد ان بدأوا ببناء البصره، أى فى نحو سنه ١٧ (٦٣٨) أيام الخليفه عمر. و اختطت الكوفه لتكون معسكرا للجيش فى الجانب العربى من الفرات أى جانب الباديه. و قامت على بسيط واسع من الارض على ضفه النهر جوار الحيره المدينه

الفارسيه القديمه . ثم تكاثر الناس فى الكوفه. و حين قدم اليها على (بن أبى طالب) فى سنه ۳۶ (۶۵۷) و أقام فيها، صارت مدى اربع سنين عاصمه المسلمين الذين و الوا عليا و بايعوه بالخلافه. و قد أغتيل الامام على سنه ۴۰ (۶۶۱) فى جامع الكوفه. و وصف الاصطخرى مدينه الكوفه فى المئه الرابعه (العاشره) فقال «انها قريبه من البصره فى الكبر و هواؤها اصح و بناؤها مثل بناء البصره».

و كانت أسواقها عامره، الا انها دون أسواق البصره شأنا، و كان المسجد الجامع الذى فيه أصيب الامام على بضربه قاتله، فى شرقى المدينه. و فيه

السوارى من صم الحجاره المنحوته التى نقلت من مدينه الحيره المجاوره و كانت قد خلت عن الاهل ببناء الكوفه. و من محلات الكوفه الكبيره: الكناسه، فى طفّ الباديه و حولها بساتين النخيل و تمرها أجود التمور. و لما مرّ ابن جبير بالكوفه فى سنه ۵۸۰ (۱۱۸۴) كانت «لا سور لها فقد استولى الخراب على أكثرها، و الجامع العتيق آخرها». و ذكر ابن بطوطه فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) ان سقف جامع الكوفه يقوم «على سوارى حجاره ضخمه منحوته قد صنعت قطعا و وضع بعضها على بعض و أفرغت برصاص». و بهذا المسجد محراب يعين موضع مقتل على. و سرد المستوفى حديثا طويلا عن الكوفه فقال ان ذرع أسوارها ۱۸۰۰۰ خطوه، و قد بناها الخليفه المنصور. و كان قصب السكر فيها أجود ما فى سائر العراق، و يكثر فيها القطن. و كان فى ساريه من سوارى الجامع علامه كف على و فيه أيضا «الموضع الذى فار منه التنور حين طوفان نوح» .

و

على دون الفرسخ من جنوب الكوفه، اطلال الحيره. و كانت مدينه عظيمه فى أيام الساسانيين و بالقرب منها القصران المشهوران: الخورنق و السدير.

و قد بنى النعمان ملك الحيره قصر الخورنق، على ما قيل، للملك بهرام جور الصياد العظيم. و حين استولى المسلمون على الحيره فى اثناء فتح العراق، هالهم قصر الخورنق بما كان فيه من ابهاء فسيحه. و اتخذه الخلفاء بعد ذلك موضعا ينزلون فيه اثناء خروجهم للصيد. و مع انه لم يبق من هذا القصر شى ء الآن على ما يظهر، الا ان بقايا قبابه الضخمه و بعض عمارته كان ما زال شاخصا حين مر به ابن بطوطه فى مطلع المئه الثامنه (الرابعه عشره) . و كانت القادسيه مدينه على سيف الباديه، على خمسه فراسخ غرب الكوفه، و هى أول مرحله فى طريق

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١٠٣

الحج الى مكه. و كان حولها نخيل و بساتين. و بالقرب منها احرز المسلمون سنه ١٤ (٦٣٥) نصرا عظيما فى أول وقعه كبيره جرت لهم مع الفرس، أسفر عن استيلائهم على العراق. و وصف المقدسى القادسيه- و تسمى قادسيه الكوفه تمييزا لها عن قادسيه سامراء على دجله (أنظر ص ٧٣)- بأنها «مدينه تعمر ايام الحج.

و لها بابان و حصن طين. و قد شق لهم نهر من الفرات الى حوض على باب بغداد».

و عند باب الباديه، الجامع. و امامه كانت تقام السوق فى أيام الحج . و لما اجتاز ابن بطوطه بالقادسيه فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) كانت قد اضحت قريه كبيره. و ذكر المستوفى ان معظمها فى أيامه خراب .

و النجف، و فيها مشهد على الذى يكرمه الشيعه و يقدسونه، على نحو أربعه أميال

من غرب خرائب الكوفه. و هی مدینه عامره الی یومنا هذا. و المتواتر لدی الشیعه، علی ما ذکر المستوفی، ان الامام علیا لما ضرب فی جامع الکوفه و حضرته الوفاه أوصی بان یوضع جثمانه علی جمل ثم یطلق علی رسله و حیثما یبرک تدفن جثته هناك، فعمل بهذه الوصیه. و لکن فی أیام بنی أمیه لم یشید له قبر، اذ کان الموضع قد أخفی. علی انه فی سنه ۱۷۵ (۷۹۱) اهتدی الی موضعه الشریف، الخلیفه هرون الرشید العباسی. فانه خرج راکبا ذات یوم الی ظاهر الکوفه یتصید، و طارد صیده الی کثیب فلما لحق به توقف فرسه عنده.

فطلب من له علم بذلك فاخبره بعض شیوخ أهل الکوفه انه قبر علی ابن ابی طالب تلجأ الیه حتی وحوش البر فلا ینالها اذی. ثم ان الرشید أمر بحفر الموضع و اظهر قبر علی. و علی ما ذکر المستوفی بنی علیه قبه. و أخذ الناس فی زیارته. و بدء تاریخ هذا المقام مبهم، و ما أوردناه انما هو ما اتفق علیه الشیعه. علی ان هرون

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۰۴

الرشید و ان قرّب الیه العلویین حقبه من عهده، فان تواریخ العرب لم تذکر انه هو الذی وقع علی قبر علی.

و أقدم من أطال القول فی مشهد علی، ابن حوقل، فی منتصف المئه الرابعه (العاشره). فقد أخبرنا ان الامیر الحمدانی ابا الهیجاء- و کان أمیر الموصل فی سنه ۲۹۲ (۹۰۴) و توفی فی سنه ۳۱۷ (۹۲۹) «ابتنی علی القبر قبه عظیمه مرتفعه الارکان من کل جانب لها أبواب و سترها بفاخر الستور و فرشها بثمین الحصر السامانی. و جعل علیها حصارا منیعا». علی ان الاصطخری

و ابن حوقل ذكرا ان قبر على فى ايامهما كان فى زاويه جامع الكوفه الكبير. و قد أيد ذلك كثير من الثقات و عزه غيرهم من المصنفين . و زاد المستوفى على ذلك قوله: ان فى سنه ۳۶۶ (۹۷۷) شيّد عضد الدوله البويهى الضريح الذى ظل قائما حتى أيامه (أى فى أيام المستوفى). و اصبح الموضع حينذاک مدينه صغيره محيطها ۲۵۰۰ خطوه. و جاء فى تاريخ ابن الاثير، ان عضد الدوله دفن فيها عملا بوصيته. و دفن فيها أيضا ابناه شرف الدوله و بهاء الدوله. و اقتفى أثره بعده كثير من أعيان القوم. و فى سنه ۴۴۳ (۱۰۵۱) أحرق أهل بغداد الضريح و أزالوا أثره . و كانوا يشتدون فى اضطهاد الشيعه. على انه سرعان ما أعيد بناؤه فقد زاره ملكشاه و وزيره نظام الملک فى سنه ۴۷۹ (۱۰۸۶).

و حينما كتب المستوفى فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) قال ان غازان الايلخانى، كان استحدث فى مشهد على دارا للساده سميت بدار السياده و أنشأ خانقاه (تكيه للصوفيه). و ذكر ياقوت قبل المستوفى بقرن ان «النجف بظهر

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۰۵

الكوفه كالمسناه تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفه». و لكنه لم يشر الى المشهد.

و قدم الرحاله ابن بطوطه الى النجف فى سنه ۷۲۶ (۱۳۲۶) فقال فى مشهد على انه «مدينه حسنه». و دخله من باب الحضره الفضه المؤدى رأسا الى الضريح. و اطنب فى وصف أسواقها و مدارسها الجليله كما أشاد بجامعها و فيه ضريح الامام على و كانت حيطانه بالقاشانى. و ذكر ان المقعدين كانوا يبرأون من عاهاتهم فى الروضه. و سرد كشفا بكثير من قناديل الذهب و الفضه التى نذرت

لهـا، و ذكر أيضـا انهـا مفروشه بـأنواع البسـط من الحرير و سـواه . و وصف الضـريح نفسه فقـال: «فى وسـط القبه مصـطبه مربعه مكسوه بالخشب عليها صـفائح الذهب المنقوشه و المحكمه العمل مسـمره بمسامير الفضه». و يفضـى الى الضـريح أربعه أبواب، على كـل بـاب سـتار و عتبته من الفضه و عليه سـتور من الحرير الملّون» و ختم ابن بطوطه حـديثه بـذكر الكرامـات التى يضـفيها الامام على على المؤمنين الصادقين .

اما كربلاء، أى مشـهد الحسـين، فعلى ثمانيه فراسخ من شـمال غربى الكوفه. و هى تعين موضع الوقعه التى استشـهد فيها الحسين بن على حفيد الرسول مع جميع آله و ذويه تقريبا فى سنه ۶۱ (۶۸۰). و يزور الشيعه اليوم مشهد الحسين أكثر مما يزورون مشهد على. و لاـ علم لنـا بأول من بنى هـذا المشـهد، الا ان هناك ما يـدل على وجود بنايه فيه، منـذ المئه الثالثه (التاسـعه). فان الخليفه المتوكل، و هو الذى يمقته الشـيعه مقتا لم يضـعف على مرور الزمن، أمر فى سـنه ۲۳۶ (۸۵۰) بهدم قبر الحسـين و بسقى موضع قبره و منع الناس من

اتيانه، و تهـدّدهم بالعقاب الشديـد ان زاروه. و ذكر المسـتوفى فى وصـفه قصور سامراء، ان هذه الاساءه التى أوقعها المتوكل قد جوزى عليها فلم ينجز بناء قصـر واحد من قصوره التى ابتناها فى سامراء، بل اصابها ما أصاب قبر الحسين على يده. و لا يعلم كم بقى هذا الموضع خرابا، الا ان عضد الدوله البويهى، بنى فيه سـنه ۳۶۸ (۹۷۹) حضره جليله، و لا ريب ان اتساع هذا البناء قد تنبه اليه الاصطخرى و ابن حوقل، البلدانيان اللذان كتبا قبل

هذا التاريخ بمده قصيره.

و فی سنه ۴۰۷ (۱۰۱۶) احترقت قبه مشهد الحسین، و لکنها جددت بعد فتره و جیزه علی ما یظهر. فان ملکشاه، زار مشهد الحسین فی سنه ۴۷۹ (۱۰۸۶) حین خرج متصیدا فی تلک الانحاء. و مما یؤسف علیه، أن یاقوتا الحموی لم یصف الضریحین فی کربلاء، بل انه ذکر عرضا «الحائر»، و هو السور الذی یحف بضریح الحسین. و تکلم المستوفی فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) علی مدینه صغیره کانت قد نشأت حول الروضه. و قال ان محیطها نحو ۲۴۰۰ خطوه.

و وصف معاصره ابن بطوطه المدرسه العظیمه التی زارها هنا و قال: «علی باب الروضه الحجّاب و القومه، لا یدخل احد الا عن اذنهم فیقبّل العتبه الشریفه، و هی من الفضه. و علی الضریح المقدس، قنادیل الذهب و الفضه، و علی الابواب أستار الحریر». و زاد ابن بطوطه علی ذلک ان أهل هذه المدینه فی قتال ابدا، و لاجل فتنهم تخرّبت هذه المدینه. علی انها کانت تحف بها بساتین النخیل و تسقیها أنهار تأخذ من الفرات .

و لما وصف ابن خرداذبه و قدامه اقلیم العراق فی المئه الثالثه (التاسعه)، قالا ـ ان هذا الاقلیم کان اثنتی عشره کوره کل کوره استان، و طساسیجه ستون طسوجا. و هذا التقسیم، و لعل الاصل فیه کان لغایات مالیه، قد أعاد المقدسی

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۰۷

سرد شی ء منه فی القرن الذی یلیه. و علیه یحسن بنا ان نذکر الاستانات الاثنی عشر و اشهر طساسیجها. یتألف ثبت الاستانات، من ثلاث مجموعات، بما یوافق الانهار التی تسقیها و مآخذ تلک المیاه.

فالمجموعه الاولی، تتألف من أربعه استانات، و هی التی فی جانب دجله الشرقی. و

سقیها من هذا النهر و من تامرا و هی: (۱) کوره استان شاد فیروز:

و هی حلوان (و یقال لها أیضا شاذفیروز) و فیه طسوج تامرا و طسوج خانقین و ثلاثه طساسیج أخری . فمجموعها خمسه طساسیج. و (۲) کوره استان شاذ هرمز حول بغداد، و طساسیجه: طسوج نهر بوق و طسوج کلواذی و نهر بین و طسوج المدینه العتیقه (أی المدائن) و طسوج راذان الاعلی و طسوج راذان الاسفل و طسوجان آخران و کلها سبعه طساسیج. و (۳) کوره استان شاذ قباذ و طساسیجه طسوج جلولاء و طسوج البندنیجین و طسوج براز الروز و طسوج الدسکره و أربعه طساسیج أخری و کلها ثمانیه طساسیج. و تسمیات الاستانین الاخیرین أوردناها علی ما جاءت فی ابن خرداذبه و قد خالفه قدامه بابداله الاسمین، فجعل استان شاذ قباذ: استان بغداد. و اطلق اسم خسرو شاذ هرمز علی طسوج جلولاء مع الطساسیج السبعه المجاوره له. و آخر الاستانات فی شرقی دجله کان (۴) کوره استان بازیجان خسرو و یقال له النهروان، و قد سماه قدامه ارندین کرد، و فیه خمسه طساسیج و هی: طسوج النهروان الاعلی و طسوج النهروان الاوسط و طسوج النهروان الاسفل (و معه اسکاف بنی جنید و جرجرایا و نحوها) و طسوج بادرایا و أخیرا طسوج باکسایا.

و المجموعه الثانیه، استانان و کان سقیهما من دجله و من الفرات و هما (۵) کوره استان کسکر و هی شاذ سابور اربعه طساسیج حول واسط و (۶)

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۰۸

کوره استان شاذ بهمن و هی کوره دجله علی دجله الاسفل و فیها أربعه طساسیج هی طسوج میسان و طسوج دستمیسان و طسوجان آخران

و يقع دستميسان حول الابله.

اما الاستانات السته الباقيه فكلها الى غربى دجله و كان سقيها من نهر دجيل القديم، و قد مر ذكره، و من الانهار الكبيره الآخذه من الفرات و الماده شرقا الى دجله. و أول هذه الاستانات كان (٧) كوره استان العالى و طساسيجه الاربعه بامتداد نهر عيسى و هى: طسوج فيروز سابور و هو الانبار و طسوج مسكن و طسوج قطربل و طسوج بادوريا. و يليه اسفله (٨) كوره استان اردشير بابكان و هى على امتداد نهر كوثى و النيل و فيها طسوج بهر سير و طسوج الرومقان بازاء المدائن و طسوج كوثى و طسوج نهر درقيط و طسوج نهر جوبر. و الى شرق هذا الاستان كان (٩) كوره استان الزوابى و هى به ذيوماسفان و طساسيجه:

طسوج الزاب الاعلى و طسوج الزاب الاوسط و طسوج الزاب الاسفل.

اما الاستانات الثلاثه الاخيره فكانت بالتعاقب: استان بهقباذ الاعلى و الاوسط و الاسفل. و أول هذه الثلاثه (١٠) كوره استان بهقباذ الاعلى و هى سته طساسيج: طسوج بابل (حول خرائب بابل) و طسوج الفلوجه العليا و طسوج الفلوجه السفلى و طسوجان آخران . و طسوج عين التمر على بعد يسير من غرب الفرات. و (١١) كوره استان بهقباذ الاوسط و فيه اربعه طساسيج هى طسوج نهر البداه و طسوج سورا و بربيسما و طسوج باروسما و طسوج نهر الملك.

و أخيرا (١٢) كوره استان بهقباذ الاسفل و فيها خمسه طساسيج كانت على الفرات الاسفل حيث يدخل البطائح. و يتبين لنا من هذه الاسماء تقسيمات الاقليم التى أخذها العرب عن الساسانيين. فقد كان اردشير بابكان مؤسس الدوله الساسانيه و شاد فيروز أو شاذ فيروز معناها بالفارسيه الطالع السعيد.

و بهقباذ

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١٠٩

و معناها أرض قباذ الطيبه، و شاذ معناها مجد. فشاذ هرمز و شاذ قباذ و شاذ سابور و شاذ بهمن ينوّه كلها باسماء أربعه من أشهر ملوك الفرس .

و كانت تجارات العراق اكثرها مما يحمل اليها من سائر البلدان و كانت عاصمه الاقليم تستهلك محصول غيره من الانحاء. و مع ذلك فقد سرد المقدسى ثبتا بالسلع و الصناعات التى اشتهرت بها جمله من المدن، و هذا الثبت، و ان لم يكن قد أوفى على الغايه، الا انه حريّ بالنظر.

كانت اسواق بغداد حافله مشهوره بغرائب السلع التى تحمل اليها من سائر البلدان و كان ينسج فيها ألوان ثياب الخز- النسيج العتّابى المشهور و جلّه من الحرير. و انما سمى بذلك نسبه الى احدى محلات بغداد - و ببغداد أزر و ستور و عمائم رفيعه و ألوان المناديل السامانيه الرفيعه. و اشتهرت البصره بالخز، و أسواقها بباعه اللآلئ و الطرائف. و البصره الى ذلك معدن الجواهر «و بها يصنع الراسخت و الزنجفر و الزنجار و المرداسنج . و منها تحمل

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١١٠

التمور و الحناء و الخز و الماورد و البنفسج». «و بالابله تعمل ثياب الكتان الرفيعه على عمل القصب». و اشتهرت الكوفه بالتمور و البنفسج و عمائم الخز.

و اشتهرت واسط بالسمك البنىّ و بسمك مقدد يقال له «شيم» و أخيرا كان يصنع فى النعمانيه اكسيه و ألوان ثياب الصوف .

و قد بيّنا فى الفصل التمهيدى، ان بغداد كانت فى أيام الخلافه العباسيه، المركز الذى تخرج منه جميع الطرق. فمنها كان يخرج خمسه طرق كبيره- الى البصره و الكوفه و الانبار

و تکریت و حلوان- تصلها بأقاصی الدوله.

و لا مراء فی ان ایسر الطرق من بغداد الی البصره، کان بالسفن المنحدره فی دجله. و قد ذکر ابن رسته و الیعقوبی ما فی هذا الطریق من مدن علی یمین النهر و یساره. فکانت السفن تنحدر فی عمود دجله حتی القطر ثم تدخل البطائح فتجتازها من أزقه تتخلل الهول (أنظر ص ۶۲) ثم یفضی نهر ابی الاسد الی رأس فیض دجله و منه الی البصره فی نهر معقل. فاذا ارادت السفن عبادان فخلیج فارس، عادت الی الفیض بنهر الابله. اما الطریق البری من بغداد الی واسط فی شرقی دجله المار بالمدائن، فقد وصفه ابن رسته وصفا ساعدنا علی تعیین المدن التی علی النهر فی الخارطه لانه ذکر ما بینها من مسافات بالفراسخ.

و وصف قدامه هذا الطریق أیضا وصفا مطولا، و استکملنا وصفه الطریق فی موضع أو موضعین من ابی الفداء. و انتهی الینا من قدامه، وصف الطریق البری من واسط الی البصره بامتداد الحافه الشمالیه للبطائح. و هذا الطریق هو الذی سلکه ابن بطوطه فی المئه الثامنه (الرابعه عشره). و لابن رسته و قدامه وصف للطریق من واسط باتجاه الشرق الی الاهواز عاصمه خوزستان. و عند محطه باذبین، و هی علی مرحله شرق واسط فی هذا الطریق، ینشطر منه فرع کان یذهب نحو الشمال الشرقی الی الطیب و منها الی السوس (سوسا) فی

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۱۱

خوزستان .

و طریق الحج من بغداد الی الکوفه، یخرج من باب الکوفه فی المدینه المدوره متجها نحو الجنوب و مجتازا محله الکرخ الی صرصر و منها الی قصر ابن هبیره. فاذا جاوز هذه المدینه، عبر نهر الفرات

الشرقى (و هو عمود الفرات الآن) و كان يقال له فى المئه الرابعه (العاشره) نهر سورا، على جسر السفن فى سورا، و منها يتجه الى الكوفه. و بازائها يعبر نهر الفرات الغربى على جسر سفن يفضى الى الارباض الشرقيه فى الكوفه. و من الكوفه يتجه طريق الحج نحو الجنوب الغربى الى القادسيه. فاذا خرج من القادسيه وقع فى الباديه. و قد أورد جميع البلدانيين القدماء وصف هذا الطريق. و كان أكثرهم تفصيلا له:

ابن رسته. فقد ذكر لبعض اقسام الطريق من بغداد الى الكوفه مسالك أخرى مع ذكر المسافات بالاميال و الفراسخ. و بعد مطلع المئه السادسه (الثانيه عشره) خربت مدينه قصر ابن هبيره، و هى مرحله فى نصف الطريق بين بغداد و الكوفه، و قامت مقامها الحله (أنظر ص ٩٧). فكان الطريق ينحدر اليها من صرصر مارا بفراشا. و كان الطريق يعبر نهر الفرات الشرقى فى الحله على جسر سفن عظيم على غرار الجسر الذى كان قبله فى سورا. و هذا هو الطريق الذى سلكه ابن جبير و من جاء بعده من الرحالين. و كان المعروف ان طول الطريق من الكوفه الى البصره، بمحاذاه حافه البطائح الجنوبيه، بين ثمانين و خمسه و ثمانين فرسخا. و هذا الطريق الذى يتفرع الى اليسار عند المرحله الثانيه من مراحل الباديه فى جنوب القادسيه، قد وصفه ابن رسته و ابن خرداذبه .

و قد مرّ بنا انه كان يقطع الباديه العربيه من العراق الى الحجاز طريقان

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١١٢

للحج: اولهما يبدأ من الكوفه و الآخر من البصره و يلتقيان عند مرحله يقال لها «ذات عرق». و كانت على مسيره يومين من شمال شرقى مكه.

و قد وصفت كتب المسالك فى المئه الثالثه (التاسعه) و كذلك المقدسى، هذين الطريقين المشهورين مرحله مرحله مع ذكر المنازل التى فيها المتعشّى، بين مرحله و أخرى، و ما بينها من المسافات بالاميال. كان الطريق من الكوفه يمر بفيد على بعد قليل جنوب الحائل، اجل مدينه فى جبل شمر اليوم. اما طريق البصره فيمر الى ضريه، العاصمه القديمه للبلاد التى اصبحت فيما بعد دوله للوهابيين، و ما زالت خرائبها ظاهره على بضعه أميال غرب الرياض أكبر مدن نجد الآن. و كان يتفرع من طريقى الحج الآخذين من الكوفه و البصره طرق فرعيه تخرج من يمينهما و تفضى رأسا الى المدينه .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١١٣

و يخرج من بغداد عند باب الكوفه فى المدينه المدوره، طريق ثان يتجه غربا و يذهب الى المحوّل أولا ثم يتابع ضفه نهر عيسى الى الانبار على الفرات، و منها يصعد مع النهر فيمر بالحديثه أعلى مدينه فى اقليم العراق، و منها يبلغ عانه فى اقليم الجزيره. و هذا الطريق هو القسم الاول لاحد الطرق (المحاذيه للفرات) الذاهبه من بغداد الى الشام، و قد وصفها ابن خرداذبه و قدامه. اما الطريق الآخر الى الشام، فيتجه شمالا بمحاذاه دجله الى الموصل، و يكون فى اقليم العراق حتى مدينه تكريت. و هذا الطريق، و كان طريق البريد، يخرج من باب البردان فى بغداد الشرقيه و يساير يسار النهر مارا بعكبرا و سامراء حتى يبلغ تكريت. و عند هذه المدينه كان يلتقى هو و طريق القوافل البادئ من محله الحربيه فى بغداد الغربيه و الصاعد مع نهر دجيل الى حربى. ثم يمر بالقصر الذى بازاء سامراء . ثم يساير

نهر الاسحاقى الى تكريت. و الطريق الاخير هذا، هو الذى سلكه ابن جبير و ابن بطوطه .

و أخيرا كان يشرع من باب خراسان فى بغداد الشرقيه، طريق خراسان.

و كان يجتاز بلاد فارس و يتجه، على ما قد بينا، الى حدود الصين مخترقا بلاد ماوراء النهر. و قد اسهب ابن رسته فى وصف هذا الطريق مرحله مرحله، بل ان اغلب البلدانيين الآخرين، ان لم نقل كلهم، قد ذكروا المسافات بين اقسام هذا الطريق المختلفه. فصار علمنا به يفوق ما سواه من الطرق .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۱۴

الفصل السادس الجزيره

الديار الثلاث- ديار ربيعه- الموصل و نينوى و المدن المجاوره- الزاب الكبير و الحديثه و اربل- الزاب الصغير و السن و داقوق- الخابور الصغير و الحسنيه و العماديه- جزيره ابن عمر و جبل الجودى- نصيبين و راس العين- ماردين و دنيسر- الهرماس و الخابور- عربان و الثرثار- سنجار و الحضر- بلد واذرمه.

كان العرب يسمون بلاد ما بين النهرين العليا بالجزيره، على ما قد بيّنا، لان أعالى دجله و الفرات كانت تكتنف سهولها. و كان هذا الاقليم ينقسم الى ديار ثلاث و هى: ديار ربيعه و ديار مضر و ديار بكر، نسبه الى القبائل العربيه:

ربيعه و مضر و بكر التى نزلت هذا الاقليم قبل الاسلام، و كان يحكمه الساسانيون، فعرف كل من هذه الديار بقبيلته. و كانت الموصل على دجله اجل مدن ديار ربيعه. و الرقه على الفرات قاعده ديار مضر. و آمد فى أعالى دجله أكبر مدن ديار بكر. و ديار بكر، هى أقصى هذه الديار الثلاث شمالا. على ان المقدسى، وصف اقليم الجزيره تحت اسم «اقليم اقور». و اصل اقور غير واضح، و

لكن يخال لنا انه كان حينا من الزمن اسم السهل العظيم فى شمالى ما بين النهرين.

و اذا رجعنا الى الخارطه، تبين لنا ان دجله و الفرات فى بلاد ما بين النهرين العليا، يستقبلان روافدهما كلها من يسارهما. فقد كانت هذه الروافد، تنحدر اليهما من شمالهما الشرقى أو من الشمال. و قد شذّ عن هذه القاعده فى القرون الوسطى، انصراف ماء نهر الهرماس الآتى من نصيبين. و الهرماس رافد الخابور

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۱۵

(الكبير). فيماه الهرماس قد سكرت فوق موضع اجتماعه بالخابور بسكير العباس. فبينما كان قسم من مائه يجرى فيلتقى هو و الخابور الذى يصب فى الفرات عند قرقيسياء، كانت مياه نهر الهرماس نفسه تنصب فى يمين دجله عند تكريت بعد ان تجرى فى واد يقال له الثرثار . و الى ذلك فحدود هذه الديار الثلاث قد عينتها الفواصل المائيه، على ما سيتبين لنا. فقد كانت ديار بكر، و هى سقى دجله من منبعه الى منعطفه العظيم فى الجنوب أسفل من تل فافان مع ما فى شمالها من ارض، تسقيها روافد دجله الكثيره التى تصب فى يساره غرب تل فافان. و كانت ديار مضر، الى الجنوب الغربى، هى الاراضى المحاذيه للفرات من سميساط حيث يغادر سلاسل الجبال منحدرا الى عانه مع السهول التى يسقيها نهر البليخ رافد الفرات الآتى من حران. اما ديار ربيعه، فقد كانت فى شرق ديار مضر، و تتألف من الاراضى التى فى شرق الخابور (الكبير) المنحدر من رأس العين و من الاراضى التى فى شرق الهرماس و هو النهر المنساب فى وادى الثرثار نحو الشرق الى دجله، على ما قد بينا. و كذلك مما على ضفتى

دجله من اراض تمتـد بانحـدار النهر من تـل فافان الى تكريت، أى الاراضـى التى فى غرب دجله حتى نصـيبين و التى فى شـرقه المشتمله على السهول التى يسقيها الزابان الاسفل و الاعلى و نهر الخابور الصغير.

و كـانت الموصـل، قاعـده ديـار ربيعه، على ضـفه دجله الغربيه، حيث تتصل عواقيل النهر فتؤلف مجرى كبيرا واحـدا. و يقال ان الموصل انما جاء اسمها من هذا الاتصال. و كان يقوم فى موضعها ايام الساسانيين مدينه يقال لها بوذ اردشير.

و علا شأن الموصل فى أيام بنى أميه. و نصب فيها على دجله جسر سفن يربط المدينه التى فى الجانب الغربى بخرائب نينوى فى الجانب الشـرقى. و صارت الموصل فى عهـد مروان الثانى آخر خلفاء بنى أميه، قاعده اقليم الجزيره و بنى فيها ايضا الجامع الذى عرف بعدئذ بالجامع العتيق . و وصف ابن حوفل،

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۱۶

و قـد كان فى الموصل سـنه ۳۵۸ (۹۶۹)، هـذه المـدينه بانهـا بلـده طيبه عامره الاسواق، نواحيها و رساتيقها كثيره الخيرات. فمن ذلك رستاق نينوى و فيه قبر النبى يونس. و كان جل أهلها فى المئه الرابعه (العاشره) من الاكراد .

و قد عنى ابن حوقل بسـرد ما حول الموصل من كور و رساتيق كثيره تؤلف ديار ربيعه. و اطرى المقدسـى حسن فنادق الموصل الكثيره. و كانت المدينه حسـنه البناء و دورها بهيه. و البلد نصف مسـتدير نحو ثلث البصره كبرا و فيها حصن يسمى المربعه على نهر زبيـده، فى داخله سوق تعرف بسوق الاربعـاء، و كـان يعرف الحصن بـاسم السوق أيضا. و الجامع (جامع مروان الثانى) على رميه سهم من الشط على نشزه يصعد اليه بدرج كله آزاجات من

الحجاره. و مداخله المؤديه من مصلى الجامع الى صحنه لا أبواب لها. و أكثر الاسواق مغطاه. و ذكر المقدسى اسماء ثمانيه من دروبها الكبيره . و كانت دور المدينه تمتد بامتداد الشط مسافه كبيره. و قال ان اسم الموصل كان خولان، و ان قصر الخليفه فى الجانب الآخر على نصف فرسخ من المدينه يشرف على نينوى القديمه. و لهذا القصر قديما حصون قويه تحميه، أقلبه الريح، و يشق خرائبها الآن نهر يقال له نهر الخوسر. و حين كتب المقدسى، كانت تلك الخرائب مزارع .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١١٧

و فى سنه ۵۸۰ (۱۱۸۴) زار ابن جبير مدينه الموصل و وصفها. و قبل هذا الزمن بيسير، كان نور الدين المشهور، و هو الذى تحت لوائه عمل صلاح الدين (الايوبى) فى أول أمره، قد بنى جامعا جديدا فى وسط السوق و لكن الجامع العتيق الذى بناه مروان الثانى كان ما زال قائما على النهر بمنبره المزوّق الجميل و شبابيكه الجديده «و فى أعلى البلد قلعه عظيمه ينتظمها سور مشيّد البروج و قد فصل بينهما و بين البلد شارع متسع يمتد من أعلى البلد الى اسفله.

و دجله شرقى البلد و هى متصله بالسور و ابراجه فى مائها و للبلده ربض كبير فيه المساجد و الحمامات و الخانات و الاسواق و فيها مارستان حفيل»، و سوق يقال له القيساريه . و فى المدينه مدارس للعلم كثيره. و سرد القزوينى اسماء الديارات المختلفه المجاوره للموصل، و أشار بوجه خاص الى خندق الموصل

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١١٨

العميق و قلعتها العاليه. و كان حواليها بساتين كثيره تسقيها النواعير على ما قال .

اما تلول

نینوی فقد كان يقال لها منذ ايام المقدسى تل توبه و هو الموضع الذى خرج اليه النبى يونس لدعوه أهل نينوى الى التوبه و فى هذا الموضع جامع حوله دور للزوار بناها ناصر الدوله الحمدانى. و على نصف فرسخ منه، عين يستشفى بمائها يقال لها عين يونس نسبه الى النبى يونس، بجوارها جامع و يرى هناك شجره اليقطين التى غرسها هذا النبى . و ذكر ياقوت ان معظم دور الموصل كان مبنيا بالرخام و كلها آزاج. و فى المدينه قبر النبى جرجيس. و مرّ ابن بطوطه بالموصل فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) فقال: على البلد سوران اثنان و ثيقان ابراجهما كثيره عاليه «مثل السور الذى على مدينه دهلى». و كانت قلعتها تعرف بالحدباء. و كان فى جامعها الحديث (جامع نور الدين) «خصه رخام مثمنه يخرج منها الماء بقوه و انزعاج فيرتفع مقدار القامه» و بها مسجد جامع ثالث على شط دجله، و لعل هذا الجامع هو الذى نوه به المستوفى و قال ان منبره من حجاره محفوره حفرا جميلا- متقن الصنع كأنه حفر فى الخشب. و كان دور الموصل فى ايامه الف خطوه . و أشار الى «مشهد يونس»، فى الجانب الآخر من دجله، المشيد فوق خرائب نينوى .

و على بضعه أميال من شرقى الموصل، بلدتان صغيرتان، هما: برطلى و كرمليس و قد ذكرهما ياقوت و المستوفى. و الى شمالهما بقليل باعشيقا. و هذه البلدان الثلاثه من أعمال الموصل. و ذكر المقدسى باعشيقا بقوله «بها نبت من

قلعه و به بواسير أو خنازير سقطت عنه». و زاد ياقوت على ذلك ان باعشيقا «من قرى الموصل ... لها

نهر جار يسقى بساتينها و تدار به عده ارحاء، و الغالب على شجر بساتينها الزيتون و النخل و النارنج، و لها سوق كبير، و فيه حمامات و قيساريه ... و بها جامع كبير حسن له مناره ... و أكثر أهلها نصارى» فى المئه السابعه (الثالثه عشره). و كانت برطلى على بضعه أميال جنوب باعشيقا، و هى مثلها من أعمال نينوى. و قال ياقوت انها «قريه كالمدينه كثيره الخيرات و الاسواق و البيع و الشراء و الغالب على أهلها النصرانيه. و بها جامع للمسلمين، و لهم بقول و خس جيد يضرب به المثل». و أطرى المستوفى جوده قطنها. و الى الجنوب ببضعه أميال: كرمليس و كان بها سوق عامر على ما فى ياقوت. و هى قريه شبيهه بالمدينه و بها تجار. و كان بالقرب من هذه الامكنه ايضا: مرجهينه أو مرج جهينه. بيد انها على ضفه دجله و هى أول منزل لمن يريد بغداد من الموصل.

و ذكر المقدسى «انها كثيره ابراج الحمام. و الحصن من جص و حجر، و الجامع وسط البلد» .

و بين الموصل و تكريت، يستقبل دجله فى ضفته الشرقيه مياه الزابين.

و يصب احدهما على نحو مئه ميل فوق الآخر. و قد اطرى ابن حوقل المراعى و المزارع الخصبه الواسعه فى ما بين هذين النهرين. و مبدأ الزاب الاعلى، أى الكبير، فى الجبال بين ارمينيه و اذربيجان، و مصبه فى دجله عند الحديثه. اما الزاب الاسفل أى الصغير، و يسمى المجنون ايضا لحده جريه، فانه ينحدر من بلاد شهرزور و ينصب فى دجله عند السن. و تعرف البلاد التى يمر بها الزاب الكبير على ما ذكر ياقوت، باسم مشتكهر و بابغيش. و يكون ماؤه

فی أوله شدید الحمره، و کلما جری صفا قلیلا. اما الحدیثه، و هی علی فرسخ فوق ملتقاه بدجله (و تسمی حدیثه الموصل تمییزا لها عن حدیثه الفرات و قد مرّ ذکرها فی الصفحه ۸۹)، فقد اعادها الی العماره مروان الثانی آخر خلفاء بنی أمیه علی

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۲۰

جرف یشرف علی مناقع، و هی کثیره الصیود ذات بساتین و اشجار، و قد بنیت علی شبه دائره و یصعد الیها من دجله بدرج. و جامعها مبنی بالحجر قرب الشط.

و کانت تعرف فی أیام الساسانیین باسم نو کرد و معنی ذلک بالفارسیه (البلده الحدیثه) ایضا . و قد کانت قصبه الکوره قبل قیام الموصل .

و بلده السن علی میل تحت ملتقی الزاب الاسفل بدجله، علی ما فی المسعودی. ولکنها، علی ما فی المقدسی، فوقه، و الزاب الاصغر فی شرقها.

و کان معظم اهلها فی العصور الوسطی نصاری. و فیها، علی ما ذکر یاقوت بیع لهم. و کان یقال لها سن بار مّا تمییزا لها عن غیرها من المدن المعروفه بالسن.

و کان دجله یقطع جبال بارما قرب السن. و جامع السن فی الاسواق بناؤه بالحجاره. و للمدینه سور، و الی شرقها باربعه فراسخ، علی ضفه الزاب الاسفل:

مدینه البوازیج (حسب تسمیه ابن حوقل) و الظاهر انها لا أثر لها الیوم فی الخارطه. و کذلک الحال فی السن و الحدیثه. و تعلیل ذلک ان اسافل الزابین قد تبدلت کثیرا منذ المئه الرابعه (العاشره). و أشار یاقوت الی هذه المدینه باسم بوازیج الملک، و ظلت قائمه حتی المئه الثامنه (الرابعه عشره) فقد ذکر المستوفی انها کانت تؤدی الی بیت مال الایلخانیین ۱۴۰۰۰ دینار.

و من جنوب السن، کان

طريق البريد الى سامراء و بغداد، يساير ضفه دجله اليسرى مارا أولا ببارما و هى بلده فى لحف جبل بارما، و يعرف أيضا بجبل حمرين. و منها الى السودقانيه، و ينتهى أخيرا الى جبلتا أو جبلتا، و قد كانت على ما يظهر دارا للضرب فى سنه ۳۰۴ (۹۱۶)، و كانت على ضفه دجله الشرقيه شمالى تكريت بقليل و لا أثر لهذه البلدان الصغيره الآن فى الخارطه الا ان كتب المسالك قد ذكرت مواضعها بوجه دقيق.

و على نيف و مئه ميل من شرق السن، مدينه دقوقاء أو دقوق- أورد على اليزدى هذا الاسم بصوره طاووق و طاوق و هى التسميه الشائعه الآن- و قد

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۲۱

أكثر ياقوت و من بعده من البلدانيين من ذكرها. و تكلم المستوفى على نهر دقوق (على ما ضبطه) و مخرجه من جبال كردستان قرب دربند خليفه، و يفنى ماؤه اسفل مدينه دقوق فى الارض الرمليه حيث، على ما جاء فى المستوفى، مواضع شديده الخطر يسوخ فيها من يحاول اجتيازها. و يصل نهر دقوق الى دجله فى موسم الفيضان على قوله، و مجراه الاسفل هو ما يعرف اليوم بنهر العظيم و لكن فى الازمنه القديمه، حين كان النهروان حيا بأجمعه، قد كانت مياه نهر داقوق فى فيضان الربيع تنصب فى النهروان. و وصف المستوفى مدينه داقوق بانها بلده وسطه و هواؤها أصح من هواء بغداد و بالقرب منها عيون نفط. و مما تحسن الاشاره اليه ان البلدانيين العرب الاولين لم يذكروا هذا الموضع .

اما اربل، و هى اربلا القديمه، ففى فضاء من الارض واسع بسيط بين الزابين الكبير و الصغير. و قد وصفها ياقوت بانها

مـدينه يقصـدها التجار «و قلعتها على تل عال من التراب عظيم و لها خنـدق عميق، و سور المـدينه ينقطع فى نصـفها و فيها سوق عظيمه. و بها مسـجد يسـمى مسـجد الكف فيه حجر عليه كف انسان». و فى المئه السابعه (الثالثه عشـره) قامت فى ربضها خارج السور مدينه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١٢٢

كبيره عمرت فيهـا أسواق و قيساريات. و اطرى المسـتوفى جوده غلتها لا سـيما القطن . و الى شـمال الموصل، مـدينه العماديه. و هى بالقرب من منابع الزاب الاعلى. و على ما ذكر المسـتوفى، نسـبت العماديه الى مؤسسـها عماد الـدوله الامير الديلمى المتوفى سنه ٣٣٨ (٩٤٩) الا ان غيره من المؤلفين يعزون انشاء العماديه أو تجديدها فى سنه ٥٣٧ (١١٤٢) الى عماد الدين زنكى ابى امير الجزيره المشـهور نور الـدين و كان صـلاح الدين (الايوبى) من أشـهر رجاله، و روى ياقوت ان حصـنا للاكراد كان هناك قبلها يعرف بآشب . و وصف المستوفى العماديه فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) بانها مدينه كبيره .

و فى الجبال المجاوره للعماديه، منابع نهر خابور الحسنيه و هو ينصب فى دجله شمال مدينه فيسابور على نحو مئه و خمسين ميلا فوق الموصل.

و مخرج هـذا النهر (و هو غير خابور رأس العين) على ما جاء فى ياقوت، من أرض الزوزان، و كان عليه عند بلده الحسـنيه قنطره عظيمه و ما زالت بقاياها

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١٢٣

قرب قريه حسن اغا، و لعل هذه القريه تمثل البلده القديمه. و كان فى الحسـنيه جامع. و قد وصفها المقدسى بانها موضع ذو شأن . و على مرحله يوم من جنوبها فى طريق الموصل، بلده معلثايا

الصغيره و فيها جامع على تل و هى كثيره البساتين.

و فى شمال فيسابور، الجزيره و هى مدينه ذات شأن و تعرف بجزيره ابن عمر نسبه الى الحسن بن عمر التغلبى بانيها. و كانت دجله، على ما ذكر ياقوت، «تحيط بهذه الجزيره الا من ناحيه واحده شبه الهلال ثم عمل هناك خندق أجرى فيه الماء». و فى المئه الرابعه (العاشره)، وصف ابن حوقل الجزيره بقوله: «عليها سور و هى فرضه لأرمينيه و كانت مشهوره بالجبن و العسل» و زاد المقدسى على ذلك ان بناءها من الحجاره «و هى وحله فى الشتاء». و شاهدها ابن بطوطه و كان فيها فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) و قال: ان «أكثرها خراب. و لها سوق حسنه و مسجد عتيق مبنى بالحجاره محكم العمل و سورها مبنى بالحجاره أيضا». و ذكر المستوفى انه كان من أعمالها مئه قريه و نيف.

و كان قباله جزيره ابن عمر: بازبدى و هى قريه فى كوره باقردى .

و بازبدى تقوم مقام الحصن الرومانى المشهور المسمى بزبدى(Bezabda) غير انه لم ينته الينا وصف لهذا الموضع.

و يرى من جزيره ابن عمر، من شرقيها، جبل الجودى. و فى قمته مسجد نوح، و تحت الجبل قريه الثمانين. و قد جاء فى القرآن (السوره ۱۱ الآيه ۴۳) ان فلك نوح «استوت على الجودى». و هو الجبل الذى يتفق موضعه فى الجزيره و ما عينته الروايات الاسلاميه. و يقال ان ثمانين من رجال نوح بنوا قريه هناك سميت ثمانين بعددهم. و أشار المقدسى فى المئه الرابعه (العاشره) الى هذه القريه فقال هى مدينه على مرحله شمال الحسنيه. و سماها المستوفى بسوق

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۲۴

ثمانين، و قال

ان الخراب كان مستحوذا عليها فى ايامه. و ينصب فى يسار دجله، قرب جزيره ابن عمر، روافد كثيره سرد ياقوت اسماءها و هى: يرنى و باعيناثا (و هو باسانفا فى ابن سرابيون) و عليه قريه كبيره بهذا الاسم فوق الجزيره.

و اسفل هذه المدينه فى شمال خابور الحسنيه ينحدر نهر البويار و دوشا من ارض الزوزان .

و فى جانب دجله الغربى فى سمت جزيره ابن عمر، كوره طور عبدين الجبليه، و أهلها يعاقبه، و فيها مخرج نهرى الهرماس و خابور نصيبين. و كانت نصيبين و هى نسيبيس(Nisibis) الرومانيه و قد ذكر ياقوت انها مشهوره بوردها الابيض و ببساتينها الاربعين الفا. تقوم فى اعالى نهر الهرماس و قد سماه جغرافيو اليونان سوكورس(Saocoras) أو مكدونيس(Mygdonius) و ما زالت نصيبين من أعظم مدن الجزيره شأنا، وصفها ابن حوقل، و كان فيها سنه ٣٥٨ (٩٥٩)، فقال: هى اجل بقاع الجزيره و احسنها، الى سعه غلات من الحبوب و القمح و الشعير. و مخرج مائها عن شعب جبل يعرف ببالوسا. و هى من أطيب المدن لولا الخوف من عقاربها. و على ما فى المقدسى انها ارحب من الموصل. و أطرى «حماماتها الحسنه و قصورها المنيفه و سوقها من الباب الى الباب، و الجامع وسط البلد، و بها حصن من حجر و كلس». و قد زار ابن جبير نصيبين فى سنه ٥٨٠ (١١٨٤) و أطرى بساتينها. و ذكر ان فى جامعها صهريجين.

و على نهر الهرماس جسر معقود من صم الحجاره. و فيها مارستان و مدارس و غير ذلك من العمارات الحسنه. و وصف ابن بطوطه نصيبين، و قد زارها فى المئه الثامنه (الرابعه عشره)، فقال ان أكثرها قد خرب اما جامعها فكان

قائما فی ایامه و فیه صهریجاه الکبیران. و تحفّ بها البساتین الملتفه و بها یصنع ماء الورد الذی لا نظیر له فی العطاره و الطیب . و ذکر المستوفی ان دور سورها نحو

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۲۵

۶۵۰۰ خطوه و أطری کرومها الفاخره و فواکهها الحسنه و خمورها الجیده.

و لکنه قال انها و خمه و بئه. و تکلم کذلک علی جوده وردها و شر عقاربها الممیته و هی سامه مؤذیه و کالبعوض کثره .

و کانت رأس العین قرب منابع الخابور، و هی رأس اینا(Resaina) الرومانیه علی نهر خابوراس(Chaboras) مشهوره بکثره عیونها البالغه ۳۶۰ عینا علی ما یقال. و تجتمع هذه العیون فتسقی بساتینها و تجعلها کأنها بستان واحد. و قیل ان عینا منها، و هی عین الزاهریه، لا یعرف لها قرار. و الماء الماد منها یصب فی الخابور. و کانت الزواریق الصغار تدخل الی عین الزاهریه و الناس یرکبون فیها الی بساتینهم و الی قرقیسیاء علی الفرات ان شاءوا. و وصف ابن حوقل رأس العین، فقال انها مدینه ذات سور من حجاره و کان داخل السور بساتین و طواحین، و کان لأهل المدینه نحو عشرین فرسخا قری و مزارع مما یلی دورها. و ذکر المقدسی ان «بها بحیره صغیره رأس الماء نحو من قامتین زلال، یطرح الدرهم فلا یخفی فی اسفله». و البنیان فی رأس العین حجاره و جص و قد مرّ بها ابن جبیر سنه ۵۸۰ (۱۱۸۴) و قال: لها جامعان و مدرسه و حمام علی الخابور. و لم یکن للمدینه فی أیامه سور یحصنها و ان کان فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) قد عمر ثانیه، لان المستوفی ذکر ان

محیطه نحو ۵۰۰۰ خطوه و قال انها کثیره القطن و القمح و الکروم.

و علی نحو نصف المسافه بین رأس العین و نصیبین، فی شمالهما، القلعه الصخریه العظیمه: ماردین المشرفه علی دنیسر التی هی تحتها فی السهل علی نحو ثلاثه فراسخ جنوبها و کانت قلعه ماردین فی المئه الرابعه (العاشره) یقال لها الباز. و هی معقل امراء بنی حمدان. و هذه القلعه علی قنه جبل و فی جانبها الجنوبی نشأ ربض عظیم کان آهلا فی المئه السادسه (الثانیه عشره). و قامت فیه «أسواق کثیره و خانات و مدارس و ربط. و دور اهلها کالدرج کل دار فوق

الأخری و کل درب منها یشرف علی ما تحته من الدور لیس دون سطوحهم مانع.

و جل شربهم من صهاریج معده فی دورهم». و وصف ابن بطوطه ماردین و قد زارها فی المائه الثامنه (الرابعه عشره) بانها «مدینه عظیمه بها تصنع الثیاب المنسوبه الیها من الصوف المعروف بالمرعز. و لها قلعه شماء تسمی الشهباء».

و یقال لها أیضا قلعه کوه «أی قلعه الجبل». و وصف المستوفی ماردین فقال:

یسقیها نهر صور الآتی من جبل باسمه فی طور عبدین و یصب هذا النهر فی الخابور، و زاد علی ذلک ان ناحیتها کثیره الغلات و القطن و الفواکه.

و دنیسر، علی بضعه فراسخ منها (تفاوت القول فی ذلک ما بین فرسخین الی اربعه و یظهر ان موضعها الحقیقی غیر معروف). و کانت فی المئه السابعه (الثالثه عشره) مدینه ذات أسواق عظیمه و یقال لها أیضا قوج حصار. و ذکر یاقوت انه حین زارها فی صباه فی نهایه المئه السادسه (الثانیه عشره) رآها قریه و لکنها فی سنه

٦٢٣ (١٢٢٥) «صارت مصرا لا نظير لها كبرا و كثره أهل و عظم أسواق». و وصفها ابن جبير، حين مرّ بها فى سنه ٥٨٠ (١١٨٤)، بانها مدينه لا سور لها و هى مخطر للقوافل. و خارجها مدرسه جديده و حمامات. و دارا، على بضعه أميال شرقا. و كانت فى أيام الرومان قلعه عظيمه. ذكر ابن حوقل انها مدينه صغيره . و وصف المقدسى «قناه تعم البلد و تجرى فوق السطوح و تقر فى الجامع ثم تنحدر الى واد. و بنيانهم حجاره سود و كلس». و قال ياقوت انها بلده فى لحف جبل. و من أعمالها يجلب المحلب الذى تتطيب به الاعراب.

و هى ذات بساتين». و حين مرّ ابن بطوطه بدارا فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) كانت قلعتها خرابا لا عماره بها. و كفرتوثا فى جنوب غربى ماردين على نهرها الصغير. و ذكر ابن حوقل انها صارت فى المئه الرابعه (العاشره) بلده قليله الشأن و كانت عند ملتقى الطريق المنحدر من آمد. و كانت حينذاك أوسع من دارا، الا ان ياقوت الحموى أشار فى المئه السابعه (الثالثه عشره) الى انها

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١٢٧

قريه كبيره .

كان الخابور الكبير يستقبل فى يساره مياه نهر ماردين الآتى من رأس العين، و يصب فيه أسفل من ذلك نهر الهرماس الآتى من نصيبين. على ان أكثر مياه هذا النهر كانت- على ما بينا- تنساب من سكير العباس و كان على شى ء يسير فوق ملتقى الهرماس بالخابور الى وادى الثرثار. فتجتمع من ذلك فى الخابور مياه ثلاثه أنهار كبيره، هذا الى ما ينصب فيه من مياه ثلاثمئه جدول على ما ذكر المستوفى. ثم ينحدر الخابور جنوبا

الی قرقیسـیاء علی الفرات و هی أکبر مدینه فی دیار مضـر، و سـیجئ وصـفها. و قبل ان یصل النهر الی هذه المدینه یمر بمدینتی عربـان و ماکسـین، و همـا فی أراضـی الخـابور من أعمـال دیار ربیعه. و عربان أو عرابان، و ما زالت خرائبها موجوده، کانت فی المئه الرابعه (العاشـره) مـدینه علیهـا سور منیع و تعمـل فیهـا الثیـاب القطن، و هی کثیره الاقطـان التی تنمی فی جانبی الخابور. و تکلم المقدسـی علی عرابان و قال انها «تل رفیع حولها بساتین، و الی جنوبها فی نصف الطریق بینها و بین قرقیسـیاء: ماکسین (أو میکسـین) حیث کـان جسـر سـفن یقطع الخابور. و کان القطن یکثر فیها أیضا. و علی مقربه منها بحیره صـغیره تسـمی المنخرق، استدارتها مساحه جریب أو أزید و فیها ماء ازرق عذب کالزجاج الملوح و لا یعرف قعرها و لا یعلم کمیه مائها».

و یقال ان مخرج الهرماس من عین بینها و بین نصـیبین سـته فراسخ (شمالا) مسدوده بالحجاره و الرصاص. «و یقال ان الروم بنت هذه الحجاره علیها لئلا تغرق هذه المدینه. و کان المتوکل لما دخل هذه المدینه سار الیها و أمر بفتحها ففتح منها شی ء یسیر ... فغلب علیه المـاء غلبه شدیـده حتی أمر باحکامه و اعادته الی ما کان علیه بالحجاره و الرصاص». و علی مئه میل أو یزیـد جنوب نصیبین، السکر المعروف بسکیر العباس و کان هناک فی المئه الرابعه (العاشره) مدینه کبیره

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۲۸

لهـا جـامع و أسواق. و سـکیر العبـاس فی رأس نهر الثرثـار، و قـد کان یصب فی دجله علی ما بینا. اما الیوم فقـد قل ماء الثرثار و انقطع جریه.

و كان ماؤه منذ المئه السابعه (الثالثه عشره) ضئيلا فحين كتب ياقوت معجمه ذكر انه «يمد اذا كثرت الامطار. فأما فى الصيف فليس فيه الا مناقع و مياه حاميه و عيون قليله ملحه». و قد ارتاد ياقوت مجراه غير مره و زاد على ما تقدم: «يقال ان السفن كانت تجرى فيه (من الخابور الى دجله) و كانت عليه قرى كثيره و عماره».

اما حين كتب ياقوت فلم تكن تلك البقاع غير بريه مقفره .

و فى بريه سنجار، كان نهر الثرثار يجرى بين مرتفعات يقال لها جبل حمرين، و هو جبل بارما، و كان الثرثار يستقبل من الشمال نهرا صغيرا ينحدر اليه من مدينه سنجار. و كان على سنجار فى المئه الرابعه (العاشره) سور من حجر، و نواحيها عامره كثيره الخيرات. و اشار المقدسى الى شهره اساكفتها و ترنجها و نارنجها و قال «بها نخل كثير» و الجامع فى وسط البلده. و تقول الروايات الاسلاميه ان سفينه نوح نطحت فى جبل سنجار فى زمن الطوفان، ثم استوت على جبل الجودى فى الجانب الشرقى من دجله. و زاد ياقوت على ذلك ان فى مدينه سنجار، على ما قيل، ولد آخر سلاطين السلاجقه سنجار أو سنجر بن ملكشاه. و كانت سنجار، على ما ذكر القزوينى فى المئه السابعه (الثالثه عشره)، مشهوره بحماماتها: فرشها فصوص و سقوفها جامات ملونه. و نوه ابن بطوطه، و قد مرّ بها فى المئه الثامنه (الرابعه عشره)، بمسجدها الجامع الفخم.

و كان دائر سورها على ما ذكر المستوفى ٣٢٠٠٠ خطوه و هو من حجاره و يصعد الى دورها بدرجات فى سفح الجبل. و تكثر فى بساتينها الكروم و الزيتون

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص،

ص: ١٢٩

و السماق . و الحضر و هی حترا(Hatra) عند الرومان. ذكر ابن سرابيون ان الثرثار يمر بها عند نصف المسافه بين سنجار و ملتقاه بدجله قرب تكريت.

و ما زال يرى فى الحضر بقايا قصر فرثى كبير . روى ياقوت ان بانيه الساطرون شيده من حجاره مربعه، و فيه بيوت كثيره بنيت سقوفها و أبوابها بالحجاره المهندمه و ذكر انه «يقال كان فيها ستون برجا كبارا و بين البرج و البرج تسعه أبراج صغار بازاء كل برج قصر» . و كان الطريق من الموصل الى نصيبين فى جانب دجله الايمن. و هذا الطريق ينقسم عند بلد (الموضع المعروف اليوم باسكى موصل) و هى على اربعه فراسخ من الموصل

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١٣٠

الى طريقين: طريق يتجه الى اليسار ذاهبا الى سنجار مارا بتل اعفر. ذكر ياقوت انه كان فى بلد مشهد علوى. و بلد فى موضع المدينه الفارسيه القديمه شهراباذ. بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد ؛ النص ؛ ص١٣٠

قال ان مدينه «بلد» ربما قيل لها بلط. و اشار ابن حوقل فى المئه الرابعه (العاشره) الى بلد فقال هى مدينه كبيره. و قال المقدسى فى قصورها انها حسنه البنيان من جص و حجر فرجه الاسواق و الجامع وسط البلده و ينمى فى نواحيها قصب السكر و هى خصبه. و فوق تل «تل اعفر» المنفرد، و هو على مرحله واحده من غربها، قلعه حصينه تشرف على ربض كبير فيه نهر جار. و ذكر ياقوت ان النخل كان ينمى فى ناحيه منها يقال لها المحلبيه «نسبه الى المحلب و هو شى ء من العطر» يعمل فيها .

اما الطريق الايمن، فانه يبدأ من منقسمه،

مما یلی مـدینه بلـد و یـذهب الی مـدینه باعیناثا و قد وصـفها المقدسـی بقوله «نزهه طیبه و هی خمس و عشـرون محله، یتخللها البسـاتین و المیـاه، لیس مثلهـا بـالعراق مع رفق و رخص». و ینبغی ان لا ـ نخلـط بینهـا و بین «قریه کـبیره کالمـدینه» تعرف أیضـا بباعیناثا علی النهر الذی یلتقی بدجله شـمال جزیره ابن عمر، علی ما بیّنا فی الصـفحه ۱۲۴ و علی طریق نصـیبین مما یلی باعیناثا: برقعید، و هی بلده یضـرب المثل باهلها فی اللصوصـیه. فکانت القوافل اذا نزلت بهم لقیت منهم الامّرین. و کانت فی المئه الثالثه (التاسعه) بلده کبیره علیها سور و لها ثلاثه أبواب و فیها مئتا حانوت و بها آبار کثیره عذبه. و ما حلت

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۳۱

المئه السابعه (الثالثه عشره) حتی تجنبتها أکثر القوافل لکثره أفاعیل اهلها فاصبحت قریه صغیره حقیره.

و أذرمه فی نحو نصف المسافه بین برقعید و نصیبین، و کانت مدینه مثل برقعید کبرا و هی من کوره تعرف بین النهرین. و انتهی الینا من المئه الثالثه (التاسعه) انه کان بها قصر حسن و نهر یشقها و علیه فی وسط المدینه قنطره معقوده بالصخر و الجص. و فیها سوران احـدهما دون الآـخر و من خـارج السور خنـدق یحیط بالمـدینه. و هـذا ما انتهی الینا علی کل حال مما وصـفها به طبیب الخلیفه المعتضد، و قد مرّ بها حین کان فی خدمه الخلیفه. و فی المئه الرابعه (العاشـره) وصف المقدسـی اذرمه فقال «صغیره فی البریه، شربهم من آبار و بنیانهم قباب» .

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۳۲

الفصل السّابع الجزیره «تتمه»

دیار مضر- الرقه و الرافقه- نهر البلیخ و حران-

اذسا و حصن مسلمه- قرقيسياء- نهر سعيد و الرحبه و الداليه- رصافه الشام- عانه- بالس و جسر منبج و سميساط- سروج- ديار بكر- آمد و حانى و منابع دجله- ميافارقين و ارزن- حصن كيفا و تل فافان- سعرت.

كانت ديار مضر، على ما قد بيّنا، تحف بضفاف الفرات. و اجل مدنها الرقه، و هى فوق مصب نهر البليخ المنحدر من الشمال الى الفرات. و قامت فى موضع المدينه اليونانيه القديمه كلنيكس(Callinicus) و هى نقفوريوم(Nicephorium) . و ما اسم «الرقه» العربى الا نعت لها «فالرقه كل ارض الى جنب واد ينبسط عليها الماء» وقت الفيضان. و من ثمه فالرقه توجد فى مواضع أخرى كتسميه لمكان. و هذه الرقه التى على الفرات عرفت بالرقه السوداء تمييزا لها عن غيرها.

و حين انتقلت الخلافه الى بنى العباس فى المئه الثانيه (الثامنه)، كانت الرقه من أهم مدن ما بين النهرين الاعلى، و تسيطر على تخوم الشام. فكان عليهم الاحتفاظ بها فشرع الخليفه المنصور فى سنه ۱۵۵ (۷۲۲) ببناء مدينه الرافقه على نحو ثلاثمئه ذراع من الرقه و رتب بها جندا من أهل خراسان الموالين للدوله الجديده. و يقال ان الرافقه بنيت على غرار مدينه السلام. فكانت مدينه مدوره.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۳۳

ثم ان الرشيد بنى قصورها و بنى له فيها قصرا سماه قصر السلام، لانه كان يقيم فى الرقه أو الرافقه كلما اشتد الحر فى بغداد. و سرعان ما خربت الرقه القديمه و شيدت أبنيه جديده فى الارض الفضاء بين الرقه و الرفقه، و حول رقتها و كانت بحيره ضحله. و غلب اسم الرقه على الرافقه، و قد كانت الاخيره حينا من الزمن ربضا لها، و

بطل اسمها بمرور الایام. علی ان ابن حوقل تکلم فی المئه الرابعه (العاشره) علی مدینتی الرقه و الرافقه فقال هما «مدینتان کالمتلاصقتین و فی کل واحده منهما مسجد جامع». و کانتا کثیرتی الاشجار، اما المقدسی فلم یصف الا الرقه و قال «الرقه قصبه دیار مضر، بحصن عریض و لها بابان، حسنه الاسواق کثیره القری و البساتین و الخیرات، و معدن الصابون الجید و الزیتون.

و جامع الرقه فی البزازین و بها حمامات طیبه». ثم قال: کان لکل بیت کبیر فی الرقه دکه. و بالقرب منها خرائب مدینه قدیمه یقال لها الرقه المحترقه. علی ان المستوفی تکلم علی الرافقه و قال هی ربض الرقه، الجامع فی الصاغه فیه شجر عناب و بالقرب منها مسجد یطل علی الفرات .

و فی جانب الفرات الایمن، بازاء الرقه فیما فوقها، ارض صفّین المشهوره و فیها کان القتال بین اصحاب الخلیفه علی و معاویه و قبور من استشهد فی هذه الوقعه من اصحاب علی معروفه فیها. و روی ابن حوقل، و قد تابعه فیه المستوفی، ان من کان بعیدا عن القبور یری عجبا ذلک انه یری قبورا و یصعد الی المکان فلا یری لذلک أثرا و لا یحسّ منه خبرا. و مقابل ارض وقعه صفین علی ضفه الفرات الشمالیه (الیسری) قلعه یقال لها قلعه جعبر نسبه الی مالکها الاول و کان عربیا من بنی نمیر و کانت هذه القلعه تعرف فی بدء امرها بدوسر و کثیرا ما تردد ذکرها فی آخر أدوار تاریخ الخلافه. و فی سنه ۴۹۷ (۱۱۰۴) استولی الفرنج

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۳۴

علیها من اذسا فی الحمله الصلیبیه الاولی. و یستقبل الفرات من یساره اسفل

الرقه نهر البليخ، و قد عرفه اليونان باسم بليخا(Bilecha) و منبعه من عين تسمى عين الذهبانيه فى شمال حران. و ورد اسم هذه العين ايضا فى المراجع التى بيدنا بصوره الدهمانيه و الذهبانه و كتبه المستوفى (بالفارسيه) بصوره جشمه دهانه أى عين دهانه .

و يجرى البليخ نحو الجنوب ثم يلتقى بالفرات تحت الرقه و يمر بمدن جليله كان سقيها من هذا النهر و روافده. فقرب منبعه حران (كرها(Carrhae و كانت مدينه الصابئيين (و هم الصابئه الحرانيه فينبغى الا يخلط بينهم و بين صابئه العراق اليوم) و هم على دين ابراهيم. و يقال ان حران كانت أول مدينه بنيت فى الارض بعد الطوفان. و قال المقدسى فى حران انها «مدينه نزيهه عليها حصن من حجاره على عمل ايلياء فى حسن البناء» و فيها جامع. و ذكر ابن جبير، و قد مرّ بحرّان سنه ۵۸۰ (۱۱۸۴)، ان لها سورا مبنيا بالحجاره و وصف الجامع فقال:

له صحن كبير ذو تسعه عشر بابا و فيه قبه قد قامت على سوار من الرخام. و لها اسواق مسقفه كلها بالخشب. و لهذه البلده مدرسه و مارستان. و زاد المستوفى على ذلك ان محيط سور الصحن كان ۱۳۵۰ خطوه. و على ثلاثه فراسخ من جنوبها، مشهد ابراهيم، و ما حوله من اراض تسقيه انهار لا عدّ لها .

اما ادسّا و قد سماها العرب الرها (و هو تحريف للاسم اليونانى كلرهو(Callirhoe) ، فهى عند منابع احد روافد البليخ. و لم يسهب البلدانيون

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۳۵

المسلمون فى أخبار هذه المدينه، لان أغلب سكانها اقاموا على نصرانيتهم. و أكثر ما اشتهرت به هذه المدينه كنائسها الكثيره فقد ذكر ابن

حوقل «بها زياده على ثلاثمئه بيعه و دير، و كان بها منديل لعيسى»، أعطاه المسلمون للروم فى سنه ۳۳۲ (۹۴۴) انقاذا للرها من هجوم الروم عليها و نهبها. و قال المقدسى فى النصف الثانى من المئه الرابعه (العاشره) بعد كلامه على جامعها ان «بها كنيسه عجيبه بآزاج ملبسه بالفسافساء هى احدى عجائب الدنيا» الاربع. و قال أيضا ان المسجد الاقصى فى بيت المقدس قد بنى على غرارها.

و زاد على ذلك انها كانت مدينه محصنه. و لم تثبت الحاميه العربيه بوجه الحمله الصليبيه الاولى فى سنه ۴۹۲ (۱۰۹۸). فاستولى بلدوين على ادسا و بقيت نصف قرن ولايه لاتينيه. و لكن فى سنه ۵۴۰ (۱۱۴۵) استعادها زنكى من جوسلين الثانى(Jocelin II) . و منذ هذا الزمن صارت الرها بايدى المسلمين. و كانت خرائب كثير من مبانيها الجميله شاخصه فى المئه الثامنه (الرابعه عشره). و وصف المستوفى قبه عظيمه حسنه البناء بالحجاره نقوم وراء صحن سعته مئه ذراع و نيف فى مثلها. و ذكر على اليزدى مدينه الرها غير مره فى حديثه عن حروب تيمور. و ظلت الرها تعرف بهذا الاسم حتى مطلع المئه التاسعه (الخامسه عشره) فانها بعد انتقالها الى ايدى الترك العثمانيين عرفت باسم «اورفا» و قيل ان هذا الاسم تحريف «الرها» العربى. و ما زالت تسمى بأورفا حتى اليوم .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۳۶

و فى جنوب حران على مقربه من شرق نهر البليخ، مدينه باجدّا الصغيره على الطريق الى رأس العين. و كان فيها بساتين، و هى قرب حصن مسلمه الذى هو أقرب الى البليخ منه الى باجدا و قد نسب هذا الحصن الى مسلمه بن عبد الملك الخليفه الاموى.

و هو على تسعه فراسخ جنوب حران و على نحو ميل و نصف الميل عن ضفه النهر الحقيقيه. «و شرب أهله من مصنع فيه طوله مئتا ذراع فى عرض مثله، و عمقه نحو عشرين ذراعا معقود بالحجاره. و كان مسلمه قد اصلحه. و الماء يجرى فيه من البليخ فى نهر مفرد فى كل سنه مره حتى يملأه فيكفى أهله بقيه عام. و يسقى هذا النهر بساتين حصن مسلمه». و كان الحصن «قد بنى على قدر جريب من الارض (و هو ما يعادل ثلث ايكر) و ارتفاعه فى الهواء أكثر من خمسين ذراعا». و كان فى جنوب حصن مسلمه فى طريق الرقه على ثلاثه فراسخ منها: باجروان. و قد وصفها ابن حوقل فقال: «كانت منزلا خصبا نزها واسعا». و قد عراها الاختلال فى المئه الرابعه (العاشره). اما ياقوت، و قد قدمنا وصفه لحصن مسلمه، فذكر ان باجروان قريه من ديار مضر .

و على نحو مئتى ميل اسفل من الرقه، قرقيسياء و هى كركيسيوم(Circesium) القديمه على ضفه دجله اليسرى حيث يصب الخابور فضله مياهه فيه على ما قد بيّنّا فى الصفحه (١٢٧). و وصف ابن حوقل قرقيسياء بانها «مدينه لها بساتين و أشجار كثيره و هى فى نفسها نزهه». اما ياقوت و المستوفى فقد ذكرا انها بلد أصغر من الرحبه المجاوره لها على سته فراسخ منها فى الجانب الغربى من الفرات. و الرحبه هذه سميت برحبه مالك بن طوق مؤسسها، تمييزا

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١٣٧

لها عن غيرها من الرحاب. و قد عاش مالك فى خلافه المأمون. و كان بالقرب منها: الداليه و هى بلده صغيره. و الرحبه و الداليه قرب نهر يقال

له نهر سعيد، كان يخرج من يمين الفرات على شى ء قليل فوق قرقيسياء و يعود فيصب فيه فوق الداليه. و هى مثل الرحبه تعرف بداليه مالك ابن طوق تمييزا لها عن غيرها. و كان قد أمر بحفر هذا النهر الامير سعيد ابن الخليفه عبد الملك الاموى، و كان رجلا تقيا يلقب بسعيد الخير، و قد تولى الموصل حينا من الزمن. و قد وصف المقدسى مدينه الرحبه فقال هى اجل مدن ناحيه الفرات، فى الجزيره، و كانت دورها «من نحو الباديه طيلسان» و لها حصن منيع و ربض كبير. اما الداليه فكانت اصغر منها حسنه فوق شرف من الارض على شاطئ الفرات فى غربيه.

و فى الباديه، بين الرحبه و الرقه: الرصافه- و ما زالت بقاياها على أربعه فراسخ جنوب الرقه و كانت تسمى رصافه الشام أو رصافه هشام نسبه الى بانيها . فقد بنى الخليفه هشام احد ابناء عبد الملك هذا القصر له فى الباديه لما وقع الطاعون بالشام اتقاء شره. و كان يسكن فى هذا الموضع ملوك غسان قبل الاسلام. و ذكر ياقوت ان فى الرصافه آبارا طول رشاء كل بئر مئه و عشرون ذراعا و أكثر. و ذكرها ابن بطلان الطبيب فى رساله له كتبها سنه ۴۴۳ (۱۰۵۱) بقوله: فيها «بيعه عظيمه أنشأها قسطنطين الملك، ظاهرها بالفص المذهب.

و تحت البيعه صهريج فى الارض على مثل بناء الكنيسه معقود على اساطين الرخام. و سكان هذا الحصن أكثرهم نصارى (فى المئه الخامسه- الحاديه عشره) معاشهم تخفير القوافل و جلب المتاع و الصعاليك مع اللصوص» فكانوا يرافقون القوافل فى اجتيازها الباديه الى حلب. و كان فى شرقى الفرات، بين الرقه و قرقيسياء، على يومين فوق قرقيسياء، الخانوقه.

و هی علی ما ذکر ابن حوقل مدینه «رزحه الحال». و زاد یاقوت علیه ان بالقرب منها أرض «المضیق».

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۳۸

و لم یکن فی اقلیم الجزیره اسفل من قرقیسیاء، مدینه ذات شأن غیر عانه و هی اناتوAnatho القدیمه و ما زالت تری فی الخارطه العصریه .

و قد ذکرها ابن سرابیون فقال ان الفرات یدور بها و تصیر جزیره فیها مدینه. اما ابن حوقل فقال ان عانه «فی وسط الفرات و یطوف بها خلیج من الفرات». و زاد یاقوت علی ذلک ان «بها قلعه حصینه مشرفه علی الفرات» و الیها التجأ القائم بأمر اللّه فی سنه ۴۵۰ (۱۰۵۸) حین استولی البساسیری الدیلمی علی بغداد و أمر باقامه الخطبه فی غیبته باسم خلیفه مصر الفاطمی. و قال المستوفی ان عانه کانت حتی المئه الثامنه (الرابعه عشره) مدینه حسنه ذات نخیل و فرضتها تعرف بفرضه نعم و هی الی غرب عانه علی الفرات فی وسط المسافه بین عانه و قرقیسیاء و لعلها عند المنعطف الشرقی للفرات و لکنها لا تری الیوم بالخارطه. و کانت هذه الفرضه محطه مهمه عند منقسم الطریق، فیقطع ایسره البادیه مارا بالرصافه ثم الی الرقه رأسا و یصعد الطریق الایمن مع النهر .

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۳۹

و کان علی الفرات فوق الرقه، ثلاث مدن و هی: بالس، و جسر منبج و سمیساط. و قد کانت تحسب جمیعا من أعمال الشام فی الغالب، لوقوعها فی یمین الفرات، أی فی جانبه الغربی. و ان عدها أکثر المؤلفین من أعمال الجزیره.

و کانت بالس فی غرب الرقه عند حد ارض صفین حیث یتجه الفرات شرقا بعد

جريانه الى الجنوب. و هى بربلسس(Barbalissus) عند الرومان، و كانت فرضه عظيمه لأهل الشام على الفرات، و من ثم كانت مركزا لكثير من طرق القوافل. و قد وصف ابن حوقل مدينه بالس فقال «عليها سور ازلى و لها بساتين فيما بينها و بين الفرات. و أكثر غلاتها القمح و الشعير». و هى و ان كان الخراب قد امتد اليها، فقد قال المقدسى فى المئه الرابعه (العاشره) انها ما زالت عامره. على ان ياقوت الحموى ذكر ان الفرات فى المئه السابعه (الثالثه عشره) «لم يزل يشرّق عنها قليلا- قليلا- حتى صارت بينهما فى أيامنا هذه أربعه أميال».

و لمّح ابو الفداء الى بالس فقال انها «بلده كانت مسكونه».

و جسر منبج، على الفرات و منه يصعد طريق يغرّب الى منبج «هيرابوليس»(Hierapolis) من أعمال حلب و كانت موضعا ذا شأن فى القرون الوسطى.

و عند الجسر «قلعه حصينه تحتها ربض عامر مطله على الفرات». و يقال لهذه القلعه قلعه النجم لأنها على جبل و كانت تسمى أيضا حصن منبج. و لما مرّ ابن جبير بقلعه النجم و هو آت من حران فى سنه ۵۸۰ (۱۱۸۴) قال «حولها ديار باديه و فيها سويقه». و قال ابو الفداء ان بناء القلعه «صار يعرف بقلعه نجم و هو من بناء السلطان (نور الدين) محمود بن زنكى و كانت مسلحه تشدد النكير على ما فى يد الصليبيين من مدن». و ذكر القزوينى، و قد كتب فى النصف الاخير من المئه السابعه (الثالثه عشره)، حكايه طويله عن «طائفه يتعانون أنواع القمار.

فاذا رأوا غريبا أظهروا انهم مرمدين (كذا) و يلعبون دونا ليظن الغريب انهم فى طبقه نازله يطمع فيهم و يخرجون المال اذا قمروا من غير

اکتراث فتتوق نفس الغریب ان یلعب معهم فکلما جلس لا یترکونه یقوم و معه شی ء حتی سراویله.

و ربما ان استرهنوا نفسه و منعوه من الذهاب حتی یأتی أصحابه و یؤدون عنه و یخلصونه».

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۴۰

و سمیساط، و هی سموساطا(Samosata) عند الرومان، أعلی هذه المدن علی الفرات فی ضفته الیمنی أی الشمالیه. و عند هذه المدینه ینحرف النهر الی الغرب. و قد کانت قلعه حصینه مکینه. و ذکر المسعودی ان سمیساط کانت تعرف أیضا بقلعه الطین. و روی یاقوت فی المئه السابعه (الثالثه عشره) ان «شقا من قلعتها یسکنه الارمن». و یحسن بنا أخیرا ان نذکر مدینه سروج استکمالا لما وصفنا من مدن دیار مضر. فقد کانت فی نحو نصف الطریق الضارب شمالا من الرقه، قاطعا البریه الی سمیساط. و یکون هذا الطریق وترا لنصف الدائره العظیمه التی یؤلفها مجری الفرات. و کانت سروج أیضا علی طریق القوافل من حران و الرها الی جسر منبج. و قد قال فیها ابن حوقل انها مدینه عامره خصبه، و أیده یاقوت فی ذلک دون ان یزید شیئا .

اما مدن دیار بکر، و هی اصغر الدیار الثلاث التی یتألف منها اقلیم الجزیره، فان کلها علی دجله الاعلی أو فی شمالیه. و کانت قصبه هذه الدیار: آمد و تکتب أحیانا حامد و هی آمدا(Amida) عند الرومان. و ثم اشتهرت بعد تلک الازمان باسم دیار بکر، و هو ما تعرف به الیوم أیضا. و قیل لها أیضا قره آمد (أی آمد السوداء) لان حجاره بنائها سود.

و مدینه آمد، فی غربی دجله أی یمینه، و یطلّ علیها جبل علوه مئه قامه . قال ابن حوقل «علیها

سور اسود من حجاره الارحيه». و وصف المقدسى آمد فقال «بلد حصين حسن عجيب البناء على عمل انطاكيه ... له أبواب و عليه شرف بينه و بين الحصن فضاء» نشأت فيه أرباض بعد ذلك. و فى آمد عيون. و أشار المقدسى أيضا الى انها بنيت «بحجاره سود صلبه و كذلك أساسات الدور. و فى وسط البلد: الجامع. و لأسوارها خمسه أبواب: باب الماء و باب الجبل و باب الروم و باب التلّ و باب السر يحتاج اليه وقت الحرب». و كان بعض

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۴۱

الحصن- على ما أشار المقدسى فى المئه الرابعه (العاشره)- على الجبل ثم قال «لا أعرف للمسلمين اليوم بلدا أحصن و لا ثغرا أجل منها» فى تخوم المسلمين بوجه الروم.

و فى سنه ۴۳۸ (۱۰۴۶) مرّ ناصر خسرو الحاج الفارسى بآمد و دوّن و صفا دقيقا للمدينه حسبما رآها بنفسه، فكان طول المدينه ألفى خطوه و عرضها مثل ذلك. و سورها من الحجاره السود يحيط بالتل المشرف عليه. و علو هذا السور عشرون ذراعا و ثخنه عشر أذرع و أكثر حجارته ملتصق بعضه ببعض من غير طين أو جص، اذ كل حجر منه على قول ناصر خسرو يزن ألف من (و يعادل ذلك نحو ثلاثه أطنان). و على بعد كل مئه ذراع من السور بنى برج نصف دائرى تنتهى قمته بشرفات من الحجاره السود أنفسها. و قد شيد فى عده أماكن داخل السور مراق من الحجر يصعد بها الى أعلى السور. و كان فيه أربعه أبواب حديد تقابل الجهات الاصليه، يسمى الباب الشرقى باب دجله، و الشمالى باب الارمن، و الغربى باب الروم، و الجنوبى باب التل.

و خارج هـذا السور سور آخر من الحجر نفسه علوه عشـر أذرع. و فی الفصـيل بينهما ربض كالحلقه عرضه ۱۵ ذراعا. و كان من فوق هـذا السور شـرفات و مرقاه للـدفاع. و كان له أيضا أربعه أبواب حديد تناظر أبواب السور الداخل. و زاد ناصـر خسـرو على ذلک انه لم ير امنع من آمد.

و فی وسـط المـدينه عين يتفجر ماؤها من الحجر الاصم. و هـذا الماء من الغزاره بحيث يكفی فی اداره خمس أرحاء، و هو غايه فی العذوبه. و تسقی البساتين المجاوره من هذا الماء. و مسجدها الجامع جميل البناء و هو من الحجر الاسود كسائر المدينه. و قد أقيم فی وسـطه أكثر من مئتی ساريه من الحجر كل ساريه قطعه واحده. و يعلو هذه السواری عقود من الحجر نصـبت فوقها سوار أقصر من تلک. و جميع سقوف المسجد من الخشب المحفور و المنقوش و المدهون.

و فی صـحن الجـامع حوض مسـتدير من الحجر فی وسـطه أنبوب من النحـاس ينفر منه مـاء صاف. فيبقی الماء فی الحوض على مستوی واحد فی كل الاوقات.

و بالقرب من الجامع كنيسه عظيمه مبنی كلها من الحجر و قد فرشت أرضها

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۴۲

بالرخام. و جدرانها غنيه بالزخارف. و رأی ناصر خسرو فيها بابا جميلا من الحديد المشبک يؤدی الی مذبحها لا نظير له.

و قـد أيد المعلق المجهول على مخطوطه باريس من كتاب ابن حوقل ما ذكرناه عن روعه مدينه آمد و جلالها فی تعليقاته أيضا. فقد كان هذا المعلق فی آمد سـنه ۵۳۴ (۱۱۴۰) و ذكر ان أسواقها حسـنه عامره . و فی المئه السابعه (الثالثه عشـره) أعاد ياقوت و القزوينی أكثر الوصف

المتقـدم. فقال القزوينى فى آمـد ان دجله فى ايامه «... محيطه بها من جوانبها الا من جهه واحـده على شـكل الهلال و انها كثيره الاشجار و البساتين» و كتب المستوفى بعد ذلك بقرن فقال انها بلده وسط و كان ما تؤديه لحكومه الايلخانيين ثلاثه آلاف دينار . و استولى تيمور عليها فى ختام هذا القرن .

و فى شـمال آمـد على مقربه من أحـد السواعـد الشـرقيه فى أعالى دجله، مدينه حانى. ذكر ياقوت ان «فيها معدن الحديد و منها يجلب الى سائر البلاد». و ذكر المسـتوفى مـدينه حانى أيضا. و على بعـد قليل من غربها «اصل دجله العراق فانها تخرج من تحت كهف الظلمات ماء أخضـر» على حسب وصف المقدسـى. و قال «أول مبداها- أى دجله- لا تدير أكثر من رحى واحده. أول ما يختلط بها نهر الـذئب» و هو نهر الكلاب عنـد ياقوت على ما يظهر. و كان يخرج من الجبال قرب شـمشاط شـمالى حانى. و أول مخرج دجله فيما قال ياقوت، على مسـيره يومين و نصف من آمـد، من موضع يعرف بهلورس «و هو الموضع الـذى استشـهد فيه على الارمنى». و تكلم أيضا على الكهف المظلم الذى يخرج منه ماؤه. و ذكر المقدسـى و ياقوت اسـماء سواق و رواضع و انهار كثيره ليس من الهين التوفيق بين اسـمائها التى سـردها المقدسـى و سـردها ياقوت فى كلاميهما عليها. و لعل هذه الاسماء تبدلت تبدلا كبيرا فيما بين المئه الرابعه و المئه السابعه (العاشره و الثالثه عشره).

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۴۳

و على شى ء يسير اسفل من آمد، يشرّق نهر دجله فيكون على هيئه زاويه قائمه ثم ينصب فيه من شماله نهر

يقال له نهر الرمس أو نهر الصلب. غير ان أعظم الانهار المنصبه فيه: النهر المنحدر من شمال ميافارقين، و يتفرع منه نهر يسقى هذه المدينه و هو نهر ساتيدما أو ساتيدماد و كان أحد فروعه يسمى وادى الزور الآخذ من انحاء الكلك. اما نهر ساتيدما، فأول مائه من درب الكلاب.

و انما سمى بذلك، على ما ذكر ياقوت، لأن الروم قتلهم انوشروان «قتل الكلاب» و قد وقعت هذه الحادثه قبيل مولد النبى محمد. و نهر ساتيدما هذا الذى ذكره ابن سرابيون هو ما سماه المقدسى بنهر المسوليات و هو المعروف اليوم باسم بطمان صو و أحد روافده على ما بيّنا ينحدر من ميافارقين .

و الظاهر ان ميافارقين العربيه تحريف لاسم ميفركت(Maypharkath) الارامى أو موفركن(Moufargin) الارمنى. و سماها اليونان مرتيروبولس(Martyropolis) . و قد ذكرها المقدسى فى المئه الرابعه (العاشره) فقال «بلد طيب حصين له شرف و فصيل بحجاره و خندق بها ربض فيه الجامع». و لكن المقدسى لمح الى انها «قليله البساتين». و زار ناصر خسرو ميافارقين فى سنه ۴۳۸ (۱۰۴۶) و تكلم على المدينه قائلا ان عليها سورا عظيما من الحجر الابيض الذى يزن الحجر منه خمسمئه مّن (نحو طن و نصف طن). و بينما كانت آمد مبنيه بالحجر الاسود، على ما قد بيّنا، كانت مبانى ميافارقين كلها من الحجر الابيض. و كان سورها فى أيامه كأنه بنى اليوم. و فى أعلاه شرفات. و على بعد كل خمسين ذراعا منه برج عظيم من الحجر الابيض نفسه. و لهذه المدينه باب من ناحيه الغرب ركب فيه باب من حديد لا خشب فيه. و كان فيها على ما ذكر ناصر خسرو مسجد جامع حسن البناء و مسجد ثان

فی الربض ظاهر المدینه یقوم فی وسط الاسواق و یلیه بساتین کثیره. و زاد علی ذلک ان فی ناحیه الشمال، علی شی ء یسیر من میافارقین، مدینه أخری تسمی المحدثه، بها مسجدها الجامع و حماماتها و أسواقها. و علی اربعه فراسخ من میافارقین مدینه النصریه بناها مرداسد

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۴۴

أمیر نصر الملقب بشبل الدوله .

و أسهب یاقوت و القزوینی فی حدیثهما عما کان فی میافارقین قدیما من مختلف البیع و عن أبراجها الثلاثه و أبوابها الثمانیه. و قال یاقوت ان اسمها عند الروم مدور صالا- و معناه بالعربیه مدینه الشهداء. و یرجع تاریخ هذه المبانی الی ایام الملک ثیودسیوس. و کان بها من بقایا هذه البیع حتی المئه السابعه (الثالثه عشره) بیعه «من عهد المسیح». «و فی برج فی الرکن الغربی القبلی فی أعلاه صلیب منقور کبیر یقال انه مقابل البیت المقدس. و علی بیعه القیامه فی البیت المقدس صلیب مثل هذا مقابله و یقال ان صانعهما واحد». و الی ذلک فقد «کان فی المحله المعروفه بزقاق الیهود فی میافارقین قرب کنیسه الیهود جرن من رخام اسود فیه منطقه زجاج من دم یوشع بن نون و هو شفاء من کل داء ... جی ء به من رومیه الکبری». و لما انتقلت میافارقین فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) الی ید المغول کانت ما زالت موضعا ذا شأن. و قد أطری المستوفی طیب هوائها و وفره فاکهتها .

و ارزن، علی شی ء یسیر من میافارقین، علی الضفه الغربیه لنهر أو واد یقال له سربط. و لأرزن حصن عظیم منیع. و قد زارها ناصر خسرو فی سنه ۴۳۸ (۱۰۴۶) فقال انها مدینه عامره فیها أسواق

حسنه و تحف بها بساتين يانعه كثيره الماء. و ذكر ياقوت مدينه أرزن (و لا يخلط بينها و بين ارزن الروم أو ارضروم التى سنصفها فى الفصل الآتى) بقوله: «بلغنى ان الخراب ظاهر فيها الآن» غير ان المستوفى فى المئه الثامنه (الرابعه عشره)- و قد كتبها بصوره ارزنه- تكلم عليها بما يستدل منه على انها ما زالت بلدا مزدهرا عامرا.

و على ضفه الفرات الجنوبيه، بين مصبى النهرين الآتيين من شمال ميافارقين و ارزن، حصن يعرف بحصن كيفا. و سماه الروم كيفس(Kiphas) أو كيفى

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۴۵ (Cephe)

. و وصف المقدسى حصن كيفا بانها «كثيره الخير و بها قلعه حصينه و كنائس كثيره». و تكلم المعلق المجهول على مخطوطه ابن حوقل الذى أشرنا اليه قبلا، و قد كتب تعليقاته فى المئه السادسه (الثانيه عشره) على قنطره كانت «بين يديها على دجله، استحدثها الامير فخر الدين قرا ارسلان فى سنه ۵۱۰ (۱۱۱۶) و تحتها ربض عامر فيه الاسواق و الفنادق و المساكن الحسنه و بناؤهم بالحجر و الجص. و لها رساتيق كثيره و ضياع عامره و هى و خمه الهواء و بيئه لا سيما فى الصيف». و ذكر ياقوت حصن كيفا و قد زارها فقال: «بلده و قلعه عظيمه مشرفه على دجله و هى كانت ذات جانبين، و على دجله قنطره لم أر فى البلاد التى رأيتها أعظم منها» و هى طاق كبير فوقه طاقان صغيران، و على ما يظن انهما كانا يقومان على دعامه فى وسط النهر قسمت دجله الى قسمين . و وصف المستوفى حصن كيفا بعد ذلك بقرن بانها مدينه عظيمه و لكن الخراب ظاهر فيها

و ان كانت آهله بالناس حينذاك.

اما التل المعروف بتل فافان، ففى أسفله مدينه بهذا الاسم على ضفه دجله الشماليه أى اليسرى، على نحو خمسين ميلا شرق حصن كيفا حيث ينعطف النهر انعطافا عظيما نحو الجنوب. و كان حول المدينه، على ما ذكر المقدسى، فى المئه الرابعه (العاشره)، بساتين. و أسواقها عامره و بناؤها و ان كان من طين الا ان اسواقها كانت مغطاه، و النهر الذى يلتقى بدجله عند تل فافان ينحدر من بدليس (بتلس) و مخرجه فى جبال ارمينيه جنوب غربى بحيره و ان. و يقترن بهذا النهر رافد عظيم ينبع من جنوب البحيره سماه المقدسى و ياقوت: وادى الرزم. و يصير دجله اسفل اقترانهما فى مجرى واحد صالحا لسير السفن.

و على ضفاف نهر الرزم شمال تل فافان و فوق مصب نهر بدليس فيه، مدينه سعرت أو سعرد أو اسعرت. و كانت تعد فى الغالب من أعمال ارمينيه. أشار اليها ياقوت غير مره و لكنه لم يصفها. على ان المستوفى قال فى سعرت انها مدينه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۴۶

عظيمه مشهوره بآنيتها النحاس الفاخره التى يصنعها الصفارون هناك، و باقداح الشرب التى تجلب منها. و كان بقرب اسعرت، على ما ذكر القزوينى، بليده يقال لها حيزان «و بها الشاه بلوط و ليس الشاه بلوط فى شى ء من بلاد الجزيره ... و العراق الا بها» .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۴۷

الفصل الثامن الفرات الأعلى

الفرات الشرقى أى ارسناس- ملاسكرد و موش- شمشاط و حصن زياد اى خربوط- الفرات الغربى- ارزن الروم أى قاليقلا- ارزنجان و كمخ- قلعه ابريق أى تفريك(Tephrike) - ملطيه و طرنده- زبطره و الحدث- حصن منصور و

بهسنا و قنطره سنجه- تجارات الجزيره و غلاتها- المسالك.

كانت المدن و الكور التى تحفّ بضفاف الفرات الاعلى، الشرقى و الغربى (فان لنهر الفرات منبعين) تعد بوجه عام تابعه لشمالى ما بين النهرين، بل كانت فى الغالب تضاف الى اقليم الجزيره. و الفرات الشرقى هو أقصى الاثنين جنوبا، و يرى بعض البلدانيين انه منبع الفرات الأصلى و قد ذكره تاسيتس(Tacitus) و بلنى(Pliny) باسم نهر ارسنياس فلومن(Arsanias Flumen) و سمى ابن سرابيون هذا النهر فى المئه الرابعه (العاشره) بنهر ارسناس.

و ذكره ياقوت أيضا بهذا الاسم حتى لكأنه ظل مستعملا حتى المئه السابعه (الثالثه عشره) و قال انه «يوصف ببروده مائه». و يعرف هذا النهر اليوم عند الترك باسم مراد صو و سمى بذلك، على ما يقال، اكراما للسلطان مراد الرابع الذى استولى على بغداد فى سنه ۱۰۴۸ (۱۶۳۸).

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۴۸

و مخرج نهر ارسناس فى بلاد طرون، و يكتب الارمن هذا الاسم بصوره درون(Daron) و عرفها الروم باسم ترونيتس(Taronites) و فيها الجبال التى الى شمال بحيره و ان. و أول موضع ذى شأن على نهر ارسناس: مدينه ملازكرد، و تعرف أيضا حسب لغات هذه الانحاء باسم منازجرد و منزكرت و ملاسكرد . و وصف المقدسى ملازكرد فى المئه الرابعه (العاشره) بانها «حصينه، الجامع على حافه السوق، كثيره البساتين». و فى منزكرت، على ما سماها به الروم، وقعت سنه ۴۶۳ (۱۰۷۱) وقعه فاصله بين الروم و المسلمين، أسر فيها السلاجقه الملك رومانس الرابع (ديوجينس)، و أدت هذه الوقعه الى فتحهم آسيه الصغرى و قرارهم فيها. و أشار ياقوت غير مره الى منازجرد أو منازكرد. و أطرى المستوفى، و قد كتب اسمها بصوره

ملازجرد، حصنها المنيع و هواءها الطيب و أرضها الخصبه. و كانت مدينه موش فی جنوب ارسناس فی السهل العظيم غرب بحيره و ان، و تحسب فی الغالب من أعمال ارمينيه. و قد ذكرها ياقوت و وصفها المستوفی فقال: فيها مراع غنيه تسقيها انهار تجری شمال الفرات الشرقی و جنوب دجله، و كانت المدينه فی أيامه خرابا .

و يصب فی يمين نهر ارسناس رافدان ينحدران من الشمال من بلاد قاليقلا.

و هذان الرافدان مهمان لأنهما يمكّناننا من تعيين الموضع التقريبی لشمشاط و هی مدينه ذات شأن قد اختفت من الخارطه. و كثيرا ما يلتبس أمرها بسميساط التی علی الفرات و قد مرّ ذكرها (ص ۱۴۰) و روی ابن سرابيون ان الرافد الاول كان نهر الذئب و مخرجه فی قاليقلا و يصب فی ارسناس فوق مدينه شمشاط بشی ء يسير.

و الثانی نهر يقال له السلقط. مخرجه من جبل مرور (أو مزور) و يصب فی ارسناس اسفل مدينه شمشاط بميل. و اذا رجعنا الی الخارطه رأينا ان هذين النهرين يعرف أحدهما الآن باسم كونك صو(Gunek Su) و الثانی پری چای

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۴۹ (Peri Chay)

و بلاد قاليقلا هی منطقه الجبال، ما بين ارسناس و الفرات الغربی، و الی غربها بلاد طرون.

و كانت شمشاط (شمشاط) اجل مدينه علی ارسناس و هو النهر الذی سماه ابن سرابيون نهر شمشاط أيضا. و يبدو ان المدينه كانت علی الضفه الجنوبيه أی اليسری للنهر. و لا ريب ان شمشاط هی ارسموساطا(Arsamosata) عند الروم.

و ذكر ياقوت- و قد نبّه بوجه خاص الی انها غير سميساط- ان شمشاط بين بالويه (پالو الحديثه) و حصن زياد (خربوط الحديثه) و كانت

شمشاط فی المئه السابعه (الثالثه عشره) حین کتب یاقوت، قد خربت. و ما افادنا به ابن سرابیون و یاقوت مکننا من حصر موضعها فی أضیق نطاق. و کان حصن زیاد، و قد ذکر ابن خرداذبه انه علی بعد غیر کبیر من شمشاط، الاسم العربی لخرتبرت المدینه الارمنیه علی رأی یاقوت، و تعرف الیوم باسم خربوط. و أورد المستوفی هذا الاسم بصوره خربرت و لم یزد علی ذلک. و اشارته لا تعدو کونها مدینه کبیره طیبه الهواء. و ذکر البلاذری و غیره من المصنفین الاوائل ان فی هذه الارض جسر یغرا فوق نهر لعله من روافد ارسناس، و هو من شمشاط علی نحو من عشره أمیال. علی ان موضع الجسر الحقیقی غیر معروف. ثم ان ارسناس، أی الفرات الشرقی، یختلط بالفرات الغربی علی نحو مئه میل غرب شمشاط .

و کان الفرات الغربی یعدّ بوجه عام اصل هذا النهر العظیم، و یعرف الآن عند الترک باسم قره صو «الماء الاسود» و هو نفسه نهر الفرات عند ابن سرابیون.

ذکر ابن سرابیون ان أوله من جبل یقال له جبل أقردخس (و الظاهر ان هذا الاسم کتبه المسعودی بصوره افردخس کما وردت صور أخری له) فی بلاد قالیقلا شمال ارزروم. و ارزروم مدینه جلیله سمّاها العرب ارزن الروم أو ارض الروم و قد عرفها الارمن باسم کرن Karin و الروم باسم ثیود سیوبولیس (Theodosiopolis) و هی المدینه الاسلامیه فی بلاد قالیقلا و أکبر مدنها.

و الظاهر ان اصل اسم قالیقلا، و هو ما أکثر البلدانیون العرب القدماء من ذکره،

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۵۰

غیر معروف. الا انهم یجمعون علی انها کانت البلاد التی یخرج منها الفرات الغربی و نهر الرس (Araxes)

و روافد ارسناس. و لم يأت البلدانيون العرب الأول بشى ء من التفصيل عن مدينه ارزروم ما عدا قولهم انها كانت مدينه عظيمه. و قال المستوفى ان فيها كثيرا من البيع الحسنه، كان لاحداها بوجه خاص قبه قطر دائرتها خمسون ذراعا، و كان بازاء هذه الكنيسه جامع شيّد على غرار الكعبه فى مكه. و وصفها ابن بطوطه، و كان فى ارز الروم (حسبما كتب الاسم)، فى سنه ٧٣٣ (١٣٣٣) بأنها «مدينه كبيره الساحه من بلاد ملك العراق، خرب أكثرها، و فى أكثر دورها بساتين و يسقيها ثلاثه انهار». و على ثمانيه فراسخ شرق ارزن الروم: أونيك و هى قلعه عظيمه فوق قمه جبل بالقرب من أحد منابع نهر الرس. و قال المستوفى ان المدينه التى فى لحفه كانت تسمى ابسخور (أو ابشخور) و كانت من أعمال ارزن الروم. و زاد ياقوت على ذلك ان كورتها كانت تسمى باسين. و فى ختام المئه الثامنه (الرابعه عشره) استولى تيمور على اونيك بعد حصار مديد، و قد كثر ذكرها فى أخبار حروبه.

و على نحو مئتى ميل غرب ارزن الروم، فى ضفه الفرات اليمنى، أى الشماليه، مدينه ارزنجان. قال ياقوت انها غالبا ما تسمى ارزنكان. و تكلم عليها قائلا- «هى بلده طيبه مشهوره نزهه كثيره الخيرات و غالب أهلها أرمن، و شرب الخمر بها ظاهر و فيها مسلمون». و زاد المستوفى عليه ان السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقى قد جدد عماره أسوارها فى ختام المئه السابعه (الثالثه عشره) فبناها من حجاره مهندمه متلاحمه. و ارزنجان ذات هواء طيب و يكثر فيها القمح و القطن و العنب. و أشار ابن بطوطه، و قد مرّ بها فى سنه ٧٣٣ (١٣٣٣)، الى ان

«أكثر سكانها الارمن و المسلمون يتكلمون بها بالتركيه، و فيها معادن النحاس و يصنعون منه الاوانى و غيرها. و لها أسواق حسنه الترتيب و يصنع بها ثياب حسان تنسب اليها». و ذكر ياقوت بابرت فى شمال ارزنجان و قال انها مدينه حسنه أكثر أهلها أرمن. و قد زاد المستوفى عليه ان شأنها ضؤل فى أيامه. و قلعه كمخ

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۵۱

(كمخ) على الفرات الغربى على مسيره يوم أسفل من ارزنجان فى يسار النهر أى فى ضفته الجنوبيه. و قد أكثر ذكرها ابن سرابيون و غيره من البلدانيين العرب الاقدمين. و هى كمخا(Kamcha) عند الروم. و قال المستوفى انها قلعه عظيمه فى اسفلها مدينه على ضفه النهر، و كان من أعمالها كثير من القرى الخصبه .

و على ستين ميلا- أو أكثر غرب كمخ يزوّر الفرات جنوبا بعد ان كانت وجهه مجراه من ارزروم نحو الغرب، و يصب فى ضفته اليمنى هنا نهر سماه ابن سرابيون نهر ابريق نسبه الى قلعه ابريق القائمه فى أعاليه. و هذا هو النهر المعروف الآن بنهر جلته ايرمق الآتى من دوريك أى ديوريكى. و جاء الاسم فى المستوفى و ابن بيبى بصوره دفريكى. و قد كتبه الروم بصوره تفريك(Tephrike) (و ذكر الاسم أيضا فى المخطوطات اليونانيه بصوره افريك(Aphrike) و قد اختصر البلدانيون العرب القدماء هذا الاسم فجعلوه بصوره ابريق. و اشتهر هذا الموضع فى ختام المئه الثالثه (التاسعه) بكونه معقلا- عظيما للبيالقه(Paulicians) و هم فرقه غريبه من فرق نصارى الشرق و مذهبهم بين النصرانيه و المجوسيه، فاضطهدهم بسبب ذلك ملوك القسطنطينيه الارثودكس اضطهادا شديدا. و كانوا على المذهب الذى أحدثه بولس الشمشاطى. و عرفهم العرب

بالبيـالقه. و قـد اسـتولى البيالقه على تفريك و حصـنوها. و كان الخلفاء يؤازرونهم و يعينونهم فتمكنوا من رد جنود القسـطنطينيه بضع سـنين. و ذكر قـدامه و المسـعودى و همـا من زمن واحـد تقريبـا، ان «البيلقـانى صاحب مـدينه ابريق». و انتهى الينا من على الهروى (و قد نقل منه ياقوت) و هو من كتبه المئه السابعه (الثالثه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۵۲

عشـره) حـديث غريب عن كهف عظيم و كنيسه قرب الابروق (بحسب تسـميه ياقوت) فيه جثث جماعه من الشـهداء، و هم على زعمه اصحاب الكهف السبعه فى افسوس.

و على شـى ء يسـير من جنوب جلته ايرمق و ديوريـك، يلتقى نهر صـارى جيجك هو و الفرات، و عليه قلعه عرب گير. و الظاهر ان هذا الموضع لم يشـر اليه أحد من البلدانيين العرب القدماء، و ان كان ابن بيبى قد ذكره غير مره فى تاريخه عن السـلاجقه فى المئه الثامنه (الرابعه عشـره). و يرى الاسم أيضا فى التواريخ البزنطيه بصوره(Arabraces) . و على كـل حال فان عرب گير لا تمثل ابريق و تفريك كما توهم فى ذلك بعضـهم. و الظاهر ان اقـدم ذكر لاسم عرب گير أو عرب كير عنـد بلـدانى مسـلم، فى جهان نما التركيه للحاج خليفه، فى مطلع المئه الحاديه عشـره (السابعه عشـره). و قد ذكر أيضا ديوريكى (على ما تسـمى المدينه اليوم). و مما يؤسف عليه انه لم ينته الينا وصف ما عن حصن البيالقه القديم .

و ملطيه، و قد سماها الروم مليتين(Melitene) كانت فى الازمنه الخاليه من اجل الثغور الاسلاميه امام الروم. روى البلاذرى انه كان لها مسلحه تحمى الجسر الذى على ثلاثه أميال منها، و هناك يقطع الطريق العام

نهر القباقب بالقرب من ملتقاه بالفرات. و القباقب هو النهر المعروف عند الروم باسم ملاس(Melas) و يسميه الترك اليوم طوخمه صو. و منبعه فى غرب ملطيه بعيدا عنها فى الجبل الذى منه يخرج نهر جيحان. و هو نهر بيرامس(Pyramus) القديم و ينحدر نحو الجنوب الغربى (على ما سنبينه فى الفصل الآتى) الى البحر المتوسط فى خليج اسكندرونه. و نهر القباقب أهم روافد أعالى الفرات بعد ارسناس. و لنهر القباقب نفسه روافد كثيره ذكر ابن سرابيون اسماءها. و قد أمر الخليفه المنصور فى سنه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۵۳

۱۳۹ (۷۵۶) بتجديد بناء ملطيه و بناء مسجد حسن فيها و بنى لها مسلحه اسكنها اربعه آلاف مقاتل. و وصفها الاصطخرى فى المئه الرابعه (العاشره) بقوله:

«مدينه كبيره و تحّف بها جبال كثيره بها مباح الجوز و اللوز و الكروم و سائر الثمار الشتويه و الصيفيه». و قد تعاورتها غير مره ايدى الروم و المسلمين.

و عدّها ياقوت فى المئه السابعه (الثالثه عشره) من بلاد الروم. و تكلم المستوفى بعده بقرن على ملطيه فقال انها مدينه حسنه ذات حصن منيع. و كانت مراعيها مشهوره و يكثر فيها القمح و القطن و الفواكه. و كان على قله جبل قرب ملطيه دير يسمى دير برصوما، وصفه القزوينى فقال انه دير معتبر عند النصارى و فيه كثير من الرهبان.

و حصن طرنده، درنده الحديثه- و جاء فى جهان نما بهذه الصوره- فى أعالى نهر القباقب على مسيره ثلاث مراحل فوق ملطيه. و كانت فيه مسلحه اسلاميه لحمايه الدرب منذ سنه ۸۳ (۷۰۲) و لكن المسلمين تخلوا عن هذا الحصن فى سنه ۱۰۰ (۷۱۹) بأمر الخليفه عمر الثانى (عمر بن عبد

العزيز) و ذكرت التواريخ البزنطيه هذا الموضع غير مره باسم ترنته(Taranta) و قد كان فى المئه الثالثه (التاسعه) من أقوى حصون البيالقه .

و لنهر قباقب رافد كبير هو نهر قراقيس و يصب فيه من جنوبه. و فى أعالى قراقيس حصن زبطره العظيم و يقال له عند الروم سوزبطره(Sozopetra) أو زبطره(Zapetra) و لعل أطلاله هى ويران شهر على بضعه فراسخ جنوب ملطيه على نهر سلطان صو و هو الاسم الحديث لقراقيس. و تكلم البلاذرى و الاصطخرى على زبطره فذكرا انها حصن عظيم «من أقرب الثغور الى بلد الروم» خربه الروم غير مره ثم بناه الخليفه المنصور و بعده المأمون. و قد جمع

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۵۴

ياقوت و غيره من الثقات بين اسمى زبطره و قلعه الحدث التى سنذكرها قريبا.

و اشتهرت زبطره أو سوزبطره فى التواريخ العربيه و البزنطيه باستيلاء الملك ثيوفيلس(Theophilus) عليها و استعاده الخليفه المعتصم لها فى حملته على عموريه، على ما سيأتى ذكره فى الفصل القادم. و ظلت زبطره وقتا طويلا موضعا ذا شأن. الا ان ابا الفداء حين زارها فى سنه ۷۱۵ (۱۳۱۵) قال «ان زبطره اليوم خراب خاليه من الزرع و السكان و لم يبق منها غير رسم سورها و ليس بالكثير». حتى ان ابا الفداء اصطاد «من ارض زبطره بين شجر البلوط صيودا كثيرا و هى أرانب كبار الى الغايه لا يوجد فى الشام أرانب تقاربهن فى القدر».

و قال «هى فى الجنوب من ملطيه على نحو مرحلتين و هى فى جهه الغرب عن حصن منصور» الذى سنصفه فيما يأتى .

و قلعه الحدث و هى اداتا(Adata) عند الروم، قد استولى عليها المسلمون فى أيام الخليفه عمر و

لها ذكر كثير فى الاخبار. و معنى «الحدث» فى العربيه «الخبر» و لا سيما «الخبر المحزن». و قال البلاذرى ان الدرب، و كان يقال له درب الحدث، قد سمى بدرب السلامه بعد استيلاء المسلمين على هذا الحصن.

و على كان فان اسم درب السلامه على ما سنبينه فى الفصل الآتى يطلق فى الغالب على طريق القسطنطينيه الذى يجتاز الابواب القليقيه. و كان فى الحدث جامع.

و قد جدد الخليفه المهدى عماره الحدث فى سنه ۱۶۲ (۷۷۹) ثم أعاد هرون الرشيد عمارتها و اسكنها الفى مقاتل من جنده. و نوه الاصطخرى بكثره خيراتها.

و روى ان الروم و المسلمين قد تناوبوا الاستيلاء عليها غير مره. و على ما ذكر ياقوت و غيره كان يقال للحدث: الحمراء، لاحمرار تربتها و قلعتها على جبل يقال له الأحيدب. و فى سنه ۳۴۳ (۹۵۴) بعد ان تعاورتها أيدى المسلمين و الروم، استعادها سيف الدوله الحمدانى نهائيا فجدد عمارتها، ثم انتقلت الى يد مسعود بن قلج ارسلان السلجوقى فى سنه ۵۴۵ (۱۱۵۰).

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۵۵

و كان النهر الذى تقوم الحدث بالقرب منه يسمى جوريث أو حوريث، و هو النهر الذى جعله ابن سرابيون و هما رافدا من روافد القباقب (نهر ملطيه).

و لكن ياقوتا الحموى و قد كتب اسمه بصوره حوريث اصاب فى قوله انه «يصب فى نهر جيحان» و هو بيرامس. و أفاد ابن سرابيون ان اول نهر الحدث عين يقال لها عين زنيثا، يصب الى بحيرات و يمر بالقرب من مدينه الحدث. و قال أيضا «انه يصب الى حوريث نهر يقال له نهر العرجان أوله من جبل الرمش و من العرجان قناه الحدث و اليه تصب». و

نكمل هذا الكلام بقول ابى الفداء: «بين الحدث و بين مخابط العلوى على نهر جيحان اثنا عشر ميلا». و لسنا على يقين من موضع الحدث و لعلها كانت تحمى الدرب من مرعش (جرمانيقيه(Jermanicia الى البستان (عربسوس(Arabissus و هى على ضفاف آق صو الحالى قرب انكلى. و آق صو أحد منابع جيحان

و كان كل من حصن منصور و قلعه بهسنا (و هى ما زالت) على نهر له.

و هذان النهران من الروافد اليمنى للفرات و يصبان فيه أسفل سميساط. و يقال لحصن منصور اليوم فى الغالب أديمان و كان يسميه الروم برها(Perrhe) و قد نسب هذا الحصن الى بانيه منصور القيسى و كان تولى بناء عمارته و مرمته. و هو من قاده الجند فى خلافه مروان الثانى آخر خلفاء بنى أميه و قد قتل فى سنه ۱۴۱ (۷۵۸). ثم ان هرون الرشيد بنى حصن منصور و أحكمه و شحنه بالرجال فى أيام ابيه المهدى. و قال فيه ابن حوقل انه «مدينه صغيره حصينه فيها منبر و لها رستاق و قرى برسمها اعذاء» . و ذكر ابن حوقل انه قد اصاب هذه المدينه ما أصاب غيرها من الثغور من نهب و تخريب لتعاور ايدى الروم و المسلمين لها.

و زاد ياقوت على ذلك ان حصن منصور كان «مدينه عليها سور و خندق و ثلاثه أبواب و فى وسطها حصن و قلعه عليها سوران». و ذكر ابو الفداء فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) حصن منصور فقال «هو الآن خراب و لكن به مزدرع».

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۵۶

و ينحدر النهر الازرق الى شمال غربى حصن منصور و هذا الحصن «فى مستو من الارض» فوق الفرات

و الفرات يحاذى حده الجنوبى. اما قلعه بهسنا، و جاء ذكرها فى أخبار الحرب الصليبيه باسم بهسدن(Behesdin) ، فهى فى غرب حصن منصور و رستاقها هو رستاق كيسوم. و كانت بهسنا على سن جبل عال. و بالبلده التى تحتها، مسجد جامع و لها أسواق عامره و ما حولها ارض واسعه الخير و الخصب. و تكلم ياقوت عليها فقال انها قلعه حصينه عجيبه. و على نهر سنجه القريب منها، و هو ما اسماه الروم سنكزSingas كانت سنجه و هى مدينه صغيره بقربها قنطره مشهوره على هذا النهر متخذه بحجر مهندم و هى طاق واحد «ليس أعجب و لا أعظم منها و يضرب بها المثل، هى احدى عجائب الدنيا» على قول ابن حوقل. و قد تكلم ياقوت على نهرى سنجه و كيسوم و قال انهما من روافد الفرات، و أورد وصفا لهذه القنطره العظيمه جاء فيه انها «طاق واحد من الشط الى الشط و الطاق يشتمل على مئتى خطوه و هو متخذ من حجر مهندم طول الحجر عشر أذرع فى ارتفاع خمس أذرع» و لم يذكر ثخنها.

و قال أيضا انه استعين فى بنائها بطلسم .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١٥٧

و فى اقليم الجزيره أى اقليم ما بين النهرين الاعلى، تجارات سرد المقدسى صنوفها و أكثرها من حاصلات ارضه. فقال: ترتفع من الموصل- و هى قاعده الجزيره- الحبوب و العسل و الفحم و الجبن و الشحوم و السماق و حب الرمان و المنّ و النمكسود و الطرّيخ الفائق و كذلك الحديد. و من المصنوعات السكاكين و النشاب و السلاسل و الاسطال. و من سنجار اللوز و حب الرمان و السماق و القصب. و من

نصيبين الشاه بلوط. و من الرقه الزيت و الصابون و الاقلام.

و من الرحبه السفرجل الفائق الرائق. و من حران عسل النحل فى ادنن و القبيط . و من جزيره ابن عمر الجوز و اللوز و السمن و الخيل الجياد و تربى فى مراعيها. و من الحسنيه، و هى على الخابور الاصغر (فى ضفه دجله الشرقيه)، الجبن و القبج و فراخ الدجاج و الفواكه المقدده. و من معلثايا المجاوره لها الفحم و الاعناب و الفواكه الرطبه و النمكسود و بزر القنب و نسيج القنب.

و من آمد فى ديار بكر ثياب الصوف و الكتان .

اما مسالك الجزيره فانها تكمله وصله لمسالك العراق. فطريق البريد من بغداد الى الموصل يصعد فى شرقى دجله نحو اقليم الجزيره فيدخله عند تكريت و يظل فى يسار النهر فيصل الى جبلتا رأسا ثم ينتهى الى الموصل عن طريق السن و الحديثه. و قد جاء وصف هذا الطريق فى مصنفات العرب القدماء و فى المستوفى .

و من الموصل يعبر طريق البريد الى يمين دجله أى الى الجانب الغربى فيتجه صاعدا الى بلد، و عندها ينقسم الى طريقين ينتهى ايسرهما الى قرقيسياء على الفرات مارا بسنجار و يتجه الايمن صوب كفرتوثا مارا بنصيبين و هناك ينقسم أيضا الى

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١٥٨

طريقين ينتهى الايمن الى آمد و الايسر الى الرقه على الفرات مارا برأس العين.

و قد جاء وصف هذا الطريق اعنى من الموصل الى آمد فى ابن خرداذبه و قدامه، و وصفه المقدسى أيضا مع ذكر المراحل. و ورد فى هذه المصنفات نفسها ذكر الطرق التى تخرج منه الى الفرات. و سرد المقدسى كذلك مراحل الطريق من الموصل الى

جزيره ابن عمر مارا بالحسنيه. و ذكر الطريق من آمد الى بدليس قرب بحيره و ان مارا بأرزن .

اما طريق البريد الصاعد بحذاء ضفه الفرات اليمنى، أى الغربيه، فانه يبدأ من آلوسه مارا بعانه الى الفرضه على النهر. و عندها ينقسم الى طريقين:

احدهما يحاذى الفرات صاعدا الى فاش بازاء قرقيسياء ثم يظل فى الجانب الغربى من النهر حتى الرقه. و الطريق الايسر البادئ من الفرضه كان يتجه الى الرقه فيقطع الباديه و يمر بالرصافه فكان بذلك يجانب تعاريج الفرات. و كانت الرصافه محطه ذات شأن اذ يخرج منها طريقان الى الغرب يقطعان باديه الشام احدهما الى دمشق فحمص(Emessa) . و كان ينتهى الى قرقيسياء و الرقه، على ما قد بيّنا، طرق: واحد يأتى من الموصل مارا بسنجار، و آخر من نصيبين مارا برأس العين و باجروان و ثالث من الرقه مارا بباجروان و حران و الرها (اذسّا) الى آمد.

و أخيرا كان يخرج طريق من الرقه فيمر بسروج و ينتهى الى سميساط مجانبا فى سيره ازورار الفرات العظيم. و ورد فى كتب المسالك ذكر المسافات من سميساط الى حصن منصور و ملطيه و كمخ و غيرها من الثغور. على ان ما يؤسف عليه ان هذه المسافات لم تذكر بتدقيق يساعدنا على تعيين مكانى الحدث و زبطره، اذ ما زال ذلك موضع النظر، مع ان المقدسى أورد بعض الفوائد حتى المتعلقه منها بهذه الثغور البعيده .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١٥٩

الفصل التاسع بلاد الرّوم أى آسيه الصغرى

بلاد الروم- الثغور من ملطيه الى طرسوس- الدربان الكبيران فى جبال طوروس- طريق القسطنطينيه المار بالأبواب القليقيه- طرابزون- حصارات القسطنطينيه الثلاثه- غزوات المسلمين فى آسيه الصغرى- نهب عموريه بأمر المعتصم- فتح السلاجقه

آسیه الصغری- مملکه ارمینیه الصغری- الصلیبیون- اجل مدن السلاجقه فی بلاد الروم.

کـان المسـلمون یسـمون أقـالیم الـدوله البزنطیه فی جملتها: بلاد الروم. و لفظ الرومی أی الرومانی فی العصور الاسـلامیه الاولی کـانت ترادف عنـدهم «النصـرانی» سواء أکـان من الیونـان أم اللاـتین. و کـانوا یعرفون البحر المتوسـط بـاسم بحر الروم أیضا ثم اختصـر اسم «بلاد الروم» الی «الروم» فقط. و صارت لفظه «الروم» بمرور الایام اسـما لاقرب الاقالیم النصـرانیه من بلاد الاسلام. و من ثمه صـار «الروم» اسـما لآسـیه الصـغری عنـد العرب و هی البلاـد العظیمه التی انتقلت نهائیـا فی ختـام المئه الخامسه (الحادیه عشره) الی ایدی المسلمین باستیلاء السلاجقه علیها.

و لقله ما بأیدینا من مراجع عن ذلک الزمن لم یتوفر لدنیا- یا أسفا-

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۶۰

من وثیق الأخبار ما یعتدّ به عن تاریخ آسـیه الصـغری و جغرافیتها التاریخیه فی القرون الوسطی، سواء فی عهدها النصرانی أم فی أیام المسـلمین . و لا غرابه فی قله ما عرفه البلـدانیون العرب القـدماء عن هـذه البلاد: فقـد کانت فی أیامهم اقلیما من أقالیم دوله الروم، و بعـد انتقـال هـذا الاقلیم الی سـلطان السـلاجقه الترک لم یعن- یا للأسف- مصـنفونا المسـلمون بهـذا الاقلیم الاسـلامی البعیـد، فلم ینته الینـا وصف دقیق له یشـبه مـا خلفوه عن غیره من الاقـالیم. و أول وصف کامـل لآسـیه الصـغری الاسـلامیه، کتبه الحاج خلیفه، غیر ان هذا لا یرقی الا الی مطلع المئه الحادیه عشـره (السابعه عشـره) أی بعد أن مضـی نحو مئتی سـنه علی دخول هذا الاقلیم فی جمله أجزاء الدوله العثمانیه .

کانت الحدود بین بلاد المسلمین و الروم فی أیام بنی أمیه و بنی العباس بل حتی قبل

ان يقضى المغول القضاء المبرم على العباسيين بما ينيف على قرن و نصف قرن، تتألف من سلسلتى جبال طوروس و طوروس الداخله (انتى طوروس) Anti Taurus . و كان يعين هذه الحدود و يحميها خطّ طويل من القلاع (تعرف بالعربيه بالثغور) يمتد من ملطيه على الفرات الاعلى الى طرسوس بالقرب من ساحل البحر المتوسط. و كان الروم يحتلون هذه القلاع تاره و المسلمون تاره أخرى. فكان الفريقان فيها بين كرّ و فرّ. و ينقسم خط القلاع هذا عاده الى مجموعتين: احداهما تحمى الجزيره (و تسمى ثغور الجزيره) و هى الشماليه الشرقيه، و الثانيه تحمى الشام (و تسمى ثغور الشام) و هى الجنوبيه الغربيه.

و كان من ثغور الجزيره: ملطيه و زبطره و حصن منصور و بهسنا و الحدث، و قد مرّ

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۶۱

وصفها فى الفصل السابق. ثم مرعش و الهارونيه و الكنيسه و عين زربى. و من الثغور التى تحمى الشام، و كانت بالقرب من الساحل الشمالى لخليج اسكندريه (اسكندرونه): المصيّصه و أذنه و طرطوس.

اما مرعش، و سماها الروم مراسيون(Marasion) فيقال انها قامت فى موضع جرمانيقيه. و قد جدد بناءها الخليفه معاويه فى المئه الاولى (السابعه). و فى عهد أواخر خلفاء بنى أميه حصنها المسلمون و انتقلوا اليها و بنوا لهم فيها مسجدا جامعا. ثم حصّنها هرون الرشيد. و كان لها سوران و خندق و فى وسطها حصن عليه سور يعرف بالمروانى، على ما جاء فى ياقوت. و انما سمى بذلك نسبه الى بانيه مروان الثانى آخر خلفاء بنى أميه. و فى سنه ۴۹۰ (۱۰۹۷) استولى الصليبيون على مرعش بقياده غودفرى دى بويون(Godfrey de Bouillon) ثم صارت مدينه ذات شأن

من مدن مملكه ارمينيه الصغرى (و سيأتى الكلام عليها). و لبثت أغلب الوقت فى ايدى النصارى حتى سقوط هذه المملكه. و ما زال ثغر عين زربى، و عرفه الصليبيون باسم انازربس(Anazarbus) ، قائما. و قد كان هرون الرشيد جدده و أحكم تحصينه فى سنه ۱۸۰ (۷۹۶). و وصف الاصطخرى عين زربى بقوله انها «بلد يشبه مدن الغور. بها نخيل و هى خصبه واسعه الثمار و الزروع و المراعى». و كان لها سور مكين، كثيره الخيرات جليله الشأن فى المئه الرابعه (العاشره). و فى نحو منتصف هذه المئه انفق سيف الدوله الحمدانى على ما يقال ثلاثه آلاف ألف درهم (نحو ۱۲۰۰۰۰ باون) حتى أعاد عمارتها. ثم استولى الروم عليها غير مره، و فى ختام المئه التاليه استولى الصليبيون عليها و خرّبوها.

ثم صارت جزءا من دوله ملك ارمينيه الصغرى. و وصف أبو الفداء هذه المدينه بقوله: بلد فى جبل ذات قلعه مستعليه عنها». و هى على مسيره يوم جنوب سيس. و زاد ابو الفداء على ذلك ان فى جنوبها نهر جيحان. و فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) «غيّر الناس اسمها و سموها ناورزا».

و موضعا الهارونيه و الكنيسه، لا يعرفان على وجه الصحه، الا انهما تقعان فى الجبال بين مرعش و عين زربى. و الهارونيه، و هى على مرحله غرب مرعش، و حصونها نسبت الى هرون الرشيد، بناها سنه ۱۸۳ (۷۹۹). و كان هذا الثغر غربى

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۶۲

جبل اللكام فى بعض شعابه. و جبل اللكام اسم اطلقه البلدانيون المسلمون على سلسله جبال انتى طوروس. و الظاهر ان ابن حوقل زار الهارونيه فقد قال فيها انها «فى غايه العماره» و قلعتها حصينه

و قد خربها الروم «ففى سنه ٣٤٨ (٩٥٩) سبوا من أهلها الفا و خمسمئه مسلم ما بين امرأه و رجل و صبى» على ما ذكر ياقوت. ثم ان سيف الدوله الحمدانى جدد عماره الهارونيه، و استعادها النصارى ثانيه، و ظلت بعد ذلك فى يد ملك ارمينيه الصغرى. اما الكنيسه، و يقال لها الكنيسه السوداء، فهى حصن منيع قديم. بناها الروم بحجاره سود على ما قال البلاذرى. و زاد على ذلك ان هرون الرشيد «أمر ببنائها و اعادتها الى ما كانت عليه و تحصينها، و ندب اليها المقاتله». فيها منبر و الظاهر انها كانت الى جنوب جيحان. فذكر الاصطخرى انها «ثغر فى معزل من شط البحر». و قال ابو الفداء: «كان بينها و بين الهارونيه اثنا عشر ميلا». و كانت فى أيامه من جمله بلاد ارمينيه الصغرى، حالها حال الهارونيه.

و أما الثغر الآخر فى هذه الجهات، فهو المعروف عند العرب بالمثقّب، و سمى بذلك على ما جاء فى ياقوت «لانه فى جبال كلها مثقبه. فيه كوى كبار».

و الظاهر ان موضعها الحقيقى غير معروف الا انها لا تبعد كثيرا عن الكنيسه فانها كانت عند لحف جبل اللكام على ساحل البحر قرب المصيصه. و أول من بنى حصن المثقّب هشام الخليفه الاموى. و قال ياقوت ان الذى استحدثه عمر الثانى «عمر بن عبد العزيز» و كان فيه على ما ذكر ابن حوقل مصحفه بخطه (أى بخط عمر بن عبد العزيز) أتقى خلفاء بنى أميه و أكثرهم ورعا. و روى البلاذرى الى ذلك انه لما ورد المهندسون لبنائها، حفروا أولا الخندق فى حصن المثقب فوجد فى خندقه حين حفر، عظم ساق مفرط الطول فبعث به الى هشام لطرافته .

اما

المدن الثلاث: المصيصه(Mopsuestia) و اذنه و طرطوس، و كلها من بناء الروم، فما زالت قائمه. فالمصيصه على نهر جيحان (نهر بيرامس) فتحها عبد اللّه بن

الخليفه عبد الملك الاموى فى المئه الاولى (السابعه) و بنى حصنها على أساسه القديم و وضع بها سكانا من الجند من أرباب البأس و النخوه. و بنى فيها مسجدا فوق تل الحصن. و كان فى الحصن كنيسه جعلت هريا. و بعد وقت قصير نشأ فى الجانب الآخر من جيحان ربض أو مدينه ثانيه سميت كفربيا، بنى فيها الخليفه عمر الثانى مسجدا جامعا اتخذ فيه صهريجا. ثم ان مروان الثانى آخر خلفاء بنى أميه أنشأ ربضا ثالثا فى شرقى جيحان يقال له الخصوص. و بنى عليه حائطا و أقام عليه باب خشب و خندق خندقا. و فى زمن الخلفاء العباسيين، بنى المنصور فى المصيصه مسجدا جامعا فى موضع هيكل قديم كان بها و جعله مثل مسجد عمر (الثانى) ثلاث مرات.

و استحدث هرون الرشيد كفربيا. و زاد المأمون فى مسجدها. و كان بين كفربيا و المصيصه قنطره على نهر جيحان. ثم لما استخلف المنصور و دخلت سنه ۱۳۹ (۷۵۶) أمر بعماره مدينه المصيصه و كان حائطها متشعثا من الزلازل و سماها المعموره. و بعد ذلك انتقلت المصيصه كسائر البلدان المجاوره لها الى ايدى ملوك ارمينيه الصغرى.

و مدينه اذنه، و هى قرب المصيصه، تقع على نهر سيحان (نهر سارس(Sarus و كان فى الطريق على شى ء يسير من المصيصه قنطره ترقى الى أيام يسطنيانس(Justinian) رمّت فى سنه ۱۲۵ (۷۴۳) و سميت بجسر الوليد نسبه الى الوليد الخليفه الاموى. ثم رمم المعتصم الخليفه العباسى هذا الجسر ثانيه

فی سنه ۲۲۵ (۸۴۰). و أعاد المنصور بناء قسم من اذنه فی سنه ۱۴۱ (۷۵۸). وصفها الاصطخری بقوله انها مدینه خصبه عامره فی غربی نهر سیحان حصینه و کان حصنها فی ضفه النهر الشرقیه بینه و بین المدینه «قنطره معقوده علیه علی طاق واحد»، علی ما جاء فی یاقوت. و لأذنه ثمانیه أبواب و سور یلیه خندق.

و اطلق المسلمون علی نهری سارس و بیرامس اسم نهر سیحان و نهر جیحان.

و کانا فی صدر الاسلام حدا مائیا بین بلاد المسلمین و بلاد الروم. و قد سمی البلدانیون العرب نهری بیرامس و سارس باسم جیحان و سیحان، علی غرار تسمیتهم نهری أوکسس(Oxus) و جکسارتس(Jaxartes) فی آسیه الوسطی

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۶۴

و هما أکثر شهره، باسم جیحون و سیحون، علی ما سنبسط القول فیه. و منابع هذین النهرین فی المرتفعات شمال ارمینیه الصغری. و کان نهر جیحان- و قد ذکر ابو الفداء انه «یقارب نهر الفرات فی الکبر، و تسمیه العامه جهان»- بعد مروره بالمصیصه یصب فی بحر الروم فی خلیج ایاس الی شمال میناء الملّون (ملس(Mallus ثم صار ملو(Malo) . اما نهر سیحان فاصغر منه، و لم یکن علی ضفافه مدن جلیله غیر اذنه. و علی هذا النهر کانت قنطره الحجر و قد مرّ ذکرها.

و جیحان و سیحان علی ما روی المسعودی من انهار الجنه .

و مهما یکن من أمر، فان أجل الثغور مدینه طرسوس. و کان مقاتلتها من الفرسان و المشاه. و هی تشرف علی المدخل الجنوبی للدرب المشهور عبر طوروس المعروف بأبواب قلیقیه ذکر ابن حوقل ان علی طرسوس سورین من حجاره و بها مئه الف فارس. ثم قال «و

کان بینها و بین حد الروم جبال منیعه متشعبه من اللکام کالحاجز بین العملین» و یقصد بهما عالمی الاسلام و النصرانیه. و قال ابن حوقل ان الحامیه العظیمه التی أدرکها و شاهدها فیها سنه ۳۶۷ (۹۷۸) «کانت من الغزاه الوافدین الیها من البلدان الاسلامیه لقتال الروم». و سبب ذلک- فیما ذکر- «ان لیس مدینه عظیمه من حد بلاد فارس و الجزیره و العراق و الحجاز و الیمن و الشامات و مصر و المغرب الا و بها لأهلها دار و رباط فی طرسوس ینزله غزاه تلک البلده و یرابطون بها اذا وردوها. و ترد علیها الجرایات و الصلات و تدرّ علیهم الانزال و الحملان العظیمه الجسیمه الی ما کان السلاطین یتکلفونه و ینفذونه متطوعین و یتحظّون علیه متبرعین».

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۶۵

و عنی الخلفاء العباسیون الاولون، و لا سیما المهدی و هرون الرشید، بتحصین طرسوس و شحنها فی أول الأمر بثمانیه آلاف من المقاتله. و کانت الندبات السنویه علی النصاری تجتاز من باب الجهاد المشهور لمقاتلتهم. و فی الجهه الیسری من جامع طرسوس، دفن الخلیفه المأمون، فقد ادرکته منیته و هو فی بذندون (بدندس(Podandos) القریبه منها. و کان یشق المدینه نهر البردان (نهر کودنس(Cydnus . و فی سوری المدینه سته أبواب و خندق عمیق. و لبثت طرسوس، علی ما قال یاقوت، ثغرا اسلامیا حتی کانت سنه ۳۵۴ (۹۶۵) فان نقفور ملک الروم Nicephorus Phocas استولی علی الثغور و نزل علی طرسوس فسلمها الیه من کان بها علی الامان و الصلح. فخرج منها من المسلمین من أراد بلاد الاسلام و أقام نفر یسیر علی الجزیه. و خربت المساجد «و أحرق نقفور المصاحف و

أخذ من خزائن السلاح ما لم يسمع بمثله، و لم تزل طرسوس بيد النصارى الى هذه الغايه أى سنه ۶۲۳ (۱۲۲۶)».

و كان نهر كودنس القديم يعرف على ما بيّنا، بنهر البردان أو بردى.

و ذكر ابن الفقيه انه كان يسمى ايضا نهر الغضبان. و مخرجه من أصل جبل فى شمال طرسوس يعرف بالاقرع و يصب فى بحر الروم غير بعيد عن المصب الحديث لنهر سيحان. و فى ناحيه الغرب، على مرحله من طرسوس، نهر كان يؤلف حدا مائيا فى الازمنه الاولى، و هو نهر لموس Lamos سماه العرب نهر اللامس.

«و عليه يكون الفداء اذا فودى بين المسلمين و الروم». و مما يلى هذا النهر بلده للروم تعرف بسلوقيه أو سلوقيه قليقيه Seleucia of Cilicia و قد صار أسمها فى أيام الترک فى العهد الاخير سلفكه Selefkeh.

و يقطع جبال طوروس دروب كثيره سلك المسلمون اثنين منها بوجه خاص فى غزواتهم السنويه لبلاد الروم: اولهما درب الحدث و هو فى الشمال الشرقى و كان من مرعش فشمالا الى ابلستين و قد عرفت هذه المدينه فى الازمنه الاخيره

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۶۶

بالبستان (و هى أبلستا البزنطيه Ablastha و عربسوس اليونانيه(Arabissus و كان يحمى هذا الدرب حصن الحدث Adata و قد مرّ ذكره فى الفصل السابق. و ثانى الدروب، و كثيرا ما كان يسلک فى الأزمنه القديمه، هو درب الابواب القليقيه الضارب شمالا من طرسوس، و منه يأخذ الطريق العام الى القسطنطينيه. كان هذا الطريق هو الذى يسلكه سعاه البريد و يمرّ منه وفود قيصر و الخليفه، كما انه الطريق الذى تتبعه ندبات الغزو العديده من الاسلام و النصارى. و قد عنى ابن خرداذبه فى سنه ۲۵۰ (۸۶۴) بوصف

هـذا الطريق، و عنه نقل غير واحـد من المصـنفين بعـده. كان هـذا الـدرب يعرف فی قسـمه الجنوبی بدرب السـلامه و يتصل بما يسمی پيليه قليقيهPylae Ciliciae و هی الأبواب القليقيه المشهوره.

و دونك هـذا الوصف، علی ان كثيرا من المواضع المـذكوره فيه لا يمكن تعيينها فی يومنا، و قد وضـعنا بين قوسـين ما تيسـرت معرفته عن اسـماء بعضـها. قال ابن خرداذبه: «من طرسوس الی العلّيق اثنا عشر ميلا، ثم الی الرهوه (أی المكان المنخفض و لعلها مبسكرينهMopsukrene القـديمه)، ثـم الی الجـوزات اثنـا عشـر ميلا، ثـم الی الجردقـوب سـبعه أميـال، ثـم الی البذنـدون Podandos) و هی بزنطی الحديثه) سـبعه أميال و فيها عين تسـمی عين رقه مات عندها المأمون . ثم الی معسكر الملك علی حمه لؤلـؤه (لولون Loulon و الصـفصاف عشـره أميـال (قرب فوستينوبوليس(Faustinopolis و كـذلك حصن الصـقالبه عشـره أميـال، و تصـير الی معسـكر الملـك و قـد قطعت الـدرب (النهايه الشـماليه من درب الابواب القليقيه) و أصـحرت. و من معسـكر الملـك (حيث نهـايه الاـبواب القليقيه) الی وادی الطرفـاء اثنا عشـر ميلا، ثم الی منی عشـرون ميلا، ثم الی نهر هرقله (و هرقله هی اراكليه الحديثه و هركليهHeraclia عند الروم و هی المدينه التی استولی عليها هرون الرشيد عنوه) اثنا عشر ميلا، ثم الی مدينه اللبن ثمانيه أميال، ثم الی رأس الغابه خمسه عشر ميلا. ثم الی المسكنين سته عشر ميلا، ثم الی عين برغوث اثنا

عشـر ميلا، ثم الی نهر الاحساء (أی النهر الذی تحت الارض) ثمانيه عشر ميلا، ثم الی ربض قونيه (ايكونيوم(Iconium ثمانيه عشر ميلا، ثم الی العلمين خمسه عشر ميلا، ثم الی ابرومسمانه عشرون ميلا، ثم الی

وادی الجوز اثنا عشر میلا، ثم الی عموریه (آموریون Amorion اثنا عشر میلا. و طریق آخر من العلمین الی عموریه یبدأ من العلمین الی قری نصر الاقریطشی خمسه عشر میلا، ثم الی رأس بحیره الباسلیون (بحیره الاربعین شهیدا) عشره أمیال، ثم الی السند عشره أمیال، ثم الی حصن سناده (و هی حصن سنادس(Synades ثمانیه عشر میلا، ثم الی مغل خمسه و عشرون میلا، ثم الی غابه عموریه ثلاثون میلا.

و من عموریه الی قری الحرّاب خمسه عشر میلا، ثم الی صاغری (و هو(Sangarius نهر عموریه میلا،ن، ثم الی العلج اثنا عشر میلا، ثم الی فلامی الغابه خمسه عشر میلا، ثم الی حصن الیهود اثنا عشر میلا، ثم الی سندابری (سنتابریس(Santabaris ثمانیه عشر میلا، ثم الی مرج حمر الملک فی درولیه (دوریلیوم(Dorylaeum خمسه و ثلاثون میلا، ثم الی حصن غروبلی خمسه عشر میلا، ثم الی کنائس الملک Basilica of Anna Comnena ثلاثه أمیال، ثم الی التلول خمسه و عشرون میلا، ثم الی الاکوار خمسه عشر میلا، ثم الی ملاجنه Malagina خمسه عشر میلا، ثم الی اصطبل الملک خمسه أمیال، ثم الی حصن الغبراء (و هی کیبوتس Kibotos حیث معدیه تصل الی(Aigialos ثلاثون میلا. ثم الی الخلیج (و هو بوسفور القسطنطینیه(Bosporus اربعه و عشرون میلا، و نیقیه Nicaea بازاء (أی جنوب) الغبراء». و بهذا یختتم ابن خرداذبه کلامه علی طریق القسطنطینیه .

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۶۸

اما ما کان یعرفه المصنفون العرب القدماء عن جغرافیه آسیه الصغری، فلیس الا لمحات خاطئه لا تمتّ الی الواقع بصله الا وصفهم الطریق العام الی القسطنطینیه.

مصداق ذلک ما نراه من خلط عند ابن حوقل بین النهرین المختلفین: آلس و صاغره و هلس و

سنكاريوس. و نجد أيضا فى التواريخ القديمه اسماء جمله من مدن الروم بصورتها المعربه و لكن معظم هذه الاسماء قد انتهى الينا على غير هذه الصور بعد الفتح التركى. على ان ما يؤسف له، هو ان المصنفين العرب لم يخلفوا لنا وصفا لهذه المدن. و نذكر ههنا شيئا منها مما لا شبهه فى صحته:

الطوانه(Tyana) دباسه(Thebasa) ملقوبيه(Malacopia) هرقله(Heraclia) لاذق(Laodicea) قيصريه(Caesarea Mazaka of Cappadocia) انطاكيه(Antioch of Pisidia) قطيّه(Cotyaeum) انقره(Angora) افسوس(Ephesus) أبدوس(Abydos) نقموذيه(Nicomedia) و غيرها من المدن.

أما طرابزون(Trebizond و كتب اسمها طرابزنده أو اطرابزنده، فهى على ما جاء فى ابن حوقل أجل ميناء كانت تجلب اليها السلع من القسطنطينيه فى صدر الدوله العباسيه و تحمل منها الى بلاد الاسلام. فكان التجار العرب و وكلاؤهم ينقلون السلع منها عبر الجبال الى ملطيه و غيرها من مدن الفرات الاعلى. و كانت هذه التجاره بيد الارمن على ما فى ابن حوقل. على ان كثيرا من التجار المسلمين، حسبما ذكر، كانوا يقيمون فى اطرابزنده. و أخص هذه السلع: ثياب الكتان اليونانى و ثياب الصوف و الديباج و الاكسيه الروميه و كلها كان يجلب بحرا من الخليج أى البوسفور. و مما يدل على شهره طرابزون و عظم شأنها فى ذلك الزمن، ان البحر الاسود كان يعرف باسم بحر طرابزنده.

على ان اسمه الرسمى كان بحر بنطس أو پنطش. و هو پنتس Pontos

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۶۹

عند الروم الذى كان لتصحيف اسمه (من جرّاء اعجام الحروف العربيه) قد كتب و لفظ منذ الأزمنه الاولى خطأ بصوره نيطس و نيطش، و غالبا ما اقتبس المصنفون الفرس و الترك الاسم بهذه الصوره المصحفه، و انتقل هذا التصحيف الى المطبعه فلا سبيل الى

رجعه الى سابق اسمه .

و مع ان ما دوّنه مصنفو العرب عن طبغرافيه مدن آسيه الصغرى فيما قبل الفتح السلجوقى، أى فى النصف الاخير من المئه الخامسه (الحاديه عشره)، قليل غايه القله، فقد كان المسلمون يعرفون معظم هذه البلاد، فانهم كانوا فى أيام بنى اميه و صدر الدوله العباسيه يقومون فى كل سنه تقريبا بل غالبا مرتين فى السنه، فى الربيع و الخريف بغزوات يجتازون فيها دروب جبل طوروس الى بلاد الروم. و كانت غايه الغايات عندهم الاستيلاء على القسطنطينيه. و فى الواقع لقد ضرب المسلمون الحصار على القسطنطينيه ثلاث مرات فى أيام بنى اميه و لكن نهايه كل حصار كانت وخيمه على المهاجمين. و ليس ذلك بمستغرب اذا ما علمنا ان البوسفور يبعد عن طرسوس قاعده الهجوم العربى نيفا و اربعمئه و خمسين ميلا فى خط مستقيم يقطع هضبه آسيه الصغرى الجبليه.

و اول هذه الحصارات الثلاثه المشهوره كان فى سنه ۳۲ (۶۵۲) فى ايام عثمان، حين غزا معاويه- و قد تولى الخلافه فيما بعد- آسيه الصغرى و اجتازها يريد القسطنطينيه. فهاجمها اولا ثم ضرب عليها الحصار و لكنه اضطر الى رفع الحصار عنها لما بلغه مقتل الخليفه عثمان. و اعقب ذلك أحداث انتهت بقيام الدوله الاموية. و كان الحصار الثانى فى سنه ۴۹ (۶۶۹) حين بعث معاويه- و كان قد اصبح خليفه- ابنه و ولى عهده يزيد لقتال الملك قسطنطين الرابع. بيد ان عجز قاده الجيش اوقع بالجيش الاسلامى هزيمه منكره. فلما توفى ابوه صارت اليه الخلافه فعاد الى بلاده. أما الحصار الثالث و هو اشهر حصار وقع على القسطنطينيه فقد دام سنين فى عهد الخليفه سليمان الذى بعث اخاه مسلمه فى سنه ۹۶

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۷۰

لقتال ليو الايزورى Leo the Isaurian و قد انتهى الينا عن هذه الحمله التى باءت ايضا بهزيمه المسلمين اخبار كامله من التواريخ العربيه و الروميه. و فى هذه الحروب اشتهر عبد اللّه الملقب بالبطال الذى اعتبره الترك بعد زمن طويل بطلهم القومى و الجندى المسلم الذى لا يقهر.

و لم تحل هذه الخسائر و الهزائم دون مضى المسلمين فى غزواتهم سنه بعد أخرى ما خلا فتره قصيره انصرف فيها العباسيون الى توطيد أركان دولتهم، ثم حلّوا فى ذلك محل بنى أميه بعد قرن أو أكثر من قرن على توليهم الخلافه.

و العباسيون و ان صعب عليهم ضرب الحصار على القسطنطينيه، فانهم غزوا ارجاء آسيه الصغرى مره تلو أخرى و أعملوا فيها النهب و الحرق. و أشهر هذه الغزوات:

ندبه الخليفه المعتصم بن هرون الرشيد فى سنه ۲۲۳ (۸۳۸) على عموريه. و هى الموصوفه بانها اجل مدينه فى الشرق «و امنع و احصن بلاد الروم و هى عين النصرانيه» فأمر الخليفه بنهبها و هدمها و حرقها و عاد الخليفه راضيا و معه المغانم .

و قد عنى ابن خرداذبه بوصف أعمال آسيه الصغرى فى أيام ملوك الروم.

و يفيدنا وصفه فى تصحيح التفاصيل المشوشه التى دوّنها قسطنطين بورفيروجينيتس

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۷۱ Constantine Porphyrogenitus

و نحن على كل حال فى غنى عن بحث ذلك ها هنا اذ ان هذا الموضوع يدخل فى جغرافيه بلاد الروم. اما عدا ما وصفنا من مدن، فان المصنفين العرب حين تحدثوا عن الحملات الاسلاميه على ماوراء الحدود، أشاروا الى جمله مواضع يصعب تعيينها الآن اما لغموض ما ذكروه عنها و اما للبس فى الاسم.

و علیه فان مرج الاسقف، و کثیرا ما ذکروه، جاء عنه فی أحد مسالک ابن خرداذبه انه علی شی یسیر غرب پدندس (البذندون).

و المطموره أو المطامیر (بصیغه الجمع) تردد ذکرها کذلک، و علینا ان نبحث عنها فی ما جاور ملقوبیه. و ذو الکلاع و تکتب أیضا ذو القلاع کانت قلعه مشهوره.

قال البلاذری ان اسمها عند الروم تفسیره «الحصن الذی مع الکواکب». و یبدو انها تطابق سیدیروبولیس Sideropolis فی بلاد القباذق Cappadocia.

و مدینه لؤلؤه و هی لولون عند البزنطیین سماها العرب بذلک لیضفوا علی اسمها معنی، و هی علی ما ذکرنا فی النهایه الشمالیه لدرب الابواب القلیقیه و الی شمالها کانت تیانا (طوانه أو طوانه) و قد کان هرون الرشید شحنها بالمقاتله و بنی فیها جامعا. و کانت مدینه أو حصن الصفصاف فی طریق القسطنطینیه قرب لؤلؤه و لعلها موضع فوستینوبولیس علی ما قد مرّ (ص ۱۶۶). و فی جنوب البذندون حصن الصقالبه و فیه عسکر، علی ما ذکر البلاذری، قوم من الصقالبه کانوا فروّا من البزنطیین. و کان مروان الثانی آخر خلفاء بنی أمیه قد جعلهم فیها لحراسه الدرب.

و بعد عام ۲۲۳ (۸۳۸) و هو تاریخ حمله الخلیفه المعتصم المشهوره علی عموریه، قلّت الغزوات الاسلامیه لبلاد الروم. فان تواتر الفتن فی بغداد صرف خلفاء بنی

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۷۲

العباس عن التفکیر فی غزو بلاد الروم. و مع ذلک فانه منذ منتصف المئه الثالثه (التاسعه) حتی المئه الخامسه (الحادیه عشره) کان کثیر من الجیوش الاسلامیه المجنّده من ممالک عده تابعه للخلیفه قد عبر الدروب. و لم تثبت الحدود علی حال واحده بل کانت فی تقدم و تراجع و اقبال و ادبار

و فی وسعنا القول ان المسلمین لم یحتفظوا بجزء من الارض مما وراء طوروس احتفاظا مستداما.

و لکن بقیام الاتراک السلاجقه فی المئه الخامسه (الحادیه عشره) بعد [کذا.

و الصواب: قبل] الحروب الصلیبیه، تغیر وجه الامور فی آسیه الصغری کل التغیر. ففی ربیع سنه ۴۶۳ (۱۰۷۱) أحرز الب ارسلان السلجوقی نصرا مبینا فی وقعه ملسجرد (منزکرت) فأباد جیش الروم علی بکره أبیه و أسر ملکهم رومانس دیوجینس(Romanus Diogenes) . و الی ذلک، کان الب ارسلان قد استولی سنه ۴۵۶ (۱۰۶۴) علی آنی عاصمه ارمینیه النصرانیه، فتقوضت بذلک مملکه بغروند الارمنیه القدیمه فکان من ذلک ان أسس روبن(Rupen) أحد اقاربهم مملکه ارمینیه الصغری فی طوروس. و علی أثر وقعه ملسجرد انفذ الب ارسلان ابن عمه سلیمان بن قتلمش الی آسیه الصغری. ثم ان السلاجقه بعد ما کانوا علیه من بداوه، اقاموا فی الهضبه العالیه التی تؤلف قلب هذا الاقلیم و صارت مملکه الروم منذ ذلک الحین من دیار الاسلام.

و قد أوغل السلاجقه غربا و حلیفهم النصر، فامتدت غزواتهم حتی نیقیه، و بقیت فی أیدیهم زمنا قصیرا متخذیها عاصمه لهم. و لکنهم ردّوا علی أعقابهم فی الحمله الصلیبیه الاولی و تراجعوا الی الهضبه الوسطی و اصبحت ایکونیوم(Iconium) و هی قونیه التی فتحوها فی سنه ۴۷۷ (۱۰۸۴) دار ملکهم و لبثت کذلک .

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۷۳

دامت سلاله سلاطین قونیه السلجوقیه أکثر من قرنین أی من سنه ۴۷۰ (۱۰۷۷) حتی سنه ۷۰۰ (۱۳۰۰) غیر ان سلطانهم الحقیقی کان قد انتهی بفتح المغول لقونیه فی سنه ۶۵۵ (۱۲۵۷) و ذلک قبل سقوط بغداد بسنه واحده. و اقترن قیام السلاجقه فی هضبه آسیه الصغری بنشوء مملکه ارمینیه

الصغری النصرانیه فی بلاد طوروس. و بعید سنه ۴۷۳ (۱۰۸۰) اتخذ روبن مؤسس الدوله الجدیده مدینه سیس و یقال لها أیضا سیسیه قاعده لملکه. و بعد ذلک بقرن أی فی سنه ۵۹۴ (۱۱۹۸) لقب لیو بالملک. و لم ینته حکم ملوک ارمینیه الصغری الذین قاوموا الفتح المغولی الا فی سنه ۷۴۳ (۱۳۴۲). و کانت هذه المملکه قد اتسعت رقعتها من سیس فشملت البلاد الجبلیه التی یسقیها نهرا سیحان و جیحان. و امتدت جنوبا الی بحر الروم و ضمت مدینه المصیصه و اذنه و طرسوس و معظم مدن الساحل الی غرب طرسوس. و کانت سیس (أی سیسیه) و هی فلافیوبولیس Flaviopolis القدیمه حصن عین زربی البعید فی صدر الدوله العباسیه. و قد جدد أسواره الخلیفه المتوکل حفید هرون الرشید. و استولی علیه الروم بعد ذلک.

و حین کتب ابو الفداء فی سنه ۷۲۱ (۱۳۲۱) نوّه بان لیو الثانی (ابن لاون) الملقب بالعظیم ملک ارمینیه الصغری قد احدثها، و هی ذات قلعه بأسوار ثلاثه علی جبل مستطیل و لها بساتین و نهر صغیر من روافد جیحان. و ذکر یاقوت «ان عامه أهلها یقولون سیس» فی أیامه.

و فی غرب مملکه ارمینیه الصغری و شمالها تمتد بلاد سلاطین السلاجقه.

و لم تمض مئه سنه علی استیلائهم علی هضبه آسیه الصغری حتی کانت جیوش الصلیبیین قد اخترقت هذا الاقلیم ثلاث مرات، و قد انتهت الحرب الصلیبیه الاولی

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۷۴

سنه ۴۹۰ (۱۰۹۷) بهزیمه قلج ارسلان الأول (ابن و خلیفه سلیمان، أول سلطان علی بلاد الروم) من نیقیه. و مرّت شرذمه من الصلیبیین بقونیه و عادت الی البحر عند طرسوس و رکبت السفن الی فلسطین. و فی الحرب

الصليبيه الثانيه تغلب لويس السابع ملك فرنسه على السلطان مسعود (ابن قلج ارسلان) عند ضفاف مياندر(Meander) سنه ٥٤٢ (١١٤٧) و لكن الفرنج فى فى مسيرهم الى ميناء أنطاليه كابدوا خسرانا فادحا فى المنطقه الجبليه. و فى الحرب الصليبيه الثالثه يقال ان الملك فردريك بربروسه انتزع فى سنه ٥٨٦ (١١٩٠) قونيه عاصمه السلاجقه من قلج ارسلان الثانى (ابن مسعود). و لكن بربروسه فى متابعته السير غرق فى نهر قرب سلوقيه (سلوقيه قليقيه) لعله نهر لاموس أو نهر اللمس المار ذكره (ص ١٦٥) حيث كان يجرى فى أيام العباسيين الاوائل تبادل الاسرى بين المسلمين و النصارى أى فداؤهم.

و لا ريب فى ان رقعه البلاد التى حكمها سلاجقه الروم قد اختلفت باختلاف الازمنه و الاحوال. فقد كان لتضاؤل شأن الروم أو ازدياد قوتهم، و نشوء مملكه ارمينيه الصغرى النصرانيه، و ما كانت عليه حال الدويلات الاسلاميه المجاوره التى اكتسح الصليبيون بعضها و حكم بعض الوقت امراء الفرنج رعايا من المسلمين، أثره فى ذلك. و قد عرفنا أهم المدن التابعه لسلاجقه بلاد الروم على نحو ما كانت عليه فى سنه ٥٨٧ (١١٩١) من توزيع قلج ارسلان الثانى أملاكه فى تلك السنه بين أولاده الاحد عشر. فقد كانت قونيه (ايكونيوم)، على ما بيّنا، عاصمه السلاجقه. و كانت قيصريه(Caesarea Mazaka) ثانى مدن سلطنتهم. و ملطيه(Melitene) أهم مدن الولايه الشرقيه على حدود الفرات. و فى الشمال سيواس(Sebastia) و نكيسار (أو نيكسار و هى نيوسيزاريه(Neo -Caesarea) القديمه).

و توقات و اماسيه(Amasia) و قد اقطع كل منها أميرا سلجوقيا. و مثل ذلك انكوريه(Angora) فى الشمال الغربى و برغلو فى الحد الغربى و لعلها ألو برلو الحديثه و هى غرب بحيره اكردور. و على الحدود الجنوبيه

شرقی قونیه المدن

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۷۵

المهمه: اراکلیهHeraclia و نکیده أو نکده و ابلستین التی عرفت بعدئذ بالبستان(Arabissus) .

و قد مدّ السلطان علاء الدین، الذی اعتلی العرش فی سنه ۶۱۶ (۱۲۱۹) و هو حفید قلج ارسلان الثانی، سلطانه شمالا و جنوبا من سواحل البحر الاسود الی بحر الروم. فاستولی علی سینوب(Sinope) علی البحر الاسود و أنشأ علی الساحل الجنوبی میناء عظیما فی العلایا- و قد نسب الیه- و ما زالت تری فیه بقایا أخشاب لبناء السفن و غیر ذلک من المنشئات الخاصه ببحریه السلاجقه العظیمه.

و مدّ سلطانه فی الشمال الشرقی الی مدینه صاری بولی. و قد کان لکتابات جلال الدین الرومی الشاعر الصوفی العظیم الذی عاش و مات فی قونیه أبلغ الاثر فی اشتهار عهده. و بعد ان مضت ثلاثون سنه علی موت علاء الدین أی فی سنه ۶۳۴ (۱۲۳۷) قوض الجیش المغولی سلطان السلاجقه و لم یکن السلاطین الاربعه الاخیرون فی الحقیقه غیر ولاه خاضعین لایلخانیی فارس. و فی سنه ۷۰۰ (۱۳۰۰) قسمت ولایه الروم بین الامراء الترکمان العشره و هم فی الاصل من اتباع السلاطین السلاجقه .

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۷۶

الفصل العاشر بلاد الرّوم «تتمه»

الامارات الترکمانیه العشر- ابن بطوطه و المستوفی- قیساریه و سیواس- سلطان العراق- امیر قرمان- قونیه- امیر تکه و العلایا و انطالیه- امیر حمید و اکریدور- امیر جرمیان و کوتاهیه و صوری حصار- امیر منتشا و میلاس- امیر آیدین و افسوس و ازمیر- امیر صاروخان و مغنیسیه- امیر قراصی و برغامس- الولایه العثمانیه و برصی- امیر قزل احمد لی:

صنوب (سینوب).

تتفق حدود الامارات الترکمانیه العشر فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) و حدود المقاطعات الیونانیه

القديمه فى آسيه الصغرى. و هذه الامارات هى:

قرامان أو قرمان أكبرها و هى ليقونيه القديمه(Lycaonia) . و على ساحل بحر الروم: تكه و تشتمل على ليقيه(Lycia) و بمفيليه(Pamphylia) . و فى الداخل: حميد و تضم بسيديه(Pisidia) و ايزوريه(Isauria) معا. و كرميان أو جرميان و تطابق فريجيه(Phrygia) . و على ساحل البحر الاسود: قزل احمد لى و يقال لها أيضا اسفنديار و كانت بفلغونيه(Paphalagonia) . و على السواحل الايجيه: منتشا و هى كاريه(Caria) القديمه. و آيدين و صاروخان

معا تطابقان مملكه ليديه(Lydia) . و قراصى كانت ميسيه(Mysia) و أخيرا الولايه العثمانيه (و هى للعثمانيين الذين سيطروا بعدئذ على الامارات التسع الاخرى) و كانت فى أول أمرها مقاطعه فريجيه ابيكتتس(Phrygia Epictetus) و فى ظهرها أراضى بيثيه(Bythia) العاليه التى انتزعها العثمانيون أخيرا من يد الروم.

و قد انتهى الينا عن حال آسيه الصغرى فى أيام الامراء التركمانيين أخبار غريبه جدا دوّنها ابن بطوطه المغربى فى رحلته، و كان قد نزل فى العلايا فى منصرفه من الشام و زار فى سنه ۷۳۳ (۱۳۳۳) كثيرا من الامراء الصغار فى طريقه الى صنوب(Sinope) . و منها قطع البحر الاسود الى القرم، و يبدو ان قسما من وصفه قد ضاع يا للأسف. سافر ابن بطوطه من العلايا محاذيا ساحل البحر الى أنطاليه ثم ضرب شمالا فاجتاز الجبال الى اكريدور فى حميد على بحيره اكريدور و منها توجه الى لاذق(Laodicea ad Lycum) فوصل ميلاس فى منتشا. ثم قطع آسيه الصغرى بطريق منحرف الى قونيه و قيساريه فسيواس و ارزن الروم. و من بعد ذلك يعترى حديث رحلته نقص: اذ ان المدينه التاليه التى ذكرها كانت بركى

فى آيـدين. و منها زار اياسـلوق (افسوس(Ephesus . و أخيرا اتجه ابن بطـوطه صوب الشـمال فالشـرق فمرّ فى طريقه بمـدينه برصـى و غيرها من المدن حتى انتهى الى صـنوب فى ساحل البحر الاسود. و قد زاد معاصـره المستوفى، فى ما كتبه عن جغرافيه بلاد الروم، بعض التفصـيل على ما وصـفه من مدن. على ان المسـتوفى، و ان كتب فى سنه ۷۴۰ (۱۳۴۰)، فقد اعتمد على مراجع قديمه.

فكـانت أخبـاره تصف حـال بلاد الروم فى أواخر عهـد السـلاجقه أكثر ممـا تصف حـال تلك البلاد حين وطـد الامراء العشـره سلطانهم فيها.

و فى مطلع المئه التاسـعه (الخامسه عشره) كانت غاره تيمور على آسيه الصغرى قد قلبت مجرى الامور رأسا على عقب الى أجل ما، و ردّت الـدوله العثمانيه الحديثه النشأه على أعقابها زهاء ربع قرن، و ما أورده على اليزدى عن حروب تميور وسّع علمنا بهذه البلاد. و هناک تفاصيل أخرى فى كتاب جهان نما

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۷۸

التركى. و هذا السـفر و ان دوّن فى مطلع المئه الحاديه عشره (السابعه عشره)، حيث كانت الدوله العثمانيه قد وطدت أركانها فى آسيه الصغرى منذ عهد بعيد، فانه ذكر أهم ما خلّفه سلاطين آل سلجوق من آثار.

و قبل ان نصف الامارات العشـر التركمانيه، و قد نوهنا باسمائها آنفا، يحسن بنا ان نذكر شيئا عن المدن التى فى شرقى قرامان، و هى التى قد يعينها المجرى الاسفل لنهر هلس (قزل ايرماق عند الترک) و يكملها خط يتجه جنوبا الى جيحان.

كانت آسـيه الصـغرى فى المئه الثامنه (الرابعه عشـره) مما يلى شـرق هذا الحد من مملكه الايلخانيين، و هم الامراء المغول الذين تولوا حكم العراق و فارس. و كانوا يولون

عمالهم على هذه البقاع لينشروا السلام بين قبائل التركمان البدويه الصغيره التى حلت فى هذه البلاد بعد الفتح المغولى العظيم. و كانت أهم المـدن فى شـرق حدود قرامان: قيصـريه (و تكتب أيضا قيساريه و هى Caesarea Mazaka فى القبـاذق) و قد كانت فى زمن بنى سلجوق ثانيه مدن الروم، و عدّها القزوينى قاعده ملكهم.

و يرى فيهـا فيما يرى من المقامات: جامع (ابى محمـد) البطّال، بطل العهـد الاموى. و وصف المسـتوفى قيصـريه بان حولها سورا من حجر بناه السـلطان علاء الـدين السـلجوقى. و كانت مـدينه عظيمه محصـنه عند لحف جبل ارجاست(Argaeus) . و ذكر المستوفى ان ارجاست كان جبلا شامخا لا يفارق الثلج قمته. و ينحدر منه أنهار كثيره. و فى لحفه: دولو(Davlu) . و هو موضع سيأتى ذكره. و فوق قمه الجبل بيعه عظيمه. و فى قيصـريه «موضع يقولون انه حبس محمد ابن الحنفيه» من ابناء الامام على. و لما زار ابن بطوطه قيساريه (و قد كتب اسمها بهذا الوجه) «كان بها عسكر اهل العراق» من عساكر السلطان المغولى.

و كانت قيصريه فى مطلع المئه التاسعه (الخامسه عشره) أولى المدن الكبرى التى استولى عليها جيش تيمور فى آسيه الصغرى.

و ابلستين (ارابيسوس(Arabissus فى شـرق قيصـريه. و هى من مـدن الثغور فى أيام الروم. و قد ذكرت أيضا فى فتوح تيمور. قال المستوفى ان ابلستين مدينه لا كبيره و لا صغيره. و ذكرها صاحب جهان نما بالتهجئه الحديثه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۷۹

«البسـتان». و كانت قير شـهر (و هى جسـتنيانوبوليس موكيسوس(Justinianopolis Mokissus) الروميه على نحو ثمـانين ميلا غرب قيصريه، و كانت ذات شأن، و كثيرا ما ورد ذكرها فى أخبار حروب تيمور. و وصف المستوفى قير

شهر بانها مـدينه كبيره ذات مبان جميله. وعـدها صاحب جهان نما من مـدن قرامان. و كانت اماصـيه أو اماسـيه(Amasia) فى عهـد السـلاجقه من مراكز حكوماتهم. و روى المسـتوفى ان السـلطان علاء الدين قد احدثها. و وصـفها ابن بطوطه، و قد مرّ بها، بقوله انها «مدينه كبيره حسنه و هى فسيحه الشوارع و الاسواق ذات أنهار و بساتين و على أنهارها النواعير تسقى جناتها و دورها. و ملكهـا لصـاحب العراق. و بقرب منهـا بلـده سونسـى (كتبها جهان نما بصوره صونيسا) «و بها سـكنى أولاد ولى اللّه تعالى ابى العباس احمد الرفاعى». و فى شمال اماسيه:

لاذق(Laodicea Pontica) و هى موضع ذو شأن بيد السـلاجقه. و كثيرا ما ذكرها ابن بيبى فى تاريخه. و وصف المسـتوفى مينـاء سـمسون (أو صامصون و هى اميسوس Amysos عنـد الروم) بـأنه مرفأ عظيم للسـفن. و بحلول النصف الاخير من المئه الثامنه (الرابعه عشره) نمت ثروتها بانتقال تجاره سنوب (أو صنوب(Sinope اليها و هى الميناء الذى كان قبلها .

و كانت نيكسار (أو نكيسار و هى Neo -Caesarea اليونانيه) مدينه جليله خاضعه للسلاجقه. و كثيرا ما ورد ذكرها فى ابن بيبى. و قد وصـفها المستوفى بانها مدينه وسطه حولها بساتين تكثر فيها الفواكه. و كانت توقات (و تكتب أيضا دوقاط) فى غرب نيكسـار على طريق اماسـيه. و كانت من الحكومات العظيمه التابعه لبنى سـلجوق. و يليها فى الغرب: زيله و قـد ذكرها ابن بيبى و من جاء بعده من المصـنفين. و أحدث السـلطان علاء الدين مدينه سيواس(Sebastia) على قزل ايرماق (هلس(Halys و قد شيّد أبنيتها الجديده كلها بالحجاره المهندمه. و روى المستوفى ان الموضع كان مشهورا بثياب الصوف التى تحمل

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص:

منها. و هی ذات هواء بارد یکثر فیها القطن و القمح. و تکلم ابن بطوطه علی سیواس فقال هی «من بلاد ملک العراق و أعظم ما له بهذا الاقلیم من البلاد، و بها منزل أمرائه و عماله. مدینه حسنه العماره واسعه الشوارع أسواقها غاصه بالناس و بها دار مثل المدرسه تسمی دار السیاده».

و وصف المستوفی الطریق الضارب غربا من سیواس الی بلاد فارس و هو کما یأتی: مرحلتان الی زاره، و هی مدینه قلیله الشأن. ثم مرحلتان الی آق شهر (المدینه البیضاء) و قد تردد ذکرها کثیرا فی أخبار السلاجقه. و فی شمال غربی آق شهر قره حصار (الحصن الاسود) و قد أکثر ابن بیبی من الاشاره الیه و سماه قره حصار دوله تمییزا لهذا الحصن- الذی أشار الیه أیضا المستوفی- عن حصن آخر بالاسم ذاته. و سماه جهان نما قره حصار شبین نسبه الی معدن الشب علی مقربه منه. و من آق شهر یتجه الطریق الی بلاد فارس فیبلغ ارزنجان فی ثلاث مراحل، و منها مثل ذلک الی ارزن الروم، ثم یتجه جنوبا الی خنوس (خوناس کما کتبه ابن بیبی، و خنس اسمها الحالی) و هو ثلاث مراحل. و منها عشر مراحل الی ملاسجرد (منزکرت) و هذه علی ثمانی مراحل من ارجیش القائمه علی بحیره و ان .

کانت اماره قرمان أو قرامان، أکبر الامارات العشر. و انما سمیت بذلک نسبه الی القبیله الترکمانیه التی حلت فی هذه الارجاء. و کانت قاعدتها لارنده و قیل لها قرمان أیضا نسبه الی الاماره. و یرقی زمن لارنده الی أیام الروم.

وصفها ابن بطوطه، و قد زارها فی المئه الثامنه (الرابعه عشره)، و کتب اسمها بصوره اللارنده فقال «مدینه حسنه

كثيره المياه و البساتين». و فى ختام هذا القرن استولت عليها جيوش تيمور و نهبتها، الا انها استعادت بعد ذلك ازدهارها الاول.

و الى جنوب لارنده مدينه ارمناك، و قد تكلم عليها المستوفى و قال انها كانت فيما مضى مدينه كبيره و لكنها انحطت فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) فصارت مدينه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١٨١

اقليميه. و نوّه بها جهان نما حين ذكره سلفكه و كان العرب يسمونها قبلا سلوقيه(Seleucia of Cilicia) . و دخلت هذه المدينه فى أيام العثمانيين ضمن الولايه المسماه ايج ايلى و معناها بالتركيه «الارض الداخله». و لما كان هذا الوصف لا يتفق هو و وضع الولايه المبحوث عنها، اذ انها تحاذى الساحل، ظنّ ان ايج ايلى ليس الا تصحيفا مقتطعا من الاسم اليونانى القديم قليقيه Cilicia .

و كانت قونيه(Iconium) على ما بيّنا دار ملك السلاجقه. و لكنها فى عهد امراء قرامان تضاءل شأنها فصارت مدينه فى المرتبه الثانيه و روى المستوفى انه كان فيها ايوان عظيم فى القصر الذى بناه السلطان قلج ارسلان و هو بانى الحصن أيضا. ثم بنى علاء الدين، أو استحدث، أسوار المدينه بالحجاره المقدوده و جعل علوها ثلاثين ذراعا و اطاف بها خندقا عمقه عشرون ذراعا. و كان محيط الاسوار عشره آلاف خطوه و فيها اثنا عشر بابا جعل فوقها أبراجا عظيمه. و مدّ الماء الوافر اليها من الجبل القريب منها. و اختزنه فى صهريج عظيم تعلوه قبه عند أحد أبواب المدينه. و منه كان يخرج ثلثمئه قناه و نيف توزع الماء بين سائر انحاء المدينه.

و اشتهرت قونيه ببساتينها التى يكثر فيها المشمش الاصفر و ينمو فى مزارعها القطن و القمح.

و ذكر المستوفى، الى ما

تقدم، ان الخراب كان غالبا على قونيه فى أيامه و ان بقى الربض الذى فى أسفل الحصن آهلا بالسكان. و كان فى المدينه تربه الشاعر الصوفى العظيم جلال الدين الرومى، و قد مرّ ذكره. و يزورها كثيرون.

و رأى ابن بطوطه هذه التربه. و أشاد بقونيه فقال انها «مدينه عظيمه حسنه العماره كثيره المياه و الانهار و البساتين و الفواكه و بها المشمش المسمى بقمر الدين و يحمل منها أيضا الى الشام. و شوارعها متسعه جدا و أسواقها بديعه الترتيب و أهل كل صناعه على حده». و ذكر ابن بيبى فى تاريخه عن السلاجقه اسماء ثلاثه من أبواب قونيه، هى: باب سوق الخيل (دروازه اسب بازار) و باب دار الفحص (دروازه جاشنى گير) و باب جسر احمد (دروازه بول احمد).

و قلعه قره حصار التابعه لقونيه، لا تبعد كثيرا عن شرق قونيه. و قال

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١٨٢

المستوفى ان بهرام شاه قد بناها. و يليها هرقله(Heraclea) و هو اسم تحرّف فى الازمنه المتأخره الى اراكليه. و كثيرا ما تردد ذكرها فى جهان نما. و فى شمال قونيه: لاديق سوخته أى لاديق المحروقه(Laodicea Combusta) و هى Katakekaumena اليونانيه) و قد أطلق عليها ابن بيبى قريه لاديق تميزا لها عن غيرها من المدن التى تسمى Laodicea Ad Lycum ,Pontica)) و أشار جهان نما الى لوديقيه كمبوسته باسم يورغان لاديق و تسمى أيضا لاذقيه قرمان .

و فى شمال ولايه قرمان: انكوره(Angora) (انقيراAncyra اليونانيه) و قد كتبها البلدانيون العرب القدماء بصوره انقره و المؤلفون الفرس و الترك المحدثون انكوريه . وصفها المستوفى بقوله انها مدينه ذات هواء بارد يكثر فيها القمح و القطن و الفواكه. و قد اشتهرت فى

التاريخ لان فيها تغلب تيمور سنه ۸۰۴ (۱۴۰۲) على السلطان بايزيد العثمانى و أسره بعد موقعه حاميه. و قوشحصار أو كوج حصار على الحافه الشرقيه للبحيره الملحه الكبرى، ذكرها المستوفى و قال انها مدينه وسطه. و قد ورد ذكرها أيضا فى جهان نما. و على شى ء يسير من شرق الطرف الجنوبى للبحيره: آقسرا (القصر الابيض). بناها السلطان قلج ارسلان الثانى فى سنه ۵۶۶ (۱۱۷۱). وصفها المستوفى بانها مدينه فى ارض كثيره الخيرات. و أقصرا (بحسب تسميه ابن بطوطه لها) «يشقها ثلاثه انهار. و داخلها بساتين كثيره و فيها الاشجار و دوالى العنب و تصنع فيها (فى المئه الثامنه- الرابعه عشره) البسط المنسوبه اليها من صوف الغنم لا- مثل لها فى بلد من البلاد. و منها تحمل الى الشام و مصر و العراق». و زاد ابن بطوطه على ذلك، ان اقصرا فى أيامه كانت «فى طاعه ملك العراق».

و على نحو خمسين ميلا شرق آقسرا: ملنقوبيه (ملكوبيه(Malacopia

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۸۳

ذكر المستوفى أنها موضع ذو شأن فى المئه الثامنه (الرابعه عشره). و الى شمال هذه المدينه: قرا حصار أخرى. وصفها المستوفى بانها من أعمال نيكده. و الى شرق هذه المدينه أيضا: دولو (و جاء أسمها فى جهان نما بصوره دوه لو). و هى على ما بيّنّا تقوم عند لحف جبل ارجاست و قد ورد ذكرها غير مره فى تاريخ ابن بيبى فى كلامه على قيصريه. و وصف المستوفى دولو بانها مدينه وسطه، جدد السلطان علاء الدين السلجوقى بناء أسوارها. و فى جنوب ملنقوبيه: نيكده (و كتبها ابن بيبى نكيده) و قد قامت فى موضع طوانه القديمه (تيانه(Tyanah بناها السلطان علاء الدين. وصف

المستوفی نیکده بانها مدینه لا کبیره و لا صغیره. و قد مرّ ابن بطوطه بمدینه نکده (علی ما سماها به) و قال ان بعضها قد خرّب و انهـا من بلاد ملک العراق و یشـقها النهر المعروف بـالنهر الاسود و علیه ثلاث قنـاطر، و علیه النواعیر و منها تسـقی البساتین و الفواکه بها کثیره، و فی جنوب نکده:

لؤلؤه (لولون(Loulon و کثیرا مـا ذکرهـا ابن بیبی. و قـد بیّنّا انها قلعه عظیمه فی الطرف الشـمالی من درب أبواب قلیقیه. و فی المئه الثامنه (الرابعه عشـره) وصف المستوفی لؤلؤه فقال هی مدینه صغیره حولها أرض خصبه و هواؤها بارد و فیها مواطن للصید مشهوره .

و الظاهر ان أهم المـدن فی بلاد امیر تکه: مدینتا العلایا و انطالیه و هما میناءان مشـهوران. فالاولی، علی ما بیّنّا، اسسـها السـلطان علاء الدین السلجوقی فوق کوراکسیوم(Coracesium) و قد نزلها ابن بطوطه حین جاء من الشام سـنه ۷۳۳ (۱۳۳۳) فوصف العلایا بانها مدینه کبیره علی ساحل البحر و لها تجاره مع الاسـکندریه و لها قلعه صـعد الیها ابن بطوطه و وصـفها بقوله «لها قلعه باعلاها عجیبه منیعه بناها السلطان المعظم علاء الدین». و کانت العلایا فی أیامه علی ما یظهر من بلاد سلطان قرمان.

أما أنطالیه، و هی المیناء الثانی، فکانت علی نحو مئه میل من غرب العلایا عنـد رأس الخلیج. و قد اشـتهرت بان الصـلیبیین کانوا یبحرون منها الی فلسطین.

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۸۴

و هی بلد کبیر عده یاقوت «من مشاهیر بلاد الروم و هی حصن علی شط البحر واسع الرستاق کثیر الاهل» و فیها بنی السلطان قلج ارسلان السلجوقی قصرا له فوق نشز من الارض یطل علی

البحر. و وجد فيها ابن بطوطه أيضا ان «كل فرقه من سكانه منفرده بأنفسها عن الفرقه الاخرى: فتجار النصارى ماكثون منها بالموضع المعروف بالميناء و عليهم سور. و اليهود فى موضع آخر و عليهم سور.

و سائر الناس من المسلمين يسكنون المدينه العظمى و بها مسجد جامع و مدرسه».

و انطاليه، و هى التى ورد اسمها فى أخبار الحروب الصليبيه بصوره ستاليه(Satalia) أو اتاليه(Attaleia) ، قد جاء ذكرها مرارا فى حروب تيمور لنك باسم عداليه.

و فى غربها، على ما ذكر على اليزدى، استانوس. و هى مدينه ذكرت فى جهان نما بصوره استناز .

و فى شمال تكه كان لامير اماره حميد البلاد التى حول البحيرات الاربع:

اكريدور و بردور و بقشهر و آقشهر. و كانت دار المملكه فى أيام السلاجقه، على ما جاء فى ابن بيبى، فى مدينه برغلو و هى تطابق الوبرلو الحديثه على ما يظهر (فى غرب اكريدور) و هى سوزوبوليس(Sozopolis) أو ابولونيه(Apollonia) عند الروم. و انطاكيه(Antioch of Pisidia) ، و كثيرا ما ذكرتها التواريخ الاسلاميه القديمه، قد اضحى اسمها فى العهد التركى يلاواج.

و كانت فى البريه بين بحيرتى أكريدور و آقشهر. و الظاهر ان أهم مدن هذه الولايه فى المئه الثامنه (الرابعه عشره)، على ما جاء فى المستوفى، اكريدور و هى مدينه بروستنه Prostanna القديمه) فى جنوب بحيره اكريدور. و وصف ابن بطوطه مدينه اكريدور بقوله «مدينه عظيمه كثيره العماره حسنه الاسواق ذات أنهار و أشجار و بساتين (ثم قال:) و لها بحيره عذبه الماء يسافر المركب فيها الى آقشهر و بقشهر و غيرهما من البلاد و القرى» التى على شطئان هاتين البحيرتين.

و كانت مدينه بقشهر أو بى شهر (و هى كرليهKarallia عند الروم)

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب

عند طرف بحيرتها و قد بناها السلطان علاء الدين السلجوقى على ما جاء فى جهان نما.

و لها سور من حجر فيه بابان و فيها مسجد جامع و حمامات حسنه و سوقها فى موضع يسمى آلرغه. و الى غرب اكريدور مدينه بردور على بحيره بر دور و هى بلده صغيره. قال ابن بطوطه انها كثيره البساتين و الانهار و لها قلعه فى رأس جبل شاهق. و جاء فى جهان نما ان اسبارطه و هى فى جنوب اكريدور كانت قاعده حميد فى الازمنه المتأخره. و كتب ابن بطوطه هذا الاسم بصوره سبرتا. و قال انها «بلده حسنه العماره كثيره البساتين و الانهار لها قلعه فى جبل شامخ».

و تمثل هذه المدينه مدينه برس(Baris) البزنطيه و تعرف اليوم باسم سبارتا .

أما بحيره آقشهر فهى التى سماها ابن خرداذبه (أنظر الصفحه ١٦٧ أعلاه) الباسليون و قد عرفها الروم ببحيره الاربعين شهيدا. و الى غربها الحصن العظيم قرا حصار. و كثيرا ما جاء اسمه مرتبطا باقشهر فى حروب تيمور لنك. و فى آقشهر، على ما ذكر على اليزدى، كان السلطان بايزيد ايلدرم العثمانى المنكود الحظ قد مات كمدا فى سنه ٨٠٥ (١۴٠٣) و كان تيمور لنك قد قهره فى انقره. و ذكر المستوفى هاتين المدينتين: آقشهر و قرا حصار فى جمله ما عرف من أمكنه بهذين الاسمين. و قرا حصار هذه تعرف اليوم بافيون قره حصار لكثره ما يزرع فيها من الافيون و هى تعين موضع مدينه بريمنسوس(Prymnessos) أو اكروينس(Akroenos) اليونانيه. و تؤكد الروايات المحليه ان البطال، و هو بطل عهد بنى اميه الاول، فى حروبهم مع الروم قد قتل فى وقعه جرت بالقرب منها. على

ان الطبری، و هو أقدم مرجع لدینا، روی فی حوادث سنه ۱۲۲ (۷۴۰) ان عبد اللّه البطال «قتل فی أرض الروم» و لم یشر الی موضع مقتله .

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۸۶

و فی شمال اماره حمید و غربها، البلاد التی کان یحکمها أمیر کرمیان أو جرمیان و کانت دار حکومته کوتاهیه (کوتیوم(Cotyaeum . و کتب المؤرخون العرب هذا الاسم، علی ما بیّنا، قطیّه و لا مراء ان المدینه البزنطیه قد خربت منذ زمن بعید. و جاء فی جهان نما ان الذی بنی کوتاهیه مدینه القرون الوسطی هو سلطان جرمیان. و أشار ابن بطوطه الی ان فیها طائفه من قطاع الطرق. و فی ختام المئه الثامنه (الرابعه عشره) ذکر هذا الموضع کثیرا فی حروب تیمور لنک و کان قد جعله مقر قیادته بعض الوقت. و فی شرق کوتاهیه بمئه میل قرب روافد سنکاریوس(Sangarius) العلیا حصن عظیم یقال له سوری حصار اتخذه تیمور أیضا مرکزا لقیادته وقتا ما. و معنی اسمه فی الترکیه «الحصن المدبب»، (و کتبها القزوینی بصوره سبری حصار)، و کان فوق موضع بسینوس(Pessinus) الرومانی الذی سمی بعدئذ جستنیانوبولیس پالیا(Justinianopolis Palia) . و روی القزوینی انه کان فیه فی المئه السابعه (الثالثه عشره) بیعه مشهوره تسمی بیعه کمنانوس. «و ان الدابه اذا احتبس ماؤها یطاف بها حول هذه البیعه سبعا ینفتح ماؤها».

و الی جنوب سوری حصار: مدینه عموریهAmorion) و هی عند أسّار قلعه الحدیثه) و قد تکلمنا علیها قبلا (ص ۱۷۰). و فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) أشار المستوفی الیها بقوله انها موضع ذو شأن و ان عامه الناس کانوا یسمونها، لسبب مبهم، أنکوریه أو انکوره(Angora) . و کرّر جهان نما

هـذه التسـميه الغريبـه المغلـوط فيهـا و قـال ان انكـوريه هی الـتی يقـال لهـا عمـوريه. و فی جنـوب شـرقی جرميـان، مـدينه لاذق(Laodicea ad Lycum) التی سمّاها الاـتراک دنزلو (المياه الوافره) لکثره انهارها و يعرف هـذا الموضع اليوم باسـم اسکی حصار (القلعه القديمه) و قد وصفها ابن بطوطه فقال «هی من أبدع المدن و اضخمها

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-کورکيس عواد، النص، ص: ۱۸۷

فيها سبعه من المساجد لاقامه الجمعه و أسواقها حسان. و تصنع بها ثياب قطن معلمه بالذهب لا مثل لها و أکثر الصناع بها نساء الروم». و قد ذکر جهان نما ان اسمها القديم: لاذقيه .

و فی امـاره أمير المنتشـا، زار ابـن بطـوطه المـدن المتجـاوره الثلاـث: مغلـه و ميلاـس و برجيـن و کـان مقـام الاـمير فی مغله (مبله Mobolla القديمه) و هی دار حکمه علی ما جاء فی جهان نما. و قد أشار ابن بطوطه الی انها مدينه حسنه.

و کـانت ميلاس Mylasa) أو(Melisos أيضـا مـدينه من أحسن بلاـد الروم و اضـخمها، کثيره الفواکه و البساتين و المياه. و کانت برجين Bergylia) و تعرف اليوم اسّارلـک) علی بضـعه أميـال من ميلاـس «و هی جديـده علی تل هناک بها العمارات الحسـنات و المساجد». و زار ابن بطوطه فی القسم الشرقی من المنتشا مدينه قل حصار و قد ذکرها المسـتوفی باسم «گل» و قال فيهـا انهـا مـدينه وسطه. و أشـير اليهـا أيضـا فی حروب تيمور. و وصـفها ابن بطوطه فقال «بها المياه من کل جانب قـد نبتت فيها القصب فلاـ طريق لهـا الا طريق کالجسـر مهيأ ما بين القصب و المياه، و المـدينه علی تل فی وسط المياه منيعه لا يقـدر عليها». و کان فی شمال المنتشا حصن طواس و يسمی فی وقتنا

هذا دوناس(Donas) و هو على مسيره يوم و نصف من لاذق(Laodicea ad Lycum) . وصف ابن بطوطه طواس بانه حصن كبير فى اسفله ربض. و يقال ان صهيبا الصحابى من أهل هذا الحصن .

و الى شمال المنتشا بلاد امير آيدين و كانت قاعدتها تيره(Teira) . و حكى ابن بطوطه و قد زار امير آيدين فيها انها «مدينه حسنه ذات انهار و بساتين».

و قد مرّ أيضا بمدينه بركى (برگيون(Pyrgion على مرحله من شمال تيره.

و قد أطرى أشجارها الباسقه. و تقوم مدينه آيدين أو گزل حصار فى موضع

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۸۸

ترليس(Tralleis) البزنطيه و كانت مدينه قليله الشأن. و كانت أفسس على الساحل، و قد عرفها البلدانيون العرب باسم افسوس أو أبسوس. و اشتهرت لان فيها كهف اصحاب الكهف الذين جاء ذكرهم فى القرآن (السوره ۱۸، الآيه ۸). و قد عرفت هذه المدينه بعد ذلك باسم ايا سلوق (و تكتب أيضا اياثلوخ أو اياسليغ) و هو تصحيف الاسم اليونانى(Agiou Theologou) و سميت بذلك لان فيها كنيسه كبيره للقديس يوحنا اللاهوتى بناها الملك يسطنيانس. و قد زار ابن بطوطه هذه الكنيسه حين كان هناك سنه ۷۳۳ (۱۳۳۳) و وصفها بقوله «مبنيه بالحجاره الضخمه و يكون طول الحجر منها عشر أذرع فما دونها، منحوته ابدع نحت.

و المسجد الجامع بهذه المدينه من أبدع مساجد الدنيا لا نظير له فى الحسن و كان كنيسه للروم. فلما فتحت هذه المدينه جعلها المسلمون مسجدا جامعا، و حيطانه من الرخام الملون، و فرشه الرخام الابيض، و هو مسقّف بالرصاص، و فيه احدى عشره قبّه منوعه. و زاد ابن بطوطه على ما تقدم انه كان لأياسلوق فى أيامه خمسه عشر

بابا، و نهرها يشقها الى البحر. «و عن جانبى النهر الاشجار المختلفه الاجناس و دوالى العنب و معرشات الياسمين».

و كان فى آيدين ميناء عظيم آخر هو سمرنه(Smyrna) و سمّاه الترك أزمير أو يزمير و هى التى ظفر بها تيمور من الفرسان الاسبتاليه فى مطلع المئه التاسعه (الخامسه عشره). وصفها ابن بطوطه، و كان فيها سنه ٧٣٣ (١٣٣٣)، فقال «معظمها خراب و لها قلعه متصله بأعلاها». و زاد على ذلك ان امير آيدين «كان كثير الجهاد، له اجفان غزويه يضرب بها على مدن نصرانيه فى سواحل البحر قرب ثغر آيدين فيسبى و يغنم». و من هذه المدن: فوجه «أو فوچه و هى فوجيه(Phocia على ساحل اماره صاروخان، فقد ذكرت بعد ذلك فى أيام تيمور لنك بانها حصن اسلامى. و ذكر ابن بطوطه فى رحلته انها كانت حينئذ فى ايدى الكفار، و المراد بهم الجنويين (أهل جنوه). و كانت قاعده صاروخان مدينه مغنيسيه (مغنيسيا و هى(Magnesia قال ابن بطوطه فيها «هى مدينه كبيره حسنه فى سفح جبل و بسيطها كثير الانهار و العيون و البساتين و الفواكه».

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١٨٩

و فيها يقيم أمير صاروخان. و فى حروب تيمور اطلق على البلاد التى حول مغنى سياه (بحسب تهجئه ذلك الزمن) اسم سروهان ايلى.

و فى شمال صاروخان بلاد امير قراصى (أو قره سى) و له داران للحكم فى بلى كسرى و برغمه (برگامس(Pergamus. و وصف ابن بطوطه برغمه و قد زارها فى سنه ٧٣٣ (١٣٣٣) بقوله انها «مدينه خربه لها قلعه عظيمه منيعه بأعلى جبل». اما بلى كسرى، و قد زارها أيضا، فكانت «مدينه حسنه كثير العماره مليحه الاسواق و لا

جامع لها يجمع فيه، و ان كان سلطان قراصى دمور (أو تيمور) خان يعيش فيها. و أبوه هو الذى بنى بلى كسرى». و كثر ذكر هذه المدينه فيما بعد أيام حروب تيمور.

و من بلى كسرى سار ابن بطوطه الى برصى و قد كانت فى أيامه قاعده الدوله العثمانيه حين أخذ نجمها يتألق و سطوتها تقوى و بدأت تبتلع الامارات التركمانيه الأخرى. و كانت برصى أو بروسه(Prusa) فى ذلك الزمن «مدينه كبيره عظيمه حسنه الاسواق فسيحه الشوارع تحفّها البساتين من جميع جهاتها و العيون الجاريه. و بخارجها نهر ماء شديد الحراره يصب فى بركه عظيمه و قد بنى عليها بيتان احدهما للرجال و الآخر للنساء. و المرضى يستشفون بهذه الحمه و يأتون اليها من أقاصى البلاد». و قد زار ابن بطوطه سلطانها العثمانى اورخان (و هو جد بايزيد ايلدرم، و قد مرت الاشاره الى تغلّب تيمور عليه فى مطلع القرن التالى). و فى عاصمته من المبانى قبر ابيه السلطان عثمان بمسجدها. و كان مسجدها كنيسه للنصارى.

و كانت ميخاليج (ميلتوبوليس Miletopolis ، و قد سمّاها الروم(Michaelitze على نحو خمسين ميلا غرب برصى. و قد ورد ذكرها كثيرا فى حروب تيمور و فى جهان نما. على ان أهم بلاد العثمانيين سنه ٧٣٣ (١٣٣٣)

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١٩٠

هى نيقيه التى أخذها السلطان اورخان من الروم و كان البلدانيون العرب الاولون يسمون Nicaea : نيقيه، و عرفها الترك باسم يزنيق أو ازنيق. و وصف ابن بطوطه بحيره يزنيك فقال انها «تنبت القصب». و فى طرفها الشرقى مدينه يزنيك «لا يستطاع دخولها الا على طريق واحد مثل الجسر لا يسلك عليها الا فارس واحد». و المدينه على قوله «خاويه

على عروشها لا يسكن بها الا اناس قليلون و بداخل المدينه البساتين. و عليها أسوار أربعه بين كل سورين خندق و فيه الماء و يدخل اليها على جسور خشب». و الى شمال نيقيه: نيقوميديه(Nicomedia) و قد عرفها البلدانيون العرب الاولون باسم نقموديه، و سماها الترك ازنكميد.

و بهذه الصوره ورد اسمها فى جهان نما ثم اختصر الى ازميد و هو ما تعرف به اليوم و لم يصف هذه المدينه ابن بطوطه و لا غيره من المصنفين .

و كانت اماره قزل احمد لى تشرف على ساحل البحر الاسود مما يجاور البوسفور الى سينوب. و أول مدينه كبيره بلغها ابن بطوطه فى رحلته من يزنيق بعد عبوره نهر سنكاريوس الذى يسميه الترك سقرى كانت: مطرنى أو مدرنى (مدرلو الحديثه و هى Modrene القديمه) و قد ذكر انها بلده كبيره. و جاء ذكرها فى جهان نما أيضا. و وصف ابن بطوطه مدينه بولى (كلوديوبوليس(Claudiopolis و هى فى شمال شرقى مطرنى فقال: «بالقرب منها واد ليس بالصغير. و كانت كردى بولى على مرحله من شرقيها «و هى مدينه كبيره فى بسيط من الارض حسنه متسعه الشوارع و الاسواق و هى محلات متفرقه كل محله تسكنها طائفه لا يخالطهم غيرهم». و كانت كردى بولى فى سنه ۷۳۳ (۱۳۳۳) مقام الامير، و الظاهر انها كانت حينذاك أولى مدن قزل احمد لى.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۹۱

و فى القسم الشرقى من الولايه: قصطمونيه (أو قصطمونى و أصلها قصطمون) و قد ذكر المستوفى انها مدينه وسطه. و ذكرها ابن بطوطه فقال انها «من أعظم المدن» التى زارها فى آسيه الصغرى. «و هى كثيره الخيرات رخيصه الاسعار». و فى شمال شرقها ميناء صنوب الكبير

(سینوب و هو سینوپ(Sinope .

و منهـا ابحر الی القرم. و قـد علمنا من وصـفه لصـنوب انه «یحیط بها البحر من جمیع جهاتها الا واحـده و هی جهه الشـرق. و لها هنالک باب واحد، و هی مدینه حافله جمعت بین التحصین و التحسین. و المسجد الجامع بمدینه صنوب من احسن المساجد فیه قبه تقلّها ارجل من الرخام. و بها قبر الولی الصالح بلال الحبشی» اول من أذن للصلاه فی الاسلام.

و علی خمسـین میلاـ جنـوب قصـطمونی: المـدینه الـبزنطیه گنگره جرمـانیکوبولیس(Gangra Germanicopolis) و قد سمّاها الترک کانقری. و ورد اسـمها فی التواریـخ العربیه القـدیمه بصوره خنجره. و غزا المسـلمون فی أیام الخلیفه هشام الاموی بلاد الروم و توغلوا فیها حتی بلغوا مـدینه خنجره. و قال القزوینی، و قـد أورد الاسم بصوره غنجره: «بها نهر یسـمی المقلوب لانه آخذ من الجنوب الی الشمال بخلاف سائر الانهار». و زاد علی ذلک ان فی سنه ۴۴۲ (۱۰۵۰) «وقعت زلزله هائله سقط منها أبنیه کثیره» و لم یبق لها أثر . و للاحاطه فی ذکر مـدن اماره قزل أحمـد لی، یحسن بنا ان نذکر ما سـماه صاحب جهان نما ب «کوج حصار» و هی فی نحو نصف الطریق بین قصطمونی و کانقری.

و لعلها هی قوشحصار نفسها عند المستوفی، و قد مرت الاشاره الیها (ص ۱۸۲).

و یعینها هناک المدینه التی بالاسم ذاته علی البحیره الملحه العظمی .

فاذا اسـتثنینا الطریق من طرسوس الی القسطنطینیه (و جاء وصفه فی ص ۱۶۶) و الطریق من شرق سیواس الی تبریز (و وصف فی ص ۱۸۰) ألفینا ان ما

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۱۹۲

دوّنه اصحاب کتب المسالک عما یخترق آسیه الصغری من طرق لا طائل

تحته.

على ان جهان نما ذكر عددا من المسالك التى تتفرع من سيواس و ذكر اسماء ما عليها من قرى و منازل.

و ما زال كثير منها يرى فى الخارطه. و مما يؤسف عليه ان ما بينها من مسافات لم تذكر فى معظم الاحوال. و من ثم فان ما يمكن استخلاصه من وصف هذه الطرق قليل الجدوى.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١٩٣

الفصل الحادى عشر أذربيجان

بحيره ارميه- تبريز- سراو- المراغه و انهارها- بسوى و اشنه- مدينه ارميه و سلماس و خوى و مرند- نخجوان- القناطر على نهر أرس Araxes - جبل سبلان- اردبيل و آهر- سفيدرود و روافده- الميانج- خلخال و فيروزاباد- نهر شال و ولايه شاهرود.

كان اقليم اذربيجان الجبلى، و يلفظ ازربيجان بالفارسيه الحديثه ، فى أيام الخلافه أقل شأنا مما صار اليه فى أواخر العصور الوسطى بعد الغزو المغولى، و كان فى أقدم أدواره مبتعدا عن طريق خراسان الذى تسلكه القوافل قاطعا اقليم الجبال (ماذى). و مما امعن فى انعزال اذربيجان أيضا، ما ذكر المقدسى من انه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ١٩۴

«يقال ان به سبعين لسانا» يتكلم بها أهل جباله و هضابه. و ليس بين مدنه مدينه عظيمه الكبر.

و بتعاقب الازمان، علا شأن بعض مدنه فصارت الواحده بعد الاخرى قصبه الاقليم. فقد كانت قاعده الاقليم فى صدر العهد العباسى اردبيل أولا، ثم تبؤأت تبريز المقام الاول فى أواخر عهد الخلفاء. و لكن بعد الغزو المغولى أخذت المراغه مكانها ثم استعادت تبريز سابق عزها فى أيام الايلخانيين. و لكن نجمها افل فى أيام الملوك الصفويين الاولين بنهوض اردبيل ثانيه. و بعد ذلك الزمن أى فى المئه الحاديه عشره (السابعه عشره) حين اتخذ الشاه

عباس اصفهان عاصمه لبلاد فارس جميعا و انحطت اردبيل، استعادت تبريز مقامها السابق واضحت المدينه الاولى فى اذربيجان. و ما زالت على ذلک الى يومنا هذا. فهى الآن أجل مدينه فى القسم الشمالى الغربى من بلاد فارس.

و ابرز العوارض الطبيعيه فى هذا الاقليم بحيره ارميه. و هى أوسع رقعه دائمه الماء فى بلاد فارس. اذ يربو طولها على ثمانين ميلا من الشمال الى الجنوب و نحو ثلث ذلک فى أعرض اقسامها. و هى فى غرب تبريز. و قد سميت بذلک نسبه الى مدينه ارميه التى على ساحلها الغربى. و تطلق مراجعنا على هذه البحيره اسماء مختلفه: ففى زند آفستا سميت چيچستا. و احتفظت الفارسيه القديمه بهذا الاسم بصوره چيچست و هو الاسم الذى عرفت به في الشاهنامه. و قد ظل شائعا حتى أيام المستوفى. و سماها المسعودى و ابن حوقل فى المئه الرابعه (العاشره) ببحيره كبوذان و هو اسم مشتق من الارمنيه و معناه «البحيره الزرقاء» (گابويد معناه: ازرق فى تلک اللغه). و اطلق عليها الاصطخرى اسم بحيره ارميه (و تابعه فى ذلک المقدسى). و كذلک بحيره الشراه، و الشراه فرقه من الخوارج كانت تقيم فى شطئانها. و قال ان هذه البحيره مالحه الماء و زاد على ذلک ان فيها مراكب كثيره تختلف بالتجاره بين ارميه و المراغه و حواليها كلها عماره و قرى و رساتيق.

و فى وسط البحيره جزيره سماها ابن سرابيون جزيره كبوذان، فيها مدينه صغيره يسكنها الملاحون، و فى البحيره سمک كثير على ما ذكر الاصطخرى. (و خالفه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۹۵

فى ذلک ابن حوقل فقد قال «ليس فيها دابه و لا سمک»). و فيها دابه غريبه

تسمى كلب الماء. و فى الشتاء «يكون أمواج عظام» و تصير الملاحه محفوفه بالاخطار. و ذكر ابو الفداء هذه البحيره تلا- غير ان هذا الاسم لا يدل على شى ء معروف. و وصف القزوينى هذه البحيره فقال «يخرج منها ملح يجلو، شبه التوتيا» و يحمل منها الى سائر الانحاء. اما المستوفى فقد بيّنا انه سماها بحيره جيجست و وصفها أيضا بلفظه «دريا شور» (أى البحيره الملحه).

و ذكرها أيضا باسم بحيره طروج أو طسوج نسبه الى مدينه ذات شأن على ساحلها الشمالى. و أشار المستوفى و حافظ ابرو الى جزيره شاها أو شاهى التى «تصير شبه جزيره حين يضحل الماء». و فيها قلعه حصينه على جبل، و بها مدافن هولاكو و غيره من أمراء المغول. و جاء ذكر حصن شاها فى المئه الثالثه (التاسعه) فان مسكويه حين سرد حوادث الخليفه المتوكل حفيد هرون الرشيد تكلم على شاها و يكدر و هما قلعتان كانتا حينذاک بيد رؤساء الشراه فى تلك الانحاء. و فى المئه السابعه (الثالثه عشره) جدّد هولاكو قلعه شاها- و قد سماها حافظ ابرو قلعه تلا فى بحيره أرميه- و جعل فيها أمواله مما نهبه من بغداد و أقاليم الخلافه. ثم صارت هذه القلعه مدفنا له. و كانت تعرف بالفارسيه باسم گور قلعه «قلعه القبر». و حين دوّن حافظ ابرو تاريخه فى أيام تيمور كانت خاليه خاويه .

و مدينه تبريز على نحو ثلاثين ميلا من شرق البحيره على نهر يصب فيها قرب جزيره أو شبه جزيره شاها. و يبدو ان تبريز كانت قريه حتى نزلها فى المئه الثالثه (التاسعه) الرواد الازدى فى أيام المتوكل و بنى بها هو و أخوه و ابنه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير

قصورا، و حصّنها بسور فنزلها الناس معه. و اشارت روايه متأخره الى ان بانى تبريز: زبيده زوجه هرون الرشيد، غير ان التواريخ القديمه لا تؤيد هذا القول.

هذا الى انه لم يرد ما يشير الى ان هذه الاميره قد رأت اذربيجان. و وصف المقدسى مدينه تبريز فى المئه الرابعه (العاشره) فقال «مدينه حسنه و الجامع وسط البلد تجرى خلالها الانهار و تميد فى سوادها الاشجار». و ذكرها ياقوت، و كان فيها سنه ٦١٠ (١٢١٣)، فقال انها فى ايامه أشهر مدن اذربيجان. و زاد القزوينى على ذلك انه «تحمل منها الثياب العتّابى و السقلاطون و الاطلس و النسيج الى الآفاق». و افتدى الناس مدينتهم حال استيلاء المغول عليها فى سنه ٦١٨ (١٢٢١) فنجت بذلك مما أحاق بالمدن التى اكتسحها المغول من نهب و سلب. ثم اصبحت بعدهم فى أيام الدوله الايلخانيه على ما بيّنّا أوسع مدن تلك الانحاء.

و قد اسهب المستوفى فى كلامه على تبريز فقال: ان الزلازل دمرتها مرتين ثم أعيد بناؤها بعد كل تدمير و كان ذلك فى سنه ٢٤٤ (٨٥٨) و ٤٣٤ (١٠٤٣) و هلك من سكانها فى هذه الزلازل اربعون الفا. و بعد أن بنيت حصّنت بسور محيطه سته آلاف خطوه له عشره أبواب. و ظلت على ذلك حتى المئه الثامنه (الرابعه عشره) حين شرع غازان خان ببناء ارباض كبيره فى ما يلى سورها القديم، و حوّط هذه الارباض بسور جديد. و لهذا السور سته أبواب و فى داخله جبل و ليان.

و كان محيط السور خمسه و عشرين ألف خطوه. و ذكر المستوفى أسماء أبواب تبريز الداخله و الخارجه (و المخطوطات متضاربه فى هذه الاسماء) و قال ان غازان

خان كان قد دفن فى سنه ۷۰۳ (۱۳۰۳) فى ربض الشام العظيم الذى أنشأه هو.

و زاد خلفاؤه على ابنيته كثيرا من المساجد الكبيره و غيرها من الابنيه فى داخل المدينه و فى الربض الرشيدى فى منحدرات جبل وليان. و كان يسقى بساتين تبريز نهر مهران رود و مخرجه فى جبل سهند فى جنوب المدينه. و كان حول تبريز سبع نواح سمى معظمها باسم النهر الذى يشقه. و سرد المستوفى أسماء

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۹۷

هذه النواحى و ما جاورها من قرى الا ان قراءه كثير من تلك الاسماء غير موثوق بها. و تكلم ابن بطوطه، و قد زار تبريز فى سنه ۷۳۰ (۱۳۳۰)، فقال «نزلنا بخارجها فى موضع يعرف بالشام». و زاد ان فيه مدرسه حسنه من بناء قازان خان و زاويه. الى قال «دخلت المدينه على باب يعرف بباب بغداد. و وصلنا الى سوق عظيمه تعرف بسوق قازان ... و اجتزت بسوق الجوهريين فحار بصرى مما رأيته من أنواع الجواهر ... و يعرضون الجواهر على الناس ... و دخلنا سوق العنبر و المسك ... ثم وصلنا الى المسجد الجامع الذى عمره الوزير على شاه المعروف بجيلان، و صحنه مفروش بالمرمر، و يشقّه نهر جار، و حيطانه بالقاشانى، و كان بخارجه عن يمين القبله مدرسه و عن يساره زاويه» .

و فى تبريز نهران: اولهما مهران رود و هو يشق ارباض تبريز و الثانى سرد رود (النهر البارد) و يجرى الى الجنوب الغربى و هو كصاحبه منبعه فى جبل سهند جنوب تبريز، و يلتقى النهران بنهر سراو على بعد قليل شمال المدينه.

و سراو رود و كان يسمى أيضا نهر سرخاب ينبع فى

جبال سبلان كوه، و هى على مئتى ميل شرقى تبريز و تشرف على اردبيل. و بعد ان يجرى نهر سراو متمعجا مسافه طويله مارا بمستنقعات ملحه يأخذ بعضها برقاب بعض و يستقبل كثيرا من الروافد، يصب فى بحيره ارميه على نحو اربعين ميلا غرب مدينه تبريز. و قد اسهب المستوفى فى وصف جبلى سهند و سبلان و النهرين اللذين ينحدران منهما و قال ان مدينه سراو أو سراب، و اليها ينسب النهر الذى بهذا الاسم، على الطريق من تبريز الى اردبيل. و كان فى ظاهرها اربع نواح، و هى على ما جاء فى المستوفى: ورزند و درند و براغوش و سقهير. و سمّاها البلدانيون العرب الاولون باسم سراه (عوض سراب). و وصفها ابن حوقل بانها «مدينه طيبه كثيره الخير و المير و البساتين و المياه و الفواكه و الزروع و الطواحين و لها أسواق حسنه

و فنادق نظيفه». و ذكرها ياقوت باسم سراو أو سرو و قال خرّبها التتر فى سنه ٦١٧ (١٢٢٠) و قتلوا كل من وجدوه فيها. على انها استعادت سابق حالها حين كتب المستوفى بعد ذلك بقرن و قال ان بينها و بين تبريز ثلاثه أيام و بينها و بين اردبيل يومان.

و على رافد فى الجانب الايسر (الجنوبى) لنهر سراو: مدينه اوجان أو اجان و كانت على عشره فراسخ من تبريز فى طريق ميانه. وصف ياقوت أجان و كان فيها فى المئه السابعه (الثالثه عشره) بانها مدينه «عليها سور و بها سوق الا ان الخراب غالب عليها» من فعل المغول فيها. و قد أعاد غازان بناءها فى أيام المستوفى و أقام فيها زمنا ما.

و أطلق عليها اسـما جديدا هو شهر اسلام (أى مدينه الاسلام) و لها سور ذرعه ۳۰۰۰ خطوه من حجاره و جص. و كانت نواحيها وافره الخيرات يكثر فيهـا القطن و القمـح و الفواكه. و يسـمى نهرها آب أجان، و ينبع فى قمه جبل سـهند الشـرقيه. و الى جنوب غربى هـذا الجبـل، على نحو سـتين ميلا- من تبريز و اربعه فراسـخ من شـاطئ البحيره، القريه الكبيره داخرّقـان بحسب تسـميه ابن حوقل و البلدانيين العرب لها. و قد كتبها الفرس ديه خوارقان.

و أورد ياقوت اسما آخر لها و هو ده نخيرجان و تفسيره «ده: قريه و نخيرجان:

صـاحب بيت مال (كسـرى ملك فارس)» و وصـفها المسـتوفى بانها بلـده صـغيره حولها ضـياع و ثمانى قرى تكثر فيها الفاكهه و القمح .

و مـدينه المراغه على سـبعين ميلا- جنوب تبريز على «نهر صافى» و هو ينحـدر نحو الجنوب من جبل سـهند اليها ثم ينحرف غربا حتى يصل البحيره. و اسم المراغه «من قريه المراغه (قريه المراعى) فحذف الناس القريه و قالوا مراغه».

و كان الفرس يسـمونها افراز هروذ. و فى المئه الرابعه (العاشره) وصف ابن حوقل المراغه بقوله «المراغه تلى اردبيل فى الكبر». و قـد كانت فى أيامه مـدينه اقليم اذربيجان. و زاد على ما تقـدم انها كانت فى قـديم الايام المعسـكر و دار الاماره و خزانه دواوين الناحيه بها فنقلت الى اردبيل». و كانت المراغه مدينه نزهه عليها

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۱۹۹

سور كـثيره البسـاتين و الانهـار و الفواكه و اشـتهرت بضـرب من البطيـخ «مسـتطيل الخلق قبيـح المنظر غـايه فى الحلاوه و طيب الطعم». و قال المقدسى: «لها حصن و بها قلعه و لها ربض». و قال

ياقوت ان هرون الرشيد امر ببناء سورها و تحصينها و قد رمّ سورها فى أيام الخليفه المأمون.

واضحت المراغه فى أيام المغول الاولين، على ما رأينا، قصبه اذربيجان.

وصفها المستوفى بانها مدينه عظيمه حولها نواح كثيره الخيرات ذكر اسماء بعضها.

و كانت تسقيها انهار كثيره. و فى ظاهر المراغه الرصد العظيم الذى بناه الفلكى نصير الدين الطوسى بأمر هولاكو و فيه وضع كتابه «الزيج الايلخانى» المشهور.

و هذا الرصد، و ما زالت اطلاله ترى هناك، كان خرابا حين كتب المستوفى فى المئه الثامنه (الرابعه عشره). و ذكر القزوينى القلعه المسماه روين دز فقال انها «على ثلاثه فراسخ من المراغه و هى بين رياض على يمينها نهر و على يسارها نهر و على القلعه بستان يسمى عميداباذ و مصنع بئر الماء من تحتها». و على فرسخ منها قريه جنبذق فيها فوارات يحكى عنها عجائب كثيره.

و نهر صافى يصب فى البحيره قرب المراغه، و تختلط مياهه ايام الفيضان بمياه نهر جغتو و رافده تغتو. و ذكر المستوفى ان كليهما ينبع فى جبال كردستان.

و كان شاطئ البحيره الجنوبى عند مصب هذه الانهار مستنقعا كبيرا. و فى هذا الموضع ليلان (أو نيلان) و هى مدينه صغيره تلتف حولها الانهار و تحفّ بها البساتين المثمره. و كانت آهله بالمغول فى أيام المستوفى. و على شى ء من جنوب ليلان بحسب المسافات الوارده فى كتب المسالك قريه برزه، و فيها ينقسم الطريق الصاعد من سيسار (فى اقليم الجبال). فالايمن يتجه نحو الشمال الشرقى الى المراغه و الايسر الطريق الذاهب الى ارميه مصاقبا غرب البحيره.

و على خمسين ميلا من شاطئ البحيره الجنوبى بسوى، و ينطق بها الفرس بسوى. و قد زارها ياقوت فقال «رأيتها، أكثر أهلها حراميه».

و اطرى المستوفى بساتينها المثمره. و الى شمالها الغربى مدينه اشنه و كان بها فى أيام ابن حوقل أكراد. و فى المئه الرابعه (العاشره) كان «يجلب منها و من سوادها الاغنام و الدواب الى بلد الموصل و نواحى بلد الجزيره. و هى أيضا مدينه كثيره الشجر

و الخضر و الخيرات». و لمراعيها ينتجع اصحاب الاغنام. و قال ياقوت، و قد زارها، انها ذات بساتين. و وصفها المستوفى، و أورد اسمها، بصوره أشنويه فقال انها فى المنطقه الجبليه التى سماها ده كياهان .

و مدينه ارميه، و بها عرفت البحيره التى باسمها، على شى ء يسير من شاطئها الغربى. «و هى فى ما يزعمون مدينه زرادشت». و كانت هذه المدينه على ما ذكر ابن حوقل فى المئه الرابعه (العاشره) «تلى المراغه فى الكبر. و هى مدينه نزهه كثيره الكروم وافره الحظ من التجارات». «و الجامع فى البزّازين» .

و كانت ارميه «بقلعه عامره و لها حصن و بها نهر» ينحدر الى البحيره و هى على نحو فرسخ منها. و فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) اضحت مدينه كبيره ذرع سورها عشره آلاف خطوه. و من أعمالها عشرون قريه. و على الطريق فى شمال أرميه، على بعد قليل من زاويه البحيره الشماليه الغربيه، مدينه سلماس و قد وصفها المقدسى بانها بلده طيبه ذات أسواق حسنه و المسجد الجامع مبنى بالحجاره «و قد أحاط بها الاكراد» فى المئه الرابعه (العاشره) و قال ياقوت ان معظم سلماس قد خرّب فى المئه السابعه (الثالثه عشره). و لكن الوزير على شاه، على ما روى المستوفى، كان فى القرن التالى، فى حكم غازان خان المغولى، قد جدد بناء

أسوارها، و محيطها ۸۰۰۰ خطوه. فاستعادت المدينه شأنها الاول. و هى بارده الهواء، و لها نهر ينبع فى الجبال التى فى غربها و يصب فى البحيره.

و على شاطئ البحيره الشمالى مدينه يقال لها طروج أو طسوج و لعلها ترسه الحديثه. و المستوفى، على ما بيّنّا، كثيرا ما ذكر بحيره طسوج أو طروج الملحه و على هذا فمدينه طسوج مثل ارميه قد انتقل اسمها الى هذه الرقعه من الماء. و فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) كانت طسوج، على ما يبدو، موضعا ذا شأن، و كانت أدفأ هواء من تبريز و أكثر رطوبه لشده اقترابها من البحيره. و حولها البساتين و الكروم. و الى شمال شرقى سلماس، مدينه خوى و تلفظ خوى على نهر يجرى

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۰۱

شمالا- فيصب فى نهر ارس(Araxes) . و خوى، على ما ذكر ياقوت و القزوينى، «ذات سور حصين و مياه و أشجار كثيره الخيرات يعمل بها الديباج، بها عين ينبع منها ماء كثير جدا بارد فى الصيف حار فى الشتاء». و قال المستوفى ان دائر أسوار المدينه ۶۵۰۰ خطوه و ان أهلها من قوم بيض الاجسام كأهل الخطا (و هم من الصين) و لها ثمانون قريه.

و فى المئه الرابعه (العاشره) وصف المقدسى مدينه مرند و هى فى شرق خوى على ضفاف نهر من روافد الجانب الايمن لنهر خوى بقوله: «مرند: حصينه لها ربض عامر و الجامع فى الاسواق تحدق بها البساتين». و قال ياقوت فيها:

«قد تشعثت الآن و بدا فيها الخراب مذ نهبها الكرج و أخذوا جميع أهلها».

و كان نهرها على ما جاء فى المستوفى يسمى زولو (أو زكوير) و يقال ان قسما منه كان

يجرى مدى أربعه فراسخ تحت الارض. و روى المستوفى ان مرند كانت فى أيامه على نصف سعتها الاولى الا انها بقيت مشهوره بتربيه دود القرمز و كان يستخرج منها صبغ أحمر. و حول المدينه ستون قريه كانت من أعمالها .

و كانت نخچوان أو نقچوان الى شمال نهر أرس و تحسب عاده من أعمال اذربيجان. و هى نشوى لدى البلدانيين العرب. و ذكرتها كتب المسالك كثيرا دون ان تتطرق الى وصفها. و قد علا شأن نخچوان فى أيام المغول. و وصفها المستوفى بانها بلده كبيره بناؤها من الآجر و بالقرب منها فى ناحيه الشرق قلعه النجق و فى شمالها جبل ضارب فى الفضاء تغطيه الثلوج يقال له ماست كوه. و فى نخجوان القبه التى بناها ضياء الملك ابن نظام الملك وزير ملكشاه السلجوقى العظيم.

و وصف على اليزدى قنطره ضياء الملك المشهوره (و ما زالت بقاياها قائمه) فوق نهر ارس عند قلعه كركر على طريق مرند على نحو ۱۵ ميلا من نخجوان.

و على نهر ارس، اسفل منها بشى ء يسير، مدينه جلفا و قد تكتب جولاها.

دمرها الشاه عباس ملك فارس فى سنه ۱۰۱۴ (۱۶۰۵) حين نقل أهلها الارمن

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۰۲

الى ربض جديد ابتناه فى جنوب اصفهان و سماه جلفا نسبه الى جلفا القديمه التى على نهر ارس. و مما ذكره المستوفى من مدن نهر ارس: اردوباد (و ما زالت قائمه) و هى قرب ملتقى نهر بأرس من الجنوب. تقوم على ضفافه قلعه دزمار و قد ذكرها ياقوت أيضا. و أسفل منها على نهر ارس أيضا مدينه زنگيان فى كوره مردان نعيم. و هناك قنطره ثانيه ما زالت قائمه على نهر ارس

يقال لها بالفارسيه پل خدا آفرين (جسر خلقه اللّه) و قد بناها على ما ذكر المستوفى أحد الصحابه فى سنه ۱۵ (۶۳۶) و تشتمل ارض مردان (أو مراد) نعيم على نيف و ثلاثين قريه .

و مدينه اردبيل فى أعالى نهر سماه المستوفى اندراب، و اسفل منها يقع نهر اهر فى يسار نهر اردبيل و هذا يصب فى نهر ارس على شى ء يسير أسفل من قنطره خدا آفرين. و مخرج نهرى اردبيل و اهر من منحدرات سبلان كوه الشرقيه و الغربيه (على التوالى) و هو الجبل العظيم المطلّ على اردبيل. و من منحدراته الجنوبيه يخرج نهر سراو، على ما قد بيّنا، فيجرى غربا الى بحيره ارميه. و ذكر ابن حوقل جبل سبلان فى المئه الرابعه (العاشره) و لكنه أخطأ فى قوله انه اعظم من دماوند و هو على بضعه أميال من شمال طهران، و تكسو الاشجار سفوحه و عليه قرى و مدن كثيره أحصاها المستوفى. و قال ان الجبل كان يرى من بعد خمسين فرسخا و لا يفارقه الثلج شتاء و لا صيفا. و بالقرب من قمته عين كان سطحها دائم الجمود. و على مقربه من جبل سبلان، قمتان أخريان هما كوه سرا هند شمال أهر و سياه كوه (الجبل الاسود) و هو يطل على كلنتر و هى مدينه صغيره فيها قلعه تحفّ بها الاشجار و يسقى مزارعها نهر.

و كانت اردبيل، على ما بينّا، قصبه اذربيجان فى المئه الرابعه (العاشره).

قال فيها الاصطخرى «عليها سور و هى مدينه تكون ثلثى فرسخ فى مثلها. و الغالب على ابنيتها الطين و الآجر و بها المعسكر. و بها رساتيق و كور جليله و هى خصبه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس

و اسعارها رخيصه». و عسل اردبيل مشهور. و تكلم المقدسی على الحصن و قال ان أسواق اردبيل «مصلبه الى اربعه دروب و الجامع وسط الصليب و خلف الحصن ربض عامر». و فی سنه ٦١٧ (١٢٢٠) نهب المغول اردبيل و تركوها قاعا صفصفا و لكنها قبيل ذلك كانت آهله بالسكان حين زارها ياقوت. و كانت اردبيل معروفه لدى الفرس قديما باسم باذان فيروز و هی حين كتب المستوفی فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) و ان لم تعد أولى مدن اذربيجان الا انها استعادت كثيرا من سالف عزها. و فی المئه العاشره (السادسه عشره) اضحت، على ما قد بيّنا، عاصمه بلاد الفرس كلها فی أيام الدوله الصفويه الجديده قبل ان ينقلوا قاعده ملكهم الى تبريز أولا ثم الى اصفهان.

و أهر، و هی على مئه و خمسين ميلا- غرب اردبيل، على نهر اهر. و قد ذكرها البلدانيون العرب القدماء. وصفها ياقوت بانها «مدينه عامره كثيره الخيرات».

و الى شمالها جبل سراهند و حولها كثير من البلدان الصغيره القائمه على سفوح الجبل. و قد ذكر ياقوت و المستوفی اسماءها الا انه يصعب الآن تمييز تلك الاسماء أو تعيين مواضعها. و كانت الناحيه المحيطه بها تعرف باسم بيشكين (و هی ميشكين فی الوقت الحاضر) نسبه الى اسره أميرها التی حكمت فيها فی المئه الثامنه (الرابعه عشره). و مدينه بيشكين على مرحله من اهر و كانت تعرف فی الاصل باسم و راوی و كان على نهر اندراب، فوق ملتقى نهر اهر به على ما ذكر المستوفی، قنطره حسنه بناها على شاه وزير غازان خان المغولی .

و نهر سفيدرود، أی النهر الابيض، و روافده الكثيره تسقی نواحی اذربيجان الجنوبيه الشرقيه.

و يؤلف معظم مجرى هذا النهر الحدود الفاصله بين اذربيجان و اقليم الجبال و يصب هذا النهر أخيرا فى بحيره قزوين بعد مروره باقليم گيلان. و سماه الاصطخرى و غيره من المصنفين العرب باسم سبيذرود. و قال المستوفى ان المغول كانوا يطلقون عليه اسم هولان مولان (و الاصح: ألان موران) و تعنى بالمغوليه «النهر الاحمر». و يعرف اليوم قسم من سفيذروذ باسم قزل اوزن

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۰۴

و هى بالتركيه «النهر الاحمر» أيضا. و كتب المستوفى ان مخرج سفيدرود من جبال كردستان فى جبل يسمى بالفارسيه پنج انگشت و بالتركيه بش پرماق و معنى التسميتين «الاصابع الخمس». و فى انحدار سفيدرود شمالا يستقبل اولا نهر زنجان فى ضفته اليمنى و هو النهر الآتى من مدينه زنجان التى سنصفها فى فصل قادم. ثم يصب فى ضفته اليسرى نهر ميانج الذى يتألف من اجتماع عده انهار تنحدر من الغرب. و شمال ميانج ينعطف سفيدرود غربا و يستقبل فى ضفته اليسرى النهرين المتحدين سنچيده و كديو المنحدرين من خلخال الى جنوب أردبيل. و يلى ذلك نهر شال من ناحيه شاهرود التابعه لخلخال. و أسفل ذلك، على ضفته اليمنى، يلتقى نهر طارم الآتى من اقليم الجبال (على ما سنبينه فى الفصل الخامس عشر) بنهر سفيدرود ثم يلتقى به نهر شاهرود (و يجب ان لا يلتبس بناحيه شاهرود الماره الذكر) الآتى من بلاد الحشيشيين (الحشاشين).

و أخير فان سفيدرود بعد ان يخترق الحاجز الجبلى يصل الى بحر قزوين عند كوتم فى اقليم كيلان.

و كان نهر ميانج كما بيّنّا أهم الروافد اليسرى لسفيدرود. و هو يأتى من الغرب و ينبع من البلاد التى فى جنوب أوجان (أنظر

ص ١٩٨). و يستقبل فى ولايه كرمرود فى ضفته اليسرى مياه نهر كرمرود (النهر الحار) و هو نهر ينبع فى الجبال التى فى جنوب سراو. و أسفل مدينه ميانج يستقبل النهر الاصلى فى يمناه مياه هشترود (الانهار الثمانيه) و مخرجها فى الجبال شرق المراغه. و كان فى أيام المستوفى عند ملتقى هشترود بنهر ميانج قنطره حجر عظيمه ذات اثنين و ثلاثين طاقا.

و كانت ميانج أو ميانه «الموضع الوسط» التى تقوم عند ملتقى كل هذه الانهار مدينه ذات مركز خطير منذ الازمنه القديمه. ذكر ابن حوقل فى المئه الرابعه (العاشره) انها منعمه بالخيرات كثيره الثمار و مثلها كورتها التى عرفت فى الأزمنه المتأخره باسم كرمرود. و المقدسى، و قد أورد اسمها بصورته الحديثه اعنى ميانه، قال انها كثيره الخير. و نوّه بها ياقوت و قد زارها فى المئه السادسه (الثانيه عشره). و فى القرن التالى ذكر المستوفى انها قد ضؤلت و أمست قريه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٢٠٥

كبيره الا انها بقيت من المراحل المهمه فى شبكه الطرق التى انشأها المغول. و هى حاره الهواء كثيره الحشرات (و بعوض ميانه مؤذ للمسافرين اليوم). و كان فى ولايه كرمرود نيف و مئه قريه خصبه يكثر فيها القمح.

و الانهار الثلاثه المسماه سنجيده و كديو (أو كدپو فى جهان نما) و شال تلتقى بنهر سفيدرود من الشمال منحدره اليه من ناحيه خلخال. و كانت خلخال أيضا أولى مدن هذه الناحيه و قد وصفت كتب المسالك موضعها بانه على اثنى عشر فرسخا جنوب اردبيل. و كانت فيروز اباد فوق قمه الدرب حيث هنالك حمه يغلى ماؤها و يفور فى وسط القمم المغطاه بالثلوج. و على ما فى

المستوفی قد کانت فی الازمنه السابقه دار الملک. و لما آلت الی الخراب حلت محلها مدینه خلخال.

و لا یمکن الآن معرفه الموضع الصحیح لفیروز اباد. و کانت البلدتان کلور و شال، و ما زالت الخوارط تذکرهما، من أعمال شاهرود و تقومان علی نهر شال «یسمی الآن شاهرود الصغیر» و مخرجه فی جبل شال. و ذکر المستوفی جمله مواضع أخری فی خلخال غیر انه لا یمکن تعیینها فی الوقت الحاضر .

اما غلات اذربیجان فقلیله و سنأتی علی ذکرها فی آخر الفصل القادم. و فی ختام الفصل الخامس عشر لخصنا القول فی مسالک هذا الاقلیم بعد ان وصفنا اقلیم الجبال لان کل هذه المسالک تخرج من مواضع عدیده فی طریق خراسان الذی یخترق اقلیم الجبال.

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۰۶

الفصل الثانی عشر کیلان و الأقالیم الشمالیه الغربیه

اشاره

الجیلانات- اقلیما الدیلم و طالش- بروان و دولاب و خشم- لاهجان و رشت و غیرهما من مدن کیلان- اقلیم موغان- باجروان و برزند- محمود اباد- ورثان- اقلیم الران- برذعه- البیلقان- کنجه و شمکور- نهر الکر و نهر الرس- اقلیم شروان- شماخی- باکویه و باب الابواب- اقلیم کرجستان أو جورجیا- تفلیس و قرص- اقلیم ارمینیه- دبیل أو دوین- بحیره وان- اخلاط و ارجیش و وان و بتلیس- حاصلات و تجارات الاقالیم الشمالیه.

اوضحنا فی الفصل السابق ان نهر سفیدرود بعد ان یخترق مجراه المتعرج جبال البرز، یصب فی بحر قزوین فی النهایه الغربیه من ساحله الجنوبی.

و تتکون فی هذا الموضع «دلتا» و مناقع علی شی ء من السعه و وراءها الجبال. و دلتا سفیدرود هذه التی تحفّ بها من الجنوب و الغرب سفوح الجبال المتدرجه المکسوه بالغابات، هی اقلیم کیلان الصغیر الذی سماه العرب الجیل أو

جيلان، و فيه ثلاث نواح .

و اراضى الدلتا الرسوبيه هى التى اطلق عليها البلدانيون العرب اسم الجيل أو جيلان بوجه خاص. و هم اذا أرادوا الاشاره الى الاقليم باجمعه، أطلقوا عليه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۰۷

اسما بصيغه الجمع فقالوا جيلانات «كيلانات». و قد يشمل هذا الاسم أيضا الاصقاع الجبليه. و فى جنوب هذا الاقليم و غربه، مما يحاذى جبال ناحيتى الطالقان و تارم من اقليم الجبال، كانت بلاد الديلم، و قد جاء اسمها بصيغه الجمع فقيل الديلمان. و اشتهرت هذه البلاد فى التاريخ بكونها موطن بنى بويه أى الديالمه. فقد كان رؤساؤهم فى المئه الرابعه (العاشره) ساده بغداد و ذوى النفوذ على الخلافه فى أكثر تلك الحقبه. اما الشقه الساحليه الضيقه و المنحدرات الجبليه الممتده شمالا من جنوب غربى بحر قزوين و المواجهه من شرقيها ذلك البحر فهى بلاد طالش و قد ذكر ياقوت هذا الاسم بصيغه الجمع فقال طالشان أو طلشان. و الى الشرق، على حدود طبرستان، جبال روبنج، ويليها الناحيه الجبليه العائده الى اسره قارن العظيمه و كان رؤساؤها منذ ازمنه غير معروفه ساده هذه البقاع الفسيحه على ما سنبينه أيضا فى الفصل السادس و العشرين.

و حين كتب المقدسى كتابه فى المئه الرابعه (العاشره)، و هو الوقت الذى بلغت فيه سياده البويهيين ذروتها، كانت جميع جيلان و أقاليم الجبل التى فى شرقيها المحاذيه لبحر قزوين، و هى طبرستان و جرجان و قومس، فى ضمن اقليم الديلم. ثم صار ينظر الى هذه الاقاليم الشرقيه فى الازمنه المتأخره كأنها مستقله عنه. و بعد ذلك بطل استعمال اسم الديلم نفسه فى الغالب. و انتقل اسم المناقع فى دلتا سفيدرود الى جميع الجهات

المجاوره فعرفت باقليم جيلان. على ان جيلان، بوجه اصحّ، لم تكن غير البقاع الساحليه بينما الديلم كان الصقع الجبلى المطلّ عليها. و جرى اطلاق احد هذين الاسمين فى بعض الاحيان على جميع الاقليم الذى يكتنف جنوب غربى بحر قزوين .

و كانت قصبه بلاد الديلم تسمى، على ما يقال، روذبار. الا ان موضعها غير معروف. اما المقدسى فقد قال ان «قصبه الديلم: بروان». و مما يؤسف له ان لا أثر لها اليوم، و لم تذكر كتب المسالك موضعها الحقيقى. و زاد المقدسى

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٢٠٨

على ذلك قوله انه لم يكن فى بروان «منازل رشيقه انيقه و لا- أسواقها بالواسعه عطيفه و لا جوامع ... و حيث مستقر السلطان يسمى شهرستان». و قد كان فيها تجار من أهل الثراء فكثر خيرها. و ذكر المقدسى ان «دولاب: قصبه الجيل» و قال فيها: «بلد طيب، بناؤهم من جص و حجر، و سوق حسن» و الجامع وسط السوق. و على ما فى ابى الفداء ان «دولاب تسمى كسكر».

و لم ينته الينا شى ء عن مسالك هذه البلاد غير ما ذكره المقدسى من ان دولاب على اربع مراحل من بيلمان، و هى قريه على ما جاء فى ابى الفداء. و الظاهر انها كانت من أهم المواضع فى بلاد طالش. و على مرحلتين من سفيدرود و اربع مراحل من بيلمان، مدينه خشم و هى مدينه الداعى (العلوى) فى النصف الاخير من المئه الثالثه (التاسعه) و كان يحكم هذه الانحاء حكم السلطان المستقل و خلع الطاعه للخليفه. و وصف المقدسى خشم فقال «لها سوق عامر و على طرف الاسواق جامع ثم دار الامير. و النهر منها على جانب

عليه جسر هائل». و يحسن ان نبين ان مواضع هذه المدن القديمه غير متحقق منها .

و كانت أكبر مدن كيلان فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) على ما فى المستوفى:

لاهجان و فومن. و ذكر ابو الفداء لاهجان أيضا و قال انها فى شرق مصب سفيدرود. و كانت حينذاك مدينه وسطه يجلب الحرير منها و ينمو فى ناحيتها الرز و القمح و النارنج و الاترنج و غير ذلك من فواكه المنطقه الحاره. و كوتم أو كوتم و هى أقرب الى فم سفيدرود، كانت ميناء تقصدها السفن من سائر انحاء بحر قزوين. ذكرها ياقوت و ابو الفداء. و كانت مدينه تجاريه كبيره فى المئه الثامنه (الرابعه عشره). و قال ابو الفداء «انها ناقله عن البحر (بحر قزوين) مسيره يوم». و فومن، و ناحيتها داخليه أكثر من كوتم، فى غرب نهر سفيدرود.

و كانت أكبر مدن القسم الجبلى فى بلاد الديلم. و ذكر المستوفى انها مدينه كبيره فى بقعه خصبه يكثر فيها القمح و الرز و الحرير و هو ينسج فيها أيضا. بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۰۹

و المستوفى من أقدم مراجعنا التى وصفت رشت، و هى الآن قصبه كيلان و الظاهر ان بلدانيى العرب لم يتكلموا عليها بل لم يذكروا اسمها. فلقد أشار المستوفى الى ان هواءها شديد الحر عفن. و يكثر فيها القطن و الحرير و منها يحملان الى سائر الانحاء. و كانت هذه المدينه فى أيامه موضعا على شى ء من السعه و الشأن. و فى غربى رشت اليوم كوره تولم. و وردت تولم فى المستوفى اسما لمدينه ذات شأن فى المئه الثامنه (الرابعه عشره). و على ما فى ابى الفداء، كانت تولم اولى

مـدن القسم السـهلى فى جيلاـن. و نواحيهـا ذات خيرات فيها القمـح و القطن و الرز و النارنـج و الاترنـج و الليمون. و شـفت، أو شفته، ذكرها المستوفى اسما لمدينه و لم يبق اليوم من هاتين التسميتين غير ناحيه تعرف بشفت و هى فى جنوب رشت.

و أخيرا ذكر المسـتوفى من مدن كيلان: اصـفهبد و هى مدينه صـغيره كتبها ياقوت اصبهبذان. و زاد على ذلك فقال «بينها و بين البحر (قزوين) ميلان». و لم يشـر الى موضـعها. و فيها القمح و الرز و بعض الفاكهه. و فى ناحيتها نحو مئه قريه . و قد اشـتق اسـم المدينه، من الاصـبهبذان و كانوا ملوكا لهذه البلاد خاضعين للساسانيين اعتنقوا الاسلام ظاهرا و ظلوا امراء فى طبرستان فى صدر الخلافه .

موغان

موغـان و مغكـان أو موقـان اسم يطلق على سـهل عظيم فيه مناقع يمتـد من جبل سـبلان حتى ساحل بحر قزوين الشـرقى. و هـذه البلاـد فى جنوب مصب نهر ارس و شـمال جبـال طالش. و كانت تعـد أحيانا من اقليم اذربيجان و لكنها فى الغالب كانت تؤلف اقليما بنفسه.

و قصبه موغان فى المئه الرابعه (العاشره) مدينه موغان، و يصعب تعيين موضعها. ذكر المقدسى مدينه موغان فقال انها «مدينه قد احاط بها نهران و حولها حدائق حسان كأنها فى رحبها جنان هى مع تبريز روضتان». و من وصفه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۱۰

لا يسـتبعد ان تكون مـدينه موغان هذه مطابقه لباجروان التى عدّها المسـتوفى قصـبه الاقليم فى القديم و كانت فى أيامه قد آلت الى الخراب. و فى وصفه للمسالك عيّن موضع باجروان على اربعه فراسخ شمال برزند، و هذا الاسم ما زال يرى فى الخارطه. و

فى الروايات الاسلاميه ان عند باجروان «عين الحياه التى وجدها الخضر عليه السلام» و هو النبى الياس. و الى جنوب باجروان، على ما بيّنا، برزند و قد وصفها ابن حوقل بانها مدينه كبيره. و أشاد المقدسى بأسواقها التى تأتى اليها السلع من الانحاء المجاوره لها و تحمل الى سائر الانحاء، فهى موئل التجاره فى هذه البلاد. و أشار المستوفى الى ان كلا من باجروان و برزند كان قريه فى أيامه. و هواء نواحيها حار و يكثر فيها القمح .

و ذكر المستوفى ثلاث مدن فى سهل موغان، هى: پيلسوار و محمود اباد و همشره. و بيلسوار كانت على نهر ينحدر من باجروان على مسافه ثمانيه فراسخ من باجروان و يقال انها سميت بذلك نسبه الى الامير پيله سوار الذى وّلاه بنو بويه عليها و معنى اسمه «الفارس أو الجندى الصنديد». و محمود اباد فى مفازه كاوبارى قرب بحر قزوين و كانت على اثنى عشر فرسخا مما يلى بيلسوار. ذكر المستوفى ان بانيها غازان خان المغولى و كانت همشره المجاوره لها على فرسخين من الساحل و تعرف فى الاصل باسم ابرشهر أو بوشهره و قد أسسها، على ما فى المستوفى، فرهاد بن كودرز «و يزعمون انه نبوخذ نصر». و كان فى الازمنه القديمه فى شمال باجروان: بلده بلخاب قيل انها «قريه آهله فيها رباطات و فنادق للسبيل تنزلها السياره». و وراء هذه المرحله فى الطريق الشمالى على ضفه نهر الرس الجنوبيه مدينه ورثان. و هى عند المعبر المؤدى الى بلاد الران.

و كانت ورثان فى المئه الرابعه (العاشره) مدينه عليها سور و بها أسواق عامره و لها ربض خارج السور. و كانت آهله و هى فى سهله عامره

على فرسخين من ضفه النهر و مسجدها الجامع فى الربض. و يقال ان ورثان بنيت بأمر زبيده زوجه هرون الرشيد .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٢١١

أرّان (الران)

أما اقليم الران و شروان و جورجيا و ارمينيه، و هى فى جملتها شمال نهر أرس، فقد كان يصعب عدها من ديار الاسلام. و لهذا لم يتبسط البلدانيون العرب فى وصفها. لقد أقام المسلمون فيها منذ صدر الاسلام و ولى الخلفاء عليها عمالهم فى أوقات مختلفه، غير ان اغلب أهلها بقوا على نصرانيتهم حتى اوشكت العصور الوسطى ان تنتهى، و ما زالت هذه البلاد على ذلك حتى حلّ فيها المسلمون ثانيه عقب الفتح المغولى، و لا سيما بعد الحروب الكثيره التى شنها تيمور على جورجيا فى ختام المئه الثامنه (الرابعه عشره)، اذ استقرّ فيها الترك فصار الاسلام الدين السائد فيها.

و اقليم الران فى المثلث العظيم غرب اقتران سيرس و اراكسس- و هما نهرا الكر و الرس- فهو اقليم «بين النهرين» على ما سماه به المستوفى. و كتب البلدانيون العرب القدماء هذا الاسم بصوره الران (و نطقوا به أرّان) و ما ذلك الا ليجعلوا منه اسما عربيا. و كانت قصبه هذا الاقليم فى المئه الرابعه (العاشره) برذعه- و ما زالت خرائبها باقيه. و وصف ابن حوقل مدينه برذعه- و كتبت بعدئذ بصوره بردعه- فى المئه الرابعه (العاشره) بانها نحو فرسخ طولا فى أقل منه عرضا و كانت أكبر مدن هذه الديار مربعه الشكل لها قلعه و هى من نهر الكر على نحو ثلاثه فراسخ على ضفه احد روافده المعروف بالثرثور. و قربها فى نهر الكر السمك المعروف بالسر ماهى (و شور ماهى بالفارسيه تعنى السمك المملّح)

و يحمل منها الى سائر البلاد و يكون من هذا السمك أيضا فى نهر الرس بورثان.

«و كان من برذعه على أقل من فرسخ، ناحيه بموضع يدعى الاندراب، و أقطاره أكثر من مسيره يوم فى مثله، مشتبكه البساتين و العمارات، طيبه المنتزهات

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۱۲

و الباغات، و لها فواكه كثيره، و تشتمل اجنتها على البندق و الشاه بلوط و بها تين، و يربّى فيها دود القز».

و فى ظاهر برذعه عند باب الاكراد، سوق يجتمع فيها الناس كل يوم أحد، مقدارها فرسخ، تعرف بسوق الكركى (من قرياقوس(Kuriakos) اليونانى و تعنى «يوم الرب»). و يسمون يوم الاحد هناك يوم الكركى. و فى برذعه مسجد جامع حسن فسيح يرتفع سقفه على اساطين خشب و حيطانه من الآجرّ مكسوه بزخارف الجص. و فيها حمامات كثيره. و كان بيت مال الاقليم فى أيام بنى أميه فى برذعه. و فى المئه السابعه (الثالثه عشره) كانت برذعه حين كتب ياقوت قد استولى الخراب عليها اما المستوفى فقد ذكر فى القرن التالى انها مدينه كبيره على نهر الثرثور. و عند المعبر الذى على نهر الكر، و لعله اسفل من اقتران الثرثور به على ثمانيه عشر فرسخا أى مسيره يوم واحد فى الطريق من برذعه الى شماخى فى شروان، مدينه برزنج، و يقصدها التجار و تحمل السلع الكثيره اليها و منها . بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد ؛ النص ؛ ص۲۱۲

ضحت مدينه البيلقان و تعرف بالارمنيه باسم فيداكران(Phaidagaran) قصبه الران بعد خراب برذعه. و معالم هذه المدينه، و ان زالت الآن على ما يبدو، الا ان كتب المسالك العربيه قد عرّفتنا بموضعها تقريبا. و البيلقان على أربعه

عشر فرسخا من جنوب برذعه، و على سبعه أو تسعه فراسخ من شمال الرس فى الطريق الصاعد من برزند. و قد كانت موضعا عظيما حتى المئه التاسعه (الخامسه عشره). وصفها ابن حوقل فى المئه الرابعه (العاشره) بانها «مدينه طيبه كثيره المياه و الاجنه و الاشجار و الطواحين الواسعه على انهارها». «و بها ناطف موصوف». و فى سنه ۶۱۷ (۱۲۲۰) «قصدها التتر و رأوا حصانه سورها، أرادوا خرابه بالمنجنيق، فما وجدوا حجرا يرمى به الحائط و رأوا أشجارا من الدلب عظاما قطعوها بالمناشير و تركها قطّاعها فى المنجنيق و رموا بها السور حتى خربوا سورها و نهبوا ... ثم احرقوها. فلما انفصلوا عنها تراجع اليها قوم كانوا هربوا

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۱۳

عنها و هى الآن متماسكه ... و عادت الى عمارتها». و فى ختام المئه الثامنه (الرابعه عشره)، حاصرها تيمور و استولى عليها. ثم أمر باعاده بنائها و حفر نهر حمل اليه الماء من نهر ارس كان طوله سته فراسخ و عرضه خمس عشره ذراعا و منه كان ماء المدينه الجديده. و كان يقال لهذا النهر برلاسى نسبه الى برلاس قبيله تيمور.

و جاء ذكر مدينتين أخريين فى الران الى شمال غربى برذعه فى طريق تفليس.

أولاهما مدينه كنجه (و الاشهر فى تسميتها اليوم اليزابيت بول(Elizabetpol و قد كتبها البلدانيون العرب بصوره جنزه و سمى القزوينى نهرها باسم قردقاس.

و الى شمالها الغربى شمكور و خرائبها ما زالت موجوده. و كانت هذه المدينه تعرف فى المئه الثالثه (التاسعه) بالمتوكليه لان الخليفه المتوكل احدثها فى سنه ۲۴۰ (۸۵۴) .

و النهران اللذان يحدان اقليم الران المعروفان لدى اليونان باسم اراكسس و سيرس، سماهما العرب بنهر الرس

(أو ارس) و نهر الكر (أو كر). و ينبع نهر ارس فى بلاد قاليقلا- فى غربى ارمينيه. و بعد ان يجرى بمحاذاه حدود اذربيجان الشماليه يلتقى بنهر كر (على ما ذكر المستوفى) فى بلاد قراباغ فى شرقى الران. و مخرج نهر الكرّ فى الجبال غرب تفليس ببلاد جورجيا، أى فى بلاد الخزر التى تتألف من ولايتى أبخاز و اللان. و بعد أن يمرّ نهر الكر بتفليس ينحدر الى شمكور و فيها، على ما ذكر المستوفى، يتفرع منه نهر يصب فى بحيره شمكور العظيمه و بعد ان يلتقى الكر بنهر ارس على بعد قليل أسفل من برذعه يصب فى بحر قزوين بولايه كشتاسفى .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٢١۴

شروان

و فى ما يلى نهر الكر على بحر قزوين، حيث تفنى جبال القفقاس فيه، اقليم شروان و قصبته الشماخيه و هى اليوم شماخى أو شماخى. و فى المئه الرابعه (العاشره) وصف المقدسى هذه المدينه بقوله «الشماخيه على أسفل جبل، بنيانهم حجاره و جص و لها ماء جار و بساتين و نزه. و كان ولاتها، و هم خواقين الولايه، يلقبون بشروان شاه. و يكثر فيها القمح». و بالقرب منها، بحسب الروايات الاسلاميه، على ما قال المستوفى، صخره موسى (و قد أشار اليها القرآن فى السوره ١٨ الآيه ۶٢) و عين الحياه على ما قد بيّنا فى باجروان. و ذكر المقدسى و غيره من المؤلفين مدينتين أخريين فى اقليم شروان لم يعين موضعهما، هما شابران و «الغلبه فيها للنصارى» و هى على ما يقال على عشرين فرسخا من دربند.

و شروان و هى «فى سهله و الجامع فى الاسواق» على مسيره ثلاثه أيام من شماخى قصبه

الاقليم فى طريق دربند.

و كـان فى اقصـى شـمالى بلاد شـروان، بـاب الابـواب و هى تسـميه العرب لدربنـد أجـل موانئ بحر قزوين. و فى ابن حوقل ان المدينه كانت فى المئه الرابعه (العاشره) أكبر من اردبيل التى كانت قصبه اذربيجان «فى وسطها مرسى للسفن.

و فى هـذا المرسـى الخارج من البحر اليها بناء قـد بنى كالسد بين جبلين مطلّين على هذا المرسـى الخارج ماؤه من بحر الخزر. و فى هـذا السد باب مغلق على الماء قد اسـتحكم من و صـيده بعقد قد عقد على الماء نفسه و الماء من تحته ... و على فم المدخل الذى تدخل فيه السفن، سلسله ممدوده و عليها قفل لمن ينظر فى أمر البحر فلا يخرج المركب و لا يدخل الا بامر صاحب القفل. و السد من صخر و رصاص ...

و هـذه المـدينه عليهـا سور منيع من حجـاره» . و فيه بابـان: الباب الكبير و الباب الصـغير غير الباب الثالث المارّ الـذكر و هو نحو البحر. و على الاسوار أبرجه .

و تصنع فى دربند ثياب الكتان تجلب منها الى سائر البلاد. و بها زعفران كثير.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٢١٥

و فى سوق باب الابواب مسـجد جامع. فقد كانت ثغرا من ثغور الاسلام لان أهل الكفر كانوا يحيطون بها من كل جانب فى أول العهد. و اسـهب ياقوت فى ذكر الامم التى فى أعلى جبال القفقاس و هضابها فى ناحيه الغرب فان فيها على ما قال «نيفا و سـبعين أمه، لكـل أمه لغه لا يعرفهـا مجـاورهم». و أول تلـك الامـم الخزر و اليهم نسب بحر قزوين فعرف ببحر الخزر. و وصف ياقوت السور العظيم الذى على المدينه و كان

يمتـد من دربنـد حتى الغرب ليصـد عنهـا شـر الاعـداء و يقال انه من بناء انوشـروان ملك فارس فى المئه السادسه للميلاد. و نهر السـمور و هو يصب فى بحر قزوين على شـى ء يسـير من جنوب دربنـد قـد ذكره المقدسـى بـاسم نهر الملـك، و كـان على نهر السمور جسر، بينه و بين الدربند عشرون فرسخا، و كان على الطريق الماد من شماخى.

و ميناء باكوه أو باكويه (باكو الحاليه) فى جنوب دربند و قد اشار الاصـطخرى الى نفطها. و تبسط ياقوت و غيره فى الكلام على هذا النفط. قال ياقوت: فيها «عين نفط عظيمه تبلغ قبالتها فى كل يوم الف درهم (۴۰ باونا).

و الى جانبها عين أخرى تسـيل بنفط ابيض لا تنقطع ليلا و لا نهارا ... و هناك ارض لا تزال تضطرم نارا». و تكلم المستوفى على قلعه باكويه التى كانت تطل على المدينه فتنشـر عليها ظلها فى وسط النهار. و الى جنوب باكو ولايه كشتاسـفى قرب فم نهر الكر و سـقيها من نهر يحمل منه. و يكثر فيها القمح و القطن. و أخيرا كان فى الجبال القريبه من دربند قلعه يقال لها قبله و جامعها «ناء على تل» على ما فى المقدسى. و قد ورد ذكر قبله غير مره فى حروب تيمور. و زاد المستوفى انه يكثر فيها الحرير و القمح .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۱۶

كرجستان

و كرجسـتان، هى التى نسـميها جورجيا الآن، و ابخاز و يقال لها ابخازيه، لم تـدخلا فى عـداد الولايات الاسـلاميه الا بعد ان فتح تيمور هذه النواحى فى ختام المئه الثامنه (الرابعه عشره). و تفليس قصبه كرجستان و هى فى أعالى نهر الكر و قد

عرفها البلدانیون مع ذلک فی المئه الرابعه (العاشره) فوصفها ابن حوقل بقوله: «علیها سوران و هی حصینه لها ثلاثه أبواب، و بها حمامات ماؤها سخین من غیر نار، و هی خصبه کثیره الخیرات». و یخرق المدینه نهر الکر، و هی جانبان بجسر علی ما فی المقدسی.

اما اقلیم ابخاس أو ابخاز المجاور لها فکان، علی ما فی المقدسی، یعدّ من جبل القبق أی القوقاس. و فیه قریه یونس و بها مسلمون و حولها قبائل من الکرج (أهل جورجیا) و اللان و غیرهم. و تنحدر من جبل ألبرز انهار کثیره علی ما ذکر المستوفی الذی زاد علی ذلک ان قرص من المدن الکبیره بجورجیا .

أرمینیه

کانت ارمینیه الکبری تنقسم الی ارمینیه الداخله و ارمینیه الخارجه و هی و ان کان اکثر اهلها نصاری، الا ان خضوعها لحکم المسلمین کان منذ زمن بعید.

و فی هذه البلاد جبال عظیمه تمتد بین بحیره و ان و بحیره گوگجه. و من هذه الجبال مخرج نهر ارس و رافدی الفرات. و کانت قصبه ارمینیه الاسلامیه فی الازمنه الاولی دبیل، و تسمی ایضا دوین أو توین، و تدل علیها الآن قریه صغیره فی جنوب اریفان أو اریوان قرب نهر ارس. و کانت دبیل فی المئه الرابعه (العاشره) أکبر من اردبیل و هی اجل ناحیه و بلده بارمینیه الداخله، و علیها

سور له ثلاثه أبواب ، و جامعها الی جنب البیعه، و یطلّ جبل اراراط بقمتیه علی دبیل و هی فی جنوبه وراء نهر الرس. و قد اشرنا (ص ۱۲۳) الی ان الروایات الاسلامیه تقول ان جبل الجودی فی الجزیره هو الجبل الذی استوت علیه سفینه

نوح. و يقال لأراراط فى ارمينيه جبل الحارث (اما ان يكون الاسم مشتقا من الحرث و اما ان الحارث كان علما لرجل فيما قبل الاسلام حلّ فى هذه الديار).

و كانت قمه اراراط الصغرى تسمى الحويرث (تصغير الحارث)، و قال الاصطخرى ان الثلوج على هذين الجبلين دائمه و لا يرتقى الى اعلاهما من الارتفاع و صعوبه المسلك. و محتطب اهل دبيل و متصيدهم فى هذه الجبال. و زاد المقدسى على ذلك انه كان بين شعاب هذه الجبال «ألف مدينه». «و يرتفع (فى دبيل) ثياب مرعزى و صوف مصبوغ بالقرمز و هو صبغ احمر اصله من دود كدود القز».

و وصف المقدسى فى المئه الرابعه (العاشره) بلد دبيل فقال: «الاكراد به الا ان الغالب عليه النصارى. ذات ربض عتيق قد حفّ به البساتين». و آنى، و هى قصبه ارمينيه النصرانيه قديما، و قد استولى عليها الب ارسلان السجلوقى و أمر بنهبها سنه ۴۵۶ (۱۰۶۴) قد قال فيها المستوفى، انها بلد فى الجبال تكثر فيه الفواكه. و على بعد يسير من شمال شرقى دبيل بحيره عذبه المياه سماها على اليزدى كوكجه تنكيز (البحيره الزرقاء). و يبدو انه لم يطلق عليها هذا الاسم من المصنفين المسلمين الاوائل غير المستوفى .

و بحيره و ان أو ارجيش، على ما سماها به المصنفون الاولون، كانت و لا مراء اشهر بحيرات ارمينيه. فقد كان على شطئانها مدينه اخلاط و ارجيش و وان و وسطان و قد وصفها الاصطخرى، و طولها عشرون فرسخا يخرج منها سمك صغار يعرف بالطرّيخ (و هو ضرب من الشبوط ما زال يصاد فيها بوفره) فيملح و يحمل الى كثير من الاقطار كالموصل و نواحى الجزيره بل الى اقصى بلاد خراسان.

فقد ذكر ياقوت فى المئه السابعه (الثالثه عشره) انه ابتاع فى بلخ شيئا

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٢١٨

من هذا السمك المملح. و ماء البحيره ملح مر. و كانت اخلاط أو خلاط و هى فى طرف البحيره الغربى من اجل مدن ارمينيه، وصفها المستوفى بانها مدينه فى سهله تحف بها البساتين و عليها حصن، و الجامع فى الاسواق، و البرد فيها قارس فى الشتاء، و هى آهله جدا. و النهر يخرقها و يصل جانبيها جسر. و نوه المستوفى بالبساتين المجاوره لها. و يطل على اخلاط الجبل العظيم المسمى كوه سيپان و كان على ما فى المستوفى يرى من بعد خمسين فرسخا و لا تفارق الثلوج قمته.

و ارجيش، و هى على الساحل الشمالى للبحيره، و كثيرا ما عرفت البحيره باسمها، كانت على ما ذكر المستوفى قد احكم تحصينها الوزير على شاه بامر غازان خان فى المئه الثامنه (الرابعه عشره). و يكثر القمح فى نواحيها، و تبعد عنها من شرقيها مدينه بارگيرى أو بهر گرى قرب بندماهى (سد السمك) و هى على الطريق من ارجيش الى خوى فى اذربيجان. ذكر المستوفى ان فيها قلعه حصينه فى رأس الجبل. و كان نهرها ينحدر من مروج ألاطاق حيث ابتنى ارغون الايلخانى قصرا عظيما يصطاف فيه فى وسط حير للصيد عليه سور. و مدينه و ان و قد عرفت البحيره بها اليوم، قرب شاطئها الشرقى، و لم ينته الينا وصف لها.

و كانت قلعه وسطام أو وسطان فى ساحل البحيره الجنوبى و قد تكلم عليها المستوفى فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) و قال ان بالقرب منها مدينه كبيره. و أخيرا كان فى جنوب غربى بحيره و ان مدينه

بدليس (بتلس). وصفها المقدسى بانها «فى واد عميق يجرى فيه نهران فى المدينه يجتمعان و هى جانبان فيها قلعه من حجاره».

و على ما جاء فى ياقوت ان «تفاحها يضرب به المثل فى الجوده و الكثره و الرخص و يحمل الى بلدان كثيره» .

و كانت حاصلات و تجارات هذه الاقاليم الشماليه قليله. فكان يصنع فيها اصناف من الثياب المصبوغه بالقرمز و اصله من دود يربى على شجر البلوط الذى يكثر فى انحاء اذربيجان. و الى القرمز ينسب الحرير القرمزى(Cramoisie)

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٢١٩

و منه جاءت اللفظتان(Crimson) و(Carmine) . و وصف ابن حوقل و المقدسى القرمز فقال الاول: «اصله من دود ينسج على نفسه كدوده القز اذا نسجت على نفسها القز». و قال المقدسى ان القرمز «دوده تظهر فى الارض و تخرج اليها النسوان ينقرنها بنحاسه معهن ثم يجعلنها فى فرن». و يصبغ به المرعزى و الحرير و الصوف و كان هذا الصبغ معروفا فى كل مكان. و مما اشتهرت به ارمينيه ايضا: «الأنماط و التكك الرفيعه و البسط و المحفوريات و الوسائد و الستور. و كذلك التين و الشاه بلوط و سمك يقال له الطريخ من بحيره و ان- على ما اشرنا اليه- و كل ما يعرف من عملهم هذا لا نظير له فى شى ء من الارض». و كانت تجلب منها هذه السلع و تحمل كلها من دبيل. و كان يحمل الابريسم من برذعه و من سائر النواحى المجاوره. و من باب الابواب تحمل البغال الجياد. و أخيرا يقع الى هذا الميناء الذى يقال له الدربند رقيق كثير من سائر البلدان الشماليه المصاقبه له .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس

عواد، النص، ص: ۲۲۰

الفصل الثالث عشر الجبال

اقليم الجبال أى عراق العجم، و نواحيه الاربع- قرميسين أى كرمان شاهان- بهستون و منحوتاتها- كنكور- الدينور- شهرزور- حلوان- طريق خراسان العظيم- كرند- كردستان فى عهد السلاجقه- بهار- جمجمال- ألانى و اليشتر- همذان و رساتيقها- دركزين- خرقانين و آوه الشماليه- نهاوند- كرخ روذراور و كرج أبى دلف- فراهان.

ان البلاد الجبليه الواسعه التى سماها اليونان ميديه (ماذى(Media الممتده من سهول العراق و الجزيره فى الغرب الى مفازه فارس الملحيه الكبرى فى الشرق، قد سماها البلدانيون العرب اقليم الجبال. ثم بطل استعمال هذا الاسم، و صار الاقليم ايام ملوك السلجوقيه فى المئه السادسه (الثانيه عشره) يعرف غلطا بعراق العجم. و قد سمى بذلك تمييزا له عن عراق العرب، و هو ما يعرف به القسم الاسفل من ما بين النهرين .

و قد حصل هذا التغير فى اسم هذا الاقليم على الوجه الآتى حسبما يظهر:

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۲۱

فالعراق، على ما قد بيّنا (الفصل الثانى ص ۴۲ الحاشيه ۱)، اسم اطلقه المسلمون على النصف الاسفل لما بين النهرين، كما اطلق العرب هذا الاسم بصيغه المثنى على المدينتين الكبيرتين: الكوفه و البصره فقالوا «العراقين» أى «عاصمتى العراق». و كانت هذه التسميه هى التسميه القديمه الوارد ذكرها فى الادب العربى. غير ان السلاجقه، و قد تولّوا حكم بلاد فارس الغربيه فى النصف الثانى من المئه الخامسه (الحاديه عشره)، جعلوا دار حكومتهم فى همذان، و بسطوا نفوذهم أيضا على ما بين النهرين حيث مقام الخليفه العباسى. و احرز السلاجقه من الخليفه لقب سلطان العراقين، فكان اسم عراق العجم يتفق هو و وضعهم هذا على ما يظهر. و سرعان ما اصبح ثانى هذين العراقين

يراد به اقليم الجبال حيث كان السلطان السلجوقى يمضى أكثر وقته. و هكذا صار يعرف لدى العامه بعراق العجم تمييزا له عن الآخر. و لياقوت رأى بصدد هذه التسميه.

فقد أشار الى ان تسميه العجم لهذا الاقليم بالعراق فى ايامه غلط، و هو اصطلاح محدث. و قد استعمل ياقوت نفسه الاسم القديم فقال الجبال. و لكن القزوينى معاصره، و قد كتب بالعربيه أيضا، اطلق على هذا الاقليم ما يرادفه بالفارسيه فسماه قوهستان (أى اقليم الجبل). و مهما يكن من أمر فان لفظ «الجبال»، بطل استعماله على ما يظهر بعد الفتح المغولى. و لم يستعمله المستوفى البته فى المئه الثامنه (الرابعه عشره). و ينقسم اقليم الجبال القديم الى قسمين: الصغير، و هو كردستان فى الغرب، و الكبير و هو عراق العجم فى الشرق. و ما زال اسم «العراق» يطلق عليه حتى اليوم. و ما زال ذلك القسم من البلاد الذى كان اقليم الجبال قديما فى جنوب غربى طهران، يعرفه أهله اليوم باسم «ولايه عراق» .

و كانت المدن الاربع القديمه- قرميسين (كرمانشاه الحديثه) و همذان و الرى و اصفهان- أجلّ مدن النواحى الاربع لهذا الاقليم منذ القدم. ففى أيام بنى بويه، أى فى المئه الرابعه (العاشره)، كانت دواوين الدوله فى الرى، على ما فى ابن حوقل، ثم اصبحت همذان فى ختام القرن التالى قاعده سلاجقه بلاد فارس. و لكن اصفهان كانت فى جميع الاوقات على ما يظهر اوسع بلاد الجبال

و اخصبها و أكثرها مالا. و فى بحثنا هذا يحسن ان نصف الاقليم بحسب ولايات مدنه العظيمه الاربع. و نبدأ بالولايه الغربيه التى تتبع كرمانشاه فقد كانت منذ أيام السلاجقه

تعرف عاده بكردستان و يراد بذلك بلاد الكرد.

و قصبه كرمان شاهان، و يختصر اسمها عاده الى كرمانشاه، قد عرفها العرب قديما باسم قرميسين (و تكتب أيضا قرماسين و قرماشين). وصفها ابن حوقل فى المئه الرابعه (العاشره) فقال: «مدينه لطيفه فيها مياه جاريه و شجر و ثمر و رخص و عيون متدفقه و خيرات و تجارات». و كان المقدسى أول من ذكرها باسمها الفارسى كرمان شاهان و قال ان «الجامع فى الاسواق، و قد بنى عضد الدوله (البويهى) ثم دارا حسنه، و هى على الجاده». و تكلم القزوينى فى المئه السابعه (الثالثه عشره) على قرميسين و قال انها «بقرب كرمنشاهان فكأنهما بلده واحده».

و اما ياقوت فقد ذكر الاسمين، و لم يطل فى الكلام على المدينه بل قصر وصفه على الصور المنحوته و الخرائب و ما فى جبل بهستان المجاور من آثار. و كان من أثر الفتح المغولى فى المئه السابعه (الثالثه عشره) ان خربت كرمانشاه، فقال المستوفى فى المئه التاليه ان هذه المدينه ضؤلت فى أيامه و صارت كالقريه و قال ان اسمها فى الكتب ما زال يكتب قرماسين (و قد بطل منذ أيامه). و هو الآخر قد قصر وصفه على منحوتات بهستان أو بيستون.

و هذه الصور كانت منحوته فى سفح الجبل العظيم و قاعدته، على حجر اسود. و هى على مسيره يوم من شرق كرمانشاه قرب طريق خراسان. و تحتوى هذه الصور على بقايا يرقى تاريخها الى الملوك الاخمينيين (المئه الخامسه قبل الميلاد) و الساسانيين (السابعه للميلاد) و قد وصفها الاصطخرى و ابن حوقل فى المئه الرابعه (العاشره) فذكرا ان اسم الجبل بهستون و بيستون، و قالا انه كانت هناك قريه تدعى ساسانيان . و

لا ريب فى انها هى القريه التى سماها المستوفى فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) وسطام أو بسطام و تعرف اليوم باسم طاق بستان. فيها صوره دارا المشهور يستقبل الملوك التابعين له. و فيها كتابه مسماريه بثلاث لغات

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۲۳

أشار اليها ابن حوقل و قد وصفها بقوله ان فيه «صوره مكتب و معلم صبيان من حجاره، و بيد معلمهم كالسير يومى به لضرب الصبيان، و ان هناك قدورا منصوبه على اثاف، كل ذلك من حجاره». و اما المنحوتات الساسانيه التى اضيفت الى الاولى بعد ما يربو على الف سنه فقد كانت «فى مكان يشبه الغار فيه عين ماء تجرى». و فيه على ما جاء فى ابن حوقل و تناقله من جاء بعده من مؤلفى الفرس «صوره دابه كسرى المسمى شبداز (شبديز) و عليه صوره كسرى من حجر و صوره امرأته شيرين فى سقف هذا الغار». و هذه الصور و ان نالها بعض التشويه، ما زالت ترى الى يومنا هذا، و قد صورت و وصفت غير مره. و روى ياقوت، نقلا- عن رحله ابن مهلهل فى المئه الرابعه (العاشره)، و المستوفى كثيرا مما كان يحكى فى زمنهما بشأن هذه الصور. فقصه خسرو و شيرين و عشيقها النحات فرهاد الذى انتحر يأسا، تسمع محوّره تحويرا محليا فى كثير من الامكنه المجاوره. و حوادث القصه معروفه جيدا من الشاهنامه للفردوسى و من شعر نظامى الشاعر العظيم (و عنه نقل المستوفى) بعنوان «عشق خسرو و شيرين» .

و يطل على كرمانشاه من ناحيه الشمال، فى يسار الذاهب بطريق خراسان، الجبل الفرد المسمى سن سميره و منه يبدأ الطريق الشمالى الى الدينور و اقليم اذربيجان.

و انما سـمی هذا الجبل بسن سـمیره نسـبه الی امرأه عربیه بهذا الاسم کانت لها سن مشـرفه علی اسـنانها فسـمی المسلمون الجبل بسـنها حین مرت جیوشـهم به تریـد نهاونـد. و ممـا یلی بیسـتون فی الناحیه الشـرقیه علی طریق خراسان العظیم قریه صـحنه و قد ذکرها الاصـطخری، و ما زالت قائمه فلا یلتبس أمرها بمـدینه سـحنه الحدیثه التی سـیأتی الکلام علیها. و یلی قریه صـحنه مدینه کنکوار و قد سماها العرب بقصر اللصوص لأن أهلها سرقوا دواب المسلمین لما سار جیشهم الی نهاوند فی أول الفتح الاسلامی. و کان فی هذه المدینه علی ما فی ابن رسته

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۲۴

و غیره، ایوان علی دکه من حجر و هو لکسـری ابرویز، مبنی بالجص و الحجاره علی اساطین. و کانت مدینه کنکوار جلیله القدر و فیها منبر، اسـتحدثها مؤنس المظفر حاجب الخلیفه المقتـدر. و قال یاقوت ان الـدکه التی علیها القصور الساسانیه، ارتفاعها عن وجه الارض نحو عشـرین ذراعـا. و زاد المسـتوفی علی ذلـک قوله ان الحجـاره العظیمه التی بنیت بهـا القصور جیئ بها من جبل بیستون .

و علی نحو خمسه و عشـرین میلا من غربی کنکوار، اطلال الـدینور و کانت فی المئه الرابعه (العاشـره) قصـبه للاماره المسـتقله الصـغیره المنسوبه الی حسـنویه أو حسنویه رئیس القبیله الکردیه الغالبه علی هذه الانحاء. و فی أیام الفتح الاسلامی لبلاد فارس، سمیت الـدینور ماه الکوفه لأن (علی ما فی الیعقوبی) «مالها کان یحمل فی اعطیات أهل الکوفه». و سـمیت المـدینه و ما جاورها ماه الکوفه زمنا ما.

و وصف ابن حوقل فی المئه الرابعه (العاشره) الدینور فقال هی «کثلثی همذان و تزید علی همذان من جهه

آداب أهلها و تصرفهم فی العلم». و زاد المقدسی علی ذلک انها «حسنه الاسواق و قد احدق بها بساتین». و کان الجامع، و هو من بناء حسنویه فی السوق «علی المنبر قبه حسنه و مقصوره ما رأیت أحسن منها».

و کانت الدینور مدینه آهله حین کتب المستوفی فی المئه الثامنه (الرابعه عشره)، طیبه الهواء وافره المیاه یکثر فیها القمح و الاعناب. و لعل ما یری فی هذا الموضع من خراب الآن، قد حل به بعد فتح تیمور، فقد ذکر علی الیزدی ان تیمور ابقی بعض جنده فی حامیه هناک.

و لعله کانت فی جوار الدینور قلعه سرماج العظیمه، و لا یعرف حتی الآن موضعها علی ما یظهر. وصفها یاقوت بأنها حصینه من أحصن القلاع و أشدها امتناعا.

بناها حسنویه بالصخور المهندمه و توفی فیها سنه ۳۶۹ (۹۷۹) بعد ان حکم حکما حافلا، علی ما فی ابن الاثیر، زهاء خمسین سنه. و فی المئه التالیه استولی طغرل بک

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۲۵

السلجوقی علی سرماج فی سنه ۴۴۱ (۱۰۴۹) بعد ان ضرب الحصار علیها اربع سنین و لم یستول علی هذه القلعه الا بعد ان انفذ جیشا من مئه الف رجل و استنزل (ینال) من هذه القلعه العظیمه مقهورا .

و علی ستین میلا شمال خرائب الدینور تقوم الیوم مدینه سحنه الجلیله، و هی القاعده الحدیثه لاقلیم کردستان الفارسی، و ان لم یذکرها بهذا الاسم بلدانیو القرون الوسطی من عرب و فرس. و کان فی موضع سحنه الحدیثه فی القرون الوسطی، علی ما جاء فی کتابی المسالک لابن خرداذبه و قدامه، مدینه سیسر و معنی الاسم بالفارسیه «ثلاثون رأسا» بحسب تفسیر یاقوت الصحیح له. و فی

سیسر عیون کثیره لا تحصی و کانت تدعی صد خانیه (أی البیوت المئه) أو منابع المیاه لکثره عیونها و منابعها. و قد بنی الخلیفه الامین حصنها و نزله المأمون بعسکره، بینهم جند من القبائل الکردیه التی کانت فی المراعی المجاوره و قد استخدمهم فی محاربه أخیه و خلعه من الخلافه. و کانت سیسر رستاقا من الرساتیق الاربعه و العشرین التابعه لهمذان. و لعل اسم سحنه الحدیث تصحیف صد خانیه اختصرت الی سیخانه (أی ثلاثین بیتا) الا انه لا دلیل علی ذلک.

و علی مسیره اربع مراحل شمال غربی الدینور، مدینه شهر زور فی کوره شهر روز. و قد ذکر ابن حوقل فی المئه الرابعه (العاشره) شهر زور بأنها مدینه حصینه علیها سور یسکنها الاکراد، و قد سرد اسماء قبائلهم المنبثه فی تلک الارجاء. و کانت «من رغد العیش و کثره الرخص و خصب الناحیه بحاله واسعه و صوره رائعه». و وصفها الرحاله ابن مهلهل فی المئه الرابعه (العاشره)، علی ما اقتبسه منه یاقوت بقوله «شهرزور مدینات و قری، فیها مدینه کبیره و هی قصبتها فی

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۲۶

وقتنا هذا». یقال لها نیم راه عند الفرس. (و معناه منزل نصف الطریق) لانها تقوم فی نصف الطریق بین المدائن (طیسفون) و شیر، و فیهما بیتا النار العظیمان فی أیام الساسانیین. و بقرب من هذه المدینه جبل یعرف بشعران و آخر یعرف بالزلم، علی ما ذکر القزوینی «ینبت حب الزلم الذی یصلح لأدویه الباه» و کان أکراد هذه الکوره حین زارها ابن مهلهل تنشئ ستین الف بیت. و حین کتب المستوفی فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) کانت شهرزور مدینه زاهره و أهلها أکراد

.

كان طريق خراسان، و قد مرّ وصفه فى الفصل الاول، يأخذ من بغداد فيشرّق الى اقصى حدود بلاد الاسلام. فبعد ان يخترق سهل ما بين النهرين، يدخل فى منطقه جبال فارس عند حلوان و هى من مدن اقليم الجبال. و قد عدّها بعضهم فى ضمن العراق العربى. و قال ابن حوقل فى المئه الرابعه (العاشره) ان «حلوان نحو نصف الدينور و بناؤها من طين و حجاره. و هى و ان كانت مدينه حاره فيها نخيل و رمان و شجرتين كثير موصوف، فان الثلج يكون منها على فرسخين فى الصيف غير منقطع ابدا». و قال المقدسى ان لها حصنا عتيقا فيه الجامع و لسورها ثمانيه أبواب سرد اسماءها و قال «ثم كنيسه اليهود يعظمونها خارج البلد» من الجص و الحجاره المربعه المتلاحكه. و كانت حلوان حين كتب القزوينى فى المئه السابعه (الثالثه عشره) خرابا. «و فى حواليها عده عيون كبريتيه ينتفع بها من عده ادواء». و فى المئه التاليه نوه المستوفى بقمحها، و لكنه قال ان المدينه كانت خاليه خاويه ما خلا مزارات الاولياء و كان فى ناحيتها ثلاثون قريه.

و على طريق خراسان، على اربعه فراسخ فوق حلوان من ناحيه كرند، مدينه ماذرستان على مافى ياقوت، كان فيها «ايوان عظيم و بين يديه دكه عظيمه و أثر بستان خراب بناه بهرام جور «الملك الساسانى و قد آل فى أيام ياقوت الى الخراب.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٢٢٧

و على سته فراسخ مما يلى ماذرستان، مدينه كرند و يبدو ان أول من ذكرها المستوفى فى المئه الثامنه (الرابعه عشره)، و قد جمع اسم كرند الى قريه مجاوره لها يقال لها خوشان و لا أثر

لها اليوم. مع ان المستوفى قال انها فى أيامه آهله أكثر من كرند.

و هذان الموضعان عند رأس درب حلوان فى سهل خصب و يتفق موضعها- اذ كما بيّنا لم يذكر البلدانيون العرب القدماء موضع كليهما- مع المرج المعروف بمرج القلعه. و وصفها ابن حوقل فقال انها مدينه عليها سور لطيف و حولها رساتيق آهله كثيره الخيرات. و روى اليعقوبى ان «بهذا الموضع دواب الخلفاء فى المروج».

و على أربعه فراسخ مما يلى هذه المروج يمر الطريق بطزر، فيها على ما فى المقدسى بقايا ايوان للاكاسره، بناه خسرو جرد بن شاهان على ما ذكر ياقوت. و فى طزر أسواق حسنه. و لعلها قصر يزيد الذى ذكره غير ياقوت من المصنفين. و على سته فراسخ مما يلى طزر أيضا، الزبيديه. و هى «منزل صالح» على ما فى ابن حوقل.

و يستدل من وجودها على الطريق العام انها قد تكون فى موضع قريه هرون اباد الحديثه. و ينعطف طريق خراسان هنا نحو الشرق فيخترق سهل مايدشت (او ماهدشت) قاصدا كرمانشاه. و ذكر المستوفى ان فى سهل مايدشت فى أيامه خمسين قريه ذات مروج خضر يانعه كثيره المياه المنحدره اليها من الجبال المجاوره لها. و فى هذه الارجاء قلعه هرسين و عند قاعدتها مدينه صغيره ما زالت قائمه على نحو عشرين ميلا جنوب شرقى كرمانشاه .

اما ما يقال فى أصل اقليم كردستان، فيروى انه فى نحو منتصف المئه السادسه (الثانيه عشره) اقتطع السلطان سنجر السلجوقى القسم الغربى من اقليم الجبال، أى ما كان منه من اعمال كرمانشاه و سماه كردستان و ولى عليه ابن أخيه سليمان شاه الملقب أبوه (أو ابوه) و هو الذى صار فيما بعد- أى من سنه ۵۵۴-

-۱۱۵۹) ۵۵۶

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۲۸

۱۱۶۱)- خلفا لعمه فی رئاسه البیت السلجوقی و سلطنه العراقین. و هذه هی روایه المستوفی الذی قال ان کردستان فی أیام سلیمان شاه ازدهر ازدهارا عظیما و بلغ ارتفاعه ملیونی دینار ذهبا (ما یعادل نحو ملیون استرلینی). و هو عشره أضعاف ما کان یدّره هذا الاقلیم فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) أیام الحکم المغولی حین کان المستوفی نفسه مستوفیا أموال الدوله. و اتخذ سلیمان شاه بهار- و هی مدینه ما زالت قائمه علی نحو ثمانیه أمیال شمال همذان- قاعده له. و کان فیها قلعه منیعه. و فی أیام المغول بنی السلطان ألجایتو عاصمه ثانیه فی سلطان أباد جمجمال (چمچمال) قرب حافه جبل بیستون. و قد وصف المستوفی هذه المدینه فقال هی وسط صقع وافر الخیرات کثیر القمح. و أشار فی وصف المسالک الی موضع جمجمال أو چمچمال- و هی علی اربعه فراسخ من قریه سحنه و سته من کرمانشاه- و ما زالت أطلالها قائمه معینه فی الخارطه فی الموضع المنوه به. و قد ذکر علی الیزدی هذه المدینه غیر مره حین وصفه زحف تیمور الی کردستان.

و من المدن التی یقع ذکرها فی أخبار حروب تیمور، و أشار الیها المستوفی، مدینه دربند تاج خاتون «مدینه متوسطه السعه أکثرها قد استولی علیه الخراب الآن». و دربند زنکی و هی دونها. و کانت فیها مراتع حسنه و هواؤها طیب معتدل، و الظاهر انه لم یبق لهاتین المدینتین أثر فی الخارطه. و بما ان دربند تعنی الدرب الجبلی، و ان علی الیزدی ذکر اسم الاولی بصوره دربند تاشی خاتون، فان هاتین المدینتین المشترکتین باسم دربند کانتا فی الحدود الغربیه

لبلاد كردستان على ما يظهر، (بين شهرزور و حلوان) فى الجبال التى تهمين على سهول ما بين النهرين.

و ذكر المستوفى أيضا اربع مدن أخرى فى كردستان هى: ألانى و اليشتر و خفتيان و دربيل. و قال ان هذه المدن كانت فى أيامه جليله، اما اليوم فليس من اليسير تعيين مواضعها. و كانت ألانى، و قد ورد ذكرها فى بعض المخطوطات بصوره ألابى، فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) قصبه الاقليم المعتبره على ما يظهر و ان لم يذكرها غير المستوفى على ما نعلم. و يكثر فيها القمح و هواؤها طيب و مروجها وافره المياه و يكثر الصيد فى انحائها. و فى اليشتر أيضا بيت للنار قديم

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٢٢٩

يسمى اردحش (اروخش أو ارخش) بيد ان كتب المسالك لم تعين موضعها.

الا ان سهل اليشتر ما زال معروفا و لعل من مواضعه القديمه المدينه التى ذكرها المستوفى و هى بلا ريب مطابقه لمدينه ليشتر أو لاشتر التى ذكر ابن حوقل و غيره بانها على عشره فراسخ جنوب غربى نهاوند و اثنى عشر فرسخا شمال شابر خاست . و يحسن بنا ان نبين من الجهه الثانيه انه يشك كل الشك فى قراءه اسم اليشتر، فان كثيرا من اوثق المخطوطات و اصحها و كذلك جهان نما التركيه، أوردته بصوره البشر كما وقعت فيها صور أخرى مختلفه لهذا الاسم.

و لا يعلم شى ء عن خفتيان (و أوردها جهان نما حقشيان، و المخطوطات بصور أخرى) سوى انها كانت قلعه محكمه البناء حولها القرى على ضفاف نهر الزاب.

و غير واضح ما اذا كان هذا الزاب هو الزاب الاعلى أم الاسفل. فموضعها غير معلوم و الامر كذلك فى دربيل (أو دزبيل)

و هی «مدینه وسطه ذات هواء طیب». و لم یشر المستوفی الی موضعها و لو بوجه التقریب. و بهذا یختتم المستوفی کلامه فی اقلیم کردستان .

و همدان (و قد کتبها العرب بصوره همذان) و هی اکبتانا القدیمه قاعده اقلیم ماذی. وصف ابن حوقل فی المئه الرابعه (العاشره) همذان بأنها «مدینه کبیره حسنه مقدارها فرسخ فی مثله، محدثه، اسلامیه. و لها سور و ربض. و للمدینه أربعه أبواب، کثیره التجارات و المیر، و لها میاه و بساتین کثیره و زروع خصبه» و غلات وافره و لا سیما الزعفران. و قال المقدسی ان اسواق المدینه ثلاثه صفوف، و الجامع فی السوق و بنیانه عتیق. و قال یاقوت، و له فی همذان فوائد کتبها قبیل ان یقوضها الفتح المغولی و یحیلها أرضا یبابا فی سنه ۶۱۷

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۳۰

(۱۲۲۰)، انها اربعه و عشرون رستاقا لکل رستاق قصبه، و قد سرد اسماءها.

ثم أورد المستوفی هذه الاسماء فی المئه التالیه و قد زاد علیها اسماء القری التی فی کل رستاق. علی ان أکثرها لا یمکن تعیین موضعه الآن. و وصف المستوفی هذه المدینه فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) بانها فرسخان فی مثلهما و فی وسطها تقوم القلعه العتیقه و قد بنیت بالطین، یقال لها شهرستان. و قلعه همذان العتیقه هذه کنظیرتها التی فی اصفهان. و سیأتی ذکرها- سماها ابن الفقیه ساروقا و لکنه لم یفسر معنی الاسم. و کان سوق الصاغه فی همذان مشهورا، أنشی فی موضع قریه قدیمه یقال لها زمین دیه. و کان محیط أسوار المدینه ۱۲۰۰۰ خطوه.

و قوام همذان فی أول ایامها، علی ما ذکر المستوفی، خمس مدن و هی: قلعه

كبريت و قلعه ماكين و كرد لاخ و خورشـيد و كورشت. و زاد على ذلك «ان الاخيره و هى مـدينه كانت واسعه فى القـديم قد آلت الى الخراب». و من أعمـال همـذان أيضا النواحى الخمس العظيمه الآتيه مع قراها و هى: فريوار قرب المـدينه ثم ازمـدين و شرامين و أعلم. و أخيرا يلحق بهـا كوره سـردرود و برهنـدرود. و يحسن بنـا ان نقول انه لاـ يركن الى قراءه هـذه الاسـماء، فـان مخطوطات الكتاب المختلفه متباينه فى ذلك كثيرا .

و على ثلاثه فراسخ من همذان، قريه يقال لها جوهسـته (و لم تذكر المراجع فى أيه جهه من همذان هى، كما لم تذكر الخوارط اسمها) فيها اطلال قصر الملك بهرام جور. وصفه ابن الفقيه فقال ان القصر كله حجر واحد منقور فيه الحجر و الدروب و الغرف «و فى كل ركن من اركانه صوره جاريه و فيه كتابه بالفارسـيه من أوله الى آخره» تشيد بفتوحات الاكاسره. و على مقدار نصف فرسخ من هذا القصـر، تل مشـرف عليه «ناووس الظبيه». و روى ابن الفقيه حكايه الملك بهرام جور و جاريته المحبوبه. جاء فيها خبر صيده كثيرا من الظباء فى البريه القريبه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٢٣١

من ذلك الموضع، ثم قتله جاريته جزاء أقوالها المهينه التى انتقصت فيها من مقدرته على الصيد.

و الى جنوب غربى همـذان يشـمخ جبـل ألونـد العظيم أو أرونـد، على مـا كتبه يـاقوت. و هـذا الاسم يرى فى دراهم الفضه التى ضربها فيها أبو سـعيد الايلخانى فى سنه ٧٢٩ (١٣٢٩) . و سـرد المسـتوفى حديثا طويلا عن كوه الوند فقال فيه ان محيطه ثلاثون فرسخا و قمته لا تفارقها الثلوج شتاء وصيفا.

و كان فى ذروه الجبل عين يخرج ماؤها من شق فى صخره. و زاد على ذلك انه ينبع من ذراه أيضا اثنان و اربعون نهرا. فاذا سرنا غربا من همذان و عبرنا درب الوند فى الطريق الى كنكوار الفينا اسدآباد، و قد وصفها ابن حوقل بانها مدينه آهله. و ذكر المقدسى ان على مقدار فرسخ منها ايوانا فى بناء سماه ياقوت مطابخ كسرى. و كان فى اسداباد جامع و أسواق عامره و هى كثيره الخير و العسل. و قال المستوفى انه كان من أعمالها خمس و ثلاثون ضيعه .

و السهل الذى تقوم فيه همذان تنصرف مياهه الى الشمال و الشرق، فتتحد مجاريه العديده لتؤلف أوائل نهر كاوماها (كاوماسا) و سنذكره فى كلامنا على نهر قم. و الى شمال همذان ناحيه در كزين و فى شمالها أيضا ناحيه خرّقان. و قد كتب المستوفى فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) عن در كزين و قال انها مدينه جليله كانت قبلا قريه و هى قصبه ناحيه أعلم و قد مرّ بنا فى الصفحه السابقه انها واحده من خمس نواح من أعمال همذان. و قال ان ناحيه أعلم- و ذكرها ياقوت قبله أيضا- سماها الفرس خطأ باسم المر، و كانت هضبه عاليه بين همذان و زنجان. و تكثر فيها الاعناب و القطن و القمح. أما خرقان و تسمى فى الغالب خرقانين فهى الى شمال أعلم و فيها كثير من القرى سرد المستوفى اسماءها (و لكن قراءتها فى مخطوطات كتابه لا يوثق بها). و قصبتها: آوه أو آبه همذان و ما زالت قائمه.

و انما سميت بذلك تمييزا لها عن آوه ساوه و سيأتى ذكرها. و قد تكتب آوه

الشماليه هذه احيانا بصوره آوا على ما ذكر ياقوت. و جاء ذكرها منذ المئه الرابعه (العاشره) فقد نوه بها المقدسی. و كان نهر خرّقان، على ما فی المستوفی، يفيض فی الربيع و يسيل ماؤه فی نهر كوشك رود ثم يفنی فی المفاوز الكبيره فی نواحی الری. و لا يتجاوز ماء نهر خرقان فی الصيف حدود هذه الناحيه فان السقی يستنفد مياهه .

و مدينه نهاوند على نحو اربعين ميلا جنوب همذان و كانت مدينه جليله منذ ايام الساسانيين. و بعد ان فتحها المسلمون بجيش من أهل البصره صارت تعرف المدينه و ناحيتها باسم ماه البصره لان خراجها كان يحمل فی اعطيات أهل البصره مثل خراج الدينور الذی كان يحمل فی اعطيات أهل الكوفه (راجع الصفحه ۲۲۴). و تكلم ابن حوقل فی المئه الرابعه (العاشره) فقال هی مدينه جليله كثيره التجاره و الرساتيق. و يرتفع اليها زعفران الروذراور، و بها جامعان احدهما عتيق و الآخر محدث. و ذكر ياقوت: يروی ان كثيرا من عرب البصره سكنوها منذ أيام الفتح الاولى. و اشتهرت نهاوند بصنف من العطور. و روی المستوفی فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) ان جل أهلها فی أيامه من الاكراد. و يكثر فی رساتيقها قطن لاسيما فی ثلاثه رساتيق ذكر اسماءها و هی: ملاير و اسفيذان و جهوق. و على نحو نصف الطريق بين همذان و نهاوند رستاق روذراور «و هو رستاق كبير عظيم يزرع فيه الزعفران، و المنبر منه بموضع يعرف بكرج الروذراور» و روذراور على ما فی ياقوت «مسيره ثلاثه فراسخ فيها ثلاث و تسعون قريه». و جاء اسمها فی المستوفی بصوره رودارود و غير ذلک. و ذكر من

مدنها سرکان و توی و کلتاهما ما زالت تری. و یطلق علی ناحیتها الآن اسم توی .

و فی شرقی نهاوند کوره الایغارین و قصبتها یقال لها کرج، و اشتهرت باسم

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۳۳

کرج ابی دلف. و لا یعرف الآن الموضع الحقیقی لکرج هذه. و لکن مع التدقیق فی المسافات التی ذکرت فی وصف المسالک و مما قاله المستوفی فی ان المدینه کانت وراء جبال راسمند (و هی الجبال المعروفه الیوم باسم راسبند) ینبغی أن یبحث عن موضعها بالقرب من منابع النهر المارّ بساروق و الملتقی بنهر قراصو الحالی. و تکلم ابن حوقل فی المئه الرابعه (العاشره) علی کرج فقال انها اصغر من بروجرد و لکنها کانت مدینه ذات شأن «بنیانها عال و کانت مدینه طویله نحو فرسخین و لها سوقان احدهما علی باب مسجد الجامع و سوق آخر و بینهما صحراء کبیره. و تصاقبهما المنازل و المساکن و الحمامات. و بناؤهم من طین و لیس بها کثیر بساتین و منتزهات» و تحف بها أراض قلیله وافره الخصب. اما ابو دلف، و هو الذی نسب الیه هذا الموضع، فقد کان قائدا شهیرا و شاعرا فی قصر هرون الرشید و ابنه المأمون. و قد أقام ابو دلف و آله فی هذه الکوره و فی ما حول البرج و هو علی اثنی عشر فرسخا أمام اصفهان. و قد اوغرت لهم ایغارا أی انها معفاه من الخراج ما خلا ما یدفع سنویا من المال الی الخلیفه . و روی یاقوت ان «کرج» فارسیه و أهلها یسمونها کره. و کانت فرّزین «قلعه علی باب کرج». و قد اشار المستوفی الی نهرها باسم کره- کره

رود- و قال ان جبل راسمند كان يطل على السهل فى شمالها. و عند حافه الجبل عين ماء غزيره يقال لها عين الملك كيخسرو تسقى المراتع المجاوره طولها سته فراسخ فى عرض ثلاثه و كانت تعرف باسم مرغزار كيتو و تحميها قلعه فرزين. و جبل راسمند، على

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۳۴

ما قيل، صخره سوداء تشمخ مثل جبل بيستون. و تشق سفوحه و ديان صغيره و محيطه عشره فراسخ اما موضع البرج و هى مدينه الايغارين الثانيه فلم يتوصل الى تعيينها و لكن موضعها معروف بوجه التقريب فقد قال ابن حوقل انها مدينه حسنه الحال فى الطريق الذاهب الى اصبهان على اثنى عشر فرسخا من الكرج .

و أسفل منها بانحدار نهر الكرج و فى شمال كرج أبى دلف، مدينه ساروق فى رستاق فراهان و قد أشار اليها ياقوت و المستوفى و عداها من أعمال همذان. و دوله آباد، و هى ما زالت قائمه فى تلك الانحاء، ذكرت فى جمله المواضع الجليله، و كان بالقرب منها ملّاحه و هى بحيره تكون اربعه فراسخ فى مثلها فاذا كانت ايام الصيف و جفت البحيره صارت ملحا جيدا يأخذه الناس و يحملونه الى البلدان فيباع. و قد سمى المغول هذه البحيره، على ما فى المستوفى، جغان ناوور و معناها «البحيره الملحه» و هى بلا ريب بحيره تواله الحاليه. و أخيرا فان فى جنوب شرقى همذان، فى نحو نصف الطريق بين هذه المدينه و نهاوند، بلده رامن الصغيره و قد ذكرها ياقوت فى جمله مدن هذه الناحيه الا ان غيره من المصنفين لم يتعرض لوصفها .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۳۵

الفصل الرابع عشر الجبال «تابع»

اللر

الصغری- بروجرد- خرماباذ- شابرخواست- سیروان و الصیمره- اصفهان و کورها- فیروزان و فارفان و نهر زنده رود- اردستان- قاشان- قم و کلبیکان و نهر قم- آوه و ساوه- نهر کاوماها.

فی جنوب همذان، لورستان (لرستان) أی بلاد اللر، و اللر جیل من الاکراد. و انهار هذه البلاد الجبلیه تقسمها الی قسمین: اللر الکبری فی الجنوب و اللر الصغری فی الشمال، و یفصل بین اللر الصغری و اللر الکبری نهر کارون الاعلی. و قد آثرنا بسط القول فی مدن اللر الکبری فی فصلنا عن خوزستان، و ان عدّ بعض المؤلفین کوره اللر الکبری جزءا من عراق العجم أیضا.

و کانت أهم مدن اللر الصغری، حسبما جاءت فی المستوفی فی المئه الثامنه (الرابعه عشره): بروجرد و خرّماباد و شابور خواست. و قد وصف ابن حوقل فی المئه الرابعه (العاشره) بروجرد فقال هی مدینه حسنه طولها أکثر من عرضها و طولها نحو نصف فرسخ. و فواکه الکرج منها، و بها زعفران کثیر. و استحدث حمویه فیها منبرا. و کان حمویه وزیر آل ابی دلف و قد مرّ ذکرهم. و حین

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۳۶

کتب المستوفی فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) کان فیها جامعان: عتیق و محدث.

اما المدینه فکان الخراب قد استولی علیها فی ایامه حسب قوله. و أشار الیها علی الیزدی غیر مره فی سیاق وصفه حروب تیمور، الا انه سماها و روجرد حیثما ذکرها و قال ان القلعه المسماه أرمیان قد جددت بأمر تیمور .

و خرّماباذ و قد کانت منذ ایام تیمور اجل موضع فی اللر الصغری بعد بروجرد، لم یذکرها أحد من بلدانیی العرب فی القرون الوسطی بهذا الاسم.

و لعل خرّماباذ هی مدینه شابرخواست

على رأى بعضهم، فقد كثر ذكرها قبل ذلك. على ان ما يثبت خطل هذا الرأى ذكر المستوفى لهما كلا على انفراد، هذا الى كونه أشار الى موضع شابور خواست. و كانت خرماباذ حين كتب المستوفى فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) مدينه حسنه و ان دبّ الخراب فى بعضها. و كان يكثر فيها النخيل. و قال ان هذه المدينه هى الموضع الوحيد الذى ينمو فيه النخيل فى بلاد الجبال ما خلا الصيمره. على ان هذا القول لا يمكن الاخذ به على علاته.

أما شابور خواست و قد كتبها البلدانيون العرب بصوره سابور خواست فقد اشتهرت بتمورها أيضا منذ أيام ابن حوقل. و فى المئه الرابعه (العاشره) خضعت سابور خواست و بروجرد و نهاوند لحسنويه الزعيم الكردى الذى أقام دولته فى الدينور (أنظر الصفحه ۲۲۴ أعلاه). و فى دزبز، قلعه سابور خواست و هى تضاهى سرماج مناعه، خبأ بدر بن حسنويه أمواله التى وقعت فى سنه ۴۱۴ (۱۰۲۳) بأيدى البويهيين. و فى المئه الخامسه (الحاديه عشره) ورد ذكر سابور خواست غير مره فى أخبار السلاجقه. و فى سنه ۴۹۹ (۱۱۰۶) استولى عليها الاتابك منكربرس كما استولى على نهاوند و ليشتر (اليشتر). و حين كتب المستوفى تاريخ گزيده فى النصف الاول من المئه الثامنه (الرابعه عشره) كان فى اللر الصغرى فى أيامه مدن آهله هى: بروجرد و خرماباذ و شابور خواست (على ما كتبها بالفارسيه) و ذكر ان هذه الاخيره و ان كانت فى ما مضى مدينه عظيمه آهله

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۳۷

فيها اخلاط من الشعوب و عاصمه المملكه، فان شأنها قد تضاءل و تحولت الى مدينه اقليم ليس الا. و قال ان موضعها

مما یلی بروجرد فی الجنوب. «فالطریق من نهاوند الی اصفهان یتشعب یمینا الی شابور خواست» و یسارا (أی الی الشرق) یبقی الطریق الاصلی علی اتجاهه الی کرج ابی دلف. و هذا یتفق و ما أورده ابن حوقل و المقدسی، فقد قال الاول ان من نهاوند الی لاشتر عشره فراسخ (جنوبا) و من لاشتر الی الشابر خاست اثنا عشر فرسخا. و من الشابر خاست الی اللور (الکبری) ثلاثون فرسخا- أی الی المفاوز التی فی شمال دزفل، علی ما سیأتی بیانه فی الفصل السادس عشر. و زاد المقدسی علی ذلک ان من سابور خواست الی کرج ابی دلف أربع مراحل علی مثل ما کان من سابور خواست الی اللر .

و فی غرب اللر الصغری علی حد العراق الغربی: کورتا ماسبذان و مهرجان قذق. و اهم مدنهما: السیروان و الصیمره. و ما زالت تری اطلال هاتین المدینتین. و ماسبذان اسم یطلق الآن علی البقعه التی فی جنوب سهل مای دشت.

و کانت سیروان (أو السیروان) علی ما فی ابن حوقل «مدینه صغیره غیر ان الغالب علی بنائها الجص و الحجر کمدینه الموصل فی أبنیتها. و فیها الثمر الکثیر و الجوز و الدستنبویه و ما یکون فی بلاد الصرود و الجروم» . و کان فیها أیضا النخیل علی ما قلنا. و أشار القزوینی الی ما فی کوره ماسبذان من الکباریت و الزاجات و البوارق (جمع البورق) و الاملاح. و علی نحو خمسین میلا من شرقها:

الصیمره و هی کالسیروان و بقیت زمنا مدینه آهله بعد زوال المدینه الاخیره و کانت اصلح موضعا منها. و اشتهرت کوره مهرجان قذق، و هی التی تحیط بالصیمره،

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص:

بكثره خيراتها فى المئه الرابعه (العاشره). و أشار المقدسى الى انها كبيره عامره.

و وصف ياقوت الصيمره فقال «بها نخل و زيتون و جوز و ثلج». و فى الطريق بين الصيمره و الطرحان و هى ضيعه مجاوره لها «قنطره عجيبه بديعه تكون ضعف قنطره خانقين» و هى بين حلوان و خانقين. و حين كتب المستوفى فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) كانت الصيمره مدينه حسنه و ان أخذ الخراب يدب فيها. و كانت نواحيها مشهوره بنخيلها .

و فى الطرف الجنوبى الشرقى من اقليم الجبال، ليس ببعيد عن شفير المفازه الكبرى، مدينه اصفهان (و كتب العرب هذا الاسم «اصبهان» و الفرس «اسباهان») و كانت منذ اقدم الازمنه موضعا جليل القدر لعظم خيرات اراضيها و وفره مياهها الآتيه من زاينده رود . و تقوم اليوم اصفهان و ارباضها على ضفاف هذا النهر اما فى القرون الوسطى فكانت احياؤها الآهله على ضفه زاينده رود الشماليه أى اليسرى فقط. و قد كان فى هذا الموضع مدينتان متقاربتان هما:

فى الشرق جى و يقال لها أيضا شهرستانه يحف بها سور ذو مئه برج، و على ميلين من جنوبها: اليهوديه و هى ضعف جى. و قد نسبت هذه المدينه على ما اجمعت عليه الروايات الى اليهود الذين اسكنهم نبوخذ نصر فيها.

و وصف ابن رسته فى ختام المئه الثالثه (التاسعه) مدينه جى فقال طولها نصف فرسخ وسعتها نحو ٢٠٠٠ جريب (أى نحو ٦٠٠ أكر). و لها أربعه أبواب: الاول باب خور و يقال له أيضا باب زرين روذ و هو الاسم القديم للنهر.

و الثانى باب اسفيج و الثالث باب طيره و الرابع باب اليهوديه. و ذكر ابن رسته عدد أبراج السور بين باب و باب و

أورد المسافات بينها بالـذراع. و بمـدينه جى بناء عتيق يقال له الساروق على مثال الحصون. و هـذا الاسم يشبه اسم قلعه همـذان على ما قد بيّنّا. و قال ابن رسته: «لا يعرف بانيه لقدمه فقد بنى قبل الطوفان».

و وصف ابن حوقل و المقدسى فى المئه التاليه جى و اليهوديه فقالا: فى كل واحده

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٢٣٩

منهمـا منبر و اليهوديه وحـدها تضـارع همـذان سعه بل هى أكبر مـدينه فى اقليم الجبال. و قـد تستثنى الرى من ذلك. و كانت اصفهان مركزا تجاريا فى اقليم الجبال «يرتفع منهـا العتـابى و سـائر ثيـاب القطن و يجود. تجلب منهـا الى سـائر النواحى. و بها زعفران و فواكه و هى أخصب مدن الجبال و اوسعها عرصه و أكثرها ماء و تجاره». و على ما فى المقدسى «يقال ان بختنصر لما جلى بنى اسرائيل من الارض المقدسه لم يروا بلدا تشاكله ارضـهم غيرها فسكنوها». و قال ان للمدينه اثنى عشر دربا. و بناؤهم طين و أسواقهـا بعض مغطـاه و بعض مكشوفه. و الجـامع فى الاسواق حسن على اساطين مـدوره و له مناره فى قبلته طول سبعين ذراعا.

و كـانت مـدينه جى المجـاوره لليهـوديه على ميليـن مـن شـرقيها. و يقـال لهـا المـدينه على مـا فى المقدسـى و هى ترادف لفظه شهرستانه. و كان على النهر أسفل قلعتها القديمه جسر سفن فى المئه الرابعه (العاشره).

و فى سنه ۴۴۴ (١٠٥٢) زار الرحاله الفارسى ناصر خسرو اصفهان و قال انها أكبر مدينه رآها فى جميع البلاد الناطقه بالفارسيه. و كان فيها مئتا صراف و خمسون رباطا و يقال ان طول سورها ثلاثه فراسخ و نصف و له شرفات و مراق

يصعد بها الى أعلاه. و كان مسجدها الجامع بناء فخما. و سوق الصرافين مما تحسن رؤيته. و لكل سوق من أسواقها الكثيره باب يغلق عليها. و حين كتب ياقوت فى مطلع المئه السابعه (الثالثه عشره) كان الخراب قد دب فى اليهوديه و جى و بقيت ثانيتهما أكثر سكانا. و تكلم أيضا على جامع جى الذى بناه الخليفه الراشد باللّه ابو جعفر المنصور الذى خلعه عمه محمد المقتفى فى سنه ۵۳۰ (۱۱۳۶) ثم انه قتل فى حرب بينهما و دفن فى ظاهر باب الصحن الا ان اليهوديه استعادت شيئا من منزلتها السابقه بعد الفتح المغولى. و حين كتب أبو الفداء فى سنه ۷۲۱ (۱۳۲۱) كانت اليهوديه عامره بينها و بين شهرستان ميل من شرقيها تقوم على قسم من موضع جى القديمه.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۴۰

و سرد معاصره المستوفى حديثا طويلا عن اصفهان و كورها ذاكرا اسماء كثير من مواضعها التى ما زالت موجوده. و يثبت وصفه لها ان يهوديه القرون الوسطى هى مدينه اصفهان التى وصفها شاردان Chardin فى ختام القرن السابع عشر حين اضحت عاصمه بلاد فارس فى عهد الشاه عباس. و ما زالت معالم مجدها التالد ظاهره للعيان اليوم. و على ما فى المستوفى كان طول أسوار المدينه ۲۱۰۰۰ خطوه. و يرقى زمنها الى المئه الرابعه (العاشره) اذ بناها عضد الدوله البويهى.

و كان فى بقعه اصفهان قبلا اربعه قرى انتسبت اليها محال المدينه و هى كران (و ذكر شاردان ان باب كران كان فى جبهتها الشرقيه) و كوشك و جوباره (و كانت هى المحله الشرقيه حين كتب شاردان. و كان باب جوباره فى الشمال الشرقى) و دردشت (و الباب الذى

بهذا الاسم فی الشمال. و محله دردشت فی الشمال الغربی). و علی ما ذکر المستوفی ان أکثر المحلات سکانا فی أیام السلاجقه کانت المحله التی یقال لها جلباره (و هی محله کلبار عنـد شاردان و کانت حول میدان کهنه الحالی «أی المیدان القدیم») حیث کانت مدرسه السلطان محمد السلجوقی و قبره. و فیها قطعه حجر تزن عشره آلاف منّ (و لعل ذلک یعادل ما یقرب من ۳۲ طنا) و هی صنم (بد) عظیم حمله السلطان من الهند و نصبه أمام باب المدرسه .

و لما استولی تیمور علی اصفهان فی ختام المئه الثامنه (الرابعه عشره) ورد اسم القلعه التی فتحها بصوره قلعه طبرک (و هی تعنی الرابیه بالفارسیه). و قـد وصف شـاردان اطلال هـذه القلعه و هی ما زالت شاخصه بانها فی ظاهر باب دردشت و الی ذلک فقد علمنا ان ملکشاه السلجوقی أقام قلعه حصینه أخری- شاه دز «القلعه الملکیه»- فوق قمه جبل عند اصفهان فی سنه ۵۰۰ (۱۱۰۷). و اورد القزوینی حکایه طویله تدور علی الاحوال التی لابست تأسیسها. و فی مطلع المئه العاشره (السادسه عشره) خضعت فارس للشاه اسماعیل الصفوی و فی

ختامها نقـل الشاه عباس الکبیر قاعـده ملکه من اردبیل الی اصـفهان. و نقل ایضا جمیع الارمن من جلفا، و هی علی نهر ارس، و اسکنهم فی حی جدیـد بالمـدینه انشأه علی ضـفه نهر زاینـده رود الجنوبیه أی الیمنی. و اضاف الشاه عباس أیضا الی اصـفهان احیاء و ارباضا جدیده فی شـمال النهر. و قد وصف ذلک کله شاردان وصـفا وافیا فقد عاش فی اصـفهان سـنین کثیره فی خلال النصف الاخیر من القرن السابع عشر

للميلاد .

و النواحى الثمان حول اصفهان، و قد عنى المستوفى بذكر اسمائها و اسماء قراها، ما زالت موجوده. و وردت هذه الاسماء نفسها فى اليعقوبى و فى غيره من مصنفى المئتين الثالثه و الرابعه (التاسعه و العاشره). و كان اربع من هذه النواحى فى شمال النهر. اما الاربع الاخرى ففى يمينه فى الجنوب. فاذا ابتدأنا من الضفه الشماليه رأينا ناحيه المدينه، و كان يقال لها جى، و هو اسم المدينه العتيقه التى فى شرقيها. و كانت ناحيه مربين فى غرب اصفهان و فيها بيت نار قديم بناه الملك الاسطورى طهمورث الملقب ب «ديوبند» أى «مكتّف الشياطين». و الى الشمال الغربى على شى ء يسير من أبواب المدينه ناحيه برخوار. و كانت جز (كز الحديثه) أوسع قراها. و الى الشمال الشرقى ناحيه قهاب و هى رابعه النواحى التى فى شمال النهر. و فى جنوب زاينده رود، و الى جنوب شرقى مدينه شهرستانه القديمه، ناحيه برآن. و يليها فى منحدر النهر ناحيه رودشت.

و قصبتها فارفآن و كانت مدينه واسعه فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) و لكنها الآن قريه قرب سبخه گاوخانى الكبيره. و كانت ناحيه كرارج فى جنوب برآن. و الى غربها فى أعلى الضفه اليمنى لنهر زاينده رود، ناحيه خان لنجان الكبيره و هى آخر النواحى الاربع التى فى جنوب النهر. و كانت أهم مدينه فيها فيروزان. و لم

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۴۲

تبق معالم ما لبقايا هذه المدينه على ما يظهر مع انها كانت مدينه كبيره ذات جانبين فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) و بين يديها نهر زاينده رود. قال ابن بطوطه، و قد مرّ بها، انها تبعد سته فراسخ من اصفهان. و فى المئه

الرابعه (العاشره) كانت ناحيه خان لنجان مشهوره بفواكهها الوافره و بخصوبه ارضها. و يكتب اسمها غالبا خالنجان أو خالنجان كما عرفت باسم خان الابرار. و اسم خان لنجان اذا أريد به المدينه فانها تنطبق و لا ريب على فيروزان الماره الذكر و هى التى تذكر كتب المسالك انها أول مرحله باتجاه الجنوب فى الطريق الغربى من اصفهان الى شيراز. و فى المئه الخامسه (الحاديه عشره) مرّ ناصر خسرو بخان لنجان فى طريقه الى اصفهان و رأى على باب المدينه كتابه فيها اسم طغرل بك السلجوقى .

و نهر اصفهان يعرف اليوم بنهر زندرود و سماه مصنفونا على اختلافهم باسم زاينده رود أو زرنروذ. و يطلق اسم زرين رود اليوم على أحد فروع هذا النهر. و كان المجرى الاصلى يسمى فى أعاليه جوى سرد (النهر البارد) و مخرجه فى زرده كوه (الجبل الاصفر) و ما زال هذا الجبل يعرف بهذا الاسم لأن صخوره من الحجر الكلسى الاصفر، و هو على ثلاثين فرسخا غرب اصفهان و لا يبعد كثيرا من منابع نهر دجيل أو كارون فى خوزستان. و فى تلك الانحاء أيضا، على ما فى المستوفى، جبل اشكهران و هو الذى يعيّن حد اللر الكبرى.

و فى أسفل مدينه فيروزان فى خان لنجان يستقبل نهر زنده رود رافدا يضارع المجرى الاصلى سعه ينحدر من جوار كلپيكان (جرباذقان) و بعد ان يمر باصفهان و يسقى نواحيها الثمان ينحرف زنده رود شيئا يسيرا الى شرق رودشت و يغور أخيرا فى كاوخانى على شفير المفازه الكبرى. و يقال، على ما ذكر ابن خرداذبه فى المئه الثالثه (التاسعه)، ان هذا النهر «يغور فى رمل فى آخرها ثم يخرج بكرمان

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص،

على ستين فرسخا من الموضع الـذى غـار فيه ثم يصب فى البحر». و لكن المسـتوفى لاـ يؤيـد هـذا القول بطبيعه الحـال لأـن بين اصـفهان و كرمـان جبالاـ عـاليه و ان روى هو الزعم القائـل ان كسـر القصب التى ترمى فى سـبخه كاوخـانى تخرج فى كرمان و عقب ذلك «و لكن هذه الحكايه لا تصدق» .

و كانت نائين، و هى فى شـمال كاوخانى عند حافه المفازه الكبرى و كذلك المدن التى فى جنوب شـرقيها باتجاه يزد، تعد من أعمال اقليم فارس فى القرون الوسـطى على ما سـنبينه فى الفصل الثامن عشر. الا ان اردستان و هى على بضعه أميال شمال غربى نائين كانت من أعمال اقليم الجبال. و قد وصف الاصطخرى اردستان فى المئه الرابعه (العاشره) بانها مدينه حصينه عليها سور ذو خمسه أبواب.

و هى ميل فى مثله، و المسجد الجامع فى وسط المدينه. و كان يعمل فيها ثياب الحرير و تحمل الى الآفاق. و فى زواره و هى فى شمال شـرقى اردسـتان أبنيه من بناء الملك انوشـروان العادل. و ذكر المقدسـى ان اردستان «أرض على بياض الدقيق و منه اشتق اسمها» فبالفارسيه، ارد: الدقيق. فمعنى اردستان موضع كالدقيق.

و الاطلاـل التى أشار اليها ياقوت باسم أزواره، قال ان «بناءها آزاج، و فى وسط حصن منها بيت نار» يقال ان انوشـروان ولـد فيه. غير ان المسـتوفى و قد كتب الاسم بصوره زواره نسب كل هذه الاطلال بما فيها بيت النار الى الملك بهمن بن اسـفنديار. و قال ان المدينه التى تقوم فى حافه المفازه كان حولها ۳۰ قريه و ذكر أنها من بناء دستان أخى البطل رستم على ما يقال.

و على شفير المفازه بين اردستان و

قاشـان کرگس کوه «جبـل النسـر». وصـفه المقدسـی بانه أعلی جبال مفازه فارس و امنعها و یلیه سـیاه کوه «الجبل الاسود» و هو دونه فی الکبر غیر انه منیع. و هـذان الجبلان عالیـان و عرا المسـلک الی ذراهمـا. و جبـل سـیاه کوه «جبـل أسود قبیـح المنظر و المخبر» و کلا الجبلین، علی ما قال الاصـطخری، مأوی للصوص یعتصـمون به. و فی هـذا الجبل ماء یسـمی آب بنده «اذا صـرت عنده کنت کأنک فی حظیره و الجبل محیط بک». و فی نحو

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۴۴

نصف الطریق فی المفازه بین کرگس کوه و سـیاه کوه، رباط حصین یقال له دیر الجص من جص و آجر، علیه أبواب حدید. و هذا الرباط علی ما ذکر الاصطخری یسکنه بذرقه السلطان و فیه حیاض الماء یجتمع فیها ماء المطر.

و قال المقدسی انه رآه شعثا و علی باب الرباط بقال مقیم. و وصف المستوفی کرگس کوه بانه جبل منقطع عن الجبال و محیطه نحو عشـره فراسـخ . و کـانت النسور تعشـش فی صـخور ذراه. و تکـثر فیه الوعول التی تحتمـل العطش ایامـا طویله. و الی غرب اردسـتان مدینه نطنز أو نطنزه و لم یذکرها احد من بلدانیی العرب قبل یاقوت . و روی المسـتوفی ان قلعتها کانت تسـمی و شاق نسـبه الی و ال کان علی نطنز. و قـد عرفت هـذه القلعه قدیما باسم کسـرت. و فی جوار نطنز أیضا قریه کبیره یقال لها طرق، هی «شبه بلده» علی قول یاقوت.

و لأهلها علی ما ذکر القزوینی «ید باسطه فی الآلات المستظرفه من العاج و الآبنوس یحمل منها الی سائر البلاد» .

و قد وصف الاصطخری مدینه قاشان بانها

«مـدينه صـغيره، بناؤهـا و بنـاء قم الغالب عليه الطين». و كتب بلـدانيو العرب القـدماء اسـمها بصوره قاشان لا كاشان. و اشـتهرت قاشان فى ديار الشـرق بقرميدها الذى يقال له القاشـى (و القاشانى) و اصـبحت هذه التسميه تطلق على القرميد الازرق و الاخضر المتخذ فى تزويق المساجد حتى يومنا هذا. و على ما فى المقدسـى كان بقاشان «عقارب عجيبه» و قد أشار ياقوت الى «ما يجلب منهـا من الغضائر القاشانى» و قال ان «أهلها كلهم شـيعه اماميه». و ذهب المسـتوفى الى ان اول من بنى قاشان زبيـده زوجه هرون الرشيد، و نوه بقصر فين و هو بقرب قاشان و قال فيه حياض و كهاريز

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۴۵

تستمد الماء من نهر يأتى من قهرود. و كان نهر قاشان يجف صيفا قبل ان يصل ظاهر المدينه، اما فى الربيع فغالبا ما يطغى فيضانه على المدينه. و بعد ان يجتازها كان يفنى فى المفازه المجاوره لها.

و مدينه قم، و هى الى شـمال قاشان، مشـهوره الآن عند الشـيعه بمشـهدها، و هو مشهد فاطمه أخت على الرضا الامام السادس، و قـد عاش فى أيام هرون الرشـيد. و المعروف انها توفيت مسـمومه فى طريقها الى اخيها فى خراسان. وصف ابن حوقل مـدينه قم فى المئه الرابعه (العاشـره) فقال ان جميع أهلها شـيعه، و كانت حينذاك مدينه عليها سور، خصـبه و بها بساتين و أشـجار فستق و بندق.

و كان اسم قم القديم على ما فى ياقوت: كمندان «فاسقط العرب بعض حروفها فسميت بتعريبهم قما». و قال أيضا «داخل المدينه حصن قديم للعجم» ما زال يرى. «و لها واد يجرى فيه الماء بين المدينتين (أى بين الحصن القديم

و المدینه الاسلامیه) علیه قناطر معقوده بحجاره». و ذکر المستوفی ان دائر أسوار قم کان عشره آلاف خطوه، و قد اشتهرت قم اشتهار آوه بکثره مخابئ الثلج التی تحفر فی الارض. و یکثر فیها السرو و تعصر الخمر من عنبها الاحمر الفاخر.

و حین کتب المستوفی فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) کان الخراب قد دبّ فی معظم مدینه قم. و مما یحسن ذکره انه لا المستوفی و لا غیره من المصنفین القدماء لمح الی قبر فاطمه و ان کانت المدینه معروفه بانها مرکز للشیعه .

و مخرج نهر قم فی ناحیه کلبیکان قرب جبل خانسار علی ما جاء هذا الاسم فی المستوفی. و هذا الجبل یرتفع بین نهر قم و الرافد الایسر لنهر اصفهان المار الذکر. و جرباذقان هو الاسم العربی لکلبیکان. و صوره الاسم القدیمه کانت کربائیکان و قد فسره المستوفی ب «موضع الورود» و کتب اسمه بصوره کلبادکان. و نوه بخصب ناحیه کلبیکان، و ذکر ان من أعمالها خمسین قریه.

و أشار المقدسی الی جرباذقان فقال هی فی نصف الطریق بین کرج ابی دلف

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۴۶

و اصفهان و ان قریه خانسار، و قد عرفت الناحیه باسمها، کانت مجاوره لها علی ما فی یاقوت. و کانت مدینه دلیجان اسفل منها علی نهر قم. و ذکرها یاقوت بصوره دلیجان أو دلیکان. و قد کانت فی ما مضی عامره الا انها آلت الی الخراب حین کتب المستوفی. و بعد ان یجتاز نهر قم مدینه قم، یلتقی بالنهر الکبیر الآتی من همذان و هو نهر کاوماها أو کاوماسا. و یستقبل فی یمینه علی بعد قلیل فوق قم نهر آوه و فی یساره النهر

المار بساوه و هذه الانهار يتشعب كلها الى جداول كثيره توصل فيما بينها سواق ثم تفنى أخيرا فى المفازه الكبرى شمال شرقى قم.

و مدينه آوه (و تسمى آوه ساوه تمييزا لها عن آوه القريبه من همذان.

أنظر ص ۲۳۱) على شى ء يسير غرب قم. و ينبع نهر آوه فى تفرش و هى، على وصف المستوفى لها، ولايه لا يكون الوصول الى أى طرف منها الا بدروب.

و هى وافره الخيرات كثيره الضياع. و قد ذكرها المقدسى باسم آوه الرى. اما ياقوت فقال انها قريه أو بليده. و كتب اسمها بصوره آبه و قال ان اهلها شيعه.

و فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) وصف المستوفى آوه و قال عليها سور محيطه الف خطوه و فيها مخابئ محفوره لاختزان الثلج لان الحاجه تمس الى الثلج فى اشتداد القيظ. و خبزها ردئ. و ذكر ان بين آوه و قم جبل منقطع يقال له كوه نمك (جبل الملح) لان تربته يخالطها الملح. و بلوغ قمه هذا الجبل ممتنع لان ارضه هشه و لا يستقيم الثلج على سفوحه. و ملحه لا يستعمله الناس لشده مرارته. ودور هذا الجبل ثلاثه فراسخ و هو شاهق جدا فيرى من عشره فراسخ .

و مدينه ساوه فى منتصف المسافه بين همذان و الرى على طريق القوافل التى تقطع بلاد فارس (أى طريق خراسان). و كانت ذات شأن فى المئه الرابعه (العاشره). وصفها ابن حوقل بانها «كثيره الجمال و أكثر الحجاج يحجون على جمالهم لانهم مع قنيتهم الجمال جمّالون». و قال المقدسى ان المدينه «عليها حصن و بها حمامات ظريفه و الجامع بعيد عن السوق و هى على الجاده». و ذكر

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص:

یاقوت ان بقرب ساوه «مدینه یقال لها آوه. فساوه سنیه شافعیه و آوه أهلها شیعه امامیه. و لا یزال یقع بینهما عصبیه». و قاست ساوه الکثیر علی ید المغول فی سنه ۶۱۷ (۱۲۲۰) فقد خربوا المدینه «و قتلوا کل من فیها». و قال یاقوت:

«کان بها دار کتب لم یکن فی الدنیا أعظم منها، بلغنی انهم أحرقوها». و أشار القزوینی الی دار الکتب هذه فقال: «و فی وسط الجامع خزانه الکتب فیها کل کتاب معتبر کان فی زمانه ... مع الاسطرلابات و الکرات» المتخذه لتعلم الفلك.

«و بها مارستانات و مدارس و رباطات. و الطاق الذی علی باب الجامع، و هو طاق عال جدا، مثل طاق کسری» فی المدائن.

و فی الروایات الاسلامیه ان ساوه کانت «فی قدیم الزمان علی ساحل بحیره غاضت عند مولد النبی». فقد غاض ماؤها فی باطن الارض ابتهاجا و فرحا بالبشری السعیده علی ما فی المستوفی. و ذکر ان اسوار ساوه احدثت فی ایامه بالآجر و کان ذرع محیطها ۶۲۰۰ ذراع و علی اربعه فراسخ من غرب ساوه مشهد النبی شمویل. و حین کتب المستوفی کان جل اهلها من الشیعه. و ذکر اسماء کثیر من القری فی نواحیها التی یکثر فیها القطن و القمح و الرمان.

و کان نهر ساوه یسمی مزدقان نسبه الی مدینه بهذا الاسم کانت علی ضفافه.

و مخرج هذا النهر فی سامان و هی قریه کبیره علی حدود کوره خّرقان من أعمال همذان (أنظر ص ۲۳۱) و سامان فی بقعه ذات خیرات فیها القمح و العنب. و من سامان یأتی النهر الی مزدقان (و تکتب أیضا مصدقان) و هی بلده محیطها ۳۰۰۰ خطوه علی ما جاء فی المستوفی، و هواؤها بارد

و هی فی ارض جبلیه. و قال یاقوت «کان یخدم الصوفیه برباط بمزدقان». و کانت المدینه مرحله علی طریق القوافل الذی یقطع بلاد فارس. و أنبأنا المستوفی ان نهر مزدقان بعد ان یجتاز ساوه یتشعب فیغور قسم من مائه تحت الارض فی وهده عظیمه بینما تنصب بقیه مائه فی کاوماها.

اما النهر الطویل المسمی کاوماها (و جاء الاسم فی بعض المخطوطات بصوره کاوماسا) و هو الذی عنی المستوفی بوصفه فیعرف الآن بعض مجراه

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۴۸

باسم قراصو (الماء الاسود). و منابعه علی ما مرّ بیانه فی مفازه همذان حیث تنحدر جداول متشعبه من اسداباد و جبل الوند و کوره فریوار فیجری أولا الی ناحیه الشمال ثم ینعطف انعطافا حادا الی الشرق فیستقبل من الجنوب رافدا عظیما هو النهر الذی ینبع بالقرب من کرج ابی دلف و یستقبل مما یلی ساوه و آوه رافدین آخرین قد مرّ ذکرهما. و أنشئ فی هذا النهر سد عظیم یختزن الماء للسقی فی موسم الصیهود. و یختلط مجری کاوماها بنهر قم الآتی من کلبیکان. و ذکر المستوفی ان میاه هذین النهرین الفائضه بعد ان تجتاز موضعا یقال له هفتاد بولان أی «القناطر الثمانین» یفنی ما یتبقی منها فی المفازه الکبری. و قال المستوفی ان مثل نهر کاوماها فی ناحیته مثل نهر زنده رود فی اصفهان. فقد کان کلاهما مصدر الخیر و البرکه لهاتین المدینتین. و مما تحسن الاشاره الیه ان أحدا من البلدانیین العرب القدماء لم یذکر هذا النهر .

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۴۹

الفصل الخامس عشر الجبال «تتمه»

الری- ورامین و طهران- قزوین و قلعه الموت- زنجان- السلطانیه- شیز او ستوریق- خونج- ناحیتا الطالقان و

طارم- قلعه شميران- تجارات اقليم الجبال و غلاته- مسالك اقليم الجبال و اذربيجان و اقاليم الحدود الشماليه الغربيه.

فى الطرف الشمالى الشرقى من اقليم الجبال، مدينه الرى. و كتبها بلدانيو العرب مقترنه دائما بال التعريف. و هى مدينه ريجس Rhages عند اليونان.

و قد كانت الرى فى المئه الرابعه (العاشره) على ما يظهر أكبر القصبات الاربع لاقليم الجبال. قال ابن حوقل «ليس بعد بغداد فى المشرق مدينه أعمر من الرى الا ان نيسابور أكبر منها عرصه وافسح رقعه، و مقدارها فرسخ و نصف فى مثله». و كانت الرى فى أيام الخلافه العباسيه يقال لها المحمديه، و انما سميت بهذا الاسم لان محمدا، و هو المهدى الخليفه العباسى، نزلها فى خلافه ابيه المنصور و بنى أكثر مدينه الرى. و بها ولد ابنه هرون الرشيد. و صارت مدينه المحمديه هذه أكبر دار للضرب فى هذا الاقليم. و قد وجد اسمها هذا على كثير من النقود العباسيه.

«و بناء الرى من طين و يستعمل فيها الآجر و الجص». و على ما فى ابن

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۵۰

حوقل كان للرى حصن حسن مشهور له خمسه أبواب: باب باطاق (فى الجنوب الغربى) و يخرج منه طريق بغداد. و باب بليسان (فى الشمال الغربى) و يفضى الى قزوين. و باب كوهك (فى الشمال الشرقى) و يفضى الى طبرستان. و باب هشام (فى الشرق) و يخرج منه طريق خراسان. و باب سين (فى الجنوب) و يفضى الى قم. و كانت أسواق المدينه عند هذه الابواب و خارجها. و أعظمها تجاره ربض ساربانان و روذه. و بها معظم التجارات و الخانات، و هو شارع عريض مشتبك الابنيه و العقارات و المساكن. و

فی المـدینه علی قـول ابن حوقـل: «نهران للشـرب، یسـمی أحـدهما سور قنی و یجری علی روذه، و الآـخر الجیلاـنی یجری علی ساربانان». و ذکر یاقوت أیضا نهر موسـی الآتی من جبل الـدیلم، فقـد یکون هذا النهر هو الجیلانی أو نهر کیلان المار الذکر. و أشـار المقدسـی الی بنـائین جلیلین فی الری أحـدهما دار البطیـخ و هو اسم یطلق عـاده علی سوق الفـاکهه، و الثـانی دار الکتب بأسفل الروذه فی خان، و لم تکن کثیره الکتب علی قول المقدسی.

و فی المئه الرابعه (العاشـره) قال ابن حوقل و المقدسـی ان الری قد خرب أکثرها و تحولت تجارتها الی ارباض المدینه القدیمه. و کان یطلّ علی المسـجد الجامع الذی بناه الخلیفه المهدی و فرغ من عمارته فی سنه ۱۵۸ (۷۷۵)، علی ما روی یاقوت، الحصن و هو علی قله جبـل صـعب المرتقی «فـاذا صـعدت الی تلک القلعه اطلعت علی سـطوح الری کلها» علی وصف ابن رسـته. اما ما رواه یاقوت عن الری فغیر واضـح کثیرا الا انه اقتبس فی شـطر مما روی وصـفا خططیا قـدیما للمـدینه جاء فیه ان المدینه الداخله فیهـا المسـجد الجامع و دار الامـاره و حولهـا خنـدق. و أهـل الری یـدعونها «المـدینه». و المـدینه الخـارجه کـان غالبهـا یعرف بالمحمـدیه و قـد کـانت فی أول أمرهـا ربضا محصـنا. و کان علی قله جبل یطل علی المـدینه التحتانیه (الـداخله) و علی ما نقله یاقوت کان هذا الحصن یعرف بالزبیدیه (و قد ورد اسمه فی بعض المخطوطات بصوره الزیبندی) . و قد کان المهدی

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۵۱

نزله أیام مقامه بالری. ثم جعل بعد ذلک سجنا ثم خرب و عمر فی سنه ۲۸۷

(٨٩١). و كـان فى الرى قلعه أخرى يقال لها قلعه الفرّخان و عرفت أيضا بالجوسق. و فى المئه الرابعه (العاشـره) كره فخر الـدوله البويهى القصر القديم القائم فوق قله الجبل فابتنى له أبنيه مشرفه على البساتين سماها فخرآباذ .

و أشـهر رساتيق الرى فى الازمنه الاولى و أكثرها خصوبه: رسـتاق روذه (أو الروذه) و فيه قريه كبيره بهذا الاسم فى ما يلى ربض المـدينه. و ورامين و قـد أخـذت مكان الرى بعدئـذ و صارت اولى مـدن ذلك القسم من اقليم الجبال. و بشاويه و ما زالت قائمه تعرف باسم فشاويه. و أخيرا قوسـين و ديزه و القصـران الخارج و الداخل. و ديزه اسم قريتين كبيرتين أو مدينتين على مسيره يوم من الرى و هما ديزه القصرين و ديزه ورامين. و كل هذه الرساتيق و غيرها مما ذكره ابن حوقل كانت اشبه بمدن صغيره «يزيد ما فى احدها من أهلها على عشره آلاف رجل».

و فى سـنه ٦١٧ (١٢٢٠) اسـتولت جحافـل المغول على الرى و نهبتهـا و احرقتها و لم تقم لها قائمه منـذ نزول هـذه الكارثه بها. و حين مرّ بهـا ياقوت فى ذلك الزمان قال «رأيت حيطان خرابها قائما و قـد خربت دورها. و كثير منها مبنى بالآجر المنمق المحكم الملمع بـالزرقه مـدهون كما تـدهن الغضائر». و لم ينـج من أذى المغول غير ربض الشافعيه و هو أصـغر أحياء المـدينه. اما احياء الحنفيه و الشيعه فقد خربت و لم يبق لها أثر .

و قد حاول غازان خان المغولى تعمير الرى و انقاذها من الخراب المسـتحوذ عليها فأمر باعاده بناء المدينه و السـكنى فيها. و لكنه خاب فى ذلك لان سكانها كانوا قد انتقلوا عنها الى مدينتى

ورامين و طهران المجاورتين لها لاسيما الى الاولى اذ كانت أطيب هواء من الرى القديمه. واضحت فى مطلع المئه الثامنه (الرابعه عشره) أكثر مدن هذه الناحيه ازدهارا. و خرائب ورامين على شى ء يسير من

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٢٥٢

جنوب الرى. و الى شمالها، على ما ذكر المستوفى، جبل طبرك- و هو على ما يظن غير الجبل الذى بنى عليه (الخليفه) المهدى قلعته الماره الذكر-. و كان فيه معدن الفضه و يأتى منه ربح كثير. و قلعه طبرك هذه، على ما فى تاريخ ظهير الدين، قد بناها منوجهر الزيارى فى مطلع المئه الخامسه (الحاديه عشره). و روى ياقوت ان طغرل الثانى آخر سلاطين سلاجقه العراق خربها فى سنه ٥٨٨ (١١٩٢). و تحدث طويلا عن حصار هذا الحصن المنيع المشهور و قال ان جبيل طبرك على يمين القاصد خراسان و عن يساره جبل الرى الاعظم (و يظن انه موضع القلعه التى بناها المهدى). و هو متصل بخراب الرى. و وصف المستوفى ضريح امام زاده عبد العظيم بانه على مقربه من الرى و ما زال هذا المشهد من المزارات المكرمه فى طهران اليوم. و فيه ضريح الحسين بن على الرضا الامام الثامن.

و من الولايات المشهوره قرب الرى: ولايه شهريار. و ذكر المستوفى عرضا قلعه بهذا الاسم تقوم فى شمالى المدينه. و قد اصبحت هذه القلعه بعد ذلك ذات شأن لان شهريار أو رى شهريار هو الاسم الذى أطلقه على اليزدى على الرى حين وصف حروب تيمور. اما ورامين فكانت، على ما بيّنا، أول المراكز الآهله الا ان الخراب قد نال من هذه المدينه فى مطلع المئه التاسعه (الخامسه عشره) و بعد زمن قام فى

موضعها مدينه طهران التى لم تكن فى المئه السابعه (الثالثه عشره) غير قريه من أكبر قرى الرى. و فى طهران القديمه (و تلفظ تهران أيضا) كان لاهلها تحت الارض بيوت «كنافقاء اليربوع» على ما فى القزوينى «و فيها اثنتا عشره محله كل محله تحارب الاخرى». و وصف المستوفى طهران فى القرن التالى فقال هى مدينه وسطه. و لكن فى ختام المئه الثانيه عشره (الثامنه عشره) اتخذها اقا محمد شاه مؤسس الدوله القاجاريه عاصمه لبلاد فارس .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۵۳

و الانهار التى تسقى سهل الرى و ورامين و طهران تنساب من هذا السهل الى حدود المفازه الكبرى فتفنى فيها. و كان من أهم هذه الانهار: نهر موسى، و قد مر ذكره، و عليه قرى كثيره. و تكلم المستوفى أيضا على نهر كرج و كانت عليه قنطره ذات طاق واحد يقال لها پل خاتون (قنطره الخاتون) و يقال انها انما سميت بذلك نسبه الى السيده زبيده زوجه هرون الرشيد. و ما زالت بقايا هذه القنطره ترى قرب طهران. و ذكر القزوينى ان أهل الرى من الشيعه يكرهون نهر سورين و يتطيرون منه لان جثه القتيل يحيى حفيد على زين العابدين الامام الرابع غسلت فيه فلا يقربونه . على ان المستوفى ذكر ان أهم انهار الرى نهر جايجرود و مخرجه فى جبل جايج تحت دماوند و يتشعب الى اربعين نهرا عند وصوله سهل الرى.

و عند الحد الغربى لهذا السهل ناحيه ساوج بلاغ- و معناها بالتركيه «العيون البارده»- و هى على ما وصفها المستوفى بقعه كانت ذات شأن فى أيام السلاجقه. و قد بلغ خراجها فى أيام المغول اثنى عشر الف دينار. و

كـان من أهم قراها العديـده سـنقراباد (و ما زالت قائمه) و هی مرحله جليله فی المسالك التی وصـفها المسـتوفی. و كان يسـقی نـاحيه سـاوج بلاـغ كرمرود و مخرجه فی الجبـال شـرق قزوين و هو يسـقی نواحی الری و شـهريار و تلتقی به هناك انهار كثيره تتحدر من الجبال فی الشمال قبل ان تفنی مياهه الباقيه من السقی فی المفازه الكبری .

و قزوين علی نحو مئه ميل شمال غربی طهران و هی فی أسفل الجبال العظيمه. و قد كانت منذ أقدم الازمنه موضعا جليلا تحرس الدروب المخترقه اقليم طبرستان و تؤدی الی شطئان بحر قزوين. و كانت البقاع الجليله فی الشمال

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۵۴

الغربی تؤلف منذ القدم قسـما من بلاد الديلم (و قد مرّ وصفها فی الفصل الثانی عشر) و كانت وقتا ما مستقله استقلالا داخليا فلم تخضع لحكم العباسـيين. و كانت قزوين فی هذا العصـر أهم ثغر يقف بوجه اولئك الكفار الاشداء. و كانت مشحونه بقوه كبيره من مقاتله المسـلمين. و فی أيام بنی أميه كان محمـد بن الحجاج- و الحجاج عامل بنی أميه المشـهور علی العراق- قـد بعثه أبوه علی رأس جيش لمحاربه الكفار فی جبال الديلم. «فنزل محمد قزوين و بنی بها مسـجدا» وصـفه ياقوت بأنه «المسـجد الذی علی باب دار بنی جنيـد و يسـمی مسـجد الثور، فلم يزل قائما حتی بنی الرشـيد المسـجد الجامع». و وصف ابن حوقل فی المئه الرابعه (العاشره) قزوين فقال «مدينه عليها حصن و داخلها مدينه صغيره عليها حصن».

و فی المدينه الداخله مسجدان. و أراضيها خصبه و يكون مقدارها ميلا فی مثله.

و أهلها أشداء مقاتله فكان خلفاء بنی العباس يرسلون من هذه

المدينه حملاتهم لمعاقبه أهل الطالقان و الديلم.

و لقزوين على ما ذكر اليعقوبى و اديان، يقال لاحدهما الوادى الكبير و للآخر وادى سيرم. و كان بالقرب منها آثار لبيوت النار. و نوه المقدسى بكثره كرومها.

و كان اسم احدى المدينتين: مدينه موسى و الاخرى مدينه مبارك و يقال لها المباركيه أيضا. و انما سميت الاولى بذلك لان الخليفه موسى الهادى (الاخ الاكبر لهرون الرشيد) قد ابتناها فنسبت اليه. و كان بناؤه لها فى خلافه أبيه المهدى. و لما نزل هرون الرشيد بعد ذلك (و قد خلف الهادى) قزوين فى طريقه الى خراسان أنشأ الجامع الجديد و بنى أسوار المدينه. و كان مبارك التركى من موالى المأمون أو المعتصم قد بنى قلعه المباركيه فى مبارك أباد و يقال لها أيضا مدينه مبارك.

و ظلت قزوين فى القرون الوسطى مدينه زاهره غير ان المغول فى مطلع المئه السابعه (الثالثه عشره) خربوها. و بعد ذلك بمئه سنه أفاض المستوفى و كان من أهل قزوين فى الحديث عن قزوين. اقتبس بعضه مما يتناقله الناس فيها. فروى انه كان فى موضع قزوين الحديثه مدينه فارسيه قديمه بناها الملك شابور يقال لها شاد شابور «فرح سابور». و قرب خرائبها كانت المدينتان الاسلاميتان مدينه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۵۵

موسى و مبارك اباد (و كان مبارك على قول المستوفى من موالى الخليفه الهادى).

ثم ان هرون الرشيد حوّط هذه المدن الثلاث بسور حصين و لم يكمل الا فى سنه ۲۵۴ (۸۶۸) اذ أكمله القائد التركى موسى بن بغا فى عهد الخليفه المعتز.

ثم ان صدر الدين وزير السلطان السلجوقى ارسلان الثانى جدد بناءه بالآجر فى سنه ۵۷۲ (۱۱۷۶) و استطرد المستوفى فقال كان من

أعمال قزوين ثلاثمئه قريه أجملها فارسجين و سكزاباد و ورد اسماهما فی سياق وصفه للمسالک. و ذکر أيضا اسماء جمله أنهار کانت تسقی ناحيه قزوين و هی: خرود، و کذلک بوه رود و کردان رود، و کانا يأتيان من الطالقان. و ترکان رود و يأتی من ناحيه خرّقان (أنظر ص ٢٣١). و على ما جاء فی القزوينی، کانت الانهار التی تسقی بساتين المدينه: وادی درج فی الشرق و وادی أترک فی الغرب. و سرد هذا المؤلف أيضا اسماء جمله مدن و قرى کانت فی سهل قزوين و فی البقاع الجبليه المطله عليها .

و کانت دستوا (أو دستبی) فی أيام بنی أميه دار ضرب للنقود. و يطلق هذا الاسم على کوره کبيره أجلّ قراها يزد اباد. و کانت دستوا فی أيام الامويين مقسومه بين الری و همذان. و الذی انتهى الينا ان طريق الری الذاهب من الری الى اقليم اذربيجان رأسا کان يخترقها عادلا عن قزوين. و لم يبق لاسم دستوا أثر فی الخارطه، الا ان موضعها ينبغی ان يکون جنوب قزوين، و قد صارت تعد فی أيام بنی العباس من أعمالها.

و الى شمال غربی قزوين، على قنن الجبال الفاصله بين هذه الکوره ورود بار التی على نهر شاهرود فی طبرستان، قلاع الاسماعيليه المشهوره (الحشيشيه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-کورکيس عواد، النص، ص: ٢٥٦

- الحشاشين) و کانت خمسين قلعه عدّا على ما فی المستوفی منها الموت و کانت کرسی ملکهم، و ميمون دز أمنع حصونهم. و يقال ان معنى ألموت «عش العقاب» أو «ما وجده العقاب» بلسان أهل طبرستان. و قيل ان أول من اتخذ له قلعه فی هذه البقاع بعض ملوک الديلم فقد ارسل عقابا

للصيد فتبعه فرآه وقع على هذا الموضع فوجده موضعا حصينا. و كان القزوينى، و هو و لا مراء ممن يجيد معرفه الموضع، قد وصف القلعه بقوله انها «على قله جبل و حولها و هاد لا يمكن نصب المنجنيق عليها و لا النشاب يبلغها». و قلعه ألموت على سته فراسخ من قزوين و قد بنى آخر حصونها الحسن الداعى العلوى الملقب بالداعى الى الحق فى سنه ۲۴۶ (۸۶۰) و فى سنه ۴۸۳ (۱۰۹۰) أو ۴۴۶ (۱۰۵۴) على ما فى القزوينى- صارت ألموت فى حوزه حسن الصباح الملقب بشيخ الجبل و لبثت مئه واحدى و سبعين سنه أمنع حصون الاسماعيليه. ثم استولى هولاكو خان المغولى عليها و أمر بتجريدها من آلاتها الحربيه فى سنه ۶۵۴ (۱۲۵۶). و بعد سقوطها سرعان ما انهارت مقاومه قلاع الحشيشيه الواحده تلو الاخرى فوقعت بيده كلها فجعلها قاعا صفصفا. و قد زار كثير من الرحاله ما يظن انه موضعها. و ما زالت آثار كثير من قلاع الاسماعيليه الاخرى على ما يقال ظاهره فى الجبال شمال قزوين .

و أبهر و زنجان، و هما مدينتان يقترن ذكرهما معا فى الغالب، على الطريق غرب قزوين، و قد اشتهرتا منذ قديم الزمان. ذكر ابن حوقل فى المئه الرابعه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۵۷

(العاشره) ان ابهر مأهوله بالأكراد كثيره المياه و الاشجار و يكثر فيها القمح و لها حصن منيع شيد على دكه. و أشار القزوينى الى ان المدينه كلها مشتمله على طواحين تدور على الماء . و بها نوع من الكمثرى مدّور بحجم النارنج يقال له العباسى لذيذ جدا ما فى البلاد شى ء مثله. و قال ياقوت: العجم يسمونها أوهر. و ذكر

المستوفی ان الاتابک بهاء الدین حیدر قد جدد بناء القلعه فی أیام السلاجقه فعرفت بالحیدریه. و کان محیط أسوار المدینه ۵۵۰۰ خطوه. و نهر أبهر بعد ان یسقی نواحیها یجری نحو مدینه قزوین ثم یفنی فی المفازه. و مدینه زنجان علی نحو خمسین میلا الی شمال غربی أبهر علی نهر زنجان و هو یجری غرب سفیدرود.

و قال ابن حوقل ان زنجان أکبر من أبهر و انها علی طریق اذربیجان. و ذکر یاقوت ان العجم یقولون زنکان. و روی المستوفی ان مؤسسها هو الملک اردشیر بابکان و کان اسمها أولا شاهین. و قد خربت زنجان فی خلال الفتح المغولی.

و طول أسوارها التی بقیت الی زمنه عشره الآف خطوه، و کانت ناحیتها کثیره الخیرات. بلغ خراجها عشرین ألف دینار. و قال المستوفی ان اللغه السائده فیها فی مطلع المئه الثامنه (الرابعه عشره) کانت ما تزال لغه بهلویه صرفه، یستشفّ من خلالها بلا ریب انها لهجه محلیه فارسیه .

و فی نحو نصف الطریق بین ابهر و زنجان، وسط السهل العظیم الذی یؤلف منقسم الماء بین الانهار الفائضه غرب سفیدرود و شرق المفازه الکبری، أطلال السلطانیه، المدینه المغولیه التی أنشأها ارغون خان و اتمها السلطان ألجایتو فی سنه ۷۰۴ (۱۳۰۵) و جعلها قاعده الدوله الایلخانیه. قال ابو الفداء ان اسمها المغولی کان قنغرلان. و ذکر المستوفی ان من أعمالها تسع مدن. و محیط أسوارها ۳۰۰۰۰ خطوه. و فی وسط حصنها قبر ألجایتو و علیه نقوش منحوته فی الحجر.

و ما زالت أطلال هذا القبر المقبب (أو المسجد) قائمه و لکن لا أثر للمدینه الیوم.

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۵۸

علی ان المستوفی قال ان السلطانیه کانت تشتمل

فی أيامه على مبان أفخم مما فی أيه مدينه فارسيه أخرى ما خلا تبريز. و فی طريق أبهر على خمسه فراسخ شرق السلطانيه قريه قهود «و يسميها المغول صاين قلعه» على ما ذكر المستوفی. و ما زال هذا الموضع موجودا باسمه الاخير صاين. و يقال له أيضا باتوخان، و باتوخان حفيد جنكيز خان. و قلعه سرجهان المنيعه فوق قله الجبل فی نصف الطريق بين صاين قلعه و السلطانيه. و كانت تبعد عن الاخيره خمسه فراسخ. و تتوج قمه جبل و تشرف على السهول الواسعه الممتده من هناك شرقا الى ابهر و قزوين.

و وصف ياقوت سرجهان و كانت من كوره طارم بأنها من احصن القلاع و أحكمها و قد رآها. و حين كتب المستوفی كان الخراب قد استولى عليها بسبب الفتح المغولی فنقل سلاحها و حاميتها الى صاين قلعه.

و الى غرب السلطانيه: سهرورد و سجاس، و هما بليدتان متقاربتان بقيتا حتى زمن المستوفی فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) على شی ء من حسن الحال، أما اليوم فقد آلتا الى الخراب. و كتب ابن حوقل فی المئه الرابعه (العاشره) ان سهرورد قد غلب عليها الا ـكراد و هی كشهرزور فی مساحتها و رقعتها. و هی حصينه فی جنوب زنجان فی طريق همذان. أما سجاس أو سجاس فانها قرب سهرورد. و وصف المستوفی هاتين البلدتين بانهما خربتا فی خلال الفتح المغولی فلم تكونا فی أيامه غير قريتين كبيرتين آهلتين. و كانت الكورتان القريبتان منها يقال لهما جرود و أنجرود (و تعرفان اليوم باسم أيجرود و انكوران) و كانت سجاس على خمسه فراسخ غرب السلطانيه.

يحفّ بها نيف و مئه قريه يسكنها المغول. و كان فی الجبل المجاور لها قبر ارغون خان

فجعل «کروغا» (و هو المعبد الطاهر) علی عاده المغول، و ابتنت ابنته الجای خاتون خانقاها للدراویش هناک .

و فی الحد الغربی لاقلیم الجبال قرب منبع من منابع سفیدرود، الآثار المشهوره

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۵۹

المسماه الیوم «تخت سلیمان» و فیها برکه صغیره ینبجس الماء منها و لا یشحّ مهما حمل منه. و هذه الآثار قد عدّها بعضهم من بقایا مدینه شیز التی أشار الیها البلدانیون العرب القدماء. و ذکرها المستوفی أیضا باسم ستوریق. و وصف ابن خرداذبه فی المئه الثالثه (التاسعه) بیت النار فی الشیز فقال هو عظیم القدر عند المجوس و یقال له اذرجشنس، کان اذا ملک منهم الملک زاره من المدائن (طیسفون) ماشیا فیستریح فی شهرزور و هی نصف الطریق (و قد مرّ ذکرها فی ص ۲۲۵) ثم یتابع سیره الی شیز. فقد ذکرت الاخبار ان فی شیز ولد زرادشت. و قال یاقوت ان اسمها الفارسی کان جیس و تسمی أیضا کزن، و شیز تصحیف عربی لهذا الاسم. و اقتبس یاقوت حدیثا مستفیضا عن ابن مهلهل الذی کتب فی سنه ۳۳۱ (۹۴۳) یصف شیز و کان قد زارها باحثا عن معادن الذهب التی فی بطن جبالها علی ما یقال فقال ان «هذه المدینه یحیط بها سور و بها بحیر فی وسطها لا یدرک قراره و استدارته نحو جریب (ثلث اکر)، و یخرج منه سبعه أنهار. و متی بلّ بمائه تراب صار فی الوقت حجرا صلدا». و وصف ابن مهلهل ایضا بیت نار عظیم الشأن فی شیز «منه تذکی نیران المجوس من المشرق الی المغرب و انهم کانوا یوقدون فیه منذ سبعمئه سنه و لا ینقطع الوقود عنه ساعه من

الزمان». و وصف المستوفی مدينه شيز فقال انها اولی مدن ولايه انجرود سماها المغول ستوريق.

و وصف قصرا عظيما فيها بناه الملك كيخسرو على ما يقال، كان فی صحنه بركه أو بحيره صغيره لا يدرك قرارها و لا يقل ماؤها و ان كان هناك نهر يأخذ منها على الدوام، فاذا قطع الماء عن هذا النهر لا يفيض ماؤها. و ذكر المستوفی ان اباقاخان المغولی ابتنی له فيها قصرا اذ كانت تحيط بها مروج نضره .

و فی الطرف الشمالی الغربی من اقليم الجبال على الطريق من زنجان الی اردبيل مدينه خونج التجاريه الجليله. جاء فی ابن حوقل ان هذه المدينه كانت فی المئه الرابعه (العاشره) مشهوره بالخيل الجياد و الاغنام و البقر. و اورد

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٢۶٠

ياقوت، و قد زار المدينه، اسمها بصوره خونا و لكنه قال انها تسمی فی أيامه كاغد كنان أی «صناع الكاغد». «و أهلها يكرهون تسميتها بخونا لقرينه قبيحه تقرن بهذا الاسم» فی معناه الفارسی. و المستوفی و قد ذكر فی مسالكه ان كاغد كنان على سته فراسخ جنوب سفيدرود و أربعه عشر فرسخا شمال زنجان فی الطريق الی اردبيل قال انها قد تخربت فی اثناء الفتح المغولی و انها حين صنف كتابه صارت كالقريه. و كان يسقی اراضيها فرع من فروع سفيدرود. و كان الكاغد الفاخر يصنع فيها فی أيامه. و أطلق عليها المغول الذين سكنوها اسم «المغوليه»، و لم يتسن حتى الآن على ما يظهر تعيين موقع خونج الحقيقی.

و بمحاذاه السفح الجنوبی للجبال التی تفصل اقليم الجبال عن بلاد الديلم و طبرستان فی الشمال الكور الثلاث: بشكل درّه و الطالقان و طارم. و كثيرا ما

كان يستعمل الاسمان الاخيران بدون تدقيق احدهما فى موضع الآخر. و كانت كل كوره من هذه الكور تنقسم الى قسمين: أعلى و أسفل. فالاعلى ما كان فى الجبال فهو بذلك يعد تابعا لاقليم الديلم. و كانت بشكل درّه، على ما فى المستوفى، الى غرب قزوين و جنوب الطالقان و فيها اربعون قريه كان ريعها قبلا وقفا على جامع قزوين، و قد زالت من الخارطه. و الطالقان و هى بين سهل السلطانيه و سلسله الجبال الشماليه، و قد اختفى اسمها من الخارطه، كثيرا ما ذكرها بلدانيو العرب القدماء. فقد أشار المقدسى الى انها «كبيره عامره نبيله ليس فى الكوره مثلها. و قد كان يجب ان تكون حضره السلطان (أى سلطان الديلم) و عندى انهم كرهوا ذلك لتطرفها». و أشار القزوينى الى ما فى الطالقان من زيتون و رمان. و سرد ياقوت أسماء عدد من قراها. و أورد المستوفى ثبتا طويلا باسماء هذه القرى. على ان أغلبها اليوم لا يمكن رؤيته فى الخارطه الحديثه. و كان من رأيه ان معظم الطالقان يعود الى كيلان دون غيرها.

و الى شمال زنجان بامتداد أسفل المرتفعات الجبليه أيضا، كوره طارم.

عرفها البلدانيون العرب بالطارمين، مثنى الطارم، و يريدون بذلك طارم السفلى و طارم العليا. و طارم العليا تدخل كلها فى بلاد الديلم، و نهر طارم على ما ذكرنا من فروع سفيدرود اليمنى و كانت فروعه الكثيره تسقى هذه الكوره الخصبه. قال

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۶۱

ياقوت و قد كتب الاسم بصوره تارم أو ترم انه ليس فيها مدينه مشهوره. غير ان هذه البلاد اشتهرت فى التاريخ بأسره و هسوذان. و كان ركن الدوله البويهى قد خلع آخر امرائها.

و ذكر المستوفی ان فيروزاباد كانت قصبه طارم السفلی.

و اندر (أو ايدی) أهم مدينه فی طارم العليا. و يقال لحصنها قلعه تاج. و سرد اسماء خمسه من أعمالها فی كل عمل منها قرى كثيره.

و ذكر المستوفی فی طارم السفلی قلعه شميران العظيمه و موضعها غير معروف و هی سميران بحسب تهجئه ياقوت لها و قد زار خرائبها. و نقل ياقوت حديثا مستفيضا عن ابن مهلهل الذی رأی سميران فی نحو سنه ٣٣١ (٩٤٣) و كانت يومذاك من أمنع قلاع ملوك الديالمه فقال ان فيها «الفين و ثمانمئه و نيفا و خمسين دارا كبارا و صغارا». و كان فخر الدوله البويهی قد ملك هذه القلعه فی سنه ٣٧٩ (٩٨٩) و خلع آخر أمراء أسره و هسوذان، و كان طفلا قد تزوج هذا الزعيم البويهی أمّه. و فی نحو هذا الزمن وصف المقدسی هذه القلعه و قد سمّاها باسم سميروم بانها من أعمال سلاروند و هی قلعه عليها «سباع ذهب و شمس و قمر» و بيوتهم لبن. و فی أواسط القرن التالی كان الرحاله الفارسی ناصر خسرو قد زار شميران فی طريقه الی مكه سنه ٤٣٨ (١٠٤٦) و قال انها قصبه ولايه طارم فی بلاد الديلم و هی علی ثلاثه فراسخ غرب ملتقی شاهرود بسفيدرود فی طريق سراو باذربيجان. و فی حافه المدينه قلعه عاليه مشيده علی صخر صلد محاطه بثلاثه أسوار يقيم بها الف رجل و يحمل الماء الی القلعه بقناه. و كان ياقوت قد زار سميران فی أوائل المئه السابعه (الثالثه عشره) فوجدها مخربه، خربها شيخ الحشيشيه صاحب ألموت. «و بها آثار حسنه تدل علی انها كانت من أمهات القلاع». و هی علی نهر كبير

يأتى من جبال طارم. و يظهر ان موضعها لم يعينه أحد من الرحالين المحدثين. و ذكر ياقوت أيضا قلعه أخرى فى هذه الكوره يقال لها قلاط كانت فى جبال تارم من جبال الديلم و هى بين قزوين و خلخال على قله جبل و لها ربض فى السهل فيه سوق و تحتها نهر عليه قنطره حجر كثيره العقود و ذكر ياقوت ان هذه القلعه كانت من قلاع شيخ الحشيشيه صاحب

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۶۲

ألموت و هى مثل سميران لا يعرف موضعها .

و حدثنا المقدسى بما قلّ و دل عن تجارات و غلات جمله مدن فى اقليم الجبال، فقال: يحمل من الرى أصناف من النسيج منها صنف يقال له المنّيرات. و القطن و يغزل فيها و يصبغ بالنيل. و كانت برود الرى المقلمه مشهوره. و تصنع فيها المسالّ و الامشاط و القصاع. و كانت الامشاط و القصاع على ما ذكر القزوينى تعمل من خشب صلب مخروط يعرف بالخلنج و كان يؤتى به من غابات طبرستان.

و كانت الرى مشهوره أيضا ببطيخها و خوخها و يجلب منها طين يغسل به الرأس، فى غايه النعومه.

و من قزوين: تحمل الاكسيه و جوارب الادم للاسفار و القسى و النعناع.

و من قم: الكراسى و اللجم و الركب و بز و زعفران كثير. و من قاشان: يحمل القماقم (يابس البسر) و الطلخون (نبات). و تشتهر اصفهان بحللها و نمكسودها و أقفالها. و من همذان و نواحيها تحمل الاجبان و الزعفران و جلود الثعالب و السمّور و بالقرب منها معدن القصدير. و كان يصنع فى المدينه البز و الخفاف. و أخيرا يحمل من الدينور جبن مشهور .

و أهم ما كان

یخترق اقلیم الجبال من طرق: طریق القوافل الکبیر المعروف بطریق خراسان، و هو الذی مرّ وصفه فی الفصل التمهیدی. یبدأ هذا الطریق من بغداد و یصل الی ما وراء النهر و أقاصی الشرق. فکان یدخل اقلیم الجبال عند حلوان و یقطعه من أوله الی آخره، فیمر بقرمیسین (أو کرمانشاه) أولا، و منها الی همذان ثم الی ساوه ثم یتجه شمالا الی الری ثم یشرّق من اقلیم الجبال الی قومس و منها الی خراسان. و اکمل وصف قدیم انتهی الینا لطریق خراسان، وصف ابن رسته فی ختام المئه الثالثه (مطلع العاشره)، علی ما بیّنا. فقد وصفه

مرحله مرحله ذاکرا الانهار و القناطر التی یعبرها مبینا نزوله و صعوده و التفافه و دورانه، مسمیا ما یمر به من قری و مدن. و انتهی الینا الی ذلک اربعه اوصاف قدیمه اخری لهذا الطریق آخرها وصف المقدسی و فیه أورد المسافات بالمراحل.

و بعد الفتح المغولی و قیام الدوله الایلخانیه فی فارس اضحت السلطانیه عاصمه هذه الدوله و من ثمه صارت مرکزا لهذه الشبکه من الطرق. و علیه فان المستوفی فی وصفه المسالک بدلا من ان یبدأ من بغداد و یشرّق منها وصف الطرق مبتدئا بها من السلطانیه باتجاهها الی بغداد. فاتبع بذلک اتجاها معاکسا للاول. علی ان المراحل من حلوان الی همذان (و هی معکوسه بالنسبه الی الطریق القدیم) شی ء واحد فی الواقع فی کلا الوصفین. و لکن الطریق بدلا من ان یذهب من همذان الی الری بطریق ساوه، جعله المغول یتجه شمالا الی السلطانیه مخترقا ناحیتی درکزین و خرّقان فلا یمر بمدینه کبیره، و لیس ما ذکره المستوفی من مراحل

هذا الطريق الا اسماء قرى لا يعرف شی ء عن جميعها .

و من قرب كرمانشاه، عند جبل سن سميره (أنظر الصفحه ۲۲۳) كان الطريق الذاهب الى مراغه فى اذربيجان و الى الشمال يأخذ من طريق خراسان فيتجه أولا الى الدينور ثم الى سيسر (لعلها تطابق سحنه الحاليه. أنظر ص ۲۳۳) فالى حدود اقليم الجبال. و هذا الطريق الذى نصف الآن تتمته الماره باذربيجان، قد وصفه قدامه و ابن خرداذبه، و يرى وصف اجزائه الاولى فى ابن حوقل. فمن كرمانشاه (قرميسين) و من كنكوار و من همذان تتفرع طرق من يمينه تذهب نحو الجنوب الشرقى الى نهاوند و منها و من همذان كان الطريق يذهب الى كرج ابى دلف مارا ببروجرد و من كرج ابى دلف الى اصفهان. و أورد المستوفى مراحل الطريق من كنكوار الى نهاوند. ثم يتفرع الطريق عندها باتجاه اصفهان بينما ذكر المقدسى ان الطريق من كرج يتجه الى الرى مارا بآوه ورامين .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۶۴

و الطريق الحالى من أصفهان الى طهران (مارا بالرى) يأخذ فى الصعود فيمر بقاشان و قم. اما طريق القوافل فى أوائل العصور الوسطى فكان اتجاهه الى الشرق أكثر و الى حافه المفازه أقرب. و كان يتفرع من يساره نحو الغرب فروع تذهب الى قاشان و قم. على أن المقدسى فى ختام المئه الرابعه (العاشره) قال ان هذا الطريق كان يذهب رأسا الى قاشان و قم، أى على ما هو عليه اليوم. و الذى فى المستوفى ان هذا الطريق بعد أن يجتاز بهاتين المدينتين ينعطف يسره فيمر بآوه فساوه ثم الى السلطانيه. و عند مرحله سومغان يلتقى به الطريق الماد من هذه العاصمه

الجديده الى الرى، على ما سنصفه فى الفقره التاليه .

و ذكر ابن حوقل و غيره عدد مراحل الطريق فيما بين المدن التى فى غرب الرى حتى اذربيجان، و كذلك مراحل الطريق من زنجان شمالا الى اردبيل. و قد أفاض المستوفى فى بيان مراحل هذا الطريق. فبين السلطانيه و الرى يمر الطريق بأبهر الى فارسجين تاركا قزوين فى شماله. و منها يبلغ مرحله يقال لها سومغان (قراءه هذا الاسم غير ثابته) و فيها ينقسم الطريق. فكان طريق خراسان يستقبل الرى مارا بمقام عبد العظيم و منها الى ورامين. اما الفرع الآخر و هو الايمن فيتجه جنوبا. فيذهب طريق اصفهان أولا الى سكزاباد فساوه على ما مرّ وصفه .

و من الطرق التى كانت تجتاز اذربيجان، فى اوائل عهد الخلافه على ما سبقت الاشاره اليه، الطريق الشمالى المتفرع من طريق خراسان عند همذان الذاهب الى سيسر و منها الى برزه فى اذربيجان، و هى على ستين ميلا جنوب بحيره ارميه حيث يتشعب هناك . فالى اليمين يمر الطريق بمراغه فى شرق البحيره الى تبريز ثم يشرّق الى اردبيل مارا بسراو. و الفرع الأيسر المتفرع عند برزه يلازم غرب البحيره فيمر بمدينه ارميه ثم الى خوى و منها يمر بنخجوان (نشوى) فيصل دبيل قاعده ارمينيه. و من تبريز كان يأخذ طريق فيمر بمرند الى خوى و منها يمر بارجيش الى خلاط و هى فى الطرف الغربى لبحيره و ان. و لم يصف

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۶۵

هذا القسم الاخير من الطريق غير الاصطخرى و المقدسى .

و من اردبيل يجتاز الطريق كوره موغان فى الشمال فيبلغ ورثان. و هناك يعبر نهر ارس و منها الى برذعه

مارا بالبيلقان. و من برذعه يتجه طريق يمر بشمكور فيتجه نحو الشمال الغربى و يصل الى نهر الكر و وجهته تفليس بجورجيا.

أما فى اليمين فيأخذ طريق آخر يمرّ ببرزنج عند معبر نهر الكر و ينتهى الى شماخى قاعده ولايه شروان و منها الى باب الابواب و يقال لها دربند. و ذكر المقدسى و غيره طريقا من اردبيل قاعده ارمينيه الى برذعه و لكن ليس من اليسير التحقق من طوله .

و فى أيام المغول، كان نظام الطرق القاطعه اذربيجان الى الحدود الشماليه الغربيه على ما وصفه المستوفى فى المئه الثامنه (الرابعه عشره)، يبدأ من السلطانيه، العاصمه الجديده، و يتفرع عند زنجان. فالفرع الايمن و هو الشمالى كان يمر بالخونج أو كاغد كنان و يعبر سفيدرود ثم يمر بمدينه خلخال قاصدا اردبيل و منها الى باجروان قاعده موغان. و من زنجان يعبر الطريق سفيدرود على قنطره حجر (يقال لها قنطره سبيد روذ) و بعض هذا الطريق ذكره أيضا الاصطخرى و ابن حوقل مع ذكر طريق من الميانج. و بمتابعه وصف المستوفى للطريق من باجروان نرى انه أشار أولا الى الطريق الفرعى فى الشرق الى محمود أباد. ثم ذكر مراحل الجاده الكبرى الذاهبه من باجروان الى تفليس ماره ببرذعه و شمكور.

و ان عدنا الى موضع تفرع الطريق فى زنجان، رأينا ان الفرع الايسر، و قد وصفه المستوفى، يذهب الى الميانج فى اذربيجان و منها الى تبريز مارا بأوجان متابعا الخط الذى وصفه بلدانيو العرب القدماء (باتجاه معاكس). و ذكر المستوفى أيضا الطريق من تبريز الى ارجيش على بحيره و ان، و منها يعدل عن الطريق الايسر المحاذى لشاطئ البحيره الى خلاط. و ذكر المسافات فى الطريق المتجه نحو

الشمال الغربی الی ملاسجرد. ثم یمر بارزن الروم (ارضروم) مجتازا ارزنجان الی

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۶۶

سیواس قاعده اقلیم الروم السلجوقی. و أخیرا ذکر المستوفی الطریق من تبریز باتجاه الشمال الشرقی الی باجروان و هو یمر باهر و یجتاز دربین من دروب الجبل. و روی المستوفی ان الوزیر علی شاه بنی حدیثا علی هذا الطریق جمله ربط .

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۶۷

الفصل السادس عشر خوزستان

نهر دجیل أی کارون- خوزستان و الاهواز- تستر او شوستر- الشاذروان العظیم- نهر المسرقان- عسکر مکرم- جندیسابور- دزفول- السوس و نهر کرخه- بصنا و متوث- قرقوب و دور الراسبی- الحویزه و نهر تیری- الدورق و کوره سرق- حصن مهدی- فیض دجیل- رامهرمز و کوره الزط- بلاد اللر الکبری- ایذج او مال أمیر- سوسن- لردکان- تجارات خوزستان و غلاته- مسالکه.

یتألف اقلیم خوزستان من الارض الرسوبیه التی کوّنها نهر کارون و روافده الکثیره. و قد عرف العرب نهر کارون باسم دجیل الاهواز . و انما سموه بدجیل (تصغیر دجله) الاهواز لانه یمر بمدینه الاهواز فمیزوه بذلک عن دجیل دجله فی أعلی بغداد. و معنی خوزستان «بلاد الخوز» و یکتب هذا الاسم أیضا بصوره حوز أو هوز. و جمع الهوز بالعربیه الاهواز. و کانت الاهواز قاعده الاقلیم و اسمها مختصر من «سوق الاهواز». و تسمیه هذا الاقلیم بخوزستان الیوم قد بطلت، و صارت هذه الولایه التابعه لبلاد فارس تسمی عربستان «أی اقلیم العرب» . و کذلک تغیّر اسم نهر دجیل و صار یعرف الآن بنهر

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۶۸

کارون و هو اسم مصحف علی ما یقال من کوه رنک «الجبل الملوّن» و

هو الجبل الذى ينحدر منه هذا النهر فالاسم «كارون» على ما يظهر لم يعرفه بلدانيو القرون الوسطى من عرب و فرس.

و أعالى نهر دجيل، أى كارون، تتخلل الشعاب الجبليه فى بلاد اللر الكبرى. اما روافده فتنحدر من بلاد اللر الصغرى و جبال كردستان. و مخرج دجيل فى كوه زرد «الجبل الاصفر» (أنظر ص ٢٤٢). و من الجانب الثانى لهذه الجبال ينحدر نهر زندرود الذاهب الى اصفهان. و بعد ان يشق مجرى دجيل المتعرج و كثير من روافده الصغيره سلسله الجبال يصل الى مدينه تستر و هى التى عدها المستوفى فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) قاعده اقليم خوزستان. و لذلك سمى هذا النهر بدجيل تستر. و يخرج من النهر عند تستر فرع يعود ثانيه اليه عند عسكر مكرم و منها يمر بالاهواز حيث يلتقى هو و نهر جنديسابور أى نهر دزفول. و يأخذ نهر دزفول ماءه من بروجرد فى اللر الصغرى (أنظر ص ٢٣٥).

و كانت أعاليه تعرف باسم قرعه (أو قوعه) و بعد ان يلتقى به نهر آخر يقال له كزكى يجتاز النهر مدينه دزفول فيلتقى بدجيل على ما مرّ بنا. و لدجيل رافد كبير آخر أكثر اتجاها الى الغرب هو نهر السوس و يعرف أيضا بنهر كرخه.

و مخرجه فى جبال اللر الصغرى. و كان يلتقى به نهر كولكو و نهر خرّماباد.

و بعد أن تجرى هذه الانهار المتحده مسافه طويله و تجاوز مدينه السوس تأتى الى أراضى الحويزه فى غرب الاهواز ثم تلتقى بدجيل. و على شى ء يسير اسفل من ملتقى هذه الروافد، يصير نهر دجيل فيضا عظيما يحمل مياه انهار خوزستان مجتمعه و يجرى شرق فيض دجله (على ما مر وصفه فى الفصل الثانى) الى

ان يصب فی خليج فارس .

و كانت الاهواز، و هی قاعده الاقليم، تعرف قديما باسم هرمز شهر (و جاءت فی المخطوطات بصوره هرمز أوشير و هرمز اردشير) و هو اسمها الفارسی.

و وصف المقدسی هذه المدينه بانها عانت كثيرا من اذی الزنج ابان ثورتهم فی المئه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۶۹

الثالثه (التاسعه) و اتخذها زعيمهم وقتا ما مقرا له. و فی المئه التاليه أعاد الامير عضد الدوله البويهی بناء قسم منها. و أشار المقدسی الی ان البضائع و الاموال كانت تحمل الی الاهواز من الاطراف فكانت «خزانه البصره».

و كانت الاهواز حين بنيت، جانبين: الشرقی و هو الكبير، و فيه الجامع و معظم الاسواق، و بينه و بين جزيره فی نهر دجيل قنطره. و فی الجزيره جانب المدينه الغربی. و القنطره من الآجر. و يقال لها قنطره هندوان كان عضد الدوله هدمها و بناها و كان عليها مسجد يشرف علی النهر. و علی هذا النهر دواليب عده يديرها الماء تسمی النواعير. و كان مجری نهر دجيل نفسه يمر بحذاء جانب الجزيره الأقصی و هو جانبها الغربی. و علی شی ء يسير أسفل الاهواز، شاذروان عظيم قد بنی من الصخر يتبحر الماء عنده. و الشاذروان يرد الماء و يفرقه ثلاثه أنهار تمتد الی ضياعهم و تسقی مزارعهم التی فی يسار النهر فوق الشاذروان.

و فی الشاذروان أبواب تفتح اذا كثر الماء لولاها لغرقت الاهواز.

و هواء الاهواز علی ما فی المقدسی منتن ذميم «و فی النهار حر السموم و فی الليل بق و براغيث كالذئاب» علی حد قوله. و ذكر المقدسی انک تسمع للماء المنحدر من الشاذروان صوتا يمنع من النوم أكثر السنه. و فی المدينه عقارب

و حيات و ماء حميم و تراب سبخ و يقتات أهلها خبز الرز و هو عسر الهضم .

و على نقيض سمعه الاهواز السيئه، كانت شهره قاعده خوزستان الثانيه التى سماها العرب تستر و الفرس شوستر أو شوشتر. و كانت هذه المدينه على ستين ميلا- شمال الاهواز بخط مستقيم. و هى على ضعف هذه المسافه بطريق الماء لكثره منعرجات دجيل. و قد ذكر المقدسى ان بساتين الاترج و العنب و النخل كانت تحف بمدينه تستر. و على ما روى، ليس بالاقليم أطيب و لا أحصن و لا أجلّ من هذه المدينه. و الحر عندهم شديد، و كانت أسواقها عامره «معدن كل حاذق فى عمل الديباج و القطن»، و ديباجها مشهور فى كل مكان. و كان الجامع وسط

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٢٧٠

الاسواق فى البزّازين، و عند الجسر أسفل المدينه موضع نزه به القصّارون.

و فى سنه ٢٦٠ للميلاد وقع فاليريان Valerian قيصر الروم أسيرا بيد الملك شابور (سابور الاول) ثانى ملوك الدوله الساسانيه. و فى السنوات السبع من اسره اشتغل، على ما ذكر المؤرخون الفرس، فى بناء الشاذروان العظيم الذى يقطع دجيل تحت تستر. و كان العرب يعدّون هذا الشاذروان من عجائب الابنيه و ما زالت آثاره باقيه حتى اليوم: فلقد رصّ قاع النهر بالحجاره و رصف كله فى غرب تستر حتى تراجع الماء فيه و ارتفع الى المدينه و انساب ماؤه فى قناه باتجاه الشرق كانت تعيد الماء الى النهر أسفل المدينه بأميال بعد ان تسقى تلك النواحى.

و ذكرت المراجع القديمه ان شاذروان تستر كان طوله نحوا من ميل. و على ما جاء فى المقدسى كان عليه جسر يعبره الطريق الضارب غربا من

تستر الى العراق.

و يعلو النهر قنطره عتيقه ذات عقود صغيره يربو طولها على ربع ميل و كانت فوق الشاذروان، و منها يعبر الطريق. و ليس هناك ما يدل على وجود هذه القنطره فى أوائل القرون الوسطى. و وصف المستوفى فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) مدينه شوستر فقال: لها اربعه أبواب و فيها قلعه حصينه. و سمى معاصره ابن بطوطه نهر دجيل (أى كارون) النهر الازرق. و ذكر جسرها فقال انه «كجسر بغداد و الحله» كان على النهر فى غرب المدينه عند باب دسبول . و تبسّط فى ذكر الترب المختلفه فيها و كانت المدينه حين زارها كثيره الخيرات .

و الشاذروان الكبير فى تستر قد بنى، على ما بيّنا، ليرفع ماء النهر الى المدينه و ليتسنى لمائه الدخول فى قناه تأخذ من دجيل فوق المدينه فيسقى ناحيتها الشرقيه. و يقال لهذه القناه اليوم آب كركر. و كانت تعرف فى القرون الوسطى باسم المسرقان أو المشرقان. و على روايه ابن مهلهل- و هو رحاله من أهل المئه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٢٧١

الرابعه (العاشره) نقل عنه ياقوت- ان ماء المسرقان أبيض و ماء نهر دجيل نفسه أحمر. و كان يجتمع ثانيه بنهر دجيل (و ما كان من هذا النهر اسفل شوستر يسمى اليوم الشطيط) نهر المسرقان على نحو ٢٥ ميلا- جنوب شوستر عند موضع يقرب من اطلال بندقير. و تشير هذه الاطلال الى موضع مدينه يقال لها عسكر مكرم و قد كانت فى القرون الوسطى اجل مدينه على المسرقان. و كان هذا النهر يشقها و يسقى اراضيها. و كان يكثر فيها قصب السكر، و هو أجود ما يزرع منه فى خوزستان كلها على ما

يقال.

و فى النصف الاول من المئه التاسعه (الخامسه عشره) أشار حافظ ابرو و على اليزدى، و قد كتبا بعد زمن تيمور، الى هذه الانهار بالأسماء الآتيه:

فضله مياه نهر دجيل نفسه المنسابه الى الشرق فوق شوستر (أى مياه المسرقان أو آب كركر) كان يقال لها حينذاك دودانكه أى السدسان «مثنى السدس» بينما كانت معظم مياه دجيل الجاريه فوق الشاذروان غربى المدينه تسمى جهاردانكه أى «أربعه أسداس». اما اليوم فيتفرع من دجيل نهر يتجه صوب الجنوب الشرقى يقال له مينو يجرى فى سرب منقور فى الصخور التى تقوم فوقها قلعه شوستر.

و كان يسقى الاراضى العاليه التى فى جنوب المدينه. و هذا النهر هو الذى ذكره المستوفى باسم نهر دشتاباد. و أشار اليه حافظ ابرو بقوله ان جهار دانكه كان ينشطر قرب المدينه شطرين احدهما كان يتحد ثانيه اسفلها بدودانكه (أو المسرقان). و على ما يقال ان اول من حفر نهر المسرقان اردشير بابكان مؤسس الدوله الساسانيه. و ذكر المستوفى مدينه المسرقان فقال انها تقوم على ضفه النهر. و جنوب هذه المدينه، على ما بيّنا، فى نحو نصف المسافه بين تستر و الاهواز، يعود نهر المسرقان فيصب فى دجيل قرب مدينه عسكر مكرم.

و كانت كوره المسرقان مشهوره بصنف فاخر من التمور و بقصب السكر الذى نوهنا به.

و اما عسكر مكرم فقد سميت بذلك لان مكرما، و هو قائد عربى كان الحجاج عامل بنى أميه المشهور على العراق قد بعثه الى خوزستان لاخماد فتنه نشبت هناك،

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٢٧٢

قد عسكر قرب اطلال مدينه فارسيه يقال لها رستم كواد، و صحّف العرب هذا الاسم و قالوا رستقباذ، فعرفت بعسكر مكرم. و نشأت فى موضع

المعسكر العربى مدينه جديده بهذا الاسم. و قد زال اسم عسكر مكرم من الخارطه و لكن موضعها تشير اليه الخرائب المعروفه باسم بندقير أى (سد القير) حيث يلتقى آب كركر (المسرقان) بنهر كارون. و فى المئه الرابعه (العاشره) كانت عسكر مكرم مدينه ذات جانبين يشقها نهر المسرقان أعمرهما الجانب الغربى، و بين الجانبين جسران من سفن. و المدينه بهيه الاسواق كثيره الخير و أسواقها و جامعها فى الجانب الغربى. و من عيوب عسكر مكرم عقارب سامه لا يسلم من لسعها أحد. و على ما فى المستوفى كان يقال للمدينه الفارسيه القديمه برج شابور. و انما سميت بذلك لان الملك سابور الثانى جدد عمارتها و وسعها. و ذكر المستوفى انها كانت تسمى فى أيامه لشكر و معنى ذلك بالفارسيه «العسكر» و كانت حين كتب فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) اصح مدينه فى خوزستان كلها.

و نهر المسرقان، على ما جاء فى ابن سرابيون و غيره من المصنفين الاولين فى المئه الرابعه (العاشره)، لا يرجع الى دجيل فيصب فيه عند عسكر مكرم بل يواصل جريه و حده بموازاه نهر دجيل فينتهى آخره الى الفيض. و قد وصف ابن حوقل فى المئه الرابعه (العاشره) ركوبه نهر المسرقان وقت نزول الماء فيه من عسكر مكرم الى الاهواز و قال «سرنا فى الماء سته فراسخ ثم خرجنا و سرنا فى وسط النهر و كان الباقى من هذا النهر (أربعه فراسخ) طريقا يابسا الى الاهواز».

و لا يمكن الآن تعقب معالم القسم الاسفل من مجرى المسرقان القديم لأن مضى الف من السنين على هذه الارض الرسوبيه قد غير وجه الارض كل التغيير.

و أسفل من الاهواز كان يبدأ فى المئه الثالثه (التاسعه) القسم العريض

الاخير من دجيل المعروف بنهر السدره و بعد ان يستقبل كثيرا من الروافد ينتهى الى حصن مهدى قرب رأس فيض كارون .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۷۳

و على ثمانيه فراسخ شمال غربى تستر، فى الطريق الى دزفول، الاطلال التى يقال لها اليوم شاه أباد. و هى تعين موضع مدينه جند يسابور أو جنديسابور.

و قد كانت جنديسابور فى أيام الساسانيين قاعده خوزستان. و بقيت حتى أيام الخليفه المنصور مشهوره بمدرستها الطبيه العظيمه التى أسسها الطبيب النصرانى بختيشوع و من بعده ابناؤه و أحفاده و كانوا من ذوى الحظوه لدى غير واحد من خلفاء بنى العباس. و كان يكثر فى نواحيها قصب السكر و يحمل الى خراسان و أقاصى الشرق. على ان المقدسى ذكر فى المئه الرابعه (العاشره) ان جند يسابور «قد اختلّت و غلب عليها الاكراد». «و لهم طرز كثير و مزارع الارزاز». و فى المدينه قبر يعقوب بن الليث الصفار. و كان قد اتخذ هذه المدينه قاعده له و مات فيها سنه ۲۶۵ (۸۷۸). و قال المستوفى فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) ان جندى شابور آهله، فيها قصب السكر. اما اليوم فليس منها الا آثار.

و دزفول أى «قنطره دز» أو «قنطره القلعه»، على نهر دز جنوب جند يسابور. و انما سميت بذلك لانها عند قنطره مشهوره يقال ان سابور الثانى بناها. و قد سماها الاصطخرى قنطره اندامش، و ما زالت آثارها شاخصه. و كان يقال للمدينه أيضا فى المئه الرابعه (العاشره) قصر روناش. على ان المقدسى أشار اليها أحيانا باسم مدينه القنطره فقط. و لهذه المدينه و قنطرتها المشهوره اسماء أخرى. فابن سرابيون سماها قنطره الروم. و اسم دز اطلقه على

نهر جند يسابور. اما ابن رسته فذكرها باسم قنطره الروذ «أی قنطره النهر».

و ابن خرداذبه بـاسم قنطره الزاب، فـان الزاب اسم نهر دز علی رأيه. و وصف المسـتوفی فی المئه الثـامنه (الرابعه عشـره) القنطره فقال انها ۴۲ عقـدا و طولها ۳۲۰ خطوه و عرض الطريق الـذی فوقهـا ۱۵ خطوه. و كانت تسـمی علی قوله قنطره انـديمشک (أو اندامش).

و كانت مدينه دزفول علی جانبی النهر و فوق جانبها الشرقی قناه منقوره فی الصخر عليها ناعور عظيم يرفع الماء الی علو خمسين ذراعا فيسقی بيوت المدينه.

و حول دزفول مراتع مشهوره يكثر فيها النرجس. و ذكر علی اليزدی هذا

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۷۴

النهر باسم «زال». و وصف القنطره فی دزفول (و قد كتب الاسم بصوره دزپل علی الطريقه الفارسـيه) بانها ذات ۲۸ عقدا كبيرا و ۲۷ عقدا صـغيرا تتخلل العقود الكبار، فكلها ۵۵ عقـدا. و ان رجعنا الی الخارطه الحـديثه وجدنا ان نهر دزپل اليوم يلتقی بكارون بـازاء بنـدقير (عسـكر مكرم). الاـ انه كـان قـديما يصب فی دجيـل اسـفل من ذلـک بقليـل. و لعـل مجراه الاعلی كان أقرب الی جنـديسابور مما هو عليه الآن. و كان عنـد ملتقاه بـدجيل فی القرون الوسـطی، و لعل ذلک فی شـمال الاهواز، كورتان خصـبتان فيهمـا مـدن كبيره يقـال لهمـا منـاذر الكبری و منـاذر الصـغری. و ذكر ابن حوقـل فی المئه الرابعه (العاشـره) ان هاتين الكورتين «عامرتان بالنخيل و الزروع» .

و الارض التی فی شـمال دزفول و تستر و شـرقهما كانت تعرف فی أوائل القرون الوسـطی بصـحراء اللر. و أهلها من قبائل اللر. و قد هاجرت منها بعد هذا العهد الی الكورتين الجبليتين: اللر الصغری و اللر الكبری.

و همـا من اقليم الجبـال على ما بيّنا فى الفصل الرابع عشـر. و حين كتب ابن حوقل فى المئه الرابعه (العاشـره) كان اللر قـد بـدأوا بهجرتهم فقد ذكر هذا المصنف ان الغالب على هذه الانحاء الاكراد. و قال ان بلد اللر «خصب عليه هواء الجبال» .

و الى جنوب غربى دزفول اطلال السوس و هى سوسه القـديمه قرب نهر كرخه. و قـد كانت فى القرون الوسـطى مـدينه آهله و قصبه كوره يتبعها مدن كثيره. و يكثر فيها القز و النارنج و قصب السكر. و كان فيها قلعه محكمه قديمه و بها أسواق بهيه و جامع سوى على أساطين مـدوره. و يروى ان قبر النبى دانيال قـد بنى فى عقيق نهر كرخه المار فى الجانب الابعـد من مدينه السوس. و على

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۷۵

حافه النهر فى أقرب موضع من القبر المزعوم، مسـجد حسن يشـير الى مكان هذا القبر. و وصف المسـتوفى هذه المدينه فى المئه الثامنه (الرابعه عشـره) فقال انها موضع زاهر و ذكر قبر النبى دانيال فى غربيها (و الظاهر انه كان حينـذاک فى ارض يابسه) و قال انهم يحرمون صيد السمک فى هذا النهر تكريما لدانيال.

و مـدينه كرخـا (أو كرخه) و هى قرب السـوس، و بهـا يعرف الآـن نهر كرخه المـار بتلـول السوس، على شـى ء يسـير فوق هـذه الاطلال و هى فى يمين النهر أى فى جانبه الغربى. وصـفها المقدسى فقال: «صغيره عامره طيبه، سوقها يوم الاحد، و عليها حصن، و لها البساتين» .

و ذكر البلـدانيون القـدماء جمله مواضع على نهر كرخه أو بـالقرب منه. منهـا ما كان فى الغرب و منها ما كان أسـفل السوس، قد كانت مدنا

جليله فى القرون الوسطى و لكن لا أثر لها اليوم فى الخارطه الحديثه و مع ذلك فقد لمحت كتب المسالك عن مواضعها بوجه تقريبى. و كان من أهم هذه المدن: بصنّا و هى على أقل من مرحله جنوب السوس على نهر (أو لعله رافد صغير من روافد نهر كرخه) كان يقال له دجيل بصنّا و كانت مركزا تجاريا عظيما. و فى بصنا تعمل الستور التى تحمل الى الآفاق، المكتوب عليها «عمل بصنا» و ينسجون فيها الأنماط و يغزلون الصوف «و عليها حصنان محكمان. و الجامع حسن على باب المدينه من نحو النهر و النهر منها على رميه سهم». و فى دجيل نهرها «سبعه ارحيه فى السفن» على ما فى المقدسى. و قرب بصنا مدينه بيروت أو بيروذ و هى على مرحله أيضا من السوس و لعلها الى غرب نهر كرخا. زارها ياقوت فى المئه السابعه (الثالثه عشره). و قال المقدسى انها كبيره بها نخل كثير يسمونها «البصره الصغرى» لرواج تجارتها.

و متّوت أو متّوث فيها قلعه حصينه و هى من مدن هذه الانحاء على تسعه فراسخ من جنوب السوس بين الاهواز و قرقوب. و قرقوب- و بها يعمل النسيج

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۷۶

المطرّز المعروف بالسوسنجرد- مدينه ذات شأن فى نصف الطريق بين السوس و الطيب التى فى العراق. و كانت على مرحله من السوس و مرحلتين من بصنا.

و فى هذه الكوره مدينه أخرى لا يعرف موضعها و لعلها فى شمال قرقوب، هى دور الراسبى. وصفها ياقوت بانها بين الطيب و جند يسابور و فى هذه الدور ولد و عاش الراسبى. و قد مات فى سنه ۳۰۱ (۹۱۳) و تقلد الولايه

سنین کثیره من حد واسط الی حد شهر زور فی أیام الخلیفه المقتدر. و اشتهر الراسبی بثرائه العظیم، فقد خلف مالا عظیما أورد یاقوت کشفا غریبا به .

و کان یتصل بنهر کرخه فی نحو سمت الاهواز أنهار تنحدر من الحویزه (أو الحویزه و هی تصغیر حوز أو هوز علی ما مر بیانه، و هم أهل هذا الاقلیم).

و قد وصفها المستوفی فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) فقال هی من ازهر مدن خوزستان یکثر فیها القمح و القطن و قصب السکر. و کان یسکن المدینه فی ذلک الزمن الصابئه . و کانت مدینه نهر تیرا أو نهر تیرین علی نهر أو ترعه بهذا الاسم یظهر انه کان من الروافد الیمنی فی أسفل نهر کرخه بارض الحویزه. و کانت علی مرحله غرب الاهواز فی طریق واسط «و بها ثیاب تشبه ثیاب بغداد و تحمل الیها فتدلّس بها».

و یأتی نهر کرخه من الغرب فیصب فی دجیل تحت الاهواز و ربما فی أسفل مجراه العریض، علی ما أشرنا الیه، و هو المعروف بنهر السدره. و فی الشرق أسفل من ذلک ملتقی نهر الدورق به، و علیه مدینه باسمه و هی قصبه کوره سرّق یقال لها دورق الفرس «و هی ذات رستاق واسع و سوق کبیر و خصائص

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۷۷

و خیرات و سوقها متشعب و الیها یقصد حجاج فارس و کرمان» فی طریقهم الی مکه.

و کانت الدورق مشهوره بستورها، و الجامع علی طرف السوق. و علی نهرها قری کثیره و بها الکبریت الاصفر قرب عیون الکبریت الحاره، یقصد حماماتها اصحاب العاهات، فمن نزل فیها یسیرا یسیرا انتفع بمائها، و هی تنبع فی جبل و

يجتمع ماؤها فى حوضين . و فى المئه الرابعه (العاشره) كان فى الدورق أبنيه ساسانيه عجيبه و بها بيت نار أيضا على ما ذكر ابن مهلهل.

و فى هذه الكوره قرب الدورق مدينتان، هما ميراقيان و ميراثيان و قد وصفهما المقدسى الاولى على «نهر يصل اليه المد و الجزر، و برستاقها قرى كثيره و أعمال نفيسه». و ميراثيان، ذات جانبين فى كل جانب جامع و لها أسواق عامره.

و مياه الاهوار التى فى جنوبى اقليم خوزستان كانت تنصرف فى المئه الرابعه (العاشره) الى خليج فارس فى انهار تنحدر جنوبا من الدورق و تصب فى البحر عند باسيان. و كان قرب باسيان جزيره دورقستان و قد ذكرها ياقوت و القزوينى و قالا «يرفأ اليها مراكب البحر التى تقدم من ناحيه الهند، و فى وسطها قلعه كان فى أيام الخلفاء يحمل اليها المنفيون من بغداد». و كانت السفن حتى المئه السابعه (الثالثه عشره) تصعد فيها شمالا فتسلك انهارا و ترعا تجرى الى عسكر مكرم فى الناحيه الشرقيه من دجيل .

و نهر دجيل أسفل الاهواز يزداد عرضا فيصبح فيضا يصل اليه المد و الجزر و هو القسم الاسفل من نهر السدره. و على هذا الفيض سوق بحر، و هو موضع كان حتى أيام الخليفه المقتدر فى منتصف المئه الرابعه (العاشره) تجبى فيه مكوس باهظه. و مدينه سوق الاربعاء، بالقرب منه، و هى فى شرق دجيل على نهر يشق المدينه الى جانبين بينهما قنطره من خشب تحتها السفن. و الجانب الشرقى

من سوق الاربعاء أعمر و فيه الجامع، و مدينه جبّا بقربها، و فيها يكثر قصب السكر، و هى ذات قرى عامره.

و فى

رأس فيض دجيل العريض حصن يقال له حصن مهـدى، به جامع و رباطات. و قـد بنى الحصن على ما يقال الخليفه المهـدى أبو هرون الرشيد.

و حصن مهدى على بضـعه أميال فوق متفرّع النهر العضدى الجارى غربا و الموصل رأس فيض دجيل بدجله الأعمى عند بيان. و يحفّ بهذا النهر سـباخ و أهوار (أنظر الفصل الثالث ص ۶۹). اما فيض دجيل فينصب فى خليج فارس عند سليمانان. و هى مجاز خطر للمراكب التى كانت على ما يظهر تصل الى الاهواز بصوره أسـلم اذا ما جازت فى الانهار و الجداول المختلفه ماره بباسيان فى صـعودها الى الدورق و منها تتابع طريقها فى نهر السدره. أما حصن مهدى، و لا يعرف موضـعه الصحيح، فيقال انه كان يقوم عنـد ملتقى طرق كثيره و يسـيطر على أعـالى فيض دجيـل حيث كان يبلغ عرضه هناك نحو فرسـخ. و ذلك اسـفل مصاب انهار كثيره تأتى من أرض الحويزه من الشـمال الغربى و مصب نهر الـدورق الآتى من الشـرق. و من فوق هذا الموضع بدء نهر السدره الصاعد الى الاهواز و الاهواز تبعد عشرين فرسخا عن حصن مهدى .

و على مسيره ثلاثه أيام من شرق الاهواز مدينه رامهرمز و ما زالت تعرف بهذا الاسم. و انما سميت بذلك نسبه الى الملك هرمز حفيد اردشـير بابكان. و فى المئه الرابعه (العاشـره) اشتهرت هذه المدينه بدود القز و بالابريسم الذى يحمل منها الى سائر الآفاق. و كـان فى رامهرمز جامع بهى و أسواق عامره بناها عضـد الـدوله البويهى. و روى المقدسـى انه «جعل على أسواقها دروب تغلق فى كل ليله يسكنها البزازون و العطارون و الحصارون». و كان بها على ما قال دار كتب مشهوره

یـدرس فیها، أنشأها ابن سوّار کـدار الکتب التی فی البصـره. و شـرب أهل رامهرمز من نهر یأخـذ من نهر طاب. و کان هذا النهر یجف غالبا فی أیام

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۷۹

الصـیف. و کان الناس فیها «یحتاجون فی لیالی الصـیف الی الکلل مع کثره البق» علی قول المقدسـی. و ذکر المستوفی فی المئه الثامنه (الرابعه عشـره) ان اسم رامهرمز کان یختصـر حینـذاک الی رامز و ظلت حتی أیامه مدینه زاهره یکثر فی ارجائها القمح و القطن و قصب السکر.

و علی سـته فراسخ من جنوب شرقی رامهرمز، فی طریق ارّجان، غیر بعید عن نهر طاب و هو نهر یعین حدود اقلیم فارس: الحومه أو دیار الزطّ و یقال لهم أیضا الجات. و هم قبائل جاءت من الهنـد (و هم النور علی ما یقال). و یسـقی هذه الکوره نهر طاب. و فیهـا قریتان عامرتان هما الزط و الخابران. و وراءهما، قبل أرّجان بمرحلتین عنـد حـدود فارس فی الطریق بین ارّجان و الـدورق: آسک و هی بلده صـغیره و بناحیتها علی ما فی الاصطخری برکان صغیر . و آسک بلده ذات نخیل و بها یعمل الدوشاب- و هو دبس الزبیب- الذی یحمل منها الی الآفاق.

و بالقرب من آسک آثار ساسانیه هی ایوان عال بازاء قبه منیفه ینیف سـمکها علی مئه ذراع بناها الملک قباذ علی عین غزیره. و الی شـرق آسک، علی بضـعه أمیال من أرّجان غرب القناطر التی علی نهر طاب، مدینه سنبیل التجاریه فی وسط کوره باسمها. و کانت متاخمه لحدود فارس .

و دیار اللر فی شرق تستر و شمالها بامتداد نهر دجیل الاعلی (نهر کارون) و روافده الکثیره. اما البلاد

التی فی شرق کارون الاعلی و جنوبه (و نهر کارون یؤلف هنا عدوه کبیره و ینثنی راجعا و ذلک بین منبعه فی الجبال التی فی غرب اصفهان و موضع فی شمال تستر و منها ینحاز أخیرا نحو الجنوب فینحدر الی خلیج فارس) فقد سماها المستوفی اللر الکبری و هی تتاخم ولایه شولستان عبر الحدود

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۸۰

فی فارس. و کانت أولی مدن اللر الکبری: ایذج و یقال لها أیضا مال الامیر.

وصفها المقدسی فی المئه الرابعه (العاشره) بانها من اجل مدن خوزستان و هی قرب الجبال. و قصر السلطان فی موضع یقال له أسد أباد و یقع بها فی الشتاء ثلج کثیر یخزن و یحمل الی الاهواز و النواحی الاخری لبیعه فیها صیفا. و مزارعهم علی الامطار و فیها أجود أنواع الفستق. و قال ابن بطوطه، و قد زارها فی مطلع المئه الثامنه (الرابعه عشره)، ان الغالب علی تسمیه ایذج فی زمنه مال الامیر.

و هی ما زالت حتی الیوم تعرف بهذا الاسم و لا یقال لها ایذج.

و کانت ایذج الی ذلک مشهوره بقنطرتها العظیمه علی دجیل، و قد وصفها یاقوت فقال هی من عجائب الدنیا المذکوره. کانت هذه القنطره و ما زالت آثارها باقیه تعرف بقنطره خرّه زاد، و انما سمیت بذلک نسبه الی أم الملک اردشیر.

و القنطره مبنیه علی واد، و هی طاق واحد تعلو مئه و خمسین ذراعا عن الوادی «و دونها بفرسخین صور من الماء یعرف بفم البواب و کان هذا الصور خطرا».

و قد جدد هذه القنطره فی المئه الرابعه (العاشره) وزیر رکن الدوله البویهی .

و استغرق العمل فی ذلک سنتین. و کانت حجارتها تلتحم بالرصاص و

الحديد.

و قيل انه انفق على هذا العمل مئه و خمسين الف دينار (۷۵ الف باون) و روى ياقوت ان ايذج كثيره الزلازل و بها معادن كثيره و بها ضرب من القاقلى تنفع عصارته النقرس. و زاد على ذلك ان بها بيت نار عتيق كان يوقد الى أيام الرشيد.

و على ضفتى النهر، على أربعه فراسخ شمال غربى ايذج، مدينه صغيره يقال لها سوسن و تعرف أيضا باسم عروج (أو عروح). و حول هذا الموضع بساتين يكثر فيها العنب و النارنج و الاترنج و الليمون. و قال المستوفى ان الجبال، انتى لا يفارقها الثلج صيفا، تبعد عنها نحو اربعه فراسخ. و كان يقال لعروج أو سوسن: جابلق أيضا. و يرى بعض المصنفين انها «شوشن القصر» المذكوره

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۸۱

فى سفر دانيال . و على نحو مئه و خمسين ميلا شرق مال الامير، على حدود فارس و قرب أقصى روافد كارون فى الشرق، مدينه لرجان (و تسمى أيضا لردكان أو لركان و كلها صور مشتقه من اسم لر). و قد وصفها الاصطخرى بانها قصبه رستاق سردان (أو السردن) و هى مدينه واسعه كثيره الاشجار أطرى المستوفى عنبها الكثير. تعد فى الغالب من أعمال اقليم فارس لانها على حدوده .

و أهم تجارات خوزستان و غلاتها السكر. فان قصب السكر كان يكثر فى كل ناحيه منها. قال المقدسى فى المئه الرابعه (العاشره): «كل سكر تراه ببلدان الاعاجم و العراق و اليمن فمن خوزستان يحمل». و قال يعمل بالاهواز فوط من القز حسنه تلبسها النساء. و من تستر يرتفع الديباج الحسن المشهور فى سائر الآفاق و الانماط و الثياب الحسنه. و يحمل من تستر فواكه

كثيره و لا سيما الدستنبوى (البطيخ).

و من السوس و هى موطن قصب السكر يحمل السكر الكثير الى سائر الجهات و بها بز و خزوز. و من عسكر مكرم مقانع القز و المناديل و الثياب. و من بصنّا الستور الجيده. و من قرقوب الانماط. و من نهر تيرى أزر كبار .

و كانت انهار خوزستان صالحه لسير السفن، و أكثر تجاراتها تنقل بين مدنها فى تلك الانهار. و مجتمع طرقها فى الاهواز، و للقادم الى الاهواز من البصره ان يقصدها بطريق الماء فى النهر العضدى أو فى البر فيجتاز السبخه من عسكر ابى جعفر بازاء الابلّه الى حصن مهدى و منها الى الاهواز مارا بسوق الاربعاء .

و قد اورد الاصطخرى و المقدسى المسافات بين مدن خوزستان بكثير من التفصيل. فقد كان يخرج من الاهواز طريق يتجه غربا الى نهر تيرى ثم الى واسط

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۸۲

فى العراق. و يبدأ الطريق الشمالى من قاعده الاقليم فيمر بعسكر مكرم الى تستر.

و يتجه غربا من جند يسابور و السوس الى الطيب. و من الطيب طريق آخر يذهب الى واسط.

و ذكر المقدسى الطريق الذى يخترق جبال اللر من جند يسابور الى گل بايكان فى اقليم الجبال و هو شمال غربى اصفهان. و كان يخرج من عسكر مكرم طريق آخر (وصفه قدامه و غيره) يتجه شرقا الى ايذج و منها يجتاز الجبال فيصل الى اصفهان .

و كان يلتقى فى رامهرمز طريقان احدهما من عسكر مكرم و الآخر من الاهواز.

و من رامهرمز يضربان شرقا و يصلان حدود فارس عند نهر طاب خلف ارّجان. و قد ذكر قدامه و غيره من المصنفين هذين الطريقين فأشاروا الى انهما قسم

من الطريق الـذاهب من البصـره الى شـيراز. و ذكر الاصـطخرى أيضـا طريقا آخر معظمه بالماء من حصن مهـدى الى ارّجان يمر بباسيان على الساحل الى الدورق و منها الى آسك فارّجان. و قد ذكر المقدسى المراحل من شمال رامهرمز الى ايذج، و وصف أيضا طريقا من رامهرمز يجتاز جبال اللر الى اصفهان و طريقا آخر يجتاز صحراء اللر شمال دزفول فيمر بسابور خواست الى كرج ابى دلف، على انه لم يـذكر المسافات الا بالمراحل. و من الصـعب، ان لم يكن مسـتحيلا، تعيين مواضع هذه المراحل الآن. و قد ذكر المقدسى طريقا ثالثا فى الشمال يخترق الجبال من ارّجان فى سبعه أيام حتى يصل سميرم (فى فارس) فى جنوب اصفهان و يصاقب حدود خوزستان و فارس .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٢٨٣

الفصل السابع عشر فارس

تقسيم الاقليم الى خمس كور- كوره اردشير خره- شيراز- بحيره ماهلويه- نهر سكان- جويم- بحيره دشت ارزن- كوار- خبر و الصـيمكان- كـارزين و كوره قباذ خره- جهرم- جويم ابى احمـد- ماندسـتان- ايراهسـتان- جور او فيروز اباد- اسـياف فارس- جزيره قيس- سيراف- نجيرم- توج- الغندجان- خارك و سائر جزر خليج فارس.

كـان اقليم فـارس، موطن الـدوله الاـخمينيه و قاعـده حكومتهـا. و قـد عرفه اليونان باسم برسـس(Persis) ، و جروا خطـأ على استعمال اسم هذا الاقليم الاوسط و أرادوا به المملكه كلها. و شاع و همهم فى استعمال هذا الاسم فى انحاء أوربه الى يومنا هذا. فالاسم Persia (بلاد فارس) عنـدنا- و هو مشـتق من Persis اليونانيه- قـد صار اسـما عاما يطلق على دوله الشاه بأسـرها، فى حين ان الفرس أنفسهم يسمون بلادهم مملكه ايران. و ما فارس، أى Persis القديمه، الا اقليم واحد من أقاليمها

الجنوبيه. و قد ورث العرب عن المملكه الساسانيه تقسيم فارس على خمسه أقسام، يقال لكل قسم منها كوره.

و ظلّ هـذا التقسـيم- و من الملائم أن نأخـذ به فى وصف الاقليم- معمولا به حتى أيام المغول. و هـذه الكور الخمس، هى: (۱) أردشير خرّه، و قصبتها شيراز

أولى مدنها. (۲) سابور أو شاپور خرّه، و مدينتها شابور و هى أكبر مدنها.

(۳) أرجـان و مـدينتها العظمى أرّجـان. (۴) اصـطخر، و مـدينتها اصـطخر القـديمه (پرسـپوليس Persepolis) قصـبه فـارس الساسانيه. و أخيرا (۵) دار ابجرد، و مدينتها بالاسم نفسه دار ابجرد.

ثم ان مما يحسن ذكره، أن اقليم فارس، كان فى أيام الخلافه يضم مـدينه يزد و ناحيتها و ناحيه روذان (و هى بين أنار الحديثه و بهرام أبـاد). و قـد كـانت هاتـان الناحيتان جزءا من كوره اصـطخر. على ان يزد، بعـد الفتـح المغولى، كانت من اقليم الجبال. أما اليوم، فتعـدّ جزءا من كرمان. و كـذلك القول فى ناحيه روذان القـديمه. و معنى «خرّه» بالفارسـيه القـديمه «بهاء» . و عليه يكون أردشـير خرّه و شابور خرّه اسـمين لكورتين، الاولى تخلد مجد أردشير مؤسس الدوله الساسانيه، و الثانيه تخلد ذكر ابنه المشهور سابور أو شابور، و هو ساپور(Sapor) عند اليونان. و أخيرا قسّم البلدانيون العرب اقليم فارس على قسمين، هما:

الاراضـى الحاره و الاراضـى البارده، أى الجروم و الصـرود، يفصل بينهما خط يمتـد شـرقا و غربا. و ما زلنا حتى اليوم نجـد هـذا التقسـيم متبعـا فى الاراضـى الخفيضه القريبه من الساحـل، الممتـده من الهضاب التى تلى الـدروب، فانها تعرف بهاتين اللفظتين: گرم سير و سرد سير، أى المنطقه الحاره و المنطقه البارده، و هما

تسميتان جرى المستوفى على استعمالهما أيضا .

و شيراز، قصبه فارس، قد مصّرها العرب و اتخذ المسلمون موضعها وقت الفتوح فى أيام الخليفه عمر، معسكرا لهم لما أناخوا على فتح اصطخر. و لعل ما بلغته من منزله، يرجع، على ما ذكر المقدسى، الى كونها فى وسط البلاد، اذ يقال انها على ستين فرسخا من الحدود فى كل جهه من الجهات الاربع، و على ثمانين فرسخا من كل زاويه من زوايا الاقليم الاربع. و جاء فى الاخبار ان شيراز

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۸۵

قد تولى عمارتها فى سنه ۶۴ (۶۴۸) محمد أخو الحجاج أو ابن عمه ، و الحجاج هو عامل بنى أميه المشهور على العراق. ثم اتسعت رقعتها و صارت مدينه كبيره فى النصف الاخير من المئه الثالثه (التاسعه) حين اتخذها بنو الصفار قاعده لدويلتهم نصف المستقله. و كانت شيراز فى المئه الرابعه (العاشره) نحوا من فرسخ فى السعه، أسواقها ضيقه يزدحم فيها الناس، و كان للمدينه حين ذاك ثمانيه أبواب ، و هى: باب اصطخر، تستر، بنداستانه، غسان، سلّم، كوار، مندر، مهندر. و مياه شيراز من القناه التى تجرى من جويم و هى قريه على خمسه فراسخ من شمالها الغربى. و لشيراز بيمارستان، و فيها دار عضد الدوله البويهى.

التى أنشأ فيها خزانه كتب على ما جاء فى فارسنامه.

و على نصف فرسخ من جنوب شيراز، بنى عضد الدوله البويهى، الملقب بفنا خسرو، قصرا آخر له و خط حوله مدينه جديده نسبت اليه، فقيل لها كرد فناخسرو. و جعل الى جنب قصره بستانا أنفق عليه الاموال العظيمه، سعته نحو من فرسخ. و نقل الى الدور التى نشأت حوله الصوافين و صناع الخز و

الـديباج و غيرهم من أصـحاب الحرف الـذين نقلهم بنـو بـويه من أقاصـى البلاـد و أسـكنوهم فى فـارس. و كـان يقـام فى كرد فناخسـرو احتفال فى كل سـنه. و قـد صارت هذه المدينه أيضا دارا لضـرب النقود حينا من الزمن. و لكن عزّها لم يدم بعد موت مؤسسـها فقد أشـرفت على الخراب قبل ختام المئه الرابعه (العاشـره) و صار ربضـها يعرف بسوق الأمير. و ايجار حوانيته عشـرون ألف دينار (عشره الآف پاون) فى السنه.

و أول من بنى سور شـيراز و أحكمه، صـمصام الـدوله أو سـلطان الـدوله (و هما ابن و حفيـد عضـد الـدوله المار ذكره). و كان عرض حائطه ثمانيه أذرع و طوله اثنى عشر ألف ذراع. و له ما لا يقل عن أحد عشر بابا. و فى منتصف

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۸۶

المئه الثـامنه (الرابعه عشـره) تخرب هـذا السور فعمره محمود شـاه انجو ، غريم آل مظفر، و أحكمه بـأبراج من الآجر. و حين زار المسـتوفى مدينه شـيراز رآها ذات سـبع عشـره محله و تسـعه أبواب. و هذه الابواب هى باب اصـطخر، و باب دارك (أو دراك موسـى) نسب الى جبل بهذا الاسم على نحو من فرسـخين من شـيراز و فيه يخزنون ثلج الشتاء فى مخابئ لاستعماله أيام الصيف. ثم بـاب البيضـاء، و بـاب كـازرون، و بـاب سـلم، و بـاب قبـا (و جـاء فى بعض المخطوطـات بصوره فنا و قنا)، ثم باب نو (الباب الجديد)، و أخيرا باب الدوله، و باب السعاده.

و زاد المسـتوفى، على ايراده أسـماء هذه الابواب قوله، ان شيراز مدينه فى غايه الحسن، ذات أسواق عامره، غير انها قذره على ما وصف. و كان ماؤها من قناه ركن

أباد المشهوره، و هی التی حفرها رکن الدوله البویهی أبو عضد الدوله المار الذکر، و من قناه بستان سعدی. و فی أیام الربیع تنحدر السیول من جبل دارک فتخترق المدینه ثم تجتمع فی بحیره ماهلویه.

و کان فی شیراز ثلاثه مساجد جامعه، أولها الجامع العتیق و قد بناه عمر و بن اللیث الصفار فی النصف الأخیر من المئه الثالثه (التاسعه) و أشار المستوفی الی ان هذا الجامع لم یخل من المصلین قط. و الثانی الجامع الجدید و هو من النصف الأخیر من المئه السادسه (الثانیه عشره) بناه الأتابک سعد بن زنکی السلغری، و ثالثها مسجد سنقر فی مربعه الحلاقین و قد بناه أول أتابک من السلغریین. و ما زال بیمارستان عضد الدوله قائما. و یزور الشیعه فی شیراز مشهد محمد و أحمد ولدی الامام السابع موسی الکاظم. و ما أسلفنا من کلام علی شیراز قد عزّزه ابن بطوطه، معاصر المستوفی، فقد تکلم هو أیضا علی الجامع العتیق فیها و قال: بشماله باب یعرف بباب حسن. کما تکلم علی مشهد أحمد و کان فیه مدرسه.

ثم انه قد أطری الانهار الخمسه التی تشق المدینه، أحدها النهر المعروف برکن آباد، ینبعث من عین فی سفح جبل هنالک یسمی القلیعه، و بقربه بستان ملیح یحفّ بقبر الشاعر سعدی [الشیرازی] المتوفی سنه ۶۹۱ (۱۲۹۲) أی قبل

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۸۷

زیاره ابن بطوطه لها بنصف قرن، و قد کانت لسعدی منزله رفیعه فی قصر الاتابک أبی بکر بن الأتابک سعد بانی المسجد الجدید. و کان فی البستان الذی فیه قبر سعدی، و الناس یزورونه کثیرا، حیاض حسنه من المرمر لغسل الثیاب، صنعها سعدی عند نهر رکن آباد.

و

فی ختـام المئه الثـامنه (الرابعه عشـره) نجت شـیراز لحسن حظها من محاصـره تیمورلنک لها الـذی تغلب علی آل مظفر فی وقعه پـاتیله فی الاـرض البسـیطه فی ظاهرهـا، فلم تعـان المـدینه الاـ شـیئا قلیلا من الأذی علی ما ذکر علی الیزدی. لأن تیمور لنک قد عسـکر فی بسـتان یقال له تخت قراچه فی ظاهر باب سلم و باب السعاده المفضیین الی یزد. و ذکر هذا المؤلف نفسه ان الابواب الثمانیه الأخری کانت مغلقه حین ذاک، و أشار أیضا الی کوه قلعه سرخ (أی تل القلعه الحمراء) قرب شیراز، و لا یعلم موضعها. و مما ذکره المستوفی من القلاع المشهوره بالقرب من شیراز، قلعه تیز، و تقوم علی تل منفرد یبعد ثلاثه فراسخ عن جنوب شرقی المدینه، و قد کان فیها عین ماء فی قمه التل، و أخری فی السهل أسفلها. و أما ما یلیها فمفازه معطشه، مقدارها مسیره یوم .

و شـیراز لاـ تقوم علی نهر کبیر، غیر أن أنهارها تنحـدر شـرقا، علی ما بیّنا، و تصب فی بحیره تغمر وهـده فی السـهل علی بضـعه فراسخ من المدینه. و قد سـمی الاصـطخری هذه البحیره بالجنکان. و جاء اسـمها فی أبی الفداء و ابن بطوطه بصوره الجمکان. و وردت فی فارسـنامه و فی المستوفی باسم ماهلویه و یقال لها الیوم بحیره ماهلو، و ماؤها ملح. و یرتفع من أطرافها الملح و یحمل الی شیراز، و صید السمک فیها کثیر، و طول البحیره اثنا عشر فرسخا، و علی شطآنها الجنوبیه قری ناحیه الکهرجان، و فی جنوبها الشرقی مدینه خورستان و یقال لها

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۸۸

أیضا سروستان و یکثر فیها النخیل و القمح و

هی خصبه یجتمع فیها ما یکون فی بلاد الصرود و الجروم. و کانت کوبنجان، علی ما فی فارسنامه و المستوفی، بلده صغیره بالقرب من سروستان .

و أطول أنهار فارس، نهر سکّان، مخرجه علی ثلاثین میلا من شمال غربی شیراز، و یجری منحرفا باتجاه الجنوب الشرقی مسافه تزید علی مئه و خمسین میلا، ثم ینعطف انعطافا کبیرا فیتجه نحو الغرب الی مسافه مئه و خمسین میلا أخری، و تکثر التعاریج فی مجراه الأخیر، ثم انه بعد ان یستقبل میاه نهر فیروز اباد من الشمال، یقع فی البحر علی شی ء یسیر جنوب نجیرم . و ذکر الاصطخری ان اسم «سکان» مشتق من اسم قریه سکّ، و هی فی غرب المنعطف الکبیر لنهر سکان بالقرب منه أما غیره من المصنفین، فقد أورد اسمه بالصور المختلفه الآتیه: ستّجان، ثکّان، سیکان. و أورده المستوفی بصوره زکان أو ژکان. و قال صاحب فارسنامه و من جاء بعده من المصنفین، أن مخرج هذا النهر فی ناحیه یقال لها ماصرم. أما الاصطخری فقال انه یخرج من رستاق الرویحان و هو السهل الذی فی جنوب جویم و خلّار، و هاتان قریتا کبیرتا الشأن، الاولی علی خمسه فراسخ و الاخری علی تسعه فراسخ من شیراز فی الطریق الذاهب الی النوبنجان فی شمال دشت أرزن. و یخرج من قرب جویم، علی ما بیّنا، أحد أنهار شیراز. و کانت خلّار، علی ما فی المستوفی، تشتهر بحجر الأرحاء و ان کان أهلها لا أرحاء لهم. و کانوا یحملون حبوبهم الی أماکن أخری لطحنها. و کان یحمل منها أیضا عسل کثیر. و کان دشت أرزن (أی سهل اللوز المرّ) معروفا بمراتعه الممرعه (مر غزار). و کان طول بحیره دشت

أرزن نحوا من عشره فراسخ فى موسم الامطار، و ماؤها عذب. و ربما تجفّ فى الصيف حتى لا يبقى فيها من الماء

الا القليل و يصاد فيها سمك كثير على ما ذكر الاصطخرى و زاد المستوفى على ذلك ان الأسود كانت تكثر فى غابه قريبه منها .

و على عشره فراسخ من جنوب شيراز يمرّ نهر سكّان بمدينه كوار أو كوار و هى قرب ضفته اليسرى. و قد أنشئ فى هذا النهر، على ما جاء فى المستوفى، سد من شاطئ الى شاطئ لكى يرتفع الماء به فيدخل انهار السقى. و كانت المراعى القريبه من كوار مشهوره. و يكثر فيها الكرز البرى و اللوز و كذلك الرمان الكبير و فى ما يلى كوار، فى يسار نهر سكان أيضا، مدينه حبر، و هى مشهوره بقبر سعيد أخى الحسن البصرى الفقيه. و ذكر المستوفى ان «خبر» كانت أكبر من كوار، و أن بالقرب منها القلعه المشهوره المسماه تير خدا (سهم اللّه)، و انما سميت بذلك لامتناعها و اعتصامها، فقد كانت تقوم على قمه جبل، فلا تبلغها سهام الاعداء.

و أسفل من خبر يتجه نهر سكان جنوبا فينساب فى مجرى متمعج مخترقا ناحيه الصيمكان. و كانت مدينه الصيمكان قرب ضفته اليسرى عند ملتقى رافد كبير به ينحدر من دار أبجرد فى الشرق .

و كانت الصيمكان، على ما جاء فى المستوفى، مدينه حسنه، تقوم على النهر و عليه هناك جسر. و مما يلفت النظر ان فى أعلى هذا الجسر، تنمو أشجار بلاد الصرود (أى أشجار المنطقه البارده) فقط كالچنار (الدلب) و الجوز و فى أسفله يكثر النارنج و الليمون و غيرهما من فواكه بلاد

الجروم. و ما يعصر فيها من خمور فى غايه القوه فلا تشرب الا بعد مزجها بما يعادل ضعفيها أو ثلاثه أضعافها من الماء. و هيرك لاـ تبعد عنها كثيرا، و هى قريه كبيره من أعمال الصيمكان. و كان بالقرب من يمين نهر سكان، فى جنوب ناحيه الصيمكان، المدن الثلاث: كارزين، و قير، و أبرز. و كانت كورتها تعرف بقباذ خرّه (أى بهاء قباذ) تخليدا لذكرى

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۹۰

أحد الملوك الساسانيين. و ذكر الاصطخرى ان كارزين نحو الثلث من اصطخر (پرسبوليس) و لها قلعه منيعه يرفع الماء اليها من نهر سكان، و كانت ضاربه فى الفضاء حتى لترى منها قلاع كثيره بعيده عنها .

و مدينه جهرم (أو جهرم)، و قد كانت تحسب أحيانا من أعمال كوره دار أبجرد، فى جنوب الصيمكان و شرق كارزين، و حولها بسيط من الارض خصب، و اشتهرت بقلعتها العظيمه التى تبعد عن المدينه خمسه فراسخ، يقال لها قلعه خورشه. و كان نظام الملك وزير السلاجقه العظيم، قد أحكم بناءها و زاد فى تحصينها. و أول من بناها خورشه، و كان عامل بنى أميه على جهرم . و الى جنوب شرقى جهرم مدينه جويم أبى أحمد، (و قد عرفت بذلك تمييزا لها عن جويم التى فى أعلى نهر سكان، أنظر الصفحه ۲۸۹)، وصفها المقدسى بانها على نهر صغير، حولها النخيل و لها جامع حسن، و بين الجامع و السوق زقاق طويل، و تعرف الناحيه التى فى جنوبها الغربى بايراهستان. و بالقرب من المدينه قلعه منيعه يقال لها سميران (أو شميران) وصفها المستوفى بقوله انها «عش اللصوص و قطاع الطرق» و تكثر حولها المراعى، و أحسنها ما

كان بين جويم وضفه نهر سكان تكثر فى نواحيها الخبارى الآسنه و تكثر الأسود فى غاباتها.

و مدينه الكاريان، و تشرف عليها قلعه حصينه، على مرحله غرب جويم، «و بها بيت نار معظم عند المجوس تحمل ناره الى بيوت النار فى الآفاق». و قلعتها على رأس جبل، حصينه لا تقتحم و فى غرب الكاريان، فى منعطف نهر سكان الى الغرب، مدينه لاغر و هى موضع كان له حين كتب المستوفى فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) بعض الشأن. فقد كان مرحله فى طريق القوافل الذاهبه من شيراز الى جزيره قيس. و جاء ذكر لاغر أيضا عند الكلام على كهرجان (أو مكرجان) و هذا الموضع لا أثر له فى الخارطه. و ما بين لاغر و الساحل، و بمحاذاه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۹۱

الجانب الايمن من نهر سكان الى شماله، مفازه ماندستان و هى فى وسط المسافه بين نجيرم و بوشكانات. و ليس فى هذه المفازه قرى أو وديان الا فى ما ندر حين هطول الامطار الغزيره، على ما ذكر المستوفى، فيمكن ان ينمو فى هذه المفازه القطن و القمح، فيغلّ فى نهايه الشتاء الواحد ألفا . بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد ؛ النص ؛ ص۲۹۱

ماندستان، و هو ما كانت تعرف به هذه المفازه فى القرون الوسطى- و معناه «بلاد ماند»- تحتفظ و لا ريب باسم نهر ماند، و هذا الاسم، على ما قد بيّنا، يطلق اليوم على أسفل نهر سكّان. و يستقبل هذا النهر من الشمال فى نحو من نصف المسافه بين لاغر و البحر، رافدا كبيرا يقال له نهر فيروز اباد. و مدينه فيروز اباد كان يقال لها قديما جور. و

كانت فى أيام الساسانيين مدينه كوره اردشير خرّه «بدلا من شيراز المحدثه». و حكى الاصطخرى «يقال ان مكانها كان ماء واقفا كالبحيره ... فاحتال الملك اردشير فى ازاله ماء ذلك المكان بما فتح من مجاريه، فبنى بذلك المكان جور ... و فى وسط المدينه بناء مثل الدكه يسمى الطربال - كان ما زال فيها فى المئه الرابعه (العاشره) و ما بعدها-. و يعرف بلسان الفرس بايوان. و هو بناء بناه أردشير» على الدكه. و كانت جور فى هذا الزمن «قريبه فى السعه من اصطخر ... و عليها سور عامر و خندق، و لها أربعه أبواب: باب مما يلى المشرق يسمى باب مهر. و مما يلى المغرب باب بهرام. و مما يلى الشمال باب هرمز. و مما يلى الجنوب باب أردشير».

و اسم جور، و يلفظ بالفارسيه گور، يوافق اسم القبر. فكان اذا خرج اليها عضد الدوله (البويهى) قيل قد ذهب الملك الى القبر. فكره ذلك، فسماها فيروز أباذ و معناه أتم دولته . و تكلم المقدسى، و قد حكى قصتها، على رحبتها الواسعه، و على بساتين فيروز اباد الحسنه. «و هى مدينه نزهه جدا، يسير الرجل

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۹۲

منها من كل باب نحوا من فرسخ فى بساتين و قصور». و ماؤها من جبل قريب.

يخرج من قدر نحاس فيه ثقبه ضيقه، ماء حاد جدا. و كان على نحو من أربعه فراسخ من المدينه قلعه حصينه يقال لها قلعه سهاده «أو شهاره» على قول البلدانيين الفرس. و قد سمى الاصطخرى نهر فيروز آباد بنهر تيرزه. اما فارسنامه و المستوفى، فقد سمياه بنهر برازه (أو براره) و هو يخرج من ناحيه الخنيفغان .

و يقـال ان الاسـكندر الكبير قـد غير مجرى النهر الاصـلى حين كان ضاربا الحصار على جور، فأغرق ما حولها من ضـياع و كوّن البحيره التى احتال فى ازاله مياهها من بعـده برازه الحكيم فى عهد الملك أردشـير، ثم انه مدّ الماء من النهر الى المدينه، فى قناه أنشأهـا، فنسب النهر اليه فقيـل له نهر برازه. و ذكر القزوينى ان فى فيروز أباد بيت نار مشـهورا، و أشار الى البئر العجيبه على باب المـدينه التى يخرج منهـا مـاء حاد جـدا و لا يحتاج الى اسـتقائه. و نوّه بالورد الجورى و هو ورد أحمر من أجود أنواع الورد و له شهره فى الآفـاق. و فى شـمالها، على مـا بيّنـا، ناحيه خنيفغان أو خنيفقان و يلفظها الفرس خنافگان. و كان بين الجبال قريه كبيره بهذا الاسم يخرج منها طريق صخرى وعر ينحدر الى فيروز اباد .

و كـان يقـال للساحـل البحرى فى كوره اردشـير خرّه، السـيف (أى الشاطئ) و كان لها ثلاثه أسـياف على خليـج فارس كلها فى گرمسـير أى المنطقه الحـاره و هى: سـيف عمـاره فى شـرق جزيره قيس، و سـيف زهير على الساحـل جنـوب ايراهسـتان و حول سيراف. و أخيرا سـيف المظفر الى شـمال نجيرم. و كانت عماره و زهير و المظفّر ثلاث قبائل عربيه عبرت الى السواحل الشماليه من الطرف الآخر من خليج فارس و أقامت فى هذه الديار من فارس. و كان فى سـيف عماره فى المئه الرابعه (العاشره) قلعه على البحر لا يقدر أحد أن يرتقى اليها، يقال لها قلعه الديكدان (أو الديكبايه) و تعرف أيضا بحصن ابن عماره و سيفها يتسع لعشرين مركبا. «و لا يرتقى الى القلعه الا فى شى ء من المحامل».

و على مسافه قصيره من

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۹۳

غربها، جزيره قيس، و يكتبها الفرس بصوره كيش. و صارت فى المئه السادسه (الثانيه عشره) مرفأ تجاره خليج فارس بعد خراب سيراف التى سنأتى على وصفها قريبا. و فى جزيره قيس أنشئت مدينه عليها سور مكين. و شربهم من صهاريج كثيره، و فى قربها مغاص على اللؤلؤ، و هى مرفأ مراكب بلاد الهند و العرب، و يكثر فى الجزيره النخيل. و وصف القزوينى حرّها فى الصيف فقال انها «أشبه شى ء ببيت حمام حار شديده السخونه». و مع ذلك فقد كانت قيس مدينه آهله عامره. و كانت الجزيره على أربعه فراسخ من الساحل. و فى الساحل مرفأ هزو، و اليها كان ينحدر فى المئه السابعه (الثالثه عشره) طريق قوافل من شيراز مارا بلاغر. و كانت هزو حين رآها ياقوت قد خربت، الا انها كانت فى المئه الرابعه (العاشره) قلعه حصينه لبنى بويه جعلوها محبسا لمن سخطوا عليه.

و كان بالقرب من المدينه قريه يقال لها ساويه (و جاء اسمها فى المخطوطات بصور مختلفه: تابه، تانه. أما القراءه الصحيحه لها فغير معروفه) .

و الى الغرب من سيف عماره، بامتداد ساحل البحر، سيف زهير و كانت مدينته: كران فى الداخل و مرفاه المشهوران سيراف و نابند. و هذه الناحيه كانت تمتد حتى نجيرم مما يلى فم نهر سكان. و مما يلى هذه الناحيه نحو الداخل، ناحيه ايراهستان. و فى ناحيه كران، على ما فى الاصطخرى، «طين أخضر كالسلق، يؤكل، ليس فى ما علمته فى بلد مثله». و عدّ المستوفى كران من أعمال

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۹۴

ايراهستان و قال ان فى أطرافها

لا ينمو غير النخيل. و فى جنوبها كانت ناحيه و مدينه ميمند، غير بعيده عن مرفأ نابند. و نابند عند رأس الخور المعروف بخور أو خليج نابند. و يكثر فى ميمند، على ما ذكر المستوفى، العنب و فاكهه المنطقه الحاره (گرمسير) و قد اشتهرت بالمهره من الصنّاع .

و على الساحل فى أعلى نابند و الى شمالها الغربى، مرفأ سيراف. و كانت فى المئه الرابعه (العاشره) الفرضه العظمى فى خليج فارس قبل اشتهار أمر جزيره قيس. و ذكر الاصطخرى أن سيراف تقارب شيراز فى الكبر و الفخامه، «و بناؤهم بالساج و خشب يحمل من بلاد الزنج (زنزبار أو زنجبار اليوم)، و أبنيتهم طبقات، و هى على شفير البحر». و قال أيضا ان «أهلها يبالغون فى نفقات الأبنيه حتى ان الرجل من التجار لينفق على داره زياده عن ثلاثين ألف دينار» (١٥ ألف پاون). ثم قال «و أهلها أيسر أهل فارس، و منهم من يجوز ماله ستين ألف ألف درهم (مليونا پاون) ما اكتسبه الا من تجاره البحر».

«و ليس حواليها بساتين و أشجار، و انما فواكههم و أطيب مياههم من جبل مشرف عليهم يسمى جم». و فى هذا الجبل قلعه عظيمه يقال لها سميران. و تكلم المقدسى على سيراف و قال انها أفضل تجاره من البصره. و ان دورها أحسن ما رأى. و حكى انه «جاءت زلزله سنه ٣٦٦ أو ٣٦٧ (٩٧٧) فقلقلتها و حركتها سبعه أيام حتى هرب الناس الى البحر و تهدم أكثر تلك الدور و تفطرت».

و بذهاب دوله بنى بويه، أخذت سيراف بالزوال. و روى صاحب فارسنامه ان آخر ما أصابها من خراب أوقعه بها ركن الدوله خمارتكين أمير جزيره قيس، فقد اتخذ من

هذه الجزيره مرفأً للتجاره، و لكنه بقى يبنى سفنه الحربيه فى سيراف. و حين زارها ياقوت فى مطلع المئه السابعه (الثالثه عشره)، لم يبق فيها قائما غير جامعها المليح على سوارى ساج، و قد رآها، و بها آثار عماره فى طرف الساحل. و لم يكن للمراكب فيها حينذاك ميناء، فاذا قدمت اليها استأمنت فى موضع يقال له نابند. و ذكر ياقوت ان أهلها يسمونها فى زمنه شيلاو.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٢٩٥

و نجيرم، ميناء قليل الشأن، الى غرب سيراف، و هو مما يلى فم نهر سكان، و كان فى أول سيف المظفر، و هذا السيف كان يمتد حينذاك حتى جنّابه فى كوره أرّجان. و كان بنجيرم حين كتب المقدسى جامعان و أسواق حسنه «و برك تملأ من المطر». و كانت ناحيه الدستقان أيضا فى جمله سيف المظفر، و كانت أجل مدنها فى المئه الرابعه (العاشره) صفّاره و الظاهر ان هذه الناحيه كانت بالقرب من جنّابه، غير انه لا يعرف الموضع الحقيقى لمدينه صفّاره .

و بالقرب من حدّ كوره أرّجان، يصب نهر شابور فى البحر. و على مسافه قليله من فمه، و لعل ذلك فوق التقاء نهر جرّه به، و سنأتى على ذكره فيما بعد، كانت تقوم مدينه توّج أو توّز، المركز التجارى المهم. و قد كانت توّج فى المئه الرابعه (العاشره) تقارب أرّجان فى الكبر على ما ذكر الاصطخرى، و هى «مدينه شديده الحر، فى وهده، و هى كثيره النخيل» و توّج مدينه ذات تجاره، يعمل فيها ثياب كتان تنسب اليها، ألوانها حسنه، و لها طرز مذهبه. و كان نهر شابور المار على مقربه من المدينه يسمى فى الغالب نهر توّج

و قد اسكن عضد الدوله البويهى فيها عربا جاء بهم من الشام و آلت توّج الى الخراب فى مطلع المئه السادسه (الثانيه عشره). اما موضعها فلم يعين حتى الآن. و لكن يقال ان المدينه كانت عند نهر شابور أو بقربه فى وهده من الأرض على ۱۲ فرسخا من جنابه على الساحل و اربعه فراسخ من الدرب المنحدر من دريز. و كانت توّج من المواضع المشهوره أيام الفتح الاسلامى و يرقى زمن جامعها الى ذلك العهد.

على انها كانت خرابا يبابا حين كتب المستوفى.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۹۶

و كانت مدينه الغندجان المشهوره، فى دشت بارين، بالقرب من توّج.

و قد وصف فارسنامه موضع الغندجان، و لم يبق لها أثر اليوم على ما يظهر، بانها على أربعه فراسخ من جرّه و ۱۲ فرسخا من توّج. و تكلم أيضا على نهر جرّه و قال انه يشق قسما من الغندجان. و كانت هذه المدينه فى المئه الرابعه (العاشره) تقارب، على ما يقال، اصطخر (پرسپوليس) أو جنابه فى الكبر. و يرتفع منها البسط و الستور. و كانت تعد من بلاد الجروم. و وصف المقدسى نهرا فى جبال الغندجان فقال: «و بها نهر بين جبلين يخرج منه دخان لا- يمكن أحدا ان يقربه، و ان اجتاز به طائر سقط فيه فاحترق». و كان فيها أيضا عيون حاره معدنيه يبرأ من يغتسل بمائها. و أكثر أهل الغندجان على ما جاء فى المستوفى، من صنّاع النعال و الخفاف و من الحاكه. و فى أيامه صار اسم الغندجان يطلقه الناس على ناحيه دشت بارين. و بالقرب منها قلعه حصينه يقال لها قلعه رمزوان (و جاءت بصوره دمدران و غير ذلك) و

فيها صـهاريج كبيره أنشئت لخزن المياه. و ناحيه بوشـكانات فى نصف الطريق بين الغنـدجان و مفازه ماندسـتان (أنظر الصـفحه ٢٩١) الى شـمال نجيرم. و كانت هذه المفازه، على ما ذكر المستوفى، خاليه من المدن، الا ان التمور أهم غلاتها. لان بوشكانات من بلاد الجروم فى الخليج .

و جزيره خارك، البعيده عن فم نهر شابور، كانت من ضمن كوره اردشير خرّه. و كانت ميناء للسفن اذا خرجت من البصره تريد جزيره قيس و الهند.

و قد زار ياقوت هذه الجزيره و قال: «يقابلها فى البر جنابه و مهروبان، تنظر

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٢٩٧

هـذه من هـذه للجيد النظر». و كانت كلتاهما على ساحل كوره أرّجان. و هذه الجزيره خصـبه وافره الخيرات تكثر فيها الفاكهه و يجود فيهـا النخيل و فى بحرها من أحسن مغاص اللؤلؤ. و قـد ذكرت مراجعنا جزرا كثيره فى خليـج فارس غير هـذه، وعـدّته من كوره أردشـير خرّه. غير ان أعظمهـا شأنـا فى التجـاره، جزيرتـا خـارك و قيس. اما الجزر الاخرى فليس من اليسـير التحقق لها. و كانت أوال أهم جزيره فى جزر البحرين عنـد الساحل العربى. و قد جاء ذكرها فى أخبار الفتوحات الاسـلاميه الأولى. و أول من ذكر بوشـهر (بوشـير اليوم) يـاقوت، و يقابلهـا فى الـداخل ريشـهر أو راشـهر توّج على مـا ذكر البلاذرى. و الجزيره التى يقال لها لاوان (اللان، ولان، أو لار)، هى اليوم بالاستناد الى المسافات التى أوردها البلدانيون، جزيره الشيخ شعيب فى غرب جزيره قيس. و جزيره أبرون هى و لا شك هندرابى الحاليه، و هذه مع چين (أوخين) بالقرب من جزيره قيس.

و الجزيره الكبرى عند مضايق الخليج التى يقال لها اليوم كشم، و

تسـمى أيضـا الجزيره الطويله. ربمـا كـانت الجزيره التى أشـارت اليهـا مراجعنـا المؤلفه فى العصور الوسـطى، بالاسـماء المختلفه الآتيه- لعل منشأ ذلك اختلاف النسخ-:

جزيره بنى (أو ابن) كوان، و جزيره أبركافـان، و جزيره أبركمان. و ذكر ياقوت انها تسـمى أيضا لافت. و كانت جزيره خاسك، أو جاسك، احـدى الجزر القريبه منها، و قد لا تكون غير اسم آخر لجزيره كشم (الجزيره الطويله). و كان «لأهلها جلاده و خبره فى حرب البحر». و على مـا ذكر القزوينى كـانوا يسـطون على السـفن و يسـلبون مـا فيها، و فى هـذه الجزر مغاوص اللؤلؤ، الا ان معظم هذه الجزر غير مأهول الا فى مواسم الغوص. و مما يلى جزيره كشم، فى شرقيها، جزيره هرمز. و بما ان هذه الجزيره كانت من اقليم كرمان، فستتكلم عليها فى الفصل الذى عقدناه عن هذا الاقليم .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۲۹۸

الفصل الثامن عشر فارس «تابع»

كوره شـابور خره- مـدينه سـابور و كهفها- نهر رتين- النوبنجان- القلعه البيضاء و شـعب بوان- زموم الأكراد- كازرون و بحيره كازرون- نهر اخشـين و نهر جرشيق- جره و قنطره سبوك- كوره أرجان و مدينه أرجان- نهر طاب- بهبهان- نهر شيرين- كنبذ ملغان- مهروبان- سينيز و جنابه- نهر الشاذكان.

كانت كوره سابور خرّه أى «بهاء سابور» (سابور هو التسـميه العربيه للاسـم الفارسى شابور، على ما قد بيّنّا)، أصغر الكور الخمس فى اقليم فارس.

و لا تتعدى حدودها حوض نهر شابور الاعلى و روافده.

و كانت قصـبه هـذه الكوره فى الزمن القـديم، مدينه شاپور. و أصل اسـمها كان بشابور . و أكثر ما كانت تعرف بشهرسـتان، أى «موضع المدينه» أو القصبه و العاصمه. قال ابن حوقل: «أما سابور فمدينه هى فى السعه نحو

اصطخر الا انها أعمر و أجمع و أيسر أهلا». غير ان المقدسی تکلم علیها فی

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۲۹۹

النصف الاخیر من المئه الرابعه (العاشره) بقوله انها «الیوم قد اختلت و خرب أطرافها ... و خفّ البلد و قلّ أهلها و أذهبت کازرون دولتها». و مع ذلک فقد کانت سابور وافره الخیرات فیها قصب السکر و الزیتون و العنب و الفواکه و الازهار.

و یکثر فیها التین و الیاسمین و الخرنوب. و تسمی دنبلا، و فی سورها أربعه أبواب:

باب هرمز، و باب مهر، و باب بهرام، و باب شهر (أی باب المدینه). و لها جامع فی ظاهر البلد، و مسجد آخر یسمی مسجد الخضر، أی مسجد الیاس.

و قال صاحب فارس نامه فی مطلع المئه السادسه (الثانیه عشره) ان شاپور فی أیامه قد استولی علیها الخراب. و حین کتب المستوفی بعد ذلک بقرنین، کان اسم شاپور أو بشابور، قد انتقل الی کوره کازرون المجاوره لها.

و الظاهر ان المستوفی، عرف نهر شابور باسم شهریار رود، و قال ان المدینه کانت تسمی دین دار، نسبه الی مؤسسها الأول الملک طهمورث الاسطوری «مکتّف الشیطان». ثم خرّبها الاسکندر الکبیر، و أعاد الملک شابور بناءها فعرفت باسم بناشابور، علی ما قال المستوفی. ثم صارت نشابور أو بشابور. و کانت فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) وافره الحبوب، یکثر فیها النیلوفر و البنفسج و الیاسمین و النرجس، و ینسج فیها الحریر. و الی ذلک فقد أشار المستوفی الی تمثال هائل معروف للملک سابور کان فی کهف قرب أطلالها، و وصفه بقوله انه «تمثال أسود لرجل یفوق الحجم الطبیعی، منتصب فی هیکل قال بعضهم انه طلّسم، و زعم آخرون انه کان

انسانا مسخه اللّه حجرا.

و كان ملوك تلك البلاد يزورونه، و يكرّمونه بمسح تمثاله بالزيت». و قد سبق للمقدسى فى المئه الرابعه (العاشره) ان نوّه بهذا الكهف و قال انه «على فرسخ من النوبندجان». و وصف «صوره سابور على باب كهف عليه تاج. خلفه ماء واقف لا مدّ له و لا منفذ، و ثم ريح تخرج شديده، و تحته ثلاثه أوراق خضر. طول مشط رجله ثلاثه عشر شبرا، و من رأسه الى قدميه أحد عشر ذراعا» .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۰۰

و كان البلدانيون العرب يسمون أعالى نهر شابور بنهر رتين، و مخرجه فى ناحيه خمايجان أو خمايگان العليا. و كان أكبر قراها ديه على على ما ذكر المستوفى. و كانت خمايجان السفلى تعد من أعمال كوره اصطخر (پرسپوليس، و سيأتى وصفها فى الفصل القادم) و هى حول البيضاء على رافد لنهر كرّ.

و كان فى هاتين الناحيتين، خمايجان العليا و السفلى، ثمار البلاد البارده كالجوز و الرمان و يحمل منها العسل الجيد. و أكثر أهلها من المكارين و أصحاب البغال، و فى غرب خمايجان ناحيه أنبوران و مدينتها النوبندجان و يقال لها أيضا النوبندگان أو النوبنجان، و كانت هذه المدينه، حين كتب الاصطخرى، أكبر من كازرون.

و هواؤها حار و يكثر فيها النخيل. و تكلم المقدسى على أسواقها الحسنه العامره، و بساتينها ذات العيون الكثيره، و جامعها. و آلت النوبنجان فى أيام السلاجقه الى الخراب، و لكن الأتابک الأمير جاولى المشهور ، قد جدد بناءها فى المئه الخامسه (الحاديه عشره).

و على فرسخين من النوبنجان، يبدأ الشعب المشهور الذى يعده المسلمون احدى جنات الدنيا الاربع و هو شعب بوّان. و تقع مياهه فى نهر

كرّ فى كوره اصطخر. و طول هذا الشعب ثلاثه فراسخ و نصف، و عرضه فرسخ و نصف.

و كـان لاـ نظير له فى الخصب و الرخاء، و عله ذلك، على ما فى المسـتوفى، طبيعه الجبال التى تكتنف جانبيه، فانها تختزن ثلوج الشـتاء فاذا ذابت صـيفا أمدت الوادى بالمياه. و على فرسخين من شمال شرقى النوبنجان التحصينات الجبليه المعروفه بقلعه سفيد أى القلعه البيضاء، و اسـفيد دز- أى قلعه اسـفنديار، و هى على ضـهر جبل دوره عـده أميال و حافته حاده قائمه الانحـدار. و لعل المقدسـى قـد أشار اليه باسم قصـر أبى طالب الذى يقال له «عيان» على ما ذكر. و قال صاحب فارس نامه ان قلعه سـفيد قد جدد بناءها أبو نصر و هو من أهل تيرمردان، فى أوائل عهد

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٠١

السلاجقه، ثم صارت فى أيدى عاملهم فى مطلع المئه السادسه (الثانيه عشره).

و لا يرتقى الى قمه الجبل البالغ محيطها عشـرين فرسـخا، الا بـدرب واحد و كان يحمى أسـفل هذا الدرب حصن يقال له دزك نشـناك، و كانت هذه القمه منبسطه السطح، فيها عيون كثيره و بساتين وافره الفواكه. و محاصره تيمور لقلعه سفيد فى ختام المئه الثامنه (الرابعه عشـره) قد أكسـبتها شهره تاريخيه. فانه فى مسيره من بهبهان الى شيراز استولى عليها عنوه بعد تضييق الخناق عليها و مقاتلتها يومين كاملين و ذلك فى ربيع سنه ٧٩٥ (١٣٩٣) .

و على مرحله من شـرق النوبنجـان فى الطريق الـذاهب الى شـيراز، تقع تيرمردان. و هى بليـده حولهـا ست قرى، أجلها كرجن أو جركن و هى على خمسه فراسخ من النوبنجان. و كان رستاقها وافر الماء خصب عامر، يحمل منه عسل

كثير. و مـدينه انبوران من هـذه الكوره و هى فى غرب النوبنجـان فى الطريق الى أرّجـان. و تجاورهـا أيضـا نـاحيه باشت قوطا و قصبتها باشت و ما زالت قائمه.

و يشق هـذه الاراضـى نهران همـا درخيـد و الخوبـذان. و على ضـفاف نهر خوراواذان، و يقال له أيضا الخوبـذان، مـدينه تعرف باسمه على اربعه فراسخ من النوبنجان. و كانت مدينه الخوبذان فى المئه الرابعه (العاشره) مدينه آهله، لها جامع و أسواقها عامره. و على أربعه أو سته فراسـخ غرب هـذا النهر، و على مرحلتين من النوبنجان، كانت المـدينه الصـغيره درخيـد، على نهر درخيد و مخرج هذا النهر فى بحيره صغيره، و يرى بعضهم انه يصب فيها. و قد جاء فى الأخبار ان نهر درخيد واسع عريض فلا يعبر. و نهر الخوبـذان رافـد من روافد نهر شـيرين، و سـيأتى وصف هذا النهر فى الكلام على كوره أرّجان. و كان على نهر الخوبذان أو نهر درخيـد قنطره عظيمـه بناهـا رجـل يسـمى أبـا طـالب النوبنجـانى بـانى قلعـه عيـان و قـد مرّ ذكرهـا فى الفقره السـابقه. و لم يتفق الاصطخرى

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٠٢

و المقدسـى على أى النهرين كانت تقوم هـذه القنطره الشـهيره. و قـد زاد المصـنفون المحـدثون هذا الموضوع التباسا و ارتباكا، حين أعطوا أسـماء مختلفه لهـذين النهرين، فصـار من الصـعب علينـا الآن ان لم يكن مسـتحيلا، معرفه أى من هـذين النهرين هو الـذى تعيّنه خوارطنا. و قـد وصف المقدسـى هـذه القنطره فقال «و جسـر أبى طالب عمل فى هذا العصـر، يعجز عن مثله كل بناء بالشام و أفور» . فكان بناؤها فى النصف الاخير من المئه الرابعه (العاشره)، و الظاهر ان ياقوت الحموى أشار

فى المئه السابعه (الثالثه عشره) الى انها ما زالت باقيه. و قد ذكر على اليزدى كثيرا من هذه المواضع فى وصفه مسير تيمور لنك من بهبهان الى شيراز .

و فى هذا القسم الجبلى من فارس، و قد عرف بعدئذ بجبل جيلويه، قبائل الأكراد الخمس و يقال لها زمّ الأكراد، و كانت فيها فى المئه الرابعه (العاشره) مراعيهم و منازلهم. و تكلم المقدسى على قلعه لهم فى الجبل قرب منازلهم، «لها رستاق و نهر و هى وسط الجبال ذات بساتين و نخيل و فواكه و خيرات» .

و مدينه كازرون، أضحت منذ النصف الأخير من المئه الرابعه (العاشره) حين خربت سابور، أجل مدن كوره سابور. و وصفها ابن حوقل بقوله انها فى أيامه أصغر من النوبندجان، حسنه البناء و بيوتهم من جص و حجاره. و أشار اليها المقدسى بعده بزمن قليل، فقال هى «دمياط الأعاجم» و كانت واسعه التجاره، تعمل فيها ثياب الكتان «و قد بنى عضد الدوله [البويهى] دارا جمع

فيها السماسره، دخلها على السلطان كل يوم عشره الآف درهم» (أى أربعمائه پاون). و وصف المقدسى دور المدينه فقال انها كانت كلها قصورا لها بساتين «و الجامع على تل يصعد اليه». و ذكر المستوفى ان كازرون كانت تتألف فى الاصل من ثلاث قرى متجاوره، هى: نورد و دربست و راهشان، أنشئت على قنى بهذه الاسماء و ظل شرب أهلها من هذه القنى التى صارت من ضمن أحياء المدينه.

و تمور كازرون فاخره لا سيما المعروف منها بجيلان. و كان يحمل منها ثياب قطن تسمى الكرباس. و يقال لمراعيها المشهوره مرغزار نركس أى مراعى النرجس.

و كان ما حولها يعرف ببلاد

شول على ما ذكر ابن بطوطه و قد مرّ بها سنه ۷۳۰ (۱۳۳۰). و هى اليوم تعرف بشولستان. و كان فى السهل، على شئ يسير من شرق المدينه، بحيره كازرون و كان يقال لها فى المئه الرابعه (العاشره) بحيره موز أو مورك (و قراءه الاسم غير مضبوطه) طولها نحو من عشره فراسخ «و ماؤها مالح و فيها صيد كثير». و الدربان المشهوران فى الطريق الذى فوق البحيره الصاعدان الى شيراز، و المعروفان اليوم عند المسافرين باسم كتال پير زن (درب المرأه العجوز) و كتال دختر (درب البنت) قد سمى المستوفى أولهما هوشنگ و هو على ثلاثه فراسخ من كازرون، و الثانى مالان و هو فوقه و كلاهما شديد الانحدار .

و الطرق المنحدره الى الساحل البحرى من كازرون تمرّ بدريز الى كمارج ثم تمرّ بخشت على نهر سابور الى توّج و قد مرّ وصفها فى الفصل السابق (ص ۲۹۵). و كانت دريز مدينه صغيره. و كان بها فى المئه الرابعه (العاشره) «صنّاع كتّان كثير». و خشت تليها و لها قلعه حصينه على ما جاء فى المقدسى، و لها رستاق واسع. و ورد ذكر خشت و كمارج فى فارس نامه سويه. و وصف

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۰۴

المستوفى أهل هذين الموضعين برداءه الخلق و قال انهم لصوص دهاه.

و على شئ يسير أسفل من خشت، يستقبل نهر سابور فى يساره مياه نهر جرّه، و هو الذى عرفه البلدانيون العرب بنهر جرشيق. و هذا النهر قبل التقائه بنهر سابور ببضعه أميال، يقع فى يساره نهر صغير سمّوه نهر اخشين.

و يخرج نهر اخشين من خلال جبال ناحيه داذين. و ماء هذا النهر، على ما فى الاصطخرى،

عذب «يشرب و يسقى الاراضى. و اذا غسل به ثياب خرجت خضرا». و اما نهر جرشيق فانه يخرج من جبال فى جنوب جرّه فى رستاق ماصرم (و على ما فى المستوفى، كانت ماصرم ناحيه تمتد من هذا النهر شمالا حتى أعالى نهر سكان). و قبل أن يبلغ مدينه جرّه «يجرى تحت قنطره حجاره عاديه [أى عتيقه] تعرف بقنطره سبوك». ثم يسقى هذا النهر رستاق داذين. و أخيرا بعد أن يستقبل نهر اخشين يقع فى نهر سابور على شئ يسير فوق توّج. و ذكر فارس نامه و المستوفى ان البلاد التى عند أعالى نهر جرّه قرب مدينه جرّه، تؤلف قسما من رستاق الغندجان و هذا الخبر يقودنا الى معرفه موضع دشت بارين، و قد مرّ بنا القول فى صفحه سابقه انه من أعمال كوره أردشير خرّه. و وصف المقدسى مدينه جرّه فقال انها «على رأس جبل، كثيره النخيل». و قال ياقوت ان العامه تقول لها فى أيامه «گرّه». و قد أيده فى ذلك صاحب فارس نامه و المستوفى. و قد أشارا أيضا الى قمحها و نخيلها و الى شده خصب رستاقها .

أما كوره أرّجان فهى أبعد كور فارس الخمس غربا. و قصبتها مدينه أرّجان فى أقصى حدها الغربى على نهر طاب. و نهر طاب يؤلف فى هذا الجانب الحدّ الفاصل بين اقليمى فارس و خوزستان. و أطلال أرّجان على بضعه أميال من شمال مدينه بهبهان الحاليه التى انتقل اليها أهلها و صارت أهم مدن هذه الكوره منذ ختام المئه السادسه (الثانيه عشره).

و كانت أرّجان فى المئه الرابعه (العاشره) «مدينه كبيره كثيره الخير بها نخيل كثير و زيتون». و كان عليها سته أبواب تغلق كل ليله، و

هی: باب

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٠۵

الاهواز، و باب ريشهر، و باب شيراز، ثم باب الرصافه، و باب الميدان، و أخيرا باب الكيّالين. و بها جامع حسن و أسواق عامره. و فى المدينه يعمل الصابون.

و كان قرب أرّجان قنطرتان مشهورتان من حجر على نهر طاب تعبرهما الطرق الذاهبه الى خوزستان، و ما زالت بقاياهما شاخصه، و يقال ان احداهما تنسب الى الديلمى طبيب الحجاج، عامل بنى أميه على العراق. قال الاصطخرى فى وصفها «هى طاق واحد سعه الطاق على الارض ما بين العمودين نحو ثمانين خطوه و ارتفاعه مقدار ما يجوز فيه راكب الجمل بيده علم من أكبر ما يكون».

و كانت هذه القنطره، و تعرف بقنطره ثكان، على رميه سهم من مدينه أرّجان فى الطريق الى سنبيل. أما القنطره الثانيه فكان طولها أكثر من ٣٠٠٠ ذراع، و هى من بناء الساسانيين. و تعرف بالقنطره الكسرويه، و كانت فى الطريق الذاهب الى قريه دهلزان. و فى جبل قرب أرّجان كهف قال القزوينى فى وصفه «ينبع منه الموميا الجيد»، و له خواص طبيه و فى أرّجان أيضا بئر لا قرار لها يقال لها بئر صاهك «يفور الدهر كلّه منها ماء» يسقى تلك القريه حتى فى أجف أيام الصيف.

و فى مطلع المئه الثامنه (الرابعه عشره) ذكر المستوفى، ان أرّجان كان يسميها العامه أرخان أو أرغان. و أشار على اليزدى فى نهايه هذه المئه الى نهر طاب باسم آب أرغون. و على ما جاء فى المستوفى، قاست أرّجان كثيرا من الاهوال حين استولى عليها فى المئه السابعه (الثالثه عشره) الاسماعيليه (و هم الحشيشيه أصحاب شيخ الجبل). و لم يقيّظ لها ان تستعيد ازدهارها الاول.

و قد

كان للاسماعيليه قلاع فى قمم الجبل المجاور لها اسم احداها قلعه طيغور و الاخرى دزكلات. و كثيرا ما كان رجال هذه القلاع ينزلون الى المدينه فينهبون ما فيها و ما فى رستاقها. ثم ان أرّجان فى النصف الاخير من المئه الثامنه (الرابعه عشره) استحوذ عليها الخراب و قام مقامها بعد وقت قصير مدينه بهبهان و هى على نحو من سته أميال أسفل منها على نهر طاب. و لم يذكر أحد من البلدانيين العرب اسم بهبهان. و أول من ذكرها على اليزدى فى وصفه مسير تيمور من الاهواز الى شيراز فى ربيع سنه ٧٩٥ (١٣٩٣). و صارت بهبهان منذ هذا

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٠٦

التاريخ أجل مدينه فى هذه الناحيه التى كانت تعرف قبلا بكوره أرّجان .

و النهر الذى سماه البلدانيون العرب نهر طاب، يقال له اليوم جراحيه و جراحى أو نهر كردستان. أما الاسم «طاب» فانه اليوم انتقل اعتباطا الى أنهار خيراباد و هى روافد نهر هنديان أو نهر زهره الذى يصب فى خليج فارس عند هنديان و هو غير نهر طاب. فقد كان مخرج طاب فى القرون الوسطى، ان أخذنا بما ذكره الاصطخرى و المقدسى، فى جبال جنوب غربى اصفهان بقرب البرج مقابل سميرم فى كوره اصطخر. ثم ينحدر الى ناحيه يقال لها السردن فى خوزستان. و كان يلتقى بيسار طاب نهر مسين، و قريه مسين تقع بالقرب من اجتماعه به، ثم يجرى النهران المتحدان الى أرّجان. و أسفل هذه المدينه يسقى طاب رستاق ريشهر ثم يتجه جنوبا و يقع فى البحر غرب مهروبان. و ينبع نهر مسين المار الذكر فى جبال قرب سميرم أيضا و يمر بموضع يقال له

سیسخت قبل التقائه بطاب على ما ذكر صاحب فارس نامه و المستوفى. و يقال ان طوله اربعون فرسخا و عرضه من السعه ما لا يسهل معها عبوره. و كان بالقرب من أعالى نهر طاب، بلاد شاپور أو بلاسابور. و قصبتها تسمى جومه و هى على الحدّ بين فارس و خوزستان. و كان رستاق بلاسابور شديد الخصب، غير ان الزراعه فيه أيام المستوفى قد انعدمت. و كان بامتداد مجرى طاب، على ما فى فارس نامه، كوره قباذ خرّه. غير ان جميع المصنفات القديمه تطلق هذا الاسم على الكوره التى حول كارزين على ما جاء وصفه فى الصفحه ٢٨٩ .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٠٧

و فى أسفل أرّجان، يدور نهر طاب، على ما قد بيّنا، حول رستاق ريشهر (فلا يلتبس اسم هذا الرستاق بريشهر بوشير المار الذكر فى صفحه ٢٩٧) و ما عدا ريشهر، فقد كان هنا فى نصف الطريق بين ارجان و مهروبان، مدينه يقال لها دريان (و كذلك ديرجان أو درجان) و قد كان بها فى المئه الرابعه (العاشره) أسواق عامره و رستاقها خصب كثير الخيرات. و دام شأن ريشهر فى أيام السلاجقه. و تكلم صاحب فارس نامه على قلعتها و قال ان السفن كانت تصنع فيها. و ذكر المستوفى ان الفرس عرفوا الموضع باسم بربيان و قال ان اسمها الأول كان ريصهر. و فيها تعمل ثياب الكتان، و لأهلها تجاره واسعه مع موانئ الخليج.

و الحر فيها صيفا شديد مؤذ فيصعد أهلها الى دز كلات و هى على فرسخ منها، و قد مرّ بنا انها كانت قبلا من قلاع الاسماعيليه. و بالقرب من ريشهر بلده هنديجان و هى مدينه و رستاق على

نهر أرّجان الاسفل و حكى المقدسى ان هنديجان، أو هندوان، كانت سوقا عظيمه للسمك و لها جامع حسن. و فى رستاق هنديجان بقايا بيوت نار و أرحاء من الزمن القديم. و بها الى ذلک، على ما يقال، «دفائن كما فى أرض مصر» و تكلم القزوينى على بئر «يعلو منها دخان لا يتهيأ لاحد أن يقربها، و اذا طار طائر فوقها سقط محترقا». و أخيرا، حبس، و هى مدينه فى هذه الكوره فى الطريق الى شيراز، كان فيها مأصر أيام بنى سلجوق .

و كانت الجلّادگان، و تلفظ أيضا الجلّادجان، ناحيه قريبه منها بين أسافل نهرى طاب و شيرين. و يخرج نهر شيرين- الماء الحلو- فى جبل يسمى جبل دينار فى ناحيه بازرنج أو بازرنک. و يشق ناحيه فرزک و هى على أربعه فراسخ

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٠٨

من جنوب شرقى أرّجان. و ذكر على اليزدى ان تيمورلنک، فى مسيره من بهبهان الى شيراز، عبر نهر شيرين بعد مغادرته بهبهان بيوم، ثم وصل بعد أربعه أيام الى نهر خاودان (و قد مرّ ذكره فى الصفحه ٣٠١ باسم: الخوبذان).

ثم سار منه الى النوبنجان. و قد مرّ بنا ان الخوبذان رافد لنهر شيرين، و هذا الاخير يطابق، على ما يظهر، النهر المعروف اليوم فى أعاليه باسم نهر خيراباد (مع روافده الكثيره) و فى أسفله باسم نهر زهره و هو ما تسميه الخوارط الحديثه بنهر طاب أو هنديان. و كان على أحد روافد نهر شيرين، گنبذ ملّغان، و هى موضع ذو شأن فى الطريق من النوبنجان الى أرّجان، و يقال لها اليوم دو گنبدان «أى القبّتان» و ترى فيها خرائب واسعه. و كان بجوارها جبل دينار

و ناحیه بازرنک على ما مرّ بیانه. و كذلك صرام، حیث یقسو الجو فی الشتاء. و لا یفارق الثلج قمم الجبل المجاور لها حتى فی الصیف. على ان مدینه گنبذملّغان كانت من بلاد الجروم و مشهوره بنخیلها. و یلفظ اسمها أیضا بصوره گنبد ملّجان أو ملقان. و تكلم المقدسی فی المئه الرابعه (العاشره) على القریه هنا و قال هی خربه. و ذكر صاحب فارس نامه فی مطلع المئه السادسه (الثانیه عشره) هذه المدینه الصغیره و قال: كان یحمیها قلعه یخزن فیها ما یكفی من المؤونه لحامیتها مده ثلاث أو أربع سنوات. و كانت تكلّل رؤوس الجبال المجاوره قلاع أخرى مثلها، نذكر منها بوجه خاص قلعه خنگ. و قال المستوفی ان الناحیه القریبه منها كانت تعرف باسم پول بولو (و جاءت فی بعض المخطوطات بصوره: پول لولو) و قد كانت ناحیه عظیمه الخصب معروفه بمشمشها الجید.

و قال ان قلعه گنبذ ملّغان كانت من المنعه و القوه بحیث یتمكن رجل واحد فیها من ان یصدّ جیشا .

و غیر بعید من فم نهر شیرین- و هو نهر طاب الحدیث أو زهره، على ما

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-كوركیس عواد، النص، ص: ۳۰۹

قد بیّنا- میناء مهروبان، على حدّ فارس الغربی. و كانت أول فرضه تصلها السفن الذاهبه الى الهند بعد خروجها من البصره و فیض دجله، و مهروبان تعدّ فرضه أرجان. و كانت فی المئه الرابعه (العاشره) مدینه آهله لها جامع حسن و أسواق عامره. قال المستوفی ان الفرس یسمونها ماهی رویان أو مهرویان.

و یعمل فیها الكتان و یحمل منها التمر، غیر ان الملاحه و سیر السفن أهم مورد لاهلها. و فی سنه ۴۴۳ (۱۰۵۲) بلغ ناصر خسرو مهروبان

و وصفها فقال:

هی مـدينه علی ساحـل البحر فی جـانبه الشـرقی، أسواقها عامره، مسـطور علی مسـجدها الجامع اسم يعقوب بن الليث الصـفار. و يحفـظ أهلهـا المـاء فی حيـاض و بنی بها ثلاثه ربط ينزل فيها من قصـد أرّجان من المسافرين. و تجارتها عظيمه. و يلی مهروبان شرقا علی ساحل الخليج من أسـفلها، سـينيز أو شـينيز، و بقاياها عند سـيف يقال له اليوم بندر ديلم. و قد وصف الاصـطخری فی المئه الرابعه (العاشره) هذه البلده فقال انها أكبر من مهروبان. و هی علی خور صغير، فتكون المدينه علی نصف فرسخ من البحر. و هی «شديده الحر، و بها نخيل و ما يكون فی الجروم من الفواكه». و قال المقدسی لها جامع، و دار الاماره.

و أسواقها عامره جيده. و ذكر ياقوت ان القرامطه فی سنه ۳۲۱ (۹۳۳) أغاروا علی سينيز فقتلوا أهلها و خرّبوها و لم يبق الا اليسير. أما فارس نامه فی المئه السادسه (الثانيه عشره) و المستوفی فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) فقالا انها ما زالت مدينه عامره مزدهره يزرع فيها الكتان و ينسج. و كان يحمی هذه الفرضه قلعه (حصار). و كان زيت المسارج يحمل من رستاقها الی الآفاق .

و فی جنوب سينيز كانت جنّابه (أو جنّابا)، و ما زالت خرائبها تری.

و هی بالقرب من فم النهر الـذی سـماه البلـدانيون العرب الشاذكان. و جنّابه علی ما فی الاصـطخری، شديـده الحر، و خور جنابه «مكـان مخوف لاـ تكـاد تسـلم منه سـفينه عنـد هيجـان البحر». و هی أكبر من مهروبـان و لهـا أسواق عامره و فيها ولـد أبو طاهر القرمطی. و الفرس يعرفونها باسم گنفه أو آب گنده لمائها القذر.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص،

و من أعمالها أربع قرى على سيف البحر مجاوره لها. أما نهر الشاذكان فانه يخرج من ناحيه بازرنك و يسقى سهل الدستقان، ثم يقع في البحر. و غير واضح أي نهر يطابقه في الخارطه الحديثه. على انه و لا شك أحد النهرين الصغيرين اللذين يقعان في خليج فارس قرب جنابه. و يحسن بنا ان نذكر ان هذه الناحيه خاليه من أنهار كبيره، و ان قال المستوفى ان نهر الشاذكان «نهر كبير لا يهون عبوره، طوله تسعه فراسخ» لانه كان يتصوره نهرا على شئ من الكبر .

الفصل التاسع عشر فارس «تابع»

كوره اصطخر و مدينه اصطخر أي برسبوليس- نهر الكر و بلوار- بحيره البختكان و ما حولها من مدن- سهل مرودشت- البيضاء و مايين- كوشك زرد- سرمق و يزدخواست- الطرق الثلاث من شيراز الى اصفهان- أبرقوه- يزد: ناحيتها و مدنها- ناحيه الروذان و مدنها- شهر بابك و هراه.

تشمل كوره اصطخر جميع القسم الشمالي من اقليم فارس. و كانت هذه الكوره في القرون الوسطى، على ما قد بيّنا، تشتمل على يزد و المدن و الرساتيق القريبه منها مما يكون في حد المفازه الكبرى. و مدينه هذه الكوره كانت اصطخر على ما قد سمى به العرب المدينه الساسانيه التي كانت تعرف عند اليونان باسم پرسپوليس.

و تقوم مدينه اصطخر على نهر پلوار، على بضعه أميال فوق اقترانه بنهر الكرّ، و على مسافه يسيره غرب بقايا القصور الاخمينيه العظيمه. و في أيام الفتح الاسلامي كانت اصطخر من أجل مدن فارس الساسانيه، ان لم تكن أجلها، و كان أخذها صلحا بمعاهده. وصفها ابن حوقل في المئه الرابعه (العاشره) فقال:

«سعتها مقدار ميل. و كان في قديم

الایام على اصطخر، سور قد تهدم»،

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۳۱۲

«و قنطره خراسان خارج من المدینه، على بابها»، و لا یعرف لم سمیت هذه القنطره بذلک. و هی قنطره فخمه حسنه، وراءها أبنیه و مساکن تکتنفها البساتین، و فیها کثیر من الرز و الرمان. و لم یزد البلدانیون العرب الآخرون شیئا على ما قاله ابن حوقل، کما ان المصنفین المسلمین لم یذکروا شیئا مفیدا عن القبور و الابنیه الاخمینیه المشهوره التی ینسبونها عاده الى جمشید و الملک سلیمان. و قال المستوفی ان حراب اصطخر (و یصعب أن یعثر الیوم على معالم المدینه الاسلامیه) سببه الفتن الهوجاء التی نشبت فیها، فاضطر أخیرا صمصام الدوله ابن عضد الدوله البویهی الى أن یرسل الیها جیشا بقیاده الامیر قطلمش، فی النصف الأخیر من المئه الرابعه (العاشره)، فکان مصیرها الدمار و الخراب. و تضاءلت اصطخر منذ ذلک الحین و أمست قریه لا یسکنها أکثر من مئه انسان على ما ذکر صاحب فارس نامه فی مطلع المئه السادسه (الثانیه عشره).

و تکلل الجبال التی فی شمال غربی المدینه، ثلاث قلاع، هی: قلعه اصطخریار (صدیق اصطخر)، و قلعه شکسته (القلعه المنکسره)، و قلعه شنکوان. و کان یطلق علیها جمله سی کنبذان (أی القباب الثلاث) و کان یرفع الماء الى أولى هذه القلاع من غور عمیق فی الجبل، أنشئ فیه سد. و عمل عضد الدوله البویهی فی هذه القلعه حیاضا عظیمه ترتفع على عشرین ساریه، یکفی ماؤها ألف رجل اذا ما ضرب الحصار علیها مده سنه. و کان قرب هذه القلاع فوق الجبل، میدان لتدریب الجند، أمر بعمله و انشائه عضد الدوله أیضا .

و نهر پلوار- و سماه البلدانیون العرب

فرواب، و كتبه الفرس بصوره پرواب- يخرج فى شمال أوجان أو ازجان عند قريه فرواب فى الجوبرقان.

فيجرى أولا الى الشرق، ثم يدور الى الجنوب الغربى فوق بازار كدPasargadae عند قبر كورش. و قد سمى المسلمون هذا القبر بمشهد أم سليمان (مشهد مادر سليمان). ثم يخترق النهر غور اصطخر فيمر بهذه المدينه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣١٣

و يدخل سهل مرودشت حيث يسقط فى نهر الكر على مسافه قليله فوق السد العظيم المسمى بند أمير. و مخرج نهر الكرّ فى ناحيه كروان على شئ يسير جنوب أوجان، فهو لا يبعد عن مخرج نهر پلوار، لكنه يتجه فى أوله اتجاها معاكسا له. و يجرى نهر الكر نحو الشمال الغربى، و يدور دوره عظيمه، جاريا تحت قنطره شهريار و هى فى الطريق الصيفى من شيراز الى اصفهان فى ناحيه الأرد.

ثم يتجه الكر جنوبا فيمر قرب قريتى كورد و كلّار، ثم يميل الى الجنوب الشرقى فيستقبل رافدا من شعب بوان (أنظر صفحه ٣٠٠) و يشق ناحيتى رامجرد و كام فيروز. ثم يخترق سهل مرودشت حيث يستقبل فى يساره نهر پلوار و يسقى ناحيتى كربال العليا و كربال السفلى. ثم يمر قرب القريه الكبيره المسماه خرّمه و يقع فى بحيره البختكان بين ناحيه جفور فى الجنوب و ناحيه كاسكان فى يساره.

و قال صاحب فارس نامه و غيره من المصنفين الفرس، ان نهر الكر، يعرف فى أعلاه باسم رود عاصى، لأنه و ان سكر ماؤه بسكر (بند)، الا ان ماءه عصى عن سقى الارض فلم ينتفع به. و أول هذه السدود التى على الكر، يعرف ببند مجرّد. و قد كان هذا السد من الزمن القديم، فلما انهار أعاد

بناءه الاتابک فخر الدوله چاولی، فی مطلع المئه السادسه (الثانیه عشره) و سماه فخرستان نسبه الیه. و کان یعرف بذلک فی زمن حافظ أبرو أیضا. و سکر نهر الکر أسفل اقتران نهر پلوار به، ببند أمیر المشهور أو البند العضدی، و یعرف قسم من هذا السکر أیضا باسم سکر فناخسرو خرّه. و هذه الاسماء کلها منسوبه الی عضد الدوله البویهی الذی أنشأ السکر لیسقی ناحیه کربال العلیا. و قد کان هذا البند من عجائب فارس علی ما ذکر المقدسی، و هو من أهل ذلک الزمن. قال: «قد سکر عضد الدوله النهر بحائط عظیم جعل أساسه بالرصاص، فتبحر الماء حوله و ارتفع فجعل علیه من الجانبین عشره دوالیب و تحت کل دولاب رحا و جرّ الماء فی قنی فأسقی ثلاثمئه قریه، و بنی ثم مدینه» قرب البند و کان یقال للسکر الاسفل علی الکرّ، بند قصّار، و قد أنشئ لیرفع الماء و یسقی ناحیه کربال السفلی.

و کان هذا السد منذ قدیم الزمن، و لکنه انهار فی مطلع المئه السادسه (الثانیه

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۳۱۴

عشره)، فأصلحه الاتابک چاولی المار الذکر الذی رم أیضا بند أمیر .

و بحیره البختکان التی یقع فیها نهر الکر، و ان کان حولها الیوم مفاوز، الا انها کانت فی العصور الوسطی محاطه بقری و مدن ذات رساتیق خصبه. و میاه هذه البحیره تؤلف بحیرتین متصلتین: الجنوبیه منهما کانت تعرف فی العصور الوسطی ببحیره البختکان، و الشمالیه تسمی بحیره الباسفویه أو جوبانان. و ماء هذه البحیره ملح، و صیدها کثیر، و عامه سمک شیراز منها، و فی أطرافها آجام کثیره و منها قصب و بردی. و ناحیه جفوز فی

الطرف الغربى من البحيره، و فيها مـدينه خرمه (و ما زالت الآن قريه ذات شأن) و هى على ۱۴ فرسخا من شيراز فى طريق كرمان المحاذى لشاطئ بحيره البختكان الجنوبى. و ذكر المقدسـى فى المئه الرابعه (العاشـره) ان خرمه لها رسـتاق واسع و بها قلعه فوق رأس جبل، و كانت قلعه حصينه محكمه البناء، على ما قال المستوفى و قد كتب فى العهد المغولى.

و أشار فارس نامه الى حياضها .

و كـان الطرف الجنـوبى الشـرقى مـن بحيره البختكـان، فى كـوره دار أبجرد، و عليه خيره و نيريز، و سـنتكلم عليهمـا فى الفصـل القادم. و بالقرب من طرفها الشرقى، حيث اليوم مفازه معطشه، كانت تقوم فى المئه الرابعه (العاشره) المدينتان الجليلتان: صاهك أو صاهك، الكبرى و الصـغرى. و كتب الفرس هـذا الاسم بصوره چاهك (و معناه حفره صـغيره أو بئر). و يجتمع عنـد صاهك الكبرى طريقان- أولهما يمتـد فى الجانب الشـمالى من بحيره البختكان آتيا من اصـطخر، و الثانى يمتـد بمحاذاه شاطئها الجنوبى آتيـا من شـيراز-، و يخرج منهـا طريق واحـد نحو كرمـان. و وصف المقدسـى صاهك الكبرى فقال انها مـدينه صـغيره و لأهلها «حـذق فى كتـابه المصـاحف». و بـالقرب منها، على ما فى المسـتوفى، معـدن الحديـد. و تكلم فارس نامه على ما يعمل فيها من السيوف الصقيله.

و فى الطريق من صاهک الكبرى الى اصطخر، و على الساحل الشمالى من شطر

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۱۵

بحيره البختكـان المعروف ببحيره الباسـفويه أو جوبانـان، مـدينتان كانتـا على شـأن كـبير فى القرون الوسـطى، و لا ـ أثر لهمـا فى الخارطه الآن. اقصاهما شرقا على سته أو ثمانيه فراسخ من صاهک الكبرى، هى مدينه البدبحان، و تعرف بقريه

الآس.

و سماها المستوفى بالفارسيه «ديه مورد». و يكثر فى رستاقها القمح و الآس، فعرفت المدينه به. و فى غرب قريه الآس، على سته أو سبعه فراسخ فوقها فى طريق اصطخر، قريه عبد الرحمن و يقال لها أيضا أباده، و هى مدينه فى ناحيه برم. و فى هذه المدينه بيوت و قصور حسنه. و حكى القزوينى ان آبارها: «عمقها قامات كثيره، جافه القعر عامه السنه. حتى اذا كان الوقت المعلوم عندهم فى السنه، نبع ماء يرتفع على وجه الارض. و يجرى و ينتفع به فى سقى الزروع ثم يغور». و كان لأباده فى أيام السلاجقه قلعه حصينه فيها آلات الحرب و بها حياض عظيمه للماء .

أما سهل مرودشت الرحب، فتخترقه أسافل نهر الكر بعد أن يستقبل مياه پلوار. و تشرف على هذا السهل من الشمال اصطخر و قلاعها الثلاث، و كان السهل ينقسم بين عده نواح. فبالقرب من الطرف الغربى لبحيره البختكان، ناحيتا كربال السفلى و كربال العليا، و أعلى من ذلك، على نهر الكر، ناحيتا حفرك و قالى. و على ضفاف نهر پلوار مراعى ناحيه قالى. و كانت فى ناحيه حفرك (و جاء اسمها بصوره: حبرك فى مخطوطات أقدم) القلعه العظيمه خوار، قرب قريه تعرف بهذا الاسم. و قد ذكر الاصطخرى هذا الموضع، كما ذكره فارس نامه غير مره و قال انه فى نصف الطريق بين السكر العضدى على الكر و أباده على بحيره البختكان، فهو على عشره فراسخ من كل منهما. و قد أشار ياقوت الى خوار أيضا مرتين، و لكنه لم يعرف موضعها على ما يظهر. و ماؤها من الآبار، و كانت قلعتها محكمه حصينه، أما سهل مرودشت فقد كان مشهورا بكثره قمحه،

و سقيه من السكور التى على الكر. و ذكر فارس نامه انه اشتق اسمه من قريه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۱۶

مرو التى كانت بالأصل حيا من أحياء مدينه اصطخر حيث قامت بعدئذ بستان جمشيد أسفل من الاطلال الاخمينيه .

و فوق مرودشت تقع ناحيه كام فيروز، و معظمها على يمين نهر الكر، و كانت قصبتها و هى كذلك اليوم، مدينه البيضاء. و اسم البيضاء عربى النجار. و هذا الاسم من الاسماء العربيه النادره التى اتخذها الفرس (الا انهم لفظوا الاسم بيزا) و ظلوا على الأخذ به الى وقتنا هذا، و انما سميت هذه المدينه البيضاء «لان لها قلعه بيضاء تبص من بعد». و زاد ابن حوقل على قوله هذا ان «اسمها بالفارسيه نساتک» و معناه على ما ذكر ياقوت دار اسفيد أى القصر الابيض، «و كانت هذه المدينه معسكرا للمسلمين يقصدونها فى فتح اصطخر». و كانت البيضاء نحوا من اصطخر كبرا على ما كانت عليه هذه الاخيره فى المئه الرابعه (العاشره). و أشار اليها المقدسى فقال «البيضاء ظريفه طيبه، بها جامع حسن و مشهد يقصد». و حولها مراع مشهوره، و كانت المدينه، و هى فى وسط حقول القمح الخضر، تبرز ببياضها اللامع. و فى ناحيه كام فيروز عده قرى، سرد الاصطخرى أسماءها، و فى أيامه كان فى غابات البلوط بالقرب منها، أسود مفترسه تخشاها قطعان الماشيه التى ترعى فى مراعيها.

و كان الى شمال كام فيروز و شرقها، ناحيه رامجرد، و قصبتها مدينه مايين.

و فى نصف الطريق بينها و بين شيراز، مدينه يقال لها هزار، أو أزار سابور، و تسمى أيضا نيسابور. و كثيرا ما تردد ذكرها فى المئه الرابعه (العاشره).

قال المقدسى فيها:

«صغيره لها رستاق واسع، شربهم من قنى». و هى أول مرحله يريد فى الطريق الذاهب من شيراز الى مايين، و فى الطريق الصيفى أى الجبلى من شيراز الى اصفهان. و كانت مايين قصبه رامجرد، وصفها المقدسى بقوله:

«عامره كثيره الفواكه». و قال المستوفى ان دخلها فى أيام الدوله المغوليه ۵۲۵۰۰ دينار ايلخانى (نحو ۱۷۵۰۰ باون). و كان فى هذه المدينه مشهد

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۱۷

مشهور للشيخ گل أندام. و عند حافه الدرب، فى الطريق الذاهب شمالا، مشهد اسماعيل ابن الامام السابع موسى الكاظم. و كانت ناحيه رامجرد كثيره الغلات وافره الخيرات لوفره أنهار السقى فيها الآخذه من فوق السكر الذى على الكر عند بند مجرد. و هو الذى كان الاتابك چاولى قد أصلحه و عمّره، على ما بيّنا، و فى رامجرد أيضا قلعه يقال لها سعيد آباد، «و هى على جبل شاهق يرتقى اليها فرسخا. و كانت فى الشرك [أى فى زمن قبل الاسلام] تعرف بقلعه اسفيد باذ (أى الموضع الأبيض)». و بها امتنع غير مره رؤساء الفتن على جيوش بنى أميه التى جردوها عليهم لتأديبهم. ثم استولى عليها فى ختام المئه الثالثه (التاسعه) يعقوب بن الليث الصفار، و أعاد بناءها و أحكم حصونها «و جعلها محبسا لمن سخط عليه». و لعل فى قراءه اسفيد باذ و هما، فانه يكتب أحيانا بصوره اسفنديار، و هذا يطابق، على ما يظهر، اسم اسفيدان فى فارس نامه و المستوفى، و قد كانت بقربه قريه قمستان و كهف فى الجبل المجاور لها .

و على مقربه من يسار نهر الكر، غير بعيد عن مايين، تقوم مدينه و قلعه أبرج (و غالبا ما تكتب خطأ بصوره ايرج).

و قد ذكرها الاصطخرى فى ضمن هذه الكوره. و ما زال موضعها ظاهرا فى الخارطه. و فى فارس نامه و المستوفى ان أبرج قريه كبيره، فى أسفل جبل قامت بعض بيوتها على منحدره.

اما قلعتها دز أبرج، فبعضها ما أحكم تحصينه بالبناء و بعضها ما حصّنته جروف و أسنان قمه الجبل الذى تقوم عليه، فكانت منيعه لا تقتحم. و كان لها بساتين، و مياهها زاخره وافره. و ذكر المستوفى مدينه أوجان أو أزجان، و هى على مرحله شمال مايين، الا انه لم يفدنا بأخبار عنها. و لعل أوجان توافق الموضع الذى سماه قدامه حوسكان (أو حوسجان) حيث طبع الاسم خطأ بصوره خوسكان

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣١٨

كما انه صحّف أيضا فى طبعه المقدسى فجاء فيها بصوره حرسكان .

و أعدل الطرق الذاهبه من شيراز الى أصفهان، هو الطريق المتجه نحو مايين و منها الى كوشك زرد مارا بديه گردو و يزدخواست الى قومشه على حدّ اقليم فارس. و من مايين يصعد الطريق فى الدرب الى الشمال فيعبر نهر الكر عند قنطره شهريار، و بالقرب منها كانت مسلحه صلاح الدين فى سهل يقال له دشت رون أو دشت روم. و يليها شمالا، على ما فى المستوفى، درب الأم و بنت (گريوه مادر، و دختر). ثم كوشك زرد (الجوسق الأصغر) و لعله يوافق قصر أعين عند الاصطخرى و المقدسى. و كانت سهول دشت روان الكبرى و الصغرى مشهوره بمراعيها. و أرضها الزراعيه وافره الخصب، و تؤتى أربع غلات فى السنه، و يسقيها نهر الكر و روافده. و أول ذكر لكوشك زرد جاء فى فارس نامه، حيث ورد فى الغالب بصوره كوشك زرد أى الجوسق الذهبى. و

الى الشمال أيضا، بين كوشك زرد و ديه گردو، تمتد أرض أوفر خصبا و أعم مرتعا تعرف بناحيه ارد أو أورد، و أهم مدينتين فيها، على ما فى الاصطخرى، بجه و تيمرستان (و جاءت فى فارس نامه بصوره طيمرجان). و أشار المستوفى الى ديه گردو.

و جاء فى فارس نامه بصوره ديه گوز (بدل جوز) و هما يدلان على اسم قريه معناه قريه الجوز. و لم يذكر البلدانيون العرب القدماء هذا الاسم (و هو فارسى بحسب الصور التى أوردناها له أعلاه)، و لكن يتبين من موضعه فى المسالك، ان ديه گردو الحاليه تقابل اصطخران عند قدامه و الاصطخرى.

و تقوم على حدود سهل دشت أرد الشرقيه اقليد و سرمق و قريه أباده، ثم شورستان و قريه سروستان فى منتصف الطريق بين ديه گردو و يزدخواست.

و كان لاقليد قلعه حسنه، على ما جاء فى فارس نامه. و كانت مثل سرمق،

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣١٩

مشهوره بحقول القمح. و قد كتب المقدسى اسم سرمق بصوره جرمق. و قال فيها حسنه البناء «أخصب هذه المدن و أكثرها أشجارا». و يكثر فيها الأجاص الاصفر، فيجفف و يحمل منها الى سائر البلدان. و قريه أباده، مرحله فى طريق البريد الحالى من شيراز الى اصفهان، و أول من ذكرها فارس نامه، ثم المستوفى. و كذلك يقال عن شورستان و هى على نهر ملح يجرى شرقا الى المفازه.

أما قريه سروستان فقد قال فيها المقدسى، فى المئه الرابعه (العاشره): «الجامع وسط البلد، و قنيهم ظاهره» تحمل ماءها من الجبال المجاوره. أما يزد خواست، المدينه التى فى شمال سروستان، فأول من ذكرها فارس نامه، و لكن لا ريب فى انها هى التى نحت المقدسى اسمها فجعله أزكاس. و أورد المستوفى

يزد خواست مع ديه گردو و لكنه لم يصفها. و غالبا ما يكتب اسمها بصوره يزدخاس .

أما قومشه، و قد سماها المقدسى قومسه، فانها على ما بيّنا، فى حد اقليم فارس الشمالى. و كانت فى الغالب تعد من أعمال اصفهان. و قد أشار المستوفى الى قلعه قولنجان المبنيه بالطين التى كانت تحميها، و ذكر انه كان لهذه القلعه رساتيق خصبه. و الى غرب يزدخواست، تقوم مدينه سميرم قرب منابع نهر طاب.

و يشقها الطريق الغربى من شيراز الى اصفهان. قال المقدسى فيها «بها جامع حسن محدث ناء عن الاسواق، كثيره الجوز و الفواكه. و ثم قلعه مذكوره، فيها عين ماء». و ذكر ياقوت ان اسم هذه القلعه كان و هان زاد. و الطريق الغربى الآتى من شيراز الى اصفهان، يشقّ مدينه البيضاء فى سهل مرودشت، ثم يتابع سيره الى مهرجاناواذ (أو مهرجاناباد). و قد وصفها المقدسى بقوله: «لها رستاق واسع، شربهم من أنهار». و الظاهر انها كانت على ضفاف الكرّ، أو على أحد روافده الغربيه. و بين هذه المدينه و سميرم، لم يكن من المدن المهمه غير كورد و كلّار (على نهر الكر، حسبما بيّنا)، و هما مدينتان متجاورتان على ما قال المقدسى و المستوفى، تشتهران بكثره القمح و ثمار بلاد الصرود. و أشار

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۲۰

الاصطخرى الى حسن بنائها و قصورها. و الظاهر انه لا أثر اليوم لهذين الموضعين .

و أقصر الطرق الثلاثه من شيراز الى اصفهان، هو الطريق الذى وصفناه آنفا، المارّ بمايين و سهل دشت رون، و هو الذى سماه فارس نامه بالطريق الشتوى. اما الطريق الصيفى، فقد كان أطول الطرق الثلاثه و أقصاها شرقا.

و كان يمرّ باصطخر مخترقا

كمين و محاذيـا قـبر كورش الى ديه بيـد، حيث يتفرع من يمينه طريق الى يزد. و يواصـل طريق اصـفهان سـيره الى الغرب، مـارا بسـرمق و قريـه اباده الى يزد خـواست و قـومشه. و كميـن و هى غير بعيـده عـن ضـفه نهر پلـوار الشـرقيه، كـانت، على مـا ذكر المسـتوفى، مدينه كبيره الشأن فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) تقوم فى رستاق خصب كثير القمح. و لها مراع واسعه بامتداد النهر. و فى أعلى ذلك، عند منحنى نهر پلوار، بازاركدPasargadae و قبر كورش، و قال المسلمون انه قبر أم سليمان على ما سبق بيـانه، و هـذا الضـريح الملكى المربع الجوانب، المبنى بـالحجر، مـا زال يرى هنـاك، و يقال ان طلسـما يحرسه. و كل من حاول السـكنى داخل جـدرانه باغته العمى على ما جاء فى فارس نامه. و كان يقال لما حوله من مراع، مرغزار كالان. أما ديه بيـد «قريه الصـفصاف» فانها المرحله التاليه فى شـماله، حيث يتشـعب الطريق. و هى التى ذكرها المقدسى و غيره من البلدانيين العرب باسم قريه البيذ. و الى شمالها أيضا، فى نحو من نصف الطريق بين اصطخر و يزد، تقوم مدينه أبرقوه.

و أبرقوه، أو أبرقويه،- و تختصـر أحيانا الى برقوه- قـد قال فيها ابن حوقل، انها مدينه محصـنه «تكون نحو الثلث من اصـطخر»، و لها أسواق عامره. و ذكر المقدسى ان لها جامعا جيدا. و قال المستوفى، ان أهلها من الصنّاع

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٢١

و تغـلّ رساتيقهـا كثيرا من القمـح و القطن، و زاد على مـا تقـدم ان لجوّها مزيه خاصه هى ان اليهودى لا يبقى فيها حيا اذا جاوز مكثه فيها أربعين يوما؛ و من ثم لا تجد

فی أبرقوه یهودیا. و وصف المستوفی قبرا فی المدینه نفسها لولی مشهور یسمی طاووس الحرمین (مکه و المدینه). و من الامور الشائعه عن هذا القبر، انه لشده تواضع صاحبه، یأبی القبر ان یرتفع فوقه سقف و مع ان کثیرین أقاموا سقفا فوق القبر مرارا الا انه تهدم بقدره خارقه علی ما ذکر المستوفی، حتی لا یکون من عظام الولیّ ما یتعبد الناس له. و کان بالقرب من أبرقوه قریه مراغه (أو فراغه) و فیها أشجار السرو العظیمه المشهوره فی سائر البلدان بأنها أکبر و أحسن حتی مما فی بلخ أو کشمر فی قهستان .

أما یزد، فقد کانت تعرف فی قدیم الزمان باسم کثه. و قد انتقل هذا الاسم حین غلب اسم یزد علی المدینه الی ناحیتها، فقیل لها حومه یزد أو جومه یزد.

و وصف ابن حوقل فی المئه الرابعه (العاشره) مدینه یزد بقوله «الغالب علی أبنیتها آزاج الطین، و بها مدینه محصنه بحصن، و للحصن بابان من حدید، و یسمی أحدها باب ایزد و الآخر باب المسجد لقربه من الجامع، و جامعها فی الربض» و لها نهر یخرج من ناحیه الجبل الذی علیه القلعه، و رستاقها یشتمل علی رخص، و هی علی طرف المفازه، و ثمارها کثیره تحمل الی أصبهان. و بالقرب منها «معدن الآنک» . و تکلم القزوینی و غیره علی حریرها بقوله: «بها صنّاع الحریر السندس فی غایه الحسن و الصفاقه، یحمل منها الی سائر البلاد». و زاد المستوفی علی ذلک ان بنیان المدینه من اللبن، و هو یدوم هنا دوام الآجر فی سائر البلاد، اذ یندر أن یهطل المطر فیها، غیر ان میاهها وافره، من القنی الآتیه

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس

من الجبل. و فى كل بيت حوض للماء.

و على مرحله من شمال يزد، أنجيره «قريه التين». ثم فى المرحله الثانيه خزانه (و قد طبعت و هما: خرانه) و هى قريه كبيره. «بها زرع و ضرع و بساتين و كروم». و عليها قلعه فوق جبل قريب منها. و فى المرحله الثالثه، على حدّ المفازه، ساغند. و ساغند، على ما ذكر ابن حوقل، «قريه فيها نحو اربعمئه انسان، و عليها حصن. لها عين ماء جار يزرع عليها، و عليها قنى و بساتين عامره». أما المدن الثلاث: ميبد و عقده و نايين، فانها فى شمال غربى يزد، تلى احداها الاخرى على حدّ المفازه. و هى تعد فى الغالب من أعمال يزد، و ان ألحق بعض المصنفين مدينه نايين باصفهان. و كان على نايين قلعه، و محيط أسوارها ۴۰۰۰ خطوه، على ما ذكر المستوفى. على ان مراجعنا لم تصف هذه المواضع، بل اقتصرت على ذكر اسمائها .

و على نحو من ۷۵ ميلا جنوب يزد، فى نصف الطريق بين هذه المدينه و شهر بابك، مدينه أنار. و تبعد عنها بهرام أباد ستين ميلا باتجاه الجنوب الشرقى. و كلتا هاتين المدينتين معدوده اليوم من أعمال اقليم كرمان. غير ان هذه الناحيه جميعها كانت فى القرون الوسطى تؤلف قسما من اقليم فارس، و كان يقال لها الروذان. و المدن الثلاث المهمه فى هذه الناحيه هى: أبان (اليوم: أنار) و أذكان و أناس (بالقرب من بهرام اباد) .

أما أناس قصبه الناحيه فهى على ما ذكر الاصطخرى نحو من أبرقوه فى الكبر.

و تكلم المقدسى على جامعها، فقال: «بها جامع لطيف حسن يصعد

اليه بدرج».

و قال ان بها حمامات و بساتين حسنه «و ليس بها ربض، و قد أحاطت بها الرمال».

و حصن أناس منيع بثمانيه أبواب، سرد المقدسى اسماءها، فانه زار هذا الموضع.

و «هى معدن القصارين و الحاكه». و يقال ان ناحيه الروذان كانت نيفا و ستين فرسخا مربعا و كانت فى أول أمرها، كما هى اليوم، من أعمال كرمان. الا انها فى المئه الرابعه (العاشره) أضيفت الى فارس. و قد دام هذا التنظيم على ما فى فارس نامه الى أيام ألب أرسلان السلجوقى الذى بعد أن تمّ له الاستيلاء على هذه الديار فى منتصف المئه الخامسه (الحاديه عشره)، أعاد الحاق الروذان نهائيا بكرمان .

و بين الروذان و شهر بابک، المدينه الصغيره ديه اشتران، و هى بالعربيه قريه الجمال. و ذكر المقدسى: «لها جامع به مناره طويله، و النهر تحت البلد، و حولها بساتين حسنه». أما شهر بابک فمعناها مدينه بابک أو پاپک، و هو أبو أردشير أول ملوك الساسانيين. و كانت تعد فى اقليم كرمان. و ما زال هذا الموضع قائما، و ذكره الاصطخرى و المقدسى و غيرهما، الا انهم لم يأتوا بوصف له.

و قد عدها المستوفى من كرمان، و قال يكثر فيها القمح و القطن و التمر. و على مرحلتين من غرب شهر بابک، فى الطريق الى اصطخر، المدينه الصغيره هراه التى جمع صاحب فارس نامه بينها و بين صاهک (و قد مرّ ذكرها فى صفحه ۳۱۴). قال الاصطخرى فيها ان هراه كانت فى المئه الرابعه (العاشره) أكبر من أبرقوه. و يحمل منها، على ما فى المقدسى، سائر الفواكه لا سيما التفاح و الزيتون. و لها أسواق عامره، و فيها جامع حوله طرق. و لها نهر

كبير يتخلل بساتينها. و لمدينه هراه باب واحد. و ذكر المقدسى ان «فرعا» مدينه صغيره بقرب هراه. و ذكر القزوينى، و قد كتب فى المئه السابعه (الثالثه عشره) ان فى

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٢۴

هراه تكثر أشجار الغبيراء، و قال: «قالوا ان نساءها يغتلمن اذا أزهرت أشجار الغبيراء». و الى جنوب شرقى صاهك، على حد كوره دار أبجرد، مدينه قطره، و هى ما زالت على شئ من المكانه. و فيها، على ما ذكر فارس نامه و المستوفى (و قد كتب اسمها بصوره گدرو)، معدن الحديد الجيد .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٢۵

الفصل العشرون فارس «تتمه»

كوره دار أبجرد أو كوره شبانكاره- مدينه دار ابجرد- دركان و ايك- نيريز و اصطهبانات- فسا و رونيز و خسو- لار و فرج- طارم- سورو- تجارات فارس و صناعاتها.

مسالك اقليم فارس.

كانت كوره دار أبجرد، أبعد كور فارس الخمس الى الشرق. و هى تكاد تطابق ولايه شبانكاره التى سلخت من فارس أيام السياده المغوليه و تألف منها حكومه قائمه بنفسها. و قد كانت شبانكاره، على ما ذكر صاحب فارس نامه، (و هو على كل حال لم يطلق هذا الاسم على كوره دار أبجرد)، قبيله انحدرت من فضلويه و هى أسره ديلميه الاصل، كان أبناؤها على مذهب الاسماعيليه من فرق الشيعه. و فى أيام السلاجقه، تغلبت قبيله شبانكاره و الاكراد على الاتابك جاولى. و بعد انهيار الدوله السلجوقيه، استولت قبيله شبانكاره على القسم الشرقى من اقليم فارس، فنسب اليهم. و قد ذكر ماركوپولو ولايه شبانكاره تحت اسم سنكاره(Soncara) فقال انها سابعه الممالك الثمان حسب تقسيمه لبلاد فارس و مهما يكن من أمر، فقد بطل هذا الاسم أيضا.

و هى تعرف اليوم باسم دار أبجرد .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۲۶

و قد كانت قصبه هذه الكوره أيام الخلافه، مدينه دار أبجرد، أو دار أبگرد. وصفها الاصطخرى بقوله «عليها سور عامر، و عليها خندق، و لها أربعه أبواب، و فى وسط المدينه جبل حجاره». و قال المقدسى «و المدينه دورها فرسخ مكسر، ذات بساتين و نخيل، حسنه الاسواق، و لهم آبار وقنى» و كان بالقرب من دار أبجرد قبه المومياء المشهوره و على هذه القبه باب حديد يفتح مره فى السنه و يدخله عامل السلطان فيجمع ما نزّ فى تلك السنه من المومياء، ثم يجعل فى صندوق و يختم عليه و يبعث به الى شيراز ليستعمله الملوك . و فى مطلع المئه السادسه (الثانيه عشره) حلّ الخراب فى أكثر مدينه دار أبجرد، على ما فى فارس نامه. و ان بقى فى وسطها حصن منيع. و كانت حولها مراع مشهوره تعرف بمر غزار دار ابجرد. و بناحيه دار أبجرد جبال من الملح بسبعه ألوان يؤخذ منها الملح . و ذكر المستوفى انه كان قريبا من دار ابجرد درب منيع حصين عليه قلعه عظيمه يقال لها تنك زينه .

و حين حكم الشبانكاره دار ابجرد، نقلوا قصبه الولايه الى داركان (أو زركان) و فى شمالها كانت تقوم قلعه ايگ (أو أويگ). أما البلدانيون العرب فانهم ذكروا هذين الموضعين فى المئه الرابعه (العاشره) و سموها الداركان أو الداراكان وايج. و قال الاصطخرى كان فى كل منهما منبر. أما المستوفى

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۲۷

فقد كتب الاسم بصوره زركان و سمى القلعه بقلعه أويگ، و قال ان هذه الناحيه كانت وافره

الخصب، يكثر فيها القطن و القمح و التمر و غير ذلك من الفواكه.

و ذكر أيضا أن قبيله خسويه كانت أول من أحكم تحصين قلعه أويک فی أيام السلاجقه. و زاد ياقوت عليه، ان فواكهها كانت تجلب منها الی جزيره كيش (أی قيس).

و الی شمال شرقی ايج، مدينه و ناحيه نيريز (أو نيريز)، و هی فی الطرف الشرقی من بحيره البختكان، و قد سری اسم المدينه حينا علی البحيره. و قال المقدسی ان «نيريز كبيره، الجامع الی جانب السوق» و ما زالت تری أطلال هذا الجامع عليه مكتوب سنه ۳۴۰ (۹۵۱). و عند ساحل البحيره مدينه خير (و جاءت أيضا بصوره خيار و الخيره)، و قد ورد ذكرها من المئه الرابعه (العاشره) فما بعدها بأنها مرحله فی الطريق المحاذی لجانب بحيره البختكان الجنوبی، الذاهب من شيراز الی كرمان. و أطلق المستوفی و فارس نامه علی الناحيه التی حول خيره اسم ميشكانات، و كانت مشهوره بالكشمش، و كان علی كل من نيريز و خيره قلعه حصينه .

و فی نصف الطريق بين خيره و ايگ، مدينه اصطهبانات، و قد كتب البلدانيون العرب هذا الاسم أيضا بصوره الاصطهبانان و أحيانا الاصبهانات، فاختصره الفرس الی اصطهبان. وصف المستوفی هذه المدينه بأن الاشجار تلتف عليها، و بجوارها قلعه حصينه خرّبها الاتابک چاولی، ثم أمر بعد ذلک بتجديدها.

و فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) استولت قبيله خسويه علی القلعه.

اما مدينه فسا، و يلفظها الفرس پسا، فقد كانت فی المئه الرابعه (العاشره) ثانيه المدن فی كوره دار أبجرد و تقارب شيراز فی الكبر. كانت حسنه البناء، و أكثر الخشب فی أبنيتهم السرو، صحيحه الهواء، أسواقها عامره عليها حصن و خندق، و لها ربض واسع

يمتد خارج أبواب المدينه و فيها الرطب و الجوز و الأترج

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٢٨

و غير ذلک. و قال المقدسی: «الجامع فيها من آجر، له صحنان، على عمل جامع مدينه السلام». و قال صاحب فارس نامه ان فسا تقارب اصفهان فی الکبر.

خرّبتها قبيله شبانكاره ثم أعاد بناءها الاتابک چاولی. و زاد المستوفی على ذلک، ان المدينه كانت تسمى قديما ساسان، و كانت مبنيه بهيئه مثلث. مياهها وافره تحمل اليها بقنی و ليس فيها آبار. و كانت شق ميسكاهان و شق رودبال (رودبار) من أعمالها. و بالقرب منها قلعه خوادان المنيعه، فيها حياض عظيمه للماء .

و مدينه كرم، على بضعه أميال شمال فسا فی الطريق الى سروستان، على ما وصفت به فی كتب المسالک. و كانت ناحيتها و ناحيه رونيز (أو روبنز) من أعمال فسا، على ما جاء فی فارس نامه. و تؤلف الاخيره قسما من ناحيه خسو التی ذكر المقدسی انها على مرحله جنوب غربی دار ابجرد فی الطريق الى جويم أبی أحمد (أنظر الصفحه ٢٩٠ أعلاه). و قد أورد البلدانيون الاقدمون هذا الاسم بصوره رونيج (أو روبنج). و لعل هذه المدينه تطابق خسو (أو كسو) الحاليه. و قال المستوفی فی كرم و رونيز انهما مدينتان هواؤهما حار كثيرتا الماء.

و على ما ذكر المقدسی، كانت ناحيه خسو (أو خشو) توغل نحو الشرق لأنها كانت تشتمل، الى رونيج، على مدن رستاق الرستاق و فرج و طارم. و عد المستوفی خسو من أعمال دار أبجرد .

و الى الجنوب من رونيز، المدينه الصغيره يزد خواست، و قد ذكر المقدسی و ياقوت أنها من كوره دار ابجرد. و الى جنوب هذه المدينه، مدينه لار.

و

لم يذكر أحد من البلدانيين العرب القدماء لار، كما لم ترد فی فارس

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۲۹

نامه، الذی يرقى الى مطلع المئه السادسه (الثانيه عشره). و أول من تكلم على لار من المصنفين، المستوفی فی النصف الأول من المئه الثامنه (الرابعه عشره) قال ان لار اسم ولايه على البحر، أغلب أهلها من التجار الذين يجوبون البحر كثيرا. و كان ينمو فيها القمح و القطن و التمر. و قد زار ابن بطوطه معاصره مدينه لار فی نحو سنه ۷۳۰ (۱۳۳۰) و وصفها بقوله: «مدينه كبيره كثيره العيون و المياه المطرده و البساتين، و لها أسواق حسان». و صارت لار فی أيام شاه شجاع المظفری فی ختام المئه الثامنه (الرابعه عشره) ثم فی أيام الامراء التيموريين، مدينه لضرب النقود، و هذا يدلنا على انها كانت حينذاك موضعا على شئ غير قليل من الكبر و الشأن.

أما فرك، و هی على ثلاث مراحل من جنوب شرقی دار ابجرد، فانها ما زالت من المدن الكبيره. ذكر المقدسی، و قد كتبها بصوره فرج، ان بجانبها مدينه برك. و يظهر ان هذين الاسمين لم يأتيا الا من اختلاف قراءه اسميهما الفارسيين الاولين. و مدينه برك «فی هوده على فرسخين من الجبل، و الجامع على جانب السوق، حسن نظيف». أما جارتها فرج فقد كان لها قلعه على تل، و كانت فی المئه الرابعه (العاشره) مدينه غير كبيره «الا ان بها جامعا و حماما»، و الماء فيهما كثير.

و من الطبيعی ان يقع اللبس فی اسمی هاتين المدينتين فيطلق اسم احداهما على الاخرى. و كتب فارس نامه هذا الاسم بصوره پرك و قال انه كان للمدينه قلعه مكينه لا تقتحم

مبنیه بحجاره غایه فی الکبر. و زاد المستوفی علی ذلک انه کان یکثر فی برک (علی ما کتب الاسم) القمح و التمر. أما رستاق الرستاق، فقد وصفها المقدسی بقوله «صغیره لیس لسوقها ذاک الکبر، الا ان رستاقها أربعه فراسخ فی مثله» و هی علی مرحله شمال غربی فرج فی الطریق الی دار ابجرد .

و مدینه تارم، و تلفظ أیضا طارم، علی اسم ناحیه فی اقلیم الجبال (أنظر الصفحه ۲۶۰ أعلاه)، علی مرحلتین شرق فرگ فی الطریق الی ساحل البحر.

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۳۳۰

أشار المقدسی الیها فقال: «تارم: جامعهم ناء عن السوق، و شربهم من شعبه نهر یدخل علیهم، لهم بساتین و نخیل، و بها عسل کثیر». و علی ما فی فارس نامه، کانت تارم تقارب فرج فی الکبر لها قلعه قویه فیها حیاض للماء کثیره. و کان طریق القوافل یخرج من طارم آخذا صوب الجنوب الی الساحل حیث میناء سورو أو شهرو مقابل جزیره هرمز. و قد سمی المستوفی هذا المیناء بتوسر، الا ان قراءته غیر مضبوطه. و تکلم البلدانیون العرب علی سورو، فقالوا انها قریه «بها صیادون، و لیس بها منبر». و شرب أهلها من آبار حفرت فی جبل قریب منها . و زاد المقدسی علی ذلک ان سورو «قد بدت تعمر لان حمولات عمان الیها» و قال هی مدینه «بحریه صغیره علی رأس حد کرمان» .

أما تجارات و صناعات اقلیم فارس فقد عنی بوصفها فی المئه الرابعه (العاشره) الاصطخری و المقدسی. ففی هذا الزمن کانت مدینه سیراف أجل فرضه فی فارس علی ساحل الخلیج، علی ما قد بیّنا. فالیها کانت تقع أمتعه البحر و ما یجلب من الهند

من الاشياء النادره و الثمينه التى كان يقال لها بالعربيه بربهار. و سرد الاصطخرى ما يرد الى سيراف، بقوله: «يقع اليها من أمتعه البحر من العود و العنبر و الكافور و الجواهر و الخيزران و العاج و الآبنوس و الفلفل و الصندل و سائر الطيب و الادويه و التوابل» التى تحمل من الهند. و يرتفع من سيراف الفوط و أزر الكتان، و كانت سوقا كبيره للؤلؤ.

و قد ذاع صيت فارس فى كل زمان بما يعمل فيها من العطور و ماء الورد بشتى صنوفه، و لا سيما المعمول من الورد الاحمر و هو يكثر فى رساتيق جور أو فيروزآباد. و كان ماء الورد، على ما ذكر ابن حوقل، يحمل الى سائر البلدان لا سيما الى الهند و الصين و خراسان و المغرب و الشام و مصر. و يرتفع من جور أيضا، الى ماء الورد، ماء الطلع و ماء القيصوم و ماء الزعفران و ماء السوسن و ماء الخلاف. و يعمل بسابور، على ما جاء فى المقدسى، عشره أدهان: «دهن بنفسج

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٣١

و نينوفر و نرجس و كارده و سوسن و زنبق و مرسين و مرزنجوس و بادرنك و نارنج» و تحمل هذه الادهان الى سائر آفاق المشرق.

و كانت لبسط فارس و ثيابها الموشاه شهره بعيده فى كل العصور. و فى الشرق حيث كانت الثياب تدل على منزله الشخص و علو مقامه، كان للسلطان فى كل بلد من فارس طراز يوشى فيه اسمه و طغراؤه. و كانت أشهر هذه الطرز ترتفع من توّج، و كان يرتفع كذلك من فسا أنواع من الثياب بها طراز الوشى مذهبا، منه ما كان أزرق

کلون الطاووس و أخضر، يعمل ذلك كله للسلطان.

أما تجارات فارس الاخرى، فيحسن أن نصنفها بحسب المدن التى تعمل فيها. فمن شيراز يرتفع «الاكسيه البرّ كانات و المنيرّات و الأبراد الجياد، و يعمل بها خز و ديباج و قصب و حلل». و يرتفع من جهرم «البسط و النخاخ و الستور و المصليات» هذا الى الادهان التى ترتفع منها على ما ذكرنا. و يرتفع من سابور الادهان من كل جنس و قصب السكر و الاترج و الجوز و الزيت و الفواكه و الصفصاف. و يرتفع من كازرون و دريز ثياب كتان و ثياب القصب على عمل الدبيقى المصرى، و المناديل المخمله. و من الغندجان، قصبه دشت بارين، البسط و الستور و المقاعد، و بها طراز للسلطان. و يرتفع من أرّجان الدوشاب يعمل من الزبيب و يقال له أيضا الدبس. و يرتفع منها أيضا «الصابون و الفوط و ثياب الكندكيه».

و كان يحمل الى أرّجان ما يقال له البربهار. و يحمل من فرضه مهربان «الاسماك و التمور و القرب الجياد» و من سينيز «ثياب تشاكل القصب». و يرتفع منها أيضا الكتان و كذلك من جنّابه.

و يرتفع من اصطخر الازر . و من الروذان ثياب جياد و الشمشكات (نوع من الخفاف) و القرب. و يحمل منها التوابل. و من يزد و أبرقوه ثياب القطن.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-کورکیس عواد، النص، ص: ۳۳۲

و يرتفع من دار أبجرد «كل شئ نفيس من الثياب المرتفعه و الوسط و الدون و ما يشاكل الطبرستانى و البسط الجيده و الحصر». و يحمل منها دهن الرازقى و الطيوب و البزر الكثير. و يحمل من أرّجان و دار أبجرد المومياء على ما قد بيّنا.

و قال الاصطخرى

«و بدار ابجرد سمک بالخندق الذی یحیط بالبلد، لا شوک فیه و لا عظم و لا فقار، و هو من ألذ السموک». و یرتفع من فرج «الثیاب و البسط و الستور و الدبس الجید و البزر و الکتان». و من طارم «الدوشاب و القرب و الدلاء الحسان». و یرتفع من فسا ثیاب الشعر و القز و البسط و الزلالی و الفوط و المنادیل و الستور المذهبه المعلمه و بزر الهان و العصفر و الفروش و الخرکاهات .

و أخیرا، بفارس، علی ما ذکر ابن حوقل، الفضه فی نائین و الحدید و الزئبق فی جبال اصطخر، و کذلک فی نواح مختلفه من فارس معدن الآنک و الصفر و الکبریت و النفط. و لیس بها ذهب . و بفارس أصباغ من مختلف الانواع، فکثر فیها الصبّاغون و عملهم صبغ الثیاب .

أما الطرق فی فارس، فقد أسهبت فی وصفها جمله کبیره من المراجع العربیه و الفارسیه، و ذکرت مسافات هذه المسالک بالفراسخ بوجه عام. علی ان ما یؤسف علیه، ان الیعقوبی، و هو من أجل مراجعنا فی المسالک، یفتقر کل الافتقار الی ما یتعلق بفارس منها. و لم یوفر لنا ابن رسته کثیرا فی هذا الباب. و أول الواصفین لهذه المسالک، ابن خرداذبه و قدامه فی المئه الثالثه (التاسعه)، ثم الاصطخری و المقدسی فی المئه الرابعه (العاشره). و فی مطلع المئه السادسه عنی مؤلف فارس نامه الفارسی بذکر مسالک فارس عنایه فائقه، فلم یترک منها شارده و لا وارده. فلهذا الکتاب قیمه جلیله الشأن فی جغرافیه اقلیم فارس خلال تلک الحقبه، ما أحوجنا الی مثلها لسائر بلاد ایران. و قد دوّن المستوفی، فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) و هو مؤلف

فارسی أیضا، ما أحدثه الفتح المغولی من

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۳۳۳

التبدلات. ثمّ فی ختام هذه المئه، أسهب علی الیزدی فی وصف زحف تیمور من الاهواز الی شیراز، و هی تقع علی طریق من أهم الطرق.

تتشعب طرق هذا الاقلیم کلها من شیراز. و من الاوفق ان نبدأ بالطرق الذاهبه الی ساحل البحر. فان سیراف و جزیره قیس ثم جزیره هرمز، و قد أضحت کل واحده منها بالتعاقب أهم فرضه علی خلیج فارس، کانت الطرق تؤدی الیها، علی نحو ما هی علیه الیوم طرق القوافل و البرید المنحدره الی بوشیر التی بلغت الیوم شأو هرمز فی القدیم. فأبعد هذه الطرق شرقا، الذاهبه الی الساحل، کان الطریق المؤدی الی الفرضه المقابله لجزیره هرمز. و منها یحاذی الساحل، فینتهی الی مدینه هرمز. و سنأتی فی الفصل الثانی و العشرین علی وصف هذین الموضعین. فاذا بارح الطریق شیراز، مرّ بسروستان و فسا الی دار ابجرد و فرج و طارم. فاذا دار الی الجنوب فانه کان یصل قدیما الی مدینه سور و أو شهرو أو علی ما سماها به المستوفی توسر. و نشأ فی أیام الصفویین، غیر بعید منها، بندر عباس، و هی ما زالت قائمه، علی ما سیأتی بیانه، و قد انتهت الینا صفه هذا الطریق فی خمسه من مراجعنا .

و ثانی هذه الطرق، الطریق الآخذ من شیراز جنوبا، و کان ینتهی فی الأزمنه الاولی بسیراف. و لکن بعد خراب هذه الفرضه سلکت القوافل طریقا یتفرع منه فی منتصفه فیتجه الی الجنوب الشرقی نحو الساحل. و کان هذا الطریق الجدید، ینتهی الی الفرضه المقابله لجزیره قیس، و هو الطریق الذی وصفه المستوفی. و ذکر المقدسی

أيضا طريقا مهما آخر يخرج من دار أبجرد على طريق هرمز، يتجه نحو الجنوب الغربى الى سيراف، و كان يقاطع الطريق من شيراز الى جزيره قيس الذى وصفه المستوفى بعد هذا الزمن. و كل هذه الطرق البادئه من شيراز كانت تمر بكوار الى جور أو فيروز اباد و كان فيها يتفرع الطريق القديم ذات اليمين منحدرا الى سيراف. و الطريق الذى جاء ذكره فى فارس نامه، ينعطف فى فيروزاباد الى اليسار فيمر بكارزين الى لاغر، و منها

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٣۴

يأتى الى كران و ينتهى بسيراف. أما طريق المستوفى، فانه اذا بارح فيروزاباد، اتجه شرقا بضعه فراسخ، ثم انحدر مثل طريق فارس نامه الى لاغر، و فيها يتفرع نحو الجنوب الشرقى و نحو اليسار فيمرّ بفارياب ثم بالمفازه الى هزو و هى الفرضه المقابله لجزيره قيس. و لا يرى وصف هذا الطريق من لاغر الى هزو الا فى المستوفى يا للأسف. و قراءه ما جاء فى المخطوطات عن أسماء مراحله لا يركن اليها فى الغالب. و الظاهر أيضا انه لم يسلك هذا الطريق أحد من السياح المحدثين ليتسنى لنا تصويب قراءه هذه الاسماء، فبقيت خوارطنا خاليه من ذكرها. و يمر الطريق من دار ابجرد، على ما وصفه المقدسى، بجويم أبى أحمد الى فارياب أو باراب، و هى مرحله فى طريق المستوفى، ثم الى كران فى طريق فارس نامه و منها ينتهى بسيراف .

و الطريق الغربى الذاهب الى الساحل، كان يسلك فى قسمه الاعلى، الطريق الحالى من شيراز الى بوشير، فكان يمرّ بكازرون و دريز الى توّج، المدينه التجاريه الجليله فى المئه الرابعه (العاشره)، و منها الى فرضه جنّابه. و جاء

فی فارس نامه وصف طریق آخر ذی شأن مغایر لهذا الطریق، و هو المار بأرض ماصرم الی جرّه و منها الی توج مارا بالغندجان، و عند الغندجان کان یتفرع منه فرع ینحدر جنوبا الی فرضه نجیرم، و هی علی مسافه قلیله من غرب سیراف. و لم یشر غیر المستوفی الی الطریق الذاهب الی الغرب من شیراز حتی کازرون. و کانت توّج فی أیامه قد خربت. و أول فرضه علی خلیج فارس حینذاک کانت جزیره قیس .

و أوفی طرق فارس وصفا، الطریق الذاهب من شیراز باتجاه الشمال الغربی الی أرّجان و خوزستان. فقد انتهی الینا عن هذا الطریق ما لا یقل عن الثمانیه أوصاف. و ان اختلفت فی ذکر بعض المراحل. و آخر وصف منها، لعلی الیزدی، فقد وصف مسیر تیمور فی سنه ۷۹۵ (۱۳۹۳) من الاهواز الی

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۳۳۵

شیراز مارا ببهبهان، حین هاجم فی طریقه قلعه سفید. فجاء وصفه هذا الطریق منتهیا بشیراز بخلاف من سبقه. و کان الطریق من شیراز الی خوزستان، علی ما جاء وصفه فی کتب المسالک، یتجه نحو الشمال الغربی مارا بجویم الی النوبنجان، و منها مارا بکنبذ ملغان الی أرّجان، ثم یقطع نهر طاب علی قنطرته العظیمه فینتهی الی بستانک علی حد فارس. و قد ذکر المقدسی و البلدانیون الاولون المسافات من أرّجان الی فرضه مهربان، و منها نحو الجنوب الشرقی بمحاذاه الساحل الی فرضه سینیز، ثم الی جنّابه .

و کان فی القرون الوسطی، ثلاثه طرق منفصل بعضها عن بعض، من شیراز الی اصفهان. و أبعد هذه الطرق غربا، الطریق الآخذ یمینا من طریق أرّجان عند جویم. و قد کان هذا الطریق یذهب

الی البیضاء فی سهل مرودشت، ثم یمر بکورد و کلّار الی سمیرم و اصفهان. و قد وصف هذا الطریق ابن خرداذبه و المقدسی. أما الطریق الاوسط، فهو الطریق الصیفی المار بالبلاد الجبلیه. و قد کان یذهب من شیراز الی مائین، و منها یمرّ بکوشک زرد و دیه گردو، و یخترق یزدخواست الی أصفهان. و قد وصف هذا الطریق، بشئ من الاختلاف فی أسماء المراحل، البلدانیون العرب الاولون، و کذلک المصنفون الفرس المتأخرون أما أبعد هذه الطرق الثلاثه شرقا، فهو الطریق الشتوی أو طریق القوافل الذی یقطع السهول. و کان یخرج من شیراز میمما ناحیه الشمال الشرقی الی اصطخر، و منها الی دیه بید. و فی هذا الموضع کان یخرج من یمینه طریق یمرّ بأبرقوه الی یزد. أما الطریق الی أصفهان، فکان ینعطف الی الیسار. فیمرّ بسرمق و قریه اباده، ثم یلتقی بالطریق الصیفی فی یزد خواست، الی قومشه و ینتهی بأصفهان. و قد وصف هذا الطریق الشتوی، و هو طریق البرید الحالی من شیراز الی اصفهان، المقدسی و فارس نامه. و سردت جمیع المصادر تقریبا أسماء ما فیه من مراحل الی یزد .

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۳۳۶

و الطرق من شیراز الی شهر بابک و منها الی السیرجان احدی قصبات کرمان، کانت تسلک مسلکین. الاول: فی شمال بحیره البختکان. و الثانی بمحاذاه ساحل البحیره الجنوبی. فالطریق الشمالی کان یخرج أولا من شیراز الی اصطخر (پرسپولیس) و من اصطخر الی شهر بابک طریقان: الاول کان یمر بقریه هراه، و الآخر بمدینه اباده الی صاهک حیث یلتقی بالطریق المحاذی لساحل البحیره الجنوبی. أما هذا الطریق الجنوبی، فقد کان اذا بارح شیراز، یتجه الی

ناحيه الشرق فى الجانب الشمالى لبحيره ماهلو الى خرّمه. ثم يصل خيره من جنوب بحيره البختكان. و قد ذكر فارس نامه مسافات طريق فرعى من خيره الى نيريز و قطره. أما الطريق الكبير فكان يذهب من خيره الى صاهك الكبرى حيث يلتقى بالطريق الآتى من اصطخر بمحاذاه ساحل البحر الشمالى، على ما قد بيّنا. و من صاهك الكبرى، كان يقطع طريقا صحراويا باتجاه الشمال الشرقى الى شهر بابك. و قد ذكرت المراجع العربيه و الفارسيه وصفا كاملا لهذه المسالك التى فى شمال بحيره البختكان و فى جنوبها. غير ان أسماء بعض المراحل التى تتوسطها لا يركن الى صحه قراءتها، نعنى بذلك أسماء القرى التى لم يبق لها أثر اليوم، اذ ان جميع هذه البقاع قد أجدبت و أمحلت و خلت من سكانها منذ نهايه القرون الوسطى .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٣٧

الفصل الحادى و العشرون كرمان

كور كرمان الخمس- قصبتا الاقليم- القصبه الأولى: السيرجان.

موضعها و تاريخها- القصبه الثانيه: بردسير، و هى مدينه كرمان اليوم- ماهان و وليها- خبيص- زرند و كوه بنان و هى كوبنان Cobinan لدى ماركو بولو.

اقليم كرمان، على ما ذكر الاصطخرى، أكثره من بلاد الجروم، و نحو من ربعه فقط جبلى يؤتى غلات بلاد الصرود. فان معظم الاقليم فى المفازه العظمى.

«و فى أضعاف مدنه مفاوز كثيره، و ليس اتصال عماراتها مثل اتصال عمارات فارس».

و قال ياقوت «قد كانت [أى بلاد كرمان] فى أيام السلجوقيه من أعمر البلدان و أطيبها». ثم حين كتب فى المئه السابعه (الثالثه عشره) كانت «قد تشعثت بقاعها و استوحشت معاملها و خربت أكثر بلادها». و أخيرا استولى عليها الخراب و تمكن منها الدمار من جراء غزو تيمور لها فى

ختام المئه الثامنه (الرابعه عشره).

و جعل المقدسی فی المئه الرابعه (العاشره) اقلیم کرمان خمس کور، کل کوره باسم قصبتها، و هی: (۱) بردسیر، و لها ناحیه خبیص فی شمالها. ثم (۲) السیرجان، علی حد فارس. ثم (۳) بمّ. و (۴) نرماسیر و هی علی شفیر المفازه شرقا. و أخیرا (۵) جیرفت و هی تتاخم ساحل بحر هرمز. و کان الحد فی الشمال

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۳۳۸

و الشرق: المفازه الکبری. و فی الجنوب الغربی: البحر. و لها فی غرب کرمان «فی حد الشیرجان، دخله فی حد فارس، مثل الکم» حسب وصف الاصطخری لها. و کانت شهر بابک، علی ما روته بعض الاخبار القدیمه، تعد من اقلیم کرمان .

و قصبه الاقلیم الحالیه، مدینه کرمان. و هذا الاقلیم و قصبته یعرفان باسم واحد علی ما هو جار فی بلاد الشرق غالبا. و مع ذلک، فقد کان لاقلیم کرمان فی القرون الوسطی قصبتان، هما: السیرجان و بردسیر. و توافق المدینه الاخیره مدینه کرمان الحالیه القائمه قرب الناحیه التی ما زالت تعرف بناحیه بردسیر.

أما السیرجان قصبه کرمان الاسلامیه القدیمه، فانها کانت أجل مدینه فی أیام بنی ساسان. و کتب البلدانیون العرب اسمها بصوره السیرجان و الشیرجان (معرّفه بأل). و مع انه لم یبق الیوم مدینه بهذا الاسم، الا ان ناحیه السیرجان ما زالت تؤلف القسم الغربی من ولایه کرمان و أجل مدنها سعید آباد. و ما الخرائب التی اکتشفت حدیثا فی قلعه سنگ الجاثمه علی سن جبل، علی خمسه فراسخ شرق سعید اباد فی طریق بافت. إلا موضع السیرجان القصبه القدیمه علی ما یبین. اذ یستدل بحالها أنها أطلال مدینه عظیمه. و تدل مسافات المسالک

فی القرون الوسطی، علی ان موضع هذه الخرائب هو حیث کانت مدینه السیرجان.

و مع ان ناحیه السیرجان الحالیه لا تؤلف الا جزءا فقط من الکوره القدیمه، فانها قد احتفظت بالاسم القدیم. ظلت السیرجان بعد الفتح العربی، قصبه الاقلیم الاسلامی حتی أواسط المئه الرابعه (العاشره)، حین صارت ایران الجنوبیه کلها تحت سلطان بنی بویه. فانهم عیّنوا علی کرمان عاملا اسمه ابن الیاس. فنقل هذا العامل، لسبب غیر معروف، مقامه الی بردسیر (مدینه کرمان الحالیه) ثم

بانتقال دواوین الحکومه من السیرجان الیها، سقطت منزله السیرجان و قلّ شأنها. و مع ذلک، فقد ظلت السیرجان حین کتب الاصطخری «أکبر مدینه بکرمان، و أبنیتها آزاج لقله الخشب بها» علی ما ذکر. اما المقدسی فقد قال ان السیرجان کانت فی أیام بنی بویه «أبهی و أوسع من شیراز، و لها سوقان: عتیق و جدید. و الاموال کثیره جمه. و بها خصائص و صناعه، و شوارع فرجه، و دور حسنه، بها بساتین. و لها ثمانیه دروب» (و قد سرد المقدسی أسماءها، و لکن قراءه بعضها فی المخطوطات لا یرکن الیها). و بنی عضد الدوله البویهی علی باب حکیم، دارا حسنه و کان مسجدها الجامع بین السوق العتیق و السوق الجدید، أقام منارته عضد الدوله. و میاه البلد من قناتین شقهما عمرو و طاهر ابنا لیث الصفار فی المئه الثالثه (التاسعه).

أما یاقوت، و قد کتب فی المئه السابعه (الثالثه عشره) فقد قال ان السیرجان فی أیامه ثانیه مدن کرمان «و هی خمسه و أربعون منبرا کبارا و صغارا» و قد نص علی ان مدینه السیرجان، «کانت تسمی القصرین» و لم یوضح لم سمیت بذلک.

و

ورد فی تاریخ ابن الاثیر و میرخواند اسم السیرجان غیر مره فی الکلام علی بنی بویه و السلاجقه. و قال المستوفی فیها بعد الفتح المغولی، ان لها قلعه حصینه، و ارضها خصبه، کثیره القطن و القمح. ثم انتقلت السیرجان الی أیدی الامراء المظفریین الذین قامت دولتهم فی شیراز و حکموا فارس، و فی مطلع المئه الثامنه (الرابعه عشره) قهروا دوله قراختای، فدانت لهم کرمان کلها. و فی سنه ۷۸۹ (۱۳۸۷) زحف تیمور الی فارس و حشد قواته ازاء شیراز فانقاد له الامراء المظفریون طائعین. ثم انه لما غادر فارس لفتح العراق، جعل منهم فیها حکاما تابعین له.

فلما خلا لهم الجو و تمکنوا من الامر، تمرّدوا و خلعوا طاعته، فما کان من تیمور الا أن أعاد الکره علی فارس فی سنه ۷۹۵ (۱۳۹۳) و تغلب علی القوات المظفریه بعد وقعه حامیه، و ولی ابنه الامیر عمر شیخ علی فارس و کرمان.

علی ان کثیرا من النواحی، لا سیما نواحی کرمان، أبت ان تستکین لتیمور و ثبت گودرز و الی السیرجان علی الحکم فیها باسم آل مظفر. و اضطر الامیر عمر

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۳۴۰

شیخ أخیرا الی ان یوجه جیشا لمحاصره هذا الحصن المنیع. و کانت قلعه السیرجان قد جددت حصونها منذ عهد قریب، علی ما ذکر علی الیزدی، فکانت مکینه الجوانب یرتد عنها من هاجمها، فمضت سنه علی حصارها و هی ثابته لا تزعزعها الشدائد. فما کان من عمر شیخ الا ان قصد السیرجان بنفسه لیحسم أمرها.

علی انه، و هو یتأهب لذلک، استدعاه أبوه. و لکن المنیه ادرکته حین کان یجتاز کردستان للّحاق بتیمور فی معسکره الذی ضربه أمام آمد فی الجزیره.

و كان ذلك فى سنه ۷۹۶ (۱۳۹۴). و ظلت السيرجان مقاومه سنتين فاستسلم مقاتلتها بعد ذلك لما لحقهم من جوع لا من غلبه القوه عليهم. و أخيرا لما اضطر گودرز الى التسليم. أمر تيمور بقتله هو و من بقى من رجاله القلائل، غدرا ليكونوا عبره لمن اعتبر فى هذا الاقليم. و ترك السيرجان قاعا صفصفا. و قد تكلم حافظ أبرو على السيرجان، مع انه كتب فى عهد من جاء بعد تيمور، قال انها المدينه الثانيه فى كرمان (تلى بردسير) لها قلعه حصينه تتوج صخره عاليه. ثم خفى اسم السيرجان بعد هذا الزمن من التاريخ و لم يعرف موضعها الصحيح الا حديثا فى أطلال قلعه سنك على ما قد بيّنا .

بينا آنفا، ان قصبه الاقليم الحاليه مدينه كرمان. و هذه المدينه، و ان لم

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۴۱

تكن القصبه الاسلاميه الاولى، الا انها كانت على ما يظهر مدينه جليله منذ أيام الساسانيين. أما أصلها، فقد قال فيه حمزه الاصفهانى، و هو من مؤرخى المئه الرابعه (العاشره)، انها من بناء الملك اردشير مؤسس الدوله الساسانيه، فسماها بيه أردشير و معناها الموضع الطيب لاردشير. فحرف العرب هذا الاسم حين تلفظهم به و قالوا بهرسير (أو بهدسير) و بردسير (أو بردشير). أما الفرس فانهم على ما ذكر المقدسى «يسمونها بلسانهم گواشير» من ويه ارتخشير و هو اللفظ الأعرق زمنا لاسم بيه أردشير. و زاد ياقوت على ذلك أنه فى أيامه كانت تسمى جواسير و جواشير و يقال گواشير. و هذه الصور كلها تقابل الاسم العربى بردسير و تستعمل بدلا منه دون تقيّد .

و مدينه بردسير هذه، التى أصبحت قصبه اقليم كرمان الجديده فى عهد

بنی بویه، لا ریب فی انها تطابق کل المطابقه مدینه کرمان الحالیه، یثبت ذلک:

ما ذکرته کتب المسالک عن موضعها، و وصف البلدانیین العرب لکثیر من الأبنیه فی بردسیر، و العوارض الطبیعیه فیها، و کل ذلک ما زال موجودا یری فی مدینه کرمان. کما دعمت التواریخ العربیه و الفارسیه، علی ما سیأتی بنا، هذه المطابقه و عززتها. فمدینه بردسیر صارت تعرف بعد المئه الرابعه (العاشره) باسم گواشیر، و جری علی ألسنه الناس عدّهم ایاها قصبه کرمان. و بمرور الزمن حلّ محل هذه الاسماء اسم «مدینه کرمان» أو «کرمان» فقط اختصارا. فخلع الاقلیم اسمه- علی ما هو الحال غالبا- علی القصبه.

و المقدسی، و قد أطال فی کلامه علی بردسیر، قال فی بردسیر حین اتخذها ولاه بنی بویه قصبه الاقلیم الجدیده، انها: قصبه لیست بالکبیره لکنها حصینه.

علی جانبها قلعه کبیره عالیه فیها بساتین، و قد حفر فیها بئر عظیمه عجیبه، و هذه القلعه

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۳۴۲

من بناء أبی علی بن الیاس، کان یصعد الیها ابن الیاس علی الدواب الجبلیه المعتاده لصعودها، و ینام فیها کل لیله. و علی الباب حصن ثان و خندق ذو قناطر. و فی وسط البلد قلعه ثالثه و الجامع قربها و هو لطیف و یحدق بالبلد. و للمدینه أربعه أبواب الثلاثه الاولی منها سمیت باسماء المدن التی تؤدی الیها الطرق الخارجه منها، و هی: باب ماهان و باب خبیص و باب زرند. و الرابع باب مبارک. و لعله سمی بذلک نسبه الی رجل اسمه مبارک. و زاد المقدسی علی ذلک ان فی المدینه بساتین کثیره و أکثر شربهم من آبار، و القنی تسقی بساتینهم المحیطه بها .

و منذ

أن نقل ابن الياس، فی أيام عضد الدوله، دواوين الاقليم الى بردسير، دامت هذه المدينه قصبه لكرمان، على ما بيّنا، و ارتبط مصيرها بمصير الاقليم كله. فقد كان كل من حكم بلاد فارس ألحقها به على جارى العاده. و فی النصف الاول من المئه الخامسه (الحاديه عشره)، سقط بنو بويه بقيام السلاجقه فكانوا ساده اقليم كرمان من سنه ۴۳۳ الى ۵۸۳ (۱۰۴۱ الى ۱۱۸۷). و السيرجان و ان كانت فی أيامهم من أجل مدنهم، الا ان بردسير ظلت دارا للملك. و فی تاريخ السلاجقه لابن ابراهيم جاء اسم القصبه احيانا بصوره بردسير و أحيانا بصوره گواشير، بينما أشار ميرخواند فی فصول كتاب روضه الصفا التی تتناول هذا العصر، الى القصبه السلجوقيه باسم «مدينه كرمان» أو «كرمان» بوجه الاختصار. و لم يرد قط اسم «بردسير» عنده. و عليه فاسما بردسير و كرمان، كانا يستعملان دون تقيد للاشاره الى موضع واحد دون غيره، فابن الاثير مثلا ذكر فی أخبار سنه ۴۹۴ (۱۱۰۱) اخراج ايرانشاه السلجوقی «عن مدينه بردسير التی هی مدينه كرمان» .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۴۳

و فی سنه ۵۸۳ (۱۱۸۷) اكتسحت قبائل الغز التركمانيه، اقليم كرمان، و نهبت بردسير و خربت معظمها، و اتخذت مدينه زرند قصبه موقته للاقليم.

و كانت قوه السلاجقه حينذاک آخذه فی الضعف و الاضمحلال. و فی سنه ۶۱۹ (۱۲۲۲) خضعت كرمان كلها لنفوذ الدوله المعروفه بقراختای «قراخطای» القصيره العمر.

و قال ميرخواند ان قتلق خان أول أمراء هذه الاسره، استولى على «مدينه كرمان»، و يقال انه دفن فی المدرسه التی أنشأها فی حيّ يقال له ترک أباد فی ظاهر مدينه كرمان. و من الجهه الثانيه ذكر المستوفی فی

تاریخ گزیده، و ابن ابراهیم فی تاریخ السلاجقه، ان قتلق خان استولی فی سنه ۶۱۹ (۱۲۲۲) علی «مدینه بردسیر» (أو گواشیر علی ما فی گزیده). فأضحی بذلک أمیرا علی مملکه کرمان کلها. و أخیرا، فمعاصره یاقوت، ذکر بردسیر اسما لقصبه کرمان فی هذا الزمن (أی فی المئه الثالثه عشره للمیلاد) .

أما الفتح المغولی لایران، فلم یؤثر فی کرمان تأثیرا محسوسا. و فی أوائل المئه الثامنه (الرابعه عشره) تزوجت ابنه آخر أمیر من أمراء قراختای أمیر فارس المظفری الذی تولی الحکم فی اقلیم کرمان تحت ظل المغول. و المستوفی، فی کلامه علی القصبه گواشیر، أی بردشیر، وصف جامعها القدیم، و قال ان زمنه یرقی الی ختام المئه الاولی للهجره، فی عهد الخلیفه الاموی عمر الثانی المتوفی سنه ۷۲۰ للمیلاد. و وصف أیضا البستان الذی أنشأه ابن الیاس عامل بنی بویه، و کان یعرف بباغ سیرجانی أی «بستان الآتی من السیرجان». و کان هذا البستان حین کتب ذلک فی سنه ۷۳۰ (۱۳۳۰) زاهرا زاهیا. و زاد المستوفی علی ذلک، ان ابن الیاس بنی أیضا القلعه التی فوق الجبل و هی التی وصفها المقدسی علی ما بیّنا. و کان فی المدینه جامع یسمی جامع تبریزی، بناه توران شاه السلجوقی،

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۳۴۴

و المزار المشهور المنشأ علی قبر الولی شاه شجاع الکرمانی. و ذکر حافظ أبرو، و قد نشأ بعید سلفه، ان ترخان خاتون ابنه قتلق خان القراختائی، ابتنت فی سنه ۶۶۶ (۱۲۶۸) جامعا فخما کبیرا فی کرمان الی غیره من الجوامع و المدارس، و سنشیر الی احداها عما قریب. و هذا المؤلف نفسه، و قد کتب سنه ۸۲۰ (۱۴۱۷)، أشار الی المدینه

دون تفريق بين تسميتها بردسير (أو گواشير) و كرمان .

و هـذه الاوصاف التى انتهت الينا عن بردسـير من مختلف مراجعنا، من المقدسـى فى المئه الرابعه (العاشـره) حتى حافظ أبرو فى أوائل المئه التاسـعه (الخامسه عشره)، قد أشارت اشاره واضحه الى كثير من الابنيه التى ما زالت قائمه، و بعضها مشعث خرب فى مدينه كرمان الحاليه. و ذكر المقدسـى، على ما بيّنا، القلاع الثلاث التى اشتهرت بها المدينه. و ردّد ابن ابراهيم غير مره فى تاريخ السـلاجقه الاشاره الى القلعه التى فوق الجبل (قلعه كوه) و القلعه العتيقه و القلعه الجديده- و هى توافق، على ما يتضح، المواضع الثلاثه التى وصـفها المقدسـى-. أما فى كرمان الحـديثه فاننا نجـد أولا قلعه عتيقه تتوّج جبلا قريبا منها من الشـرق يقال لها اليوم قلعه دختر أى «قلعه البنت» و هى تنسب الى الملك أردشـير على ما يزعمون، و نجد ثانيا فى جنوب المدينه الشـرقى، جبلا آخر، محكم التحصين فى الزمن القديم بأسوار و أبراج، و قد تداعت الآن، تعرف بقلعه أردشير.

فينبغى ان تكون هى القلعه التى فى ظاهر باب المـدينه. و أخيرا نجـد القلعه العتيقه فى وسط البلـد و كانت و لا شك حيث قصـر الوالى الآن .

أما جامع توران شاه، و هو الـذى ذكره المسـتوفى، فما زال قائما يعرف بمسـجد ملك. و فى كرمان أيضا بناء آخر، يصل مـدينه كرمان بالزمن الذى كانت تسـمى فيه بردسـير، و هو القبه الخضـراء (أو الزرقاء) العظيمه، المسماه قبه سبز، و قد كانت حتى وقت قريب تقوم فوق قبر ترخان خاتون ابنه قتلق خان أمير

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۴۵

قراختاى، على ما مرّ آنفا. و جاء فى التاريخ

عن هـذه الاميره، انها بعـد وفاه أبيها، خلعت أخاها عن العرش و اصـبحت مدى خمس و عشـرين سـنه الحاكم الحقيقى لكرمان، تحكم باسم زوجها- ابن عم قتلق خان- و باسم ابنيها اللذين سمحت لهما بتولى العرش اسميا الواحد تلو الآخر. و روى ميرخواند انها توفيت فى سنه ۶۸۱ (۱۲۸۲) و دفنت تحت قبه مدرسه شهر، أى مدرسه المدينه.

و فى القبه الخضـراء القـائمه فوق قبرهـا، كتـابه على الجـدران تنوه بأسـماء البنائين و بسـنه ۶۴۰ (۱۲۴۲) و هى سـنه الانتهـاء من عمارتها أى فى أيام الحكم الاسمى لابن قتلق خان الذى خلعته اخته ترخان خاتون فيما بعد .

و لم يـذكر البلـدانيون العرب عن غيرهـا من المـدن فى ناحيه بردسـير الا لمحات خفيفه. فلم تقم فيها مجاميع من القرى، على ما كان الامر عليه فى فارس، و كان فى أضـعاف مدن كرمان مفاوز. فعلى عشـرين ميلا من جنوب غربى كرمان مدينه بغين. ويليها، على نحو المسـافه نفسـها ماشـيز. و هاتان المـدينتان فى الطريق من كرمان الى السـيرجان. و ليس فى هـذه البقعه اليوم غير هاتين المدينتين. و قد ردّد ابن ابراهيم ذكرهما فى تاريخ السلاجقه فى أخبار النصف الاخير من المئه الرابعه (العاشره). و مما يدعو الى العجب، ان بغين و ماشـيز لم يذكرهما لا البلدانيون العرب الاولون و لا المستوفى، بل و لا المصادر الفارسيه التى وصفت حروب تيمور على ما يظهر. و على مرحلتين قصـيرتين من جنوب شـرقى مدينه كرمان، مدينه ماهان، و هى مشهوره اليوم بمزار نعمه اللّه الولى الصوفى و نسترادامس(Nostradamus) ايران الذى ما زالت تنبؤاته تروى فى تلك

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۴۶

الانحاء الاسلاميه من آسيه. و قد توفى

سنه ۸۳۴ (۱۴۳۱) و لـه مـن العمر نيـف و مئه سـنه. و يقـال انه كـان من أصـحاب الشـاعر حافـظ (الشـيرازى). و فى المئه الرابعه (العاشره) وصف المقدسى ماهان بقوله «مدينه العرب، الجامع وسط البلد، و فى وسطها قلعه بباب واحد يحيط بها خندق. و تسير منها مرحله الى القصبه فى أشجار مشتبكه و مياه جاريه، شربهم من نهر».

اما غبيرا، و كوغون، و بينهما فرسخ، و لم يبق لهما اليوم أثر على ما يظهر، فقد كانتا جنوب ماهان على مرحله غرب رايين (و هى ما زالت قائمه). وصف المقدسـى غبيرا فى المئه الرابعه (العاشـره) بقوله «صغيره لها قرى .... فى وسطها قلعه، و قد بنى ابن الياس (الوالى البويهى) خارج البلد سوقا». و لمدينه غبيرا و كوغون جامع حسن، و شـرب أهلهما من نهر وقنى. و على نحو من خمسين ميلا شـرق كرمان، فى شفير المفازه العظمى، خبيص، و كانت على ثلاث مراحل من ماهان. و كان مستوى المفازه خفيضا، اذ ان المفـازه هنـا أكـثر اطمئنانـا بكـثير من هضـبه ايران الوسـطى الـتى تقوم عليهـا مـدينه كرمـان. فكـانت خبيص، على مـا أشـار اليه الاصـطخرى، من جروم كرمـان، و بها نخل كثير. و زاد المقدسـى على ذلك «عليها حصن بأربعه أبواب عامره، معـدن الابريسم، كثيره التوت، شربهم من نهر، جيده التمور» .

و على مرحلتين من شمال غربى كرمان، مدينه زرند. و كان فى نصف الطريق بين المدينتين فى القرون الوسطى، مدينه جنزروذ، لم يبق لها أثر على ما يظهر. و قد وصف المقدسى جنزروذ بقوله «الجامع فى الاسواق، كثيره الفواكه، و لهم نهر» يسمى نهر جنز. أما زرند فما زالت قائمه، قال المقدسى «قد بنى ابن الياس على

حافتها قلعه» و كانت زرند فى المئه الرابعه (العاشره) كبيره،

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۴۷

«عليها حصن بسته أبواب، و الجامع فى الميدان عند السوق». و كان يرتفع منها نسيج يقال له البطانه، و كانت البطانه الزرنديه تحمل الى فارس و العراق فى المئه الرابعه (العاشره) لشهرتها هناك.

و على خمسين ميلا شمال زرند، مدينه راور، على شفير المفازه الكبرى.

و الى الغرب من راور: كوبنان، و قد زارها ماركوپولو. وصف المقدسى هاتين المدينتين و قال ان راور فى المئه الرابعه (العاشره) كانت «أكبر من كوه بيان (كوبنان) لها حصن على رأس الحد». و قال فى كوبنان أو كوه بيان «صغيره، لها بابان، و ربض فيه حمامات و خانات. و الجامع على الباب، قد التفت بها البساتين، و الجبل منها قريب». و بالقرب منها مدينه بهاباد، و قد كتبه المقدسى بصوره بهاوذ، و ذكره مع مدينه قواق و قال هما عامرتان، بينهما ثلاثه فراسخ و هما من المنطقه البارده، كلها بساتين. و ما زالت بهاباد قائمه. اما قواق فليس لها أثر فى الخارطه. و ذكر ياقوت فى المئه السابعه (الثالثه عشره) ان «فيها و فى قريه أخرى يقال لها بهاباذ، يعمل التوتيا الذى يحمل الى أقطار الدنيا» و أشار المستوفى فى المئه التاليه للسابعه الى كوه بنان التى سماها معاصره ماركوپولو بمدينه «كوبنان Cobinan » و قد وصف هذا الرحاله البندقى، التوتيا التى تصنع فيها بقوله «شئ فى غايه الصلاح للعيون». و قد كانت التوتيا فى المئه الرابعه (العاشره) من أهم تجارات اقليم كرمان. و قال المقدسى «التوتياء المرازبى، و انما سمى مرازبيا لانهم يتخذون شبه أصابع من الخزف كبارا، ثم يصبونه عليه فيلتزق به

فيبقى كالمرازيب. و رأيتهم يجمعونه من الجبال و قد بنوا أكوارا عجيبه طويله يصفونه كما يصفى الحديد» .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۴۸

و على نحو من خمسين ميلا غرب كوه بنان، على شفير المفازه فى نصف الطريق بين هذه المدينه و يزد، تقوم بلده بافق فى وقتنا هـذا. و فى اقليم كرمان مـدينتان اسـمهما متشابه كثيرا و هو بافق الماره الـذكر، و بافت أو بافـد. و هـذه الأخيره على ثمانين ميلا جنوب مدينه كرمان و تبعد مئتى ميل عن بافق الشماليه.

و هذا التشابه بين الاسمين قد ازداد لبسا بكون بافق (الشماليه) غالبا ما تلفظ اليوم بافد. و من ثمه، فانها تتفق اسما مع المدينه التى فى جنوب ماشـيز، اذ ان من الشائع فى اللغه الفارسـيه قلب القاف دالا أو تاء. و ذكر ياقوت بلده باسم بافد قال فيها «بلده بكرمان، على طريق شـيراز، من البلاد الحاره». و ذكر ابن ابراهيم فى تاريـخ السـلاجقه، اسـمى المـدينتين بافد و بافق، و لكن لم يورد ابن ابراهيم و لا ياقوت، وصفا يفى بتعيين مواضعهما .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۴۹

الفصل الثانى و العشرون كرمان «تتمه»

كوره السـيرجان- كورتا بم و نرماسير- ريكان- جيرفت و قمادين: كمادى Camadi لدى ماركوبولو- دلفريد- جبال البارز و القفص- روذكان و المنوجان- هرمز العتيقه و الجديده و كمبرون- تجارات اقليم كرمان- مسالكها.

تقوم كوره السـيرجان- و كانت مدينه السيرجان أجل مدن هذا الاقليم، و قد كانت قصبه اقليم كرمان القديمه التى مرّ وصفنا لها فى الفصل السابق- فى غرب ناحيه بردسير على حد فارس. و قد ذكر المقدسى جمله مدن فى هذه الكوره لم يعد لها أثر اليوم يا للأسف فى الخارطه،

مع ان مواضعها بالنسبه الى موضع مدينه السيرجان معروفه.

فعلى أربعه فراسخ غرب السيرجان، عند حد اقليم فارس: مدينه بيمند، قيل فيها فى المئه الرابعه (العاشره) «عليها حصن منيع و أبواب حديد». و كانت موضعا جليلا أيضا لكونه ملتقى ثلاث طرق- هى الطريق الآتى من شهر بابك (فى الشمال) و الآتى من الروذان (فى الشمال الشرقى) و الآتى من صاهك (فى الغرب)- و منها الى السيرجان حيث تلتقى جميعا. وصف المقدسى بيمند بأن «الجامع وسط السوق، شربهم من قنى». ثم انه على مرحله يوم من شرق السيرجان، فى طريق رايين، موضع يقال له الشامات مدينه «كثيره البساتين

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٥٠

و الكروم، فواكهها تحمل الى النواحى، و الجامع وسط البلد». و يقال لهذه البلده أيضا قوهستان. و على مرحله واحده أيضا شرق الشامات، بهار. و على مرحله أخرى: خنّاب. و فى الموضعين الاخيرين نخل كثير. ويلى خناب، غبيرا و قد مرّ وصفها فى كوره بردسير. و على مسيره يومين من جنوب شرقى السيرجان، فى طريق جيرفت، تقوم مدينه باسم يكتب اما واجب أو ناجت (و للاسم قراءات أخرى). و قال المقدسى فى واجب انها «عامره كثيره البساتين لهم منازه، شربهم من قنى، الجامع فى الاسواق» .

أما كوره بم (و يكتبها البلدانيون العرب بتشديد الميم)، فهى حول المدينه التى بهذا الاسم، فى الجنوب الشرقى من ماهان، على شفير المفازه العظمى، و عند الحد الشرقى لكرمان. وصف ابن حوقل مدينه بم فى المئه الرابعه (العاشره). بأنها أكبر و أصح هواء من جيرفت، بها نخيل، و لها قلعه منيعه مشهوره. «و بمدينه بم ثلاثه مساجد يجمعون فيها الجمعات، فمنها مسجد للخوارج، و مسجد جامع

فی البزازین، و مسجد جامع فی القلعه». «و یعمل ببم، ثیاب من قطنهم فاخره حسنه، تحمل الی أباعد الدیار، و یحمل من بم أیضا العمائم و المنادیل و الطیالسه». و ذکر المقدسی: «علیها حصن بأربعه أبواب:

باب نرماسیر، باب کوسکان، باب أسبیکان، باب کورجین. فیها بعض الاسواق و بقیه الاسواق خارج. و فی وسط البلد نهر یجری علی حافه البلد و یدخل القلعه. و من أسواقها سوق جسر جرجان. و من حماماتهم المذکوره، حمام زقاق البیذ. و جبل کود منها علی فرسخ، بقربها قریه عظیمه، أکثر ما یعمل من الثیاب بها» و أشار المستوفی فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) الی قلعه بم المنیعه و تکلم علی هوائها و قال انه حار .

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۳۵۱

أما رایین، فهی الی جنوب ماهان، علی نحو من سبعین میلا شمال غربی بم.

وصفها المقدسی بقوله: «صغیره، الجامع وسط الاسواق، کثیره البساتین».

و فی ثلث الطریق من رایین الی بم، تقوم اوارک و مهر کرد (أو مهرجرد) و هما ملتصقتان. أما الاولی فما زالت، و هی تلفظ الیوم: أبارک. و کانت تقوم بین الاثنتین فی المئه الرابعه (العاشره) قلعه، بناها ابن الیاس عامل بنی بویه. و شرب أهلهما من نهر، و بناؤهم طین. و تقوم بین أبارک و بم مدینه دهرزین و کتبها المقدسی بصوره دارزین، و غیره بصوره دارچین و دیروزین «بها جامع حسن، و لهم منازه و بساتین و مزارع، و شربهم من نهر» .

اما کوره نرماسیر (و بالفارسیه نرماشیر)، فانها جنوب شرقی بم، علی شفیر المفازه. و تقوم قصبتها مدینه نرماسیر فی نصف الطریق بین بم و الفهرج، و ما زالت الفهرج قائمه. و

كانت نرماسـير فى المئه الرابعه (العاشره)، مدينه جليله الشأن، نوه المقدسى بقصورها الحسنه الانيقه و كثره أهلها. و بها تجار من خراسـان، لهم تجاره مع عمان «و عليها طريق حاج سجسـتان، و منها ينقل البهربهار». و كانت نرماسـير فى المئه الرابعه (العاشـره) أصغر من السيرجان «عليها حصن بأربعه أبواب: باب بم، باب صور كون، باب المصلى، باب كوشك.

و الجامع وسط الاسواق، يصعد اليه بعشر درجات من الآجر، به مناره ليس لها فى الاقليم من نظير. و ثم قلعه يقال لها كوش وران (و لم يفسر هذا الاسم)، و على باب بم ثلاثه حصون يعرفن بالاخوات. يحدق بالبلد البساتين و النخيل».

و لا أثر اليوم فى الخارطه لمدينه نرماسـير. و لكن الاطلال المعروف موضعها باسم جكك اباد «أى مدينه العصفور» القائمه على يمين النهر البطئ الذى يدور فى سـهل نرماسير، ينبغى أن تكون هى بقايا مدينه القرون الوسطى العظيمه. و هذا الموضع اليوم فى قفر بلقع و ان كان المستوفى حتى المئه الثامنه (الرابعه عشره) قد أشار الى نرماسير بانها بلده آهله.

و على عشرين ميلا من جنوب الفهرج، مدينه ريكان (و تكتب أيضا ريقان

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٥٢

أو ريغان). ذكر المقدسـى ان لها حصـنا «و الجامع على بابها، كثيره النخيل و البساتين». و أشار المسـتوفى اليها، فقال هى بلد فى غايه الحر، يكثر فيها النخيل و القمـح. و بين ريغان و بم، مدينه كرك، و قد جمع المقدسـى بينها و بين جارتها باهر (و لا يلتبس هذا الاسم باسم بهار فى السيرجان أنظر ص ٣٤٩). و قد كانت هاتان المدينتان فى المئه الرابعه (العاشره) «عامرتين لهما بساتين و نخيل». و كانت مدينه نسا

من كوره نرماسير أيضا، و لكن موضعها غير معروف كان (لها بساتين، فى سهله، و الجامع فى الاسواق، شربهم من نهر» .

و قد كان جميع النصف الجنوبى من اقليم كرمان حتى ساحل البحر، تحتويه كوره جيرفت (أو جيرفت). و كانت جيرفت فى القرون الوسطى مدينه جليله الشأن، يتخللها نهر، لم يسم البلدانيون العرب غيره فى هذا الاقليم. و تعرف خرائب جيرفت اليوم (و قد بقى هذا الاسم اليوم على ناحيه جيرفت فقط) بشهر دقيانوس (أى مدينه الملك(Decius الذى يضرب المثل بطغيانه فى الشرق و فى أيامه دخل أهل الكهف السبعه كهفهم على ما فى القرآن (السوره ١٨ الآيه ٨؛ و أنظر صفحه ١٨٨ أعلاه) و قد أضحت قصه أهل الكهف من الاقاصيص الشعبيه.

و يمر بالقرب من هذه الخرائب، نهر يقال له خليل رود (أو حليل رود) و هو الذى سماه البلدانيون العرب و الفرس ب «ديورود» (أى نهر ابليس) لشده جريه. و هو أحد روافد بم پور، و يصب شرق الهامون أى المناقع.

و فى المئه الرابعه (العاشره)، وصف ابن حوقل جيرفت فقال «مدينه طولها نحو من ميلين، و هى متجر خراسان و سجستان، و يجتمع فيها ما يكون فى الصرود و الجروم». «و ترتفع من نواحى جيرفت النيل الكثير و الكمون و لهم فانيد و دوشاب» . و بقرب جيرفت ناحيه تعرف بالميزان (و فى الاصطخرى:

الميجان) عامره بالبساتين و القرى، يكثر فيها الرطب و الجوز و الاترج. و الثلوج

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٥٣

تحمل اليها من الجبال القريبه. و ماؤها من نهر يعرف ب «ديوروذ «له وجبه، و جرى سريع يجرى على الصخور، و فيه ماء بالتقدير يدير خمسين رحى».

و من

شعب درفارد القريب من جيرفت ميرتها و فيه، على ما جاء فى المقدسى، البطيخ الحلو و النرجس الذى يعمل منه الطيب المشهور. و على المدينه حصن بأربعه أبواب، هى: باب شاپور (سابور)، باب بم، باب السيرجان، باب المصلى.

«و الجامع على طرف عند باب بم من آجر و جص، بعيد عن الاسواق». و زاد المقدسى على ذلك قوله «هى أكبر من اصطخر، بناؤهم طين، أساسه حجر».

و قال ياقوت، ان ولايه جيرفت خصبه كثيره الخيرات يقال لها جردوس.

و أشار المستوفى الى الغابات المكتظه بالسباع، التى كانت تحيط بالمدينه قبلا.

أما فى أيامه، فقد نشأت فى موضعها بساتين النخيل. و كثيرا ما أشار ابن ابراهيم فى تاريخ السلاجقه الى قمادين فى المئه السادسه (الثانيه عشره) بقوله انه موضع عند باب جيرفت، و فيه يختزن تجار بلاد الروم و الهند سلعهم و حيث يجتمع المسافرون بحرا و برا. و ذكر فى مكان آخر ان السلع الفاخره النفيسه الآتيه من الصين و بلاد ماوراءالنهر و خطاى و من هندستان و خراسان و من الزنجبار و الحبشه و مصر و من الروم و أرمينيه و العراق و الجزيره و اذربيجان، كان كلها يباع فى أسواق قمادين. و قمادين الفارسيه هى الموضع الذى ذكره ماركوپولو باسم Camadi أو مدينه كمادى. و قد كانت قبلا موضعا عظيما جليلا. و لكن حين زارها ماركوپولو كانت حقيره من جراء ما لحقها من غارات التتر المتعاقبه. و هذا يفسر لنا سبب اختفاء جيرفت و قمادين من التاريخ بعد ختام المئه السابعه (الثالثه عشره) و خلو الخارطه من اسميهما. و كان حول جيرفت ناحيه الروذبار التى ذكرها البلدانيون العرب و جاءت عند ماركوپولو باسم Reobarles ريوبارلس .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب

و على مرحله من شمال شرقى جيرفت و فى نصف الطريق الى دارچين، بلده هرمز الملك (و قد سميت بذلك تمييزا لها عن فرضه هرمز) و كان يقال لها أيضا قريه الجوز. و هى على ما جاء فى الادريسى- و لكن غير واضح من أين استقى روايته- مدينه قديمه أسسها الملك هرمز الساسانى فى المئه الثالثه للميلاد، و كانت قصبه اقليم كرمان. و ظلت على ذلك حتى خرابها، فنقلت دواوين الدوله الى السيرجان، فظلت هذه المدينه قصبه الاقليم فى الدور الساسانى الاخير. و قد أشار المقدسى و غيره من البلدانيين الاولين الى موضع هرمز الملك، غير انهم لم يذكروا شيئا عنها. و زاد الادريسى ان هرمز هذه كانت فى أيامه (أو على أكثر احتمال فى أيام المؤلف المجهول الذى استقى منه روايته) مدينه أنيقه لطيفه على صغرها. أهلها أخلاط، يكثر فيها الماء و أسواقها عامره حسنه. و كانت تبعد، على قوله، مرحله من بم .

و على مرحله يوم شمال خرائب جيرفت، دلفريد، و قد سماها المقدسى درفانى، و ابن حوقل درفارد. و هى فى شعب خصب تجتمع فيه فواكه الصرود و الجروم على ما بيّنا، و منه ميره جيرفت. و على مرحله أخرى من شمال غربى دلفريد، جبل المعادن حيث الفضه. و تكثر بوجه خاص فى واد فى جبل الفضه .

و الى شرق جيرفت، جبل البارز، و كان فى المئه الرابعه (العاشره) تكسوه غابات كثيفه. و اليه التجأ المجوس المطاردون فى أيام الفتح الاسلامى الاول تخلصا من الجيش الذى جرده عليهم خلفاء بنى أميه، و لم يخضع هذه البلاد للاسلام الا بنو الصفار. و اشتهرت بعد ذلك بمعادن حديد. و

أقرب منها الى ساحل البحر، فى جنوب شرقى جيرفت، بلاد جبل القفص. كان بها فى المئه الرابعه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٥٥

(العاشره) قبائل جبليه، و فى شرقيها البلوص (أو البلوج) و كانوا يتنقلون عند تخومها الشرقيه أمام الحدود السفلى للمفازه الكبرى. و سيأتى الكلام على أجيال القفص من اللصوص عند وصفنا المفازه الكبرى. و كان يقال لقسم من هذه البلاد البعيده: الخواش، نسبه الى قبائل يعرفون بالاخواش. و هم أصحاب ابل و مراع و كانوا فى شعب شديد الحر يكثر فيه قصب السكر و يحمل الى سجستان و خراسان. و هذه الرقعه الجبليه هى التى تفصل بين الطرف الجنوبى للمفازه الكبرى و مكران. و قد كانت هذه المرتفعات سبعه أجبل، و لكل جبل رئيس منهم، و قد حمل عليهم عضد الدوله البويهى فى المئه الرابعه (العاشره) لاخضاعهم. و هم «رجّاله لا دواب لهم». «و هم صنف من الاكراد كانوا أصحاب نعم و بيوت شعر مثل الباديه»، لا مدن لهم. و فى الاقسام السفلى من بلادهم نخل كثير .

و على خمسين ميلا جنوب غربى جيرفت، مدينه گلاشكرد، و قد كتبها المقدسى بصوره و لا شجرد و قال فيها: «عليها حصن و لها قهندز يسمونه كوشه، شربهم من قنى ذات بساتين». و مغون «كثيره البساتين و النارنج، و هى من معادن النيل، شربهم من قنى» و هى على مرحله شمال و لا شجرد نحو جيرفت، و لعل خرائبها هى ما يعرف اليوم باسم فرياب أو پرياب . و على خمسين ميلا من جنوب و لا شجرد المدينه الجليله منوقان، و يقال لها اليوم منوجان.

قال فيها المقدسى «هى بصره كرمان» اشاره الى مكانتها التجاريه.

و هی جانبان، بینهما واد یابس یقال له کلان و یعرف أحد جانبیها باسم کونین و الآخر زامان، بینهما قلعه [ما زالت قائمه] و جامع یسمی جامع سیان. و علی مرحله منها، فی رمله قریبه من البحر، مدینه درهقان، و لا أثر لها الیوم علی ما یبدو. و کان الجامع وسط البلد، و لها بساتین فیها نیل، و شربهم من قنی.

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۳۵۶

و بین و لا شجرد و منوجان نهر کثیر الروافد یقال له الآن رودخانه دزدی، ذکره الاصطخری باسم نهر الزنکان، و یاقوت باسم نهر راغان. و أشار المقدسی الی مدینه روذکان و قال انها عامره، بها بساتین و نخیل و نارنج کثیر، و لعلها کانت علی هذا النهر. و الی شمال شرقی منوقان، فی طریق ریگان، و هی علی ثلاث مراحل من میناء هرمز، مدینتا باس و جکین، متجاورتان، لکل منهما جامع و سوق. و نهر سلیمان أو جوی سلیمان، مدینه عامره کثیره الاهل علی مرحله غرب ریگان، و قد ذکرها المقدسی فی کوره جیرفت. «و فیها نهر یتخلل البلد، و الجامع و قهندز وسطها». و أخیرا ذکر المقدسی فی القسم الشمالی من ناحیه جبل القفص مدینه قوهستان، و یقال لها قوهستان أبی غانم تمییزا لها عن غیرها و هی «وسطه حاره کثیره النخیل، و الجامع وسطها و بها قهندز» .

أما هرمز القدیمه، أی هرمز التی فی البر، فهی تبعد نحو بریدین أو مرحله نصف یوم من ساحل البحر. علی خلیج من بحر فارس یسمی الجیر علی ما فی الاصطخری «یدخل فیه السفن من البحر». و ما زالت خرائب المدینه تری فی موضع یقال له الیوم

منـاب و اسـمها الـدارج منـاو. و كـانت هرمز القـديمه فى المئه الرابعه (العاشـره) مجمع تجـاره كرمـان و سجسـتان و فى الأـزمنه الاخيره، لما بنيت هرمز الجديده فى الجزيره، حلت محل قيس مثلما حلت قيس محل سيراف قبلا، و أصبحت أجل فرضه تجاريه فى خليـج فـارس. و تكلم الاصـطخرى على هرمز (القـديمه) و قال «بها مسـجد جامع، و مساكن التجار فى رسـتاقها، متفرقين فى القرى نحو فرسـخين، و البلـد كثير النخـل، و الغـالب على زرعهم الـذره، و يزرع فيهـا النيل و الكمون و قصب السـكر». و أطرى المقدسـى أسواق هرمز فقـال «سوقهم جـاد، و شـربهم من قنى، و بنـاؤهم من طين». و العرصه على ساحـل البحر، تبعـد عن هرمز مرحله نصف يوم، و يظن انها كانت عند مدخل خليج هرمز.

و قد ذكر ابن خرداذبه فى أواسط المئه الثالثه (التاسعه)، الجزيره القريبه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٥٧

منهـا بـاسم ارموز (و كتبهـا المسـتوفى: أرموص) و لا ريب فى انها هى الجزيره التى تعرف بجزيره جرون. ففى مطلع المئه الثامنه (الرابعه عشـره)- و ذكر أحـد مراجعنـا السـنه ٧١۵ (١٣١۵)- هجر ملـك هرمز المـدينه الـتى على ساحـل البحر، لاتصـال غزوات اللصوص لها، و بنى هرمز الجديـده فى الجزيره الماره الـذكر المعروفه باسم جرون (أو زرون) و هى تبعد فرسـخا عن الساحل. و فى هذا الزمن، زار ابن بطوطه هرمز الجديده. و قد وصـفها معاصـره المستوفى و أطرى كثره نخيلها و قصب سكرها. و حكى ابن بطوطه ان هرمز القديمه كانت تسـمى فى أيامه موغ أستان، و أطلق على المدينه الجديده اسم الجزيره المعروفه بجزيره جرون، و هى مدينه حسنه لها أسواق حافله، و بها جامع، و

هى متجر سلع الهند و السند.

و فى ختام المئه الثامنه (الرابعه عشره)، جرد تيمور حمله على المدن الساحليه القريبه من هرمز القديمه، فاستولى على سبع قلاع هناك أحرقها كلها و فرّ مقاتلتها الى جزيره جرون. أما هذه القلاع السبع، فان على اليزدى سرد أسماءها، و هى: قلعه الميناء فى هرمز القديمه، و تنگ زندان، و كشككك، و حصار شامل، و قلعه منوجان (و قد مرّ ذكر المدينه)، و ترزك، و تازيان. و فى سنه ٩٢٠ (١٥١٤) استولى البرتغاليون على هرمز، و اسمها الشائع أرمز، بقياده ألبوكرك(Albuquerque) و عرفت الميناء الساحليه التى نزلوا فيها باسم گمبرون Gombroon) . و هو الموضع الذى اطلق عليه الشاه عباس بعد قرن اسم بندرعباس. و هو فرضه كرمان الحاليه. و لعلها تقوم فى موضع سورو أو شهرو الماره الذكر فى الفصل المعقود لفارس. و يقال ان الاسم گمبرون هو الذى حرّف الى كمرك (من اليونانيه(Koumerki و من هذا الاسم شاعت كلمه الكمرك فى أنحاء الشرق. و أشارت جهان نما التركيه الى ان گمرو ميناء هرمز.

و منها الى مدينه لار (فى فارس) مسيره أربعه أو خمسه أيام .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٥٨

و تجارات كرمان تقصر كثيرا عن تجاره فارس، و لم ينته الينا من البلدانيين العرب شى ء كثير عن تجاره هذا الاقليم. ذكر المقدسى ان فى كرمان تمورا و ذره و هى طعامهم. و تحمل من كرمان التمور الى خراسان، و النيل الى فارس، و غلات ناحيه و لا شجرد الى هرمز، و منها تحمل فى السفن الى أقاصى البلدان .

و ما ذكره بلدانيو المئه الثالثه و المئه الرابعه (التاسعه و العاشره) عن مسالك اقليم كرمان، أقل كثيرا

مما وصفوا به مسالك اقليم فارس. و هم الى ذلك أوردوا المسالك بالمراحل فقط، و هو مقياس غير دقيق. و يفتقر وصفهم لمعظم الطرق الى ذكر مراحلها الواحده تلو الاخرى بالفراسخ.

فالطرق الآتيه من فارس الى كرمان، تجتمع فى بيمند، و هى على ما بيّنا، على أربعه فراسخ من غرب السيرجان. فمن الشمال الشرقى ينحدر طريق من أناس و ناحيه روذان الى بيمند (و قد ذكره الاصطخرى و المقدسى). و من صاهك الكبرى الى بيمند (و السيرجان) طريقان جاء وصفهما بالفراسخ، الاول يمرّ بشهر بابك (و لم يذكره غير ابن خرداذبه) و الآخر يقطع المفازه الى بيمند رأسا.

و كان يبلغ اليها بطريقين: الاول (ذكره ابن خرداذبه) يمرّ بقريه الملح، و الا حر يمر برباط پشت خم (ذكره قدامه و الاصطخرى). و الى ذلك، ذكر المقدسى الطريق من نيريز (بالمراحل) الى بيمند و السيرجان. و قد وصف هو و الاصطخرى، الطريق من الجنوب الغربى الذاهب رأسا من رستاق الرستاق الى السيرجان و مسيرته نيف و أربعه أيام .

و كان من السيرجان الى بردسير (مدينه كرمان) مسيره يومين. و ذكر المستوفى انها عشرون فرسخا. و لم ينته الينا اسماء ما بينهما من محطات. مع انه كان بالقرب من هذا الطريق: ماشيز و بغين على ما قد بيّنا. ذكرهما ابن ابراهيم،

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۵۹

و قد كتب فى المئه الحاديه عشره (السابعه عشره)، غير مره، و قال انهما كانتا قائمتين فى المئه الرابعه (العاشره). و من بردسير (كرمان) الى زرند مرحلتان.

و كانت جنزروذ تتوسطهما. و من السيرجان الى ماهان مسيره ثلاثه أيام. و منها الى خبيص ثلاثه أيام أخرى. و لكن لا يعرف ما

بينهما من محطات .

و كان طريق القوافل العظيم، من السيرجان فشرقا الى مكران، يمر بجمله مدن لم يبق لها أثر. فقد كان يأتى الى رايين، و منها فى طريق يمر بدرزين و بم و نرماسير الى الفهرج على شفير المفازه. و قد ذكر ابن خرداذبه و قدامه المراحل فى هذا الطريق بالفراسخ، هذا الى ما انتهى الينا فى مرجعين آخرين عن المحطات التى فى مرحله كل يوم .

اما الطريق من السيرجان، نحو الجنوب الشرقى الى جيرفت، فمع ان ابن خرداذبه قد وصفه بالفراسخ، و الاصطخرى بالمراحل، لا يمكننا ان نعين من المواضع التى جاء ذكرها فيه غير درفارد، فلربما لا ـ يمكن العثور عليها فى الخارطه ما خلا ـ مدينه بافت الجنوبيه. كما ان القراءات المختلفه لهذه الاسماء فى المخطوطات لا ـ يصح الركون اليها فى أى حال، و من جيرفت ينعطف الطريق جنوبا فيمر بولاشجرد و منوقان ثم ينتهى بالساحل عند هرمز (القديمه). و على ما جاء فى الاصطخرى، كان يتفرع منه عند و لا ـ شجرد طريق يضرب غربا الى حد اقليم فارس، يمرّ بسلسله من المدن و القرى قد اختفت اليوم كلها، بل لا يمكن، يا للأسف، تعيين منتهى هذا الطريق فى حد اقليم فارس .

و الطريق من هرمز القديمه الى ريگان و نرماسير، قد ذكره المقدسى بالمراحل. و كان يمرّ بمدينتى باس و جكين. أما الطريق نحو الجنوب من رايين الى جيرفت، فقد ذكر الاصطخرى المسافات فيه ما بين دارجين و هرمز الملك بالمراحل .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۶۰

الفصل الثالث و العشرون المفازه الكبرى و مكران

اشاره

امتداد المفازه الكبرى و خواصها- الواحات الثلاث: الجرمق و نابند و سنيج- اهم مسالك المفازه- اقليم مكران- فنزبور و ميناء التيز-

مدن أخرى- السند و الهند- ميناء الديبل- المنصوره و الملتان- نهر مهران(Indus) - كوره طوران و قصدار- كوره البدهه و قنداييل.

تمتد المفازه الكبرى فى ايران فتقطع هضبه ايران العاليه، من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى، فتفصل الاقاليم الخصبه فى هذه البقاع الى مجموعتين. فان هذه المفازه تبدأ من جنوب جبال ألبرز التى يشرف شماليها على بحر قزوين، و تمدّ الى جبال مكران المجدبه، الاقليم المتاخم لبحر فارس. و يقدر طول المفازه بنحو من ۸۰۰ ميل، و لكن عرضها يختلف باختلاف بقاعها، لان شكل هذه الرقعه الفسيحه من الفيافى القاحله أشبه شى ء بزجاجه الساعه الرمليه الضيقه العنق، لا يتجاوز عنقها الضيق مئه ميل و هو يفصل بين كرمان و سيستان، بينما يتسع عرضها كثيرا فى الشمال و الجنوب حتى ليتجاوز فى بعض المواضع مئتى ميل .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۶۱

و قد عرف البلدانيون العرب فى القرون الوسطى هذه الصحراء بالمفازه، و عنوا كثيرا بتعيين حدودها. فمن غربيها و جنوبها الغربى يحدها اقليم الجبال و كوره يزد (و كانت تعد بالاصل جزءا من اقليم فارس) و كرمان، و فى جنوبها تتداخل فى أضعاف جبال ساحل مكران. و من شرقيها و شمالها الشرقى خراسان و الاقاليم التابعه لها و المجاوره: و هى قومس فى شمال المفازه، ثم زاويه من اقليم خراسان نفسه، ثم قوهستان، و فى أسفل ذلك سجستان و هى عند القسم الضيق من المفازه مقابل كرمان. و سجستان اليوم مفازه بلوجستان، و كانت فى العصور الوسطى تعد جزءا من مكران.

و ما كتبه ابن حوقل و المقدسى عن المفازه انما كان عن خبره و مشاهده، اذ أن كليهما اجتاز قفارها غير مره.

أوجز ابن حوقل وصـفها فقال: «ليست فى حيز اقليم بعينه، و هى من أكثر المفاوز لصوصا و فسادا» قد جعلوا منها ملجأ يعتصـمون به و يأوون اليه. و ليس فيها قريه و لا مدينه سوى فى ثلاثه مواضع. أما المقدسـى فقد تبسط فى الكلام عليها. و نحن نلخص شيئا مما ذكره قال: مثل المفازه كمثل البحر، كيفما شئت فسر اذا عرفت السمت و سلكت حيث تلمح الحياض و القباب المعموله فيها فوق حياض المياه التى كان يعنى بانشائها فى المئه الرابعه (العاشـره) بامتداد أهم طرقها بين مرحله كل يوم و أخرى. و قد أمضى المقدسـى فى هـذه المفازه سـبعين يوما، مخترقا اياها من اقصاها الى أقصاها. و تكلم كلام خبير على ما فيها من دروب و معارج فى جبـال فيهـا و كلهـا مخيف، سـباخها و سـرودها و جرومهـا، و قـال ان فيهـا رمالاـ قليله و نخيلا و زروعا فى أضـعاف كثير من وديانها الصغيره.

و كانت المفازه فى ذلك الزمن مخيفه، لان عصابات من البلوص (و هم

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۶۲

البلوج) كـانوا يعتصـمون فى جبـال القفص عنـد تخوم كرمـان، و هم «قوم لاـ خلاـق لهم، وجوه وحشه و قلوب قاسـيه، و بأس و جلاـده، لاـ يبقون على أحـد حتى يقتلوا من ظفروا به بالأحجـار كمـا تقتـل الحيّات، تراهم يمسـكون رأس الرجـل على بلاطه و يضـربونه بالحجاره حتى ينصـدع» و سألهم المقدسـى عن سـبب ذلك، فقالوا له لئلا تفسـد سـيوفنا. و فى أيام المقدسـى أبادهم عضد الدوله البويهى، و حمل منهم أمه رهائن الى فارس. فسـلم الطريق من شـرّهم، اذ كان مع القوافل بذرقه من قبل السلطان. و كان هؤلاء البلوص، على

ما ذکر المقدسی، «رجّاله، و ربما رکبوا الجمّازات» . و هم و ان کانوا یدّعون الاسلام، الا انهم «أشدّ علی المسلمین من الروم و الترک: اذا أسروا الرجل أمروه بالعدو معهم نحو عشرین فرسخا حافی القدم جائع الکبد. زادهم شی ء مثل الجوز یتخذ من النبق. و هم أصبر خلق اللّه علی الجوع و العطش».

و بعد المقدسی بنحو من نصف قرن، أی فی سنه ۴۴۴ (۱۰۵۲)، قطع ناصر خسرو الجزء الشمالی من المفازه فی عودته من حجه الی مکه. و لم یطلق ناصر خسرو علی المفازه الکبری اسما خاصا بها، بل أشار الیها فقط بلفظ بیأبان، أی «أرض لا ماء فیها». علی انه ذکر أهم صفتین خطرتین فیها: الرمال المتحرکه (ریک روان) و السباخ (شورستان) التی قد یبلغ طولها سته فراسخ. غادر ناصر خسرو نایین فی اقلیم الجبال الی الواحات الوسطی فی الجرمق، و منها الی طبس فی قوهستان، سالکا الطریق الذی سنصفه الآن. علی ان وصفه هذا الطریق غامض لم یزد الا القلیل علی ما نعرفه عنه. فقد تکلم علی گیلکی أمیر طبس و قال انه نشر الأمن و السلام فی المفازه، وهابه لصوص القفص الذین سماهم کوفج، و زال خطرهم. و ذکر ان بین کل فرسخین من الطریق الذی سلکه، قبابا فوق حیاض الماء، شیدت حتی لا یضلّ المسافرون الطریق و لکی یأووا الیها فی الحر و القر. و ذکر انه لو لا العنایه بهذه الحیاض لما استطاع أحد اجتیاز المفازه و هم فی خوف من اللصوص. و قد عزّز قول ناصر خسرو هذا، ما جاء

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۳۶۳

فی وصف کتابی المسالک لابن حوقل و المقدسی عن طرق

القوافل العديده فى هذه القفار الممتده الى كثير من الجهات، ففى جميعها، حياض للماء بين مرحله و مرحله .

و على مـدى الخط الاوسـط لهـذه المفازه الكبرى، ثلاث واحات تبعـد احـداها عن الاخرى بعـدا كبيرا. و اليها طبعا تتوجه طرق المفازه المختلفه التى تقطعها من الغرب الى الشرق. كانت هذه الواحات تعرف فى القرون الوسطى بالجرمق و نابند (و ما زالت تسمى بذلك) و سنيج. و لم يكن فى المفازه، على ما ذكر المقدسى، من مدن غير هذه الاخيره.

و تتوسط القسم الأعلى الواسع من المفازه، عنـد منتصف الطريق بين اصـفهان و طبس فى قوهسـتان، واحه يقال لها اليوم جندك أو بيابانك و هى التى كان يعرفها العرب فى القرون الوسطى بالجرمق، و كانت تكتب بالفارسيه بصوره گرمه.

و هى ثلاث قرى: الجرمق (أو گرمه) و بيادق (أو پياده بالفارسيه) و أرابه.

و أطلق ابن حوقـل على هـذه القرى اسم سـهده و تفسـيرها ثلاث قرى. و ذكر ناصـر خسـرو انه كـان فى هـذا الموضع فى المئه الخامسه (الحاديه عشره) من عشر الى اثنتى عشره قريه. و كـان فى پيـاده أيضـا حصن صـغير فيه بـذرقه الامير گيلكى لحمايه مسالـك المفـازه. و كان فى هـذه الواحه نخيل و زروع و مواش كثيره. و قال ابن حوقل كانت هـذه القرى الثلاث فى رأى العين قريبه بعضـها من بعضـها. و كان فيها فى المئه الرابعه (العاشره) نحو ألف رجل. و لم يزد من جاء بعده من المصنفين شيئا على ما ذكر. و كل من كتب عنها حتى زمن المستوفى فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) يطابق قول ابن حوقل، و كلهم ناقل عنه.

أما نابند، الواحه الثانيه، فما زالت تعرف بهذا الاسم. و هى فى

الطرف الشمالی من جزء المفازه الضیق بین راور فی کرمان و خور فی قوهستان. قال ابن حوقل فی نابند انها «رباط فیه مقدار عشرین مسکنا و فیه ماء یجری، علیه رحی صغیره، و لهم نخل، و لهم زرع علی ماء عین. و قبل نابند بفرسخین عین ماء

و عندها نخیلات و قباب، و لیس بها أحد، و هی ملجأ لّلصوص».

أما الواحه الثالثه فالی الجنوب أیضا، فی أضیق قسم من المفازه و هی مرحله فی نصف الطریق بین نرماسیر فی کرمان و زرنج قصبه سجستان. و فی هذا الموضع واد صغیر فیه عیون، یسمیه الفرس الیوم بنصرت أباد، و لکن ما زال البلوج یعرفونه باسم اسپی أو اسفی و هذا الاسم یطابق قراءه الاسم «اسبیذ» لهذه الواحه فی المقدسی الذی سماها أیضا سنیج أو سنیگ، وعدّها من مدن سجستان. أما ابن حوقل فقد جعلها من أعمال کرمان. و لم یکن فی المفازه، علی ما بینا، مدینه غیرها بحسب قول البلدانیین العرب. و قال فیها المقدسی:

«عامره آهله، بها مزارع کثیره وقنی، غیر انها کانت فی حدود المفازه» .

و تبسط بلدانیو المئه الرابعه (العاشره) فی صفه طرق المفازه. فمن غربیها کان یخرج، من اصفهان و من نایین، طریقان یجتمعان فی الجرمق: أولهما (و قد وصفه المقدسی) ثمانی مراحل. و من نایین الی الجرمق خمس مراحل.

و بین کل بضعه فراسخ منه حیاض للماء و قباب.

و المقدسی مرجعنا فی وصف الطریق من الجرمق المتجه شمالا الی الدامغان فی قومس رأسا و طوله تسعون فرسخا. خمسون فرسخا الی موضع یقال له ونده، ثم أربعون فرسخا الی الدامغان. و من الجرمق یشرّق، و بعد

مسیره أربعه أیام یبلغ موضعا یقال له. نوخانی أو نوجای. و بین کل ثلاثه أو أربعه فراسخ منه قباب للماء. و یتفرع الطریق فی نوجای الی فرعین: یتجه أحدهما نحو الشمال الشرقی الی ترشیز، و الآخر نحو الجنوب الشرقی الی طبس. و کلا الموضعین فی اقلیم قوهستان. و المسافه من نوجای الی ترشیز أربع مراحل. تتوسطها بن أفریدون (و تعرف الیوم باسم ده نابند و لا یلتبس هذا الموضع بواحه نابند، و قد مرّ ذکرها الآن). و ذکر المقدسی أیضا طریقا یقطع المفازه من الجرمق الی

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۳۶۵

بن أفریدون هذه فی سبعه أیام، فی کل مرحله منه حوض. و من نوجای یتجه الطریق نحو الجنوب الشرقی فیبلغ طبس بعد مسیره ثلاث مراحل. و ذکر ابن خرداذبه المسافات بین طبس و ترشیز عن طریق بن بالفراسخ. أما فی غیر هذا الطریق، فان طرق المفازه قد وردت بذکر مرحله الیوم فقط .

و الطریق من یزد الی طبس رأسا، کان یمرّ بأنجیره و خزانه فیبلغ ساغند و هی فی شفیر المفازه. و قد مرّ ذکر هذه المواضع فی اقلیم فارس (أنظر ص ۳۲۲). من ساغند الی طبس ذکر ابن خرداذبه المراحل الست التی فیه بالفراسخ. و قد نقل ابن حوقل و المقدسی وصفه لهذا الطریق، و لکنهما ذکراه بالایام و اتبعا طریقا یخالفه بعض الشی ء. و کان علی مرحلتین من ساغند حصن یقال له رباط آب شتران (أی رباط نهر الجمل). و کان الماء یأتی من قناه و یصب الی برکه. و قد وصف المقدسی هذا الرباط بقوله «ما رأیت أحسن منه، من الحجاره و الجص، علیه أبواب حدید، و فیه

قوم يحفظونه». بناه ناصر الدوله ابن سيمجور و هو من قاده بنی بويه المشهورين. و كان والی هذه الجهات فی أواسط المئه الرابعه (العاشره).

و بعد هذا الحصن بثلاث مراحل، تنتهی المفازه. و عندها يجانب الطريق طبس، علی ما ذكر ابن حوقل (معيدا قول الاصطخری)، و يسير سيرا متصلا من المحطه التی فی جنوب هذه المدينه بمرحله، الی المحطه التی فی شمالها بمرحله فی الطريق الذاهب الی بن .

و الطريق الآخر الذی يقطع المفازه، يبدأ من قريه بيره فی ناحيه يقال لها شور، أی الماء المالح، و كانت عند حدّ كرمان قرب كوه بنان. و الطريق من هذا الموضع الی كری تسع أو ثمان مراحل- فی كل مرحله منها حوض ماء- و كری قريه عند حد المفازه فی قوهستان، تقوم علی بضعه أميال من جنوب شرقی طبس. و ذكر الاصطخری عن هذا الطريق، و قد كان يعرف بطريق شور، ان

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۶۶

علی نحو فرسخين من شماله «حجاره فی صور الفواكه (لا ريب فی انها من المتحجرات) من اللوز و التفاح و نحوه، و فيها صور تقارب الناس و الأشجار و غير ذلک». و ذكر المقدسی انه الی الطريق المار الذكر، طريق آخر يتجه رأسا من كوه بنان الی كری طوله ستون فرسخا، و عند كل ثانی مرحله حياض للماء.

و راور ، و قد جاء ذكرها فی الفصل الحادی و العشرين، علی بضعه فراسخ من شرق كوه بنان فی حد كرمان. و كان يتجه من هذا الموضع طريق فيه خمس مراحل الی نابند و هی الواحه الماره الذكر، و منها طريق فيه ثلاث مراحل الی خور فی قوهستان. و كان

بین کل ثلاثه أو أربعه فراسخ من هـذا الطریق، حیاض الماء المألوفه. أما مـدینه خبیص، و هی علی ثلاث مراحل من ماهان، فی حـد کرمان، فقد کانت، علی ما ذکرنا ضـمن حدود المفازه تقریبا (راجع ص ۳۴۶). و کان یخرج منها طریق ینتهی الی خوسـت (خوسف الحـالیه) فی قوهسـتان، و یقطع فی عشـر مراحـل. و کـان حـد قوهسـتان یقع علی مرحلتین قبـل بلوغ خوست عنـد قریه کوکور و هی فی منتهی المفازه. و هـذا الطریق، عند مکان یقال له قبر الخارجی، «حصـی صـغار بعضه فی لون الکافور بیاضا، و بعضه أخضر فی لون الزجاج». و فی موضع آخر یبعد عن الطریق نحو اربعه فراسخ «حجاره صغار سود» مظهرها یسترعی النظر .

و الطریق الاخیر من نرماسـیر فی کرمان الی زرنج قصـبه سیسـتان، یقطع الجزء الضیق من المفازه مارا بواحه سنیج أو اسپی، و قد مرّ وصـفها. و کانت المرحله الاولی فی هـذا الطریق الی فهرج و هی فی حـد المفازه، و بعـد أربع مراحل ینتهی الی سـنیج. و قد ذکر ابن خرداذبه المسافه بین مرحله و مرحله من هذا الطریق بالفراسخ. أما الاصطخری فقد ذکره بالایام. و ذکر أیضا طریقا ثانیا ینتهی الی سـنیج سـماه الطریق الجدیـد. الا انه أطول مسافه. و من سـنیج الی زرنج سـبعه أو ثمانیه أیام. و کان هذا الطریق یجتاز حد سیستان فی گاونیشک،

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۳۶۷

و هی لا تبعد عن کندر الموضع الذی ما زال یری فی الخارطه. و کان بین گاونیشک و کندر، علی ثلاث أو أربع مراحل جنوب زرنج، رباط بناه عمرو الصفار فی المئه الثالثه (التاسعه) کان یعرف، علی ما ذکر

الاصطخری، بقنطره کرمان، فقد قال «لیس هناک قنطره و لکن تسمی کذلک». و لهذا الموضع شأن خاص، اذ ان بحیره زره کانت تمتد جنوبا فی العصور الوسطی حتی هذا الموضع، علی ما سنبینه فی الفصل القادم .

اقلیم مکران

لیست جبال ساحل مکران القاحله فی مظهرها الطبیعی العام، الا امتدادا للمفازه الکبری. و مع ان بلاد مکران کانت فی القرون الوسطی أوفر خصبا و أکثر أهلا عما هی علیه الیوم، علی ما یظهر، فان هذا الاقلیم لم یکن قط غنیا أو ذا شأن سیاسی. و أهم ما فی مکران قصب السکر و صنف من السکر الابیض عرفه العرب بالفانیذ (من پانید الفارسیه) و کان یحمل منه الی البلدان المجاوره .

و سرد البلدانیون الأوائل أسماء کثیر من المدن فی مکران، و لکنهم لم یتبسطوا فی وصفها. کان أجل مرکز تجاری فیه، فرضه التیز علی ساحل خلیج فارس. و کانت قصبه الاقلیم فنّزبور أو بنجبور و هی فی داخل البلاد فی موضع یعرف الیوم باسم پنج گور. و کان لبنجبور فی المئه الرابعه (العاشره) علی ما ذکر المقدسی، حصن من طین حوله خندق، و هی بین النخیل، لها بابان، باب التیز فی الجنوب الغربی یفضی الی الطریق الذاهب الی فرضه الخلیج- و باب طوران- فی الشمال الشرقی کان یفضی الی الطریق الذاهب الی ناحیه طوران،

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۳۶۸

و کانت قصبتها قصدار (أو قزادار)، و شربهم من نهر و الجامع وسط الاسواق.

و علی رأی المقدسی، ان أهل الاقلیم «قوم غتم، لیس معهم من الاسلام الا اسم، لسانهم بلوصیّ» .

و بقایا فرضه التیز العظیمه، تقوم فی رأس ما کان فی العصور الوسطی میناء حسنا تدخله

السفن الصغيره. قال المقدسی فی التیز: «کثیره النخیل، بها رباطات فاضله و جامع حسن، و هم قوم متوسطون، غیر انها فرضه مشهوره». و فی المئه السادسه (الثانیه عشره) استحوذت هذه الفرضه علی تجاره هرمز التی آلت الی الخراب و صارت أطلالا .

أما مدن مکران الاخری، فالبلدانیون العرب، لم یذکروا غیر أسمائها دون أی وصف لها. فاسما المدینتین المشهورتین بمپور و فهرج المجاوره لها، جاءا فی المقدسی بصوره بربور (بدلا من بنبور) و فهل فهره. و ذکر یاقوت الاسم الاخیر بصوره بهره . أما مدینه قصرقند، فی شمال التیز، فما زالت موضعا ذا شأن. و کجّ، و هی علی مسافه قلیله فی شرق قصرقند، جاء اسمها بصوره کیج و کیز، و ورد أیضا اسم جالک و دزک. أما خواش، أو خواص، و یحتمل انها کوشت الحالیه، فانها الی شرق خواش فی ناحیه السرهد (و قد مرّ ذکرها فی صفحه ۳۵۵). و کانت راسک فی العصور الوسطی مدینه ذات شأن لخصب ناحیتها المعروفه بالخروج. علی انه لا یمکننا من وصف المسالک مطابقتها بالبلده الحالیه التی بهذا الاسم. و کانت أرمابیل و قمبلی، مدینتین جلیلتین علی الساحل

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۳۶۹

أو بالقرب منه فی نحو نصف الطریق بین التیز و الدیبل عند فم نهر مهران (الاندس). و قال الاصطخری فی هاتین المدینتین «مدینتان کبیرتان، و بینهما مقدار منزلتین. و بین أرمابیل و البحر مقدار نصف فرسخ». و کان أهلهما من أغنیاء التجار، أکثر تجاراتهم مع الهند .

و کتابنا هذا لم نرم فیه الی البحث عن الهند فی العصور الوسطی. بل ان البلدانیین العرب أنفسهم لم یعنوا بوصف هذه البلاد وصفا کاملا شاملا. فهم

لم يعرفوا من الموانئ الهنديه، فيما يلى الطرف الشرقى لخليج فارس، أكثر من معرفتهم فرضه الديبل. فقد كانت حينذاك ميناء حسنا عند أكبر فم لنهر الاندس(Indus) ، و الديبل فى اقليم السند، و كانت قصبته المنصوره، و اسمها بالهنديه برهمناباذ، و كانت مدينه عظيمه على فرع من فروع نهر الاندس الاسفل.

و كان العرب يسمون نهر اندس نهر مهران. و ذكروا كثيرا من المدن التى على ضفافه، أهمها المتان و هى المدينه العظيمه التى فى أعلى رافد من روافد السند و هو السندروذ، و كان فيها بيت صنم (بذ) مشهور. و الاصطخرى الذى شبه نهر مهران بالنيل فى الكبر و النفع، قال ان فيه تماسيح مثل تماسيح نيل مصر، و قال «ان مخرجه من ظهر جبل (فى الشمال يخرج منه بعض أنهار جيحون).

و عرف العرب أهل اقليم السند بالزطّ، و اسمهم بالفارسيه جت. و المقول اليوم انهم أسلاف النور أو الغجر» .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٧٠

و قد وصف البلدانيون العرب، كورتين عند حدود مكران الشماليه الشرقيه مصاقبتين لحد الهند، هما طوران و قصبتها قصدار، و البدهه الى الشمال منها و قصبتها قندابيل. و جاء اسم قصدار بصوره القزدار أيضا، فقد ورد ذكرها بهذه الصوره فى فتوحات السلطان محمود الغزنوى الاولى. قال فيها ابن حوقل انها على واد، و فى وسط الوادى حصن. «و هى ناحيه خصبه، و بها أعناب و فواكه الصرود و رمان حسن». و زاد المقدسى عليه انها «ذات جانبين، بينهما واد يابس بلا جسور، فى أحدهما دار السلطان فيه قلعه، و يسمى الجانب الاخر بودين و فيه دور التجار و المطارح، و اليها يقصد نفر خراسان». و زاد

المقدسی علی ذلک ان بنیانها من طین و شربها من قنی، «الا أن ماءها ردئ» قلیل. بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس- کورکیس عواد ؛ النص ؛ ص ۳۷۰

ا طوران، و هو اسم ناحیه قصدار، فغالبا ما کانت تضم الیها ما فی شمالها من أرض الناحیه المعروفه بال «بدهه» و قصبتها قندابیل. و المتحقق انها قندوه الحالیه و هی فی جنوب سیبی و شرق کلات. قال ابن حوقل فی قندابیل «مدینه کبیره، و لیس بها نخیل، و هی فی بریه مفرده بذاتها». و من أعمالها مدینه کیزکانان أو کیکان. و یمکن القول استنادا الی وصف موضعها فی المسالک انها کلات الحدیثه. و هاتان المدینتان کثیرا ما تعدان من أعمال طوران.

و جاء ذکر أسماء غیرهما أیضا بما لا یمکن التحقق منها الآن لضآله أخبارها و لشده اختلاف المخطوطات فی تهجئتها . و الی شمال هاتین الناحیتین:

بالس أو و الشتان و مدینتا سیبی و مستنج. الا ان البلدانیین القدماء عدّوها من أعمال سجستان. و علیه سنشیر الیها فی الفصل القادم.

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۳۷۱

أما طرق مکران، فانها استمرار لطرق المفازه الکبری التی سبق وصفها و هی تنتهی فی بلاد الهند. علی ان مما یؤسف علیه، ان هذه الطرق قد ذکرت بایجاز و لم یتعد وصفها، علی ما هو مألوف، ذکر الایام التی بین بلده و أخری، و لا یوثق بما قیل عن المسافات التی بینها. و مع ذلک، فان ابن خرداذبه قد أفاض فی القول فی أحد هذه الطرق فذکره بالفراسخ و وصفه مرحله مرحله و ان کان یستحیل علینا الیوم تعیین خطه الحقیقی فی المفازه. یبدأ هذا الطریق من الفهرج عند شفیر المفازه

فى شرق بم و نرماسير فى كرمان. و ذكر ابن خرداذبه مراحله الاربع عشره الى فنّزبور قصبه مكران، و منها يتجه شرقا الى قصدار، أشار فيه الى أسماء ثلاث محطات. و ذكر المقدسى طريقا موازيا له تقريبا، واصفا اياه بالاتجاه المعاكس و هو من قصدار الى جى أو نهر سليمان، و هى على عشرين فرسخا شرق بم، الا ان هذا الطريق يكون مسيره شمال فنزبور و يمر بجالك و خواص .

و من فرضه التيز الى كيز خمس مراحل، ثم مرحلتان الى فنزبور و كان ينتهى الى هذه المدينه طريق آخر من قصر قند و لكنه لا يأتيها رأسا. و من كيز و من قصر قند الى أرمابيل ست مراحل على ما انتهى الينا، ثم مرحلتان الى قمبلى و منها أربع مراحل الى الديبل فى فم الاندس .

و المعروف انه كان من فنزبور الى الديبل أربع عشره مرحله. و جاءت المسافات من قصدار الى قندابيل و الى كيزكانان (كلات) بأرقام تقريبيه، و كذلك من هذين الموضعين الى سيبى و مستنج فى و الشتان. و تختتم كتب المسالك وصفها بسرد موجز لعدد الايام التى يتطلبها الوصول الى الملتان و المنصوره، المدينتين اللتين على نهر مهران من قصدار و من قندابيل و من حدود و الشتان مما يلى سيبى .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٧٢

الفصل الرابع و العشرون سجستان

سجستان أى نيمروز و زابلستان- زرنج و هى القاعده- بحيره زره- نهر هيلمند و الانهار الآخذه منه- العاصمه العتيقه للاقليم و هى رام شهرستان- نه- فره و نهر فره- نهر خاش و رستاق نيشك- قرنين و مدن أخرى- روذ بار و بست- رساتيق زمينداور- رخج و بالس أى و

الشتان- قندهار- غزنه و كابل- معدن الفضه- المسالك فى سجستان.

سيستان- و سمتها المراجع العربيه القديمه سجستان، من الاسم الفارسى سگستان(Sagistan) - هى البلاد السهليه حول بحيره زره و فى شرقها، و يدخل فيها دلتا نهر هيلمند و غيره من الانهار التى تصب فى هذا البحر الداخل [أى بحيره زره]، و كانت مرتفعات رستاق قندهار، و هى بامتداد أعالى هيلمند، تعرف بزابلستان. و سيستان يقال لها بالفارسيه نيمروز أيضا، و معناه نصف يوم أو الارض الجنوبيه. و يقال ان هذا الاقليم انما سمى بذلك، لوقوعه فى جنوب خراسان. و قال الاصطخرى، ان سجستان «خصبه كثيره الطعام و التمور و الاعناب ... و يرتفع منها غله عظيمه من الحلتيت ، حتى انه قد غلب على

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٧٣

طعامهم و يجعلونه فى عامه أطعمتهم» .

و لا يغرب عن البال، ان بحيره زره كانت فى القرون الوسطى أوسع رقعه مما صارت اليه فى أيامنا. و كان يقع فى البحيره غير نهر هيلمند، و هو نهر عظيم ذو روافد كثيره، ثلاثه أنهار أخرى كبيره، هى نهر خواش و نهر فره و النهر الآتى من أنحاء أسفزاز (و هى سبزوار هراه) و يقال له اليوم هارود.

و فى الاساطير الفارسيه، ان سيستان و زابلستان اشتهرتا بكونهما موطن زال أبى البطل القومى «رستم» الذى ما زال يتحدث الناس بأعماله و مآثره . و فى صدر أيام الدوله العباسيه، اشتهرت سيستان أيضا، بأن فيها نشأ أمراء بنى الصفار الذين حكموا فى النصف الثانى من المئه الثالثه (التاسعه) معظم بلاد ايران الجنوبيه و الشرقيه، و قد كانوا أمراء مستقلين.

و كانت قاعده الاقليم فى العصور الوسطى، مدينه زرنج العظيمه، و

قد خرّبها تيمور و ما زالت أطلالها تنتشر فى رقعه واسعه من الارض. على ان اسم زرنج قد خفى اليوم، بل ان استعماله بطل منذ أواخر العصور الوسطى، و لم يكن البلدانيون العرب المتأخرون يعرفونها الا بمدينه سجستان. و يقابلها بالفارسيه شهر سيستان. و كان ذلك اسمها حين خرّبها تيمور أخيرا و لم يبق منها حجرا على حجر . و كانت زرنج فى أيام الملوك الساسانيين مدينه عظيمه،

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۷۴

و جاء ذكرها غير مره فى أخبار الفتوحات الاسلاميه الاولى، سنه ۲۰ (۶۴۱).

و كانت تقوم بالقرب من نهر سناروذ و هو من الانهار الكبيره الآخذه من هيلمند نحو الغرب، و تصل مياهه فى أيام الفيضان الى بحيره زره.

و ذكر اليعقوبى فى المئه الثالثه (التاسعه) ان محيط زرنج اربعه فراسخ.

و انتهى الينا من ابن حوقل فى المئه التاليه لها، وصف مفصل لهذه المدينه، قال:

«هى مدينه عليها حصن، و لها خمسه أبواب. و لها ربض واسع، و عليه سور و حصن دائر بالربض، و خندق على الربض حصين، و فيه ماء، و ماؤه ينبع من مكانه و يقع فيه فضل من المياه الجاريه اليها. و للربض ثلاثه عشر بابا». و الابواب الخمسه للمدينه الداخله كلها حديد. اثنان متجاوران يفضيان الى الجنوب الشرقى يخرج منهما الى فارس، يعرفان ببابى فارس، و يسمى أحدهما الباب الجديد و الآخر الباب العتيق و باب يفضى الى الشمال، يخرج منه الى خراسان، هو باب كركويه نسبه الى مدينه كركويه القريبه منها. و كان باب نيشك فى الطريق الشرقى يخرج منه الى بست. و يعرف الباب الخامس بباب الطعام، و هو أعمر أبوابها، يفضى الى الطريق الذاهب

جنوبا الذى يخترق الاسواق و البساتين فى ظاهر زرنج.

و المسجد الجامع كان فى الربض قرب البابين اللذين فى الجنوب الغربى على طريق فارس. و الحبس عند الجامع. و هناك أيضا دار الاماره. و بين باب نيشك و باب كركويه فى الشمال الشرقى من المدينه، أبنيه عظيمه تسمى أرك أى قلعه، و فيها كانت الخزانه. بناها عمرو بن الليث الصفّار، ثانى أمراء الدوله الصفاريه. و كان أخوه الامير يعقوب، مؤسس هذه الدوله، قد بنى له قصرا صار دار الاماره الجديده و هى فى هذا الجزء من المدينه الداخله بين البابين اللذين فى الجنوب الغربى و باب الطعام. و بالقرب منها قصر عمرو أيضا. و كانت هذه الابنيه، كسائر أبنيه المدينه، «من طين، آزاج معقوده، لان الخشب بها يتسوس و لا

يثبت» لرطوبه جوها و انتشار الارضه فيها. و فى المدينه الداخله و ربضها، كثير من الفنادق. و فى الربض دور الاماره. و أسواق المدينه الداخله حوالى المسجد الجامع. و أسواق الربض أسواق عامره أيضا، منها سوق يسمى سوق عمرو، بناه ثانى الامراء الصفاريين. «و غله هذا السوق فى كل يوم نحو ألف درهم (٤٠ باونا) و وقفه على المسجد الجامع و البيمارستان و المسجد الحرام».

و السوق فى الربض متصل غير منقطع نحو نصف فرسخ، ممتد من باب فارس فى السور الداخل، الى باب فارس فى سور الربض. و كانت المياه وافره فى انحاء زرنج، تجرى اليها فى أنهار صغيره وقنى متصله تأخذ من نهر سناروذ و تدخل الى المدينه الداخله من ثلاثه مواضع: من الباب العتيق، و من الباب الجديد، و من باب الطعام. «و مقدار هذه الانهار،

اذا اجتمعت، ما يدير الرحى. و عند المسجد الجامع حوضان عظيمان يدخلهما الماء الجارى و يخرج و يتفرق فى بيوت أهل البلد». و بيوت الربض تجرى اليها المياه فى قنى أيضا و لا غنى عن هذه المياه لشده حر المدينه. و فى كل بيت سرداب يعيش فيه الناس فى فصل القيظ لاشتداد الحراره فى زرنج. و أرض المدينه سبخه و رمال، بها نخيل «و تشتد رياحهم و تدوم، و تنقل رمالهم من مكان الى مكان. و لولا انهم يحتالون فيها بسياسات، لطمّت القرى و المدن بها، و ذلك ان جميع البلد رمل». و لدوام رياحهم «نصبوا عليها أرحيه لطحن قموحهم، يديرونها بالريح». و هو أمر اختصت به هذه البلاد. و كانت «الرمال المتحركه» مبعث خطر و ضرر دائم لأهل المدينه.

و لابن حوقل حديث طويل بلغه فى سنه ۳۶۰ (۹۷۰)، ذكر فيه كيف ان الرياح قبل ذلك بسنه «أكبت بالرمل على الجامع».

هذا ما كان من حال زرنج فى المئه الرابعه (العاشره). و قد ردّد المقدسى هذا الوصف أيضا. فأشار الى غنى أهلها و الى انهم ذوو عقل و علم، و نوه بقلعتها الحصينه و بمنارتيها المشهورتين فى مسجدها الجامع. بنى احداهما يعقوب بن الليث الصفار . و بقيت هذه المدينه على ازدهارها قرونا كثيره حتى انها

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۷۶

على ما يبدو قد نجت من التدمير فى خلال الغزو المغولى سنه ۶۱۹ (۱۲۲۲)، حين بعث جنكيزخان بجموعه لتخريب سيستان. و بقيت زمنا بعد هذا التاريخ يحكمها وال مغولى. و فى النصف الاول من المئه الثامنه (الرابعه عشره) تكلم المستوفى على زرنج (و يلفظ الفرس اسمها زرنگ) و قال انها مدينه على

غایه من الازدهار، و کان یحمی زرنج من الرمال المتحرکه التی تأتیها من المفازه المجاوره لها، «بند» عظیم یقال ان أول من بناه الملک گرشاسف فی قدیم الزمان.

و جدده بعد ذلک الملک بهمن بن أسفندیار. و أطری المستوفی بساتین زرنج التی تکثر فیها الفواکه الطیبه. و کان یسقی هذه البساتین سیاه رود (النهر الاسود) و هو یأخذ من أحد فروع هیلمند. علی انه فی أواخر هذا القرن أی سنه ۷۸۵ (۱۳۸۳)، ظهر تیمور بجحافله أمام المدینه، و کانت تعرف حین ذاک، علی ما بیّنا، بشهر سیستان (أی مدینه سیستان) و ما عتمت أن لاقت مصیرها المحتوم.

ذلک ان تیمور لنک استولی علی قلعتها و قوضّها، و هی القلعه المعروفه ب «حصار زره» و لعلها کانت تقوم فی شمال زرنج بالقرب من حافه البحیره. أما سیستان العاصمه نفسها، فقد سدت أبوابها بوجهه و امتنعت عن التسلیم، فحاصرها حصارا لم یطل أمده، فقد استولی علیها عنوه و أعمل السیف فی رقاب أهلها، و دک أسوارها و خرب دورها. و منذ ذلک الحین تحولت زرنج الی خرائب لا اسم لها .

و بحیره زره، أو زرّه، کانت فی القرون الوسطی علی ما بیّنا، أوسع بکثیر مما هی علیه الیوم. الا ان هذه البحیره، کانت فی کل الازمان «یتسع الماء فیها و ینقص علی قدر زیاده الماء [فی الانهار] و نقصانه» . و قال ابن حوقل فی وصفها فی المئه الرابعه (العاشره): «طولها نحو ثلاثین فرسخا (مئه میل) من ناحیه کوین (أو کرین) علی طریق قوهستان الی قنطره کرمان علی

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۳۷۷

طریق فارس» عند حد سجستان فی المرحله الثالثه فی الطریق من زرنج الی

نرماسير (أنظر ص ٣٦٦ أعلاه). و عرض هذه البحيره مقدار مرحله (أى مسيره يوم و هو نحو ثلاثين ميلا) و هى عذبه الماء، وافره القصب، و يرتفع منها سمك كثير. و «حواليها كلها قرى سوى الوجه الذى يلى المفازه» و فى هذه القرى كان هذا السمك يجفف و يحمل الى سائر البلاد.

و أكبر الانهار التى تحمل الماء الى بحيره زره، هو نهر هيلمند العظيم الذى أجاد ياقوت فى وصفه «انه ينصب اليه مياه ألف نهر». و قد ضبط اسمه بصوره هندمند. أما هيدمند فلعله من خطأ النساخ. و كذلك هيرمند (أو هيرميد) و بهذا الاسم الاخير ذكر المستوفى النهر، كما سماه أيضا آب زره، أى نهر زره.

و ما هيلمند الا الصيغه الحديثه الأكثر شيوعا. و مخرج هذا النهر الكبير فى الجبال بين غزنه و باميان، و تؤلف هذه الجبال اليوم قسما من أفغانستان، و قد كانت فى القرون الوسطى تعرف بناحيه (أو مملكه) الغور. و يجرى هيلمند نحو الجنوب الغربى فينحدر فى الوادى العريض المعروف بزميتداور الى مدينه بست حيث يلتقى بضفته اليسرى نهر قندهار الذى يسقى بلاد رخّج. و كانت بست أولى مدن سجستان التى يبلغها النهر. و من هذه المدينه ينعطف هيلمند انعطافه العظيم نصف الدائرى، باتجاهه جنوبا فغربا فشمالا حتى يبلغ زرنج و منها يدور نحو الغرب ثانيه ثم يقع فى بحيره زره.

و تقوم فى نهر هيلمند، على بعد مرحله، أى مسافه نحو ثلاثين ميلا من زرنج، سدود أنشئت لتقسيم مياهه على أنهار الرى. و فى هذا الموضع تفرغ أعظم كميه من مائه فى أنهار خمسه كبيره تجرى نحو زرنج و البحيره. فأول هذه الانهار المنشقه عنه: نهر الطعام و هو أبعدها

جنوبا. و كان يسقى الرساتيق خارج باب الطعام من أبواب زرنج و قد مرّ ذكره. و من هذه الرساتيق ما ينتهى

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۷۸

الى حد نيشك ويليه نهر يقال له نهر باشتروذ. ثم نهر ثالث هو نهر سناروذ، كان يأخذ من هيلمند على فرسخ من زرنج، و هو النهر الذى يحمل الماء الى قاعده الاقليم. و لهذا فقد أشار ابن حوقل الى ان فى موسم الفيضان كانت تجرى فيه السفن من بست الى زرنج. أما النهر الرابع، فكان يسقى مقدار ثلاثين قريه و يقال له نهر شعبه. و النهر الخامس كان نهر ميلى. و كانت فضله ماء نهر هيلمند بعد ذلك تجرى فى نهر يسمى نهر كزك، «و قد سكر هناك سكر يمنع الماء ان يجرى الى بحيره زره حتى يجئ المدّ، فاذا جاءت أيام المدّ زال السكر و وقع فضل هذا النهر الى بحيره زره» .

و يؤخذ من أقوال البلدانيين العرب الأولين، أن زرنج لم تكن قاعده سجستان فى أيام ملوك العجم القدماء، بل كانت مدينه اسمها رام شهرستان و يقال لها أيضا أبر شهريار. و هذه المدينه كانت فى المئه الرابعه (العاشره) قد دفنتها رمال المفازه، و أبنيتها و بعض بيوتها بقيت قائمه الى ذلك الزمن. و يقال ان موضع هذه العاصمه القديمه كان على ثلاث مراحل من زرنج، عن يسار الذاهب من زرنج الى كرمان «اذا جزت، (مدينه) دارك بحذاء (مدينه) راسك» و هما موضعان مجهولان. و يقال ان الفرع الكبير المنشق من هيلمند «كان يجرى عليها فى الايام الخاليه فيسقى رساتيقها. ثم انقلع السكر فى هذا النهر و انبثق الماء منه و مال الى نهر

آخر فانقطع عنها» و من ثم تحول ما كان يكتنف المدينه العتيقه من رساتيق الى مفازه، فهجرها الناس و بنوا زرنج.

و على مسافه يسيره غرب بحيره زره، على حد قوهستان، عند شفير المفازه العظمى، مدينه نه أو نيه، و قد ذكرها البلدانيون العرب الاولون بكونها من أعمال سيستان. قال فيها المقدسى «عليها حصن، بناؤهم طين، و شربهم أكثره من قنى» يجرى اليها الماء من الجبال. و أشار الى نه أيضا ياقوت و المستوفى. و لم يزد الاخير شيئا الا قوله: بناها الملك أردشير بابكان. و ما يشاهد اليوم من بقايا

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٧٩

الحصون و الخرائب الهائله لا يدل الا على انها كانت فى القرون الوسطى موضعا جليل الشأن .

أما ما يقع من أنهار فى بحيره زره من الشمال، و هى الانهار المنحدره من أسفزار (سبزوار هراه) و يقال لها اليوم هارود، فلم يذكرها البلدانيون العرب على ما يبدو، الا انهم أشاروا الى نهر فره. و مخرجه فى جبال ناحيه الغور.

و وادى فره هذا، بعد ان يجتاز الجبال، يدخل اقليم سجستان و يصل الى مدينه فره. و قد وصفها ابن حوقل بقوله هى أرض سهله و مدينه كبيره، أبنيتها طين و لها رستاق يشتمل على نحو من ستين قريه، و بها نخيل و فواكه و زروع. و زاد المقدسى على ذلك قوله «فره: ذات جانبين، جانب للخوارج و جانب لأهل الجماعه». و على مرحله من جنوب المدينه، قنطره على نهر فره يقال لها قنطره فره (و بالفارسيه پل فره). و عندها يعبر الطريق الآتى الى زرنج من ضفه النهر اليمنى الى اليسرى. و كانت هذه القنطره، و عندها مدينه أيضا،

على أربع مراحل فوق جوين. و كان فى نحو نصف الطريق بين المدينتين (على ما ذكر ابن رسته) موضع يقال له كهن. و قرب كهن، على بعد فرسخ من غربها، كثيب رمل كبير، ذو خاصيه اسماع الاصوات. فان القيت على رمل هذا التل الماء أو أى شى ء حتى الصغير «سمعت منه صوتا شديدا و دويا هائلاـ مسمعا». و ذكر البيرونى أيضا هذا الجبل العجيب، و قد كتب فى المئه الخامسه (الحاديه عشره). و مثل هذه الخاصيات التى فى الرمال المتنقله تلاحظ اليوم فى كثبان المفازه بين سجستان و قوهستان. و المدينه المزدوجه الحديثه لاش- جوين، و هى فى يومنا موضع جليل الشأن قد ذكرها المقدسى باسم كوين (عوضا عن گوين)، و قال فيها «كوين، عليها حصن منيع كبير، و ليس بها منبر من أجل انهم خوارج».

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٨٠

أما غير المقدسى من بلدانيى القرون الوسطى، فلم يذكروا هذا الموضع الا بكونه مرحله فى الطريق. و لم يذكروا الاسم «لاش».

و فى نحو نصف المسافه بين جوين و زرنج، يعبر الطريق أكبر فروع هيلمند على قنطره. و على بضعه فراسخ جنوبها، المدينه الجليله كركويه كانت هذه المدينه على مرحله شمال زرنج، و باسمها على ما بيّنا، سمىّ باب زرنج الشمالى. و كان أهل كركويه من الخوارج على ما ذكر ياقوت. و فى كركويه بيت نار معظّم عند المجوس. و أسهب القزوينى، و قد كتب فى ختام المئه السابعه (الثالثه عشره) فى صفه هذه البنايه. قال «بها قبتان عظيمتان، زعموا انهما من عهد رستم الشديد. و على رأس القبتين قرنان قد جعل ميل كل واحد منهما الى الآخر تشبيها بقرنى الثور، بقاؤهما

من عهد رستم الى زماننا ...

و تحت القبتين بيت نار للمجوس ... و نار هـذا البيت لا تطفأ أبـدا، و لها خـدم يتناوبون فى اشـعال النار، يقعـد الموسوم بالخدمه على بعد من النار عشرين ذراعا، و يغطى فمه و أنفاسه و يأخذ بكلبتين من فضه عودا من الطرفاء نحو الشبر يقلبه فى النار. و كلما همّ النار بالخبو يلقى خشبه خشـبه. و هذا البيت من أعظم بيوت النار عند المجوس». و على شـى ء يسير من كركويه، على ثلاثه فراسخ من زرنج، كانت مدينه كرنك. و قال ياقوت ان بعضـهم يسـميها كرون و هى ما زالت الى يومنا تعرف بهذا الاسم. و زاد ياقوت على ذلك انها «بليده نزهه كثيره الخيرات، و أهلها كلهم خوارج، حاكه» .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۸۱

أ ما نهر خاش، أو خواش، أو خواش ، فانه يقع فى بحيره زره بين نهر فره و هيلمنـد. و قد سـماه ابن حوقل نهر نيشك. و نيشـك اسم الناحيه العامره فى شـرق زرنـج، و بها سـمى، على ما ذكرنا، الباب الشـرقى فى العاصـمه زرنـج. و مخرج هذا النهر فى جبال الغور أيضـا. و مـدينه خواش راكبه عليه، و هى على نحو مرحله من زرنـج. و ذكر ابن حوقـل ان مـدينه خواش أكـبر مـدن هـذه الناحيه، بها نخيل و أشـجار. و حين كتب ياقوت، صار اسمها يلفظ بصوره خاش، على ما هو اليوم. و أجل مدينه فى هذه الناحيه، و ان كانت

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۸۲

أصغر من خواش، مدينه قرنين أو القرنين. و هى موطن آل الصفار يعقوب و عمرو ابنى الليث الصفار المشهور. و كانت

قرنين فى المفـازه فى شـمال غربى خواش، على مرحله منهـا فى الطريق الـذاهب الى فره. و فيهـا، على مـا ذكر ابن خرداذبه، «أثر مربـط فرس رسـتم». و تكلم المقدسـى على قرنين فقـال: هى صـغيره و عليهـا حصن و لهـا نهر و بهـا جـامع و لهـا ربض. و أشار المستوفى اليها أيضا و قال: يكثر فى رساتيقها الخصبه القمح و الفواكه.

و فى نصف الطريق بين قرنين و فره، مدينه جزه الصـغيره و هى نحو قرنين سعه. ذكر ابن حوقل انها تشتمل «على قرى و رساتيق، و هى خصـبه، و مـاؤهم من قنى لهم، و أبنيتهم أيضـا من طين». و ذكر يـاقوت ان أهلهـا فى أيـامه كـانوا يقولون لها كزه. و يقال للنـاحيه التى تحف بنهر خواش: نيشـك، و كـانت فى المئه الرابعه (العاشـره) كثيره السـكان، على ما بيّنا. و حرورى، «قريه عامره سلطـانيه» و هى مـا زالت قـائمه على ضـفه النهر أسـفل خـواش حيث يعـبر الطريق الآـتى من بست نهر خواش على قنطره آجر. و كـانت قريه سـروزن المرحله التاليه لها فى طريق زرنـج. و بين هاتين القريتين زانبوق، و هى قريه عليها حصن منيع قال المقدسـى انها نحو جوين سعه.

و على مسـيره يوم شـمال زرنج، مدينه الطاق الجليله، و لم تعين كتب المسالك موضـعها الصحيح. قال المقدسى: «الطاق صغيره كثيره الاعناب واسـعه الرسـتاق». و ذكر ابو الفداء فى المئه الثامنه (الرابعه عشـره)، نقلا عن ابن سـعيد، و قد سماها حصن الطاق: «هو على جبـل مرتفع عنـد التواء النهر» (أى نهر هيلمنـد)، و عنـده ينعطف النهر غربـا بعـد أن تتفرع منه الانهار الجاريه الى زرنج فيقع فى بحيره زره. و قد جاء ذكر هذا الحصن مع

قلعه زره (أو حصار زره) فى جمله المدن التى استولى عليها تيمورلنك قبيل هجومه على زرنج. و فى أخبار الفتوح الاسلاميه الاولى، جاء ذكر قلعه أخرى فى هذه الانحاء، هى زالق، قيل انها على خمسه فراسخ من كركويه و من زرنج. و لا يعرف عنها شى ء غير ذلك. و لم يرد لها ذكر فيما بعد .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٨٣

أما بست، فانها على نحو خط عرض زرنج. و الطريق من زرنج يأخذ شرقا مارا بحرورى، على ما بيّنا، و يقطع المفازه. اما مجرى هيلمند، فانه يضاعف المسافه اذ يلتوى التواء نصف دائرى باتجاه الجنوب، و فى منتصف امتداد مجراه تقوم مدينه رودبار. و قد ذكر البلاذرى هذا الموضع على ما يظهر فى أيام الفتوحات الاسلاميه الاولى، فتكلم على مدينه يقال لها الروذبار فى سجستان، فى طريق قندهار و بالقرب من الروذبار هذه، كانت كش (أو كس).

و يبدو انها هى الموضع المعروف اليوم باسم كاج أو كهيج. و لم يذكر البلدانيون العرب الروذبار الا عرضا، و لعلها تطابق روذبار التى وصفها الاصطخرى و قال انها من أعمال فيروز قند قرب بست. «و أكثر غلاتها الملح، و لهم مع ذلك زروع و فواكه و مياه جاريه». و فى هذه الانحاء موضع آخر هو الزالقان، و تكتب أيضا الصالقان أو الجهالكان. وصفها ابن حوقل بكونها من بست على مرحله واحده، و لكنه لم يذكر فى أى اتجاه هى منها. و لم يرد هذا الاسم فى كتب المسالك. و كانت مدينه «أكثر أهلها حاكه، و بها فواكه و نخيل و زروع، و ماؤهم أنهار جاريه» و كانت فى المئه الرابعه (العاشره) نحوا من القرنين

فی الکبر.

و بست (أو بست) علی نهر هیلمند، عند ملتقی النهر الآتی من ناحیه قندهار معه. و قد کانت دائما موضعا جلیلا. قال الاصطخری «علی باب بست، جسر من السفن کما یکون علی أنهار العراق» و علیه یعبر الطریق الآتی من زرنج. و کانت بست فی المئه الرابعه (العاشره) ثانیه المدن الجلیله فی سجستان. «و زیّ أهلها زی أهل العراق، و بها متاجر الی بلد الهند، و بها نخیل و أعناب، و هی خصبه جدا». و کانت بست تعد أجل مدن البلاد الجبلیه فی شرق سجستان التی تشتمل علی الناحیتین الکبیرتین: زمین داور و رخج. قال المقدسی ان حول بست و قلعتها أرباضا کبیره علی فرسخ فوق ملتقی نهر خردروی (نهر أرگنداب الحالی) بهیرمند (هیلمند). و لها جامع حسن

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۳۸۴

و أسواق عامره. «و علی نصف فرسخ من نحو غزنین (غزنه)، مدینه صغیره تسمی العسکر، ینزلها السلطان» و قال یاقوت فی المئه السابعه (الثالثه عشره)، ان الخراب فی بست ظاهر، و نوّه بانها «من البلاد الحاره المزاج، و هی کثیره الانهار و البساتین». و فی ختام المئه الثامنه (الرابعه عشره) أوقع تیمور بها و بما جاورها، الدمار حین زحفه الیها من زرنج، و خرّب فی طریقه أحد السکور العظیمه فی هیلمند المسمی بند رستم، و کان هذا السکر یسکر المیاه التی تسقی الرساتیق فی غرب سیستان .

و ما زال الوادی العریض الذی یجری فیه نهر هیلمند منحدرا من جبال هندوکش الی بست، یعرف باسم زمین داور، و هو الاسم الذی أطلقه البلدانیون العرب علی ناحیته. و هذه هی التسمیه الفارسیه، و یقابلها بالعربیه أرض الداور أو بلد الداور.

و معنى هاتين التسـميتين واحد، هو أرض الأبواب أى دروب الجبال. و كانت هذه البلاد فى القرون الوسـطى خصبه عامره كثيره السـكان، بها أربع مدن جليله، هى درتل و درغش و بغنين و شـروان. و لها قرى و رساتيق عديده. و أكبر مدن هذه الناحيه درتل أو تل، على ما كتب الاصـطخرى اسـمها. و الظاهر انه يطابق المدينه التى وصفها المقدسى باسم الداور و قال «الداور: كبيره طيبه و هى ثغر جليل عليها حراس مرتبون» اذ كانت فى المئه الرابعه (العاشـره) على حـد جبال الغور و هى عنـد ضـفه نهر هيلمند على ثلاث مراحل فوق بست. و ورد فى أخبار الفتوحات الاسـلاميه الاولى، ان بالقرب منها جبل الزور حيث الصـنم العظيم المسـمى زور أو زون. و قد غنمه العرب. و كان هذا الصنم كله من ذهب و عيناه مرصعتان بياقوت.

و مدينه درغش، على هيلمند فى الضفه التى عليها درتل، و هى أعلى منها بمرحله. أما بغنين، فكانت على مرحله من غرب درتل فى البلاد التى تسكنها القبائل التركيه المعروفه بالبشلنك. و تقيم بينهم قبيله الخلج. و قد هاجرت

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۸۵

قبائل الخلج هذه بعد ذلك نحو الغرب، الا ان ابن حوقل فى المئه الرابعه (العاشـره)، وصفهم بقوله انهم من بلد الداور «على خلق الاتراك و زيّهم و لباسـهم». و فى زمين داور مـدينه خامسه هى خواش (و اسـمها كاسم الموضع الذى على نهر خواش، و قد مرّ ذكره). قال الاصـطخرى انها بلد لا سور عليه، و بها قلعه. و مما يؤسف عليه ان موضـعها لم تذكره المراجع، غير ان بعضهم عدّها من أعمال كابل.

و بين بست و درتل، على

مرحله جنوب المدینه الاخیره، سروان أو شروان و لم تکن علی نهر هیلمند علی ما یظهر، قال فیها ابن حوقل: مدینه صغیره نحو القرنین، الا انها أعمر و أکثر أهلا، و بها فواکه واسعه تحمل، و نخیل و کروم تجلب منها و تنقل من رساتیقها و من فیروز قند. و هذه الاخیره جنوب ناحیه شروان. و علی مرحله من شرق بست .

و رستاق رخّج، یتألف مما حول قندهار من بلاد، و هو فی شرق بست بامتداد ضفاف النهرین المعروفین الیوم ب «ترنک» و «أرگنداب». و کانت قاعده رخج فی العصور الوسطی: بنجوای. و هی الصیغه العربیه ل «پنج وای» (أی الانهار الخمسه). و ما زال هذا الاسم یطلق علی الناحیه غرب قندهار قرب التقاء نهری ترنک و ارگنداب. و قد کانت بلاد رخج علی غایه الرفاهه و الخصب و السعه فی القرون الوسطی. «و عامتها صواف یرتفع لبیت المال منها مال عظیم جسیم». و من الصعب تعیین موضع پنجوای، فقد کانت علی طریق بست علی اربع مراحل منها، و عندها کانت تتشعب الطریق: طریق یتجه شمالا فیصل غزنه فی اثنتی عشره مرحله. و طریق آخر الی الشرق یبلغ سیبی فی ست مراحل. و لعلها لم تکن بعیده عن قندهار. غیر ان المسافه بین المدینتین لم تذکرها المراجع. و علی مرحله من غرب پنجوای، قلعه کوهک (أی الجبیل).

و حول القلعه المدینه. و کانت پنجوای نفسها منیعه، و بها جامع حسن. و شرب

أهلها من نهر.

و علی مرحله من هذا الموضع فی طریق سیبی، مدینه بکراواذ (عوضا عن بکر اباد، و قد أشار الیها الاصطخری و ابن حوقل باسم

تكى ناباذ، و لعل ذلك من و هم النساخ). و هى «مدينه كبيره، الجامع فى السوق». و كانت على نهر يلتقى بنهر قندهار.

أما مدينه قندهار (أو القندهار) فقد ذكرت غير مره فى أخبار الفتوح الاسلاميه الاولى، فى جمله المواضع القريبه من حدود الهند. و أشار البلاذرى الى ان المسلمين و صلوها من سجستان بعد أن اجتازوا المفازه، ثم اتوا المدينه فى السفن من ناحيه النهر ففتحوها و كسروا البد العظيم، و قد كان و لا شك تمثالا لبوذا. و بعد الفتوحات، لم يرد اسم قندهار الا عرضا فى المقدسى و ابن رسته و اليعقوبى، و ذكروها انها فى الهند أو على حدود الهند. و لم يوصلنا أحد من أصحاب المسالك الى قندهار يا للأسف. و لا ذكر لهذا الاسم فى الاصطخرى و ابن حوقل فى سياق كلامهما على هذا الاقليم. و ربما تكون پنجواى قد حلت محلها فى صدر القرون الوسطى. اذ ان ياقوت الحموى، لم يأتنا بوصف لها، و برز اسمها ثانيه فى التاريخ عند الكلام على تخريب المغول لها فى النصف الاول من المئه السابعه (الثالثه عشره) ثم تدمير تيمور لها فى ختام المئه التى تليها .

و كانت ناحيه سيبى، تعرف لدى البلدانيين العرب باسم بالس، و يقال لها أيضا بالش أو و الشتان. و قاعدتها، على ما فى الاصطخرى: سيبى، و كتبت أيضا سيوى أو سيوى. و لكن الوالى كان يقيم عاده فى القصر، (أى القلعه).

و القصر بلده صغيره على فرسخ من أسفنجاى أو سفنجاوى، و هى ثانيه مدن هذه الناحيه، و لم يعين موضعها الصحيح و لكنها كانت على مرحلتين شمال سيبى فى طريق پنجواى رخج. أما مدينه مستنك أو مستنج

فقد ذكرها أيضا الاصطخرى

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٨٧

و المقدسى و قال الاخير ان فى هذه الناحيه الفين و مئتى قريه. و لكن لم ينته الينا وصف لأى موضع من هذه المواضع .

و غزنه أو غزنين، اشتهرت فى التاريخ فى ختام المئه الرابعه (مطلع المئه الحاديه عشره) اذ كانت عاصمه السلطان محمود الغزنوى العظيم و قد ساد فى وقت واحد على الهند فى الشرق و بغداد فى الغرب. و لكنه لم ينته الينا يا للأسف وصف واف لغزنه حين جدّد محمود بناءها و زيّنها بما غنمه من غزواته فى الهند. و قد وصف الاصطخرى هذه المدينه قبل هذا الزمن بجيل، فقال انها كالباميان، و لا بساتين لها. و لها نهر «و ليس فى هذه المدن التى فى نواحى بلخ أكثر مالا و تجاره من غزنه، فانها فرضه الهند». و سرد المقدسى أسماء كثير من رساتيقها و قراها و مدنها و معظمها لا يعرف موضعه اليوم. و كتب اسمها بصوره غزنين، بصيغه المثنى، و لكنه لم يشر الى ما يقصده بغزنين و ان استعمل اسم غزنين فى الأزمنه أكثر من غزنه. و زاد المقدسى على ذلك ان البلاد التى ما بين غزنه و كابل كانت تعرف بكابلستان.

جدد السلطان محمود بناء غزنه فى نحو سنه ٤١٥ (١٠٢٤) حين رجوعه الى بلاده محملا بالغنائم من الهند. و بلغت المدينه أوج ازدهارها فى أيامه و استمرت على ذلك نحو نيف و قرن. و قد لقب السلطان علاء الدين الغورى هذه المدينه بجهان سوز، (أى مفسده العالم)، انتقاما لموت أخيه على يد بهرام شاه الغزنوى، و استولى على غزنه عنوه سنه ٥٤٤ (١١٤٩) ثم أمر بنهب

المـدينه و حرقها، فلم يقم لها قائمه بعد هذه الكارثه. و لكن الظاهر ان قبر محمود العظيم فى الجامع قد نجا من هذا الدمار أو قد جدد بناؤه، فقد رآه ابن بطوطه حين كان فى هذا الموضع فى المئه الثامنه (الرابعه عشره). و قال ان غزنه فى أيامه معظمها خراب و لم يبق منها الا يسـير. و كانت قبل ذلك مدينه كبيره. و تكلم عليها معاصـره المسـتوفى فقال انها بلده صـغيره، البرد فيها شديد جدا لعظم ارتفاع موضعها.

و لم يزودنا بوصف ذى وزن لها .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٨٨

و كان البلـدانيون العرب، على ما قد رأينا، يسـمون الاقليم الجبلى فى أعالى نهر هيلمند و نهر قندهار، بزابلسـتان. و هو اسم مبهم الاسـتعمال، و لكنه فى الغـالب يعين البلاـد التى حول غزنه. و من جهه ثانيه، كانت كابلسـتان اقليم كابل، و هى أبعـد شـمالا من غزنه، على حـدود الباميان. و هذا هو التقسـيم الموجود فى أخبار فتوحات تيمور. و قد وصف اليعقوبى فى المئه الثالثه (التاسـعه) مدينه كابل بقوله: «التجار يدخلون اليها و يحملون منها الاهليلج الكابلى الكبار» .

و قال أيضا: «مـدينه كابل العظمى، يقال لها جروس». اما الاصـطخرى فى المئه التاليه، فقد قال ان اسـمها طابان. و لكن الظاهر ان اسمها الشائع كان كابل، و أكثر ما كان يطلق، على ناحيتها.

و كان فى كابل قهندز- أى قلعه- مشهور. و على المدينه سور منيع، و لا يؤدى اليها الا طريق واحد، و كانت فرضه لتجاره الهند. «يباع بها من النيل فى كل حول، ما يعمل بقصبتها على ما يذكره تجارهم بألفى ألف دينار و زائد».

و فيها تجارات الهند و الصين الثمينه.

و للمسـلمين فى كابـل ربض، و مثله لليهود و الوثنيين. و فيها أسواق عامره كثيره السـلع. و ذكر المقدسـى أيضا ان فى قلعتها بئرا عجيبه و ان كابل فى نظره «بلـد الهليلـج الرفيع». و عـدّ كابلسـتان فى آخر اقليم سجسـتان. و قال القزوينى فى المئه السابعه (الثالثه عشره): «يجلب منها

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٨٩

(أى من كابل) النوق البخاتى، و هى أحسن أنواع الابل» فى أنحاء آسـيه الوسـطى. و ذكر ابن بطوطه مـدينه كابل و قد زارها فى المئه التاليه، فقال:

«كانت فيما سلف مدينه عظيمه، و بها الآن قريه يسكنها طائفه من الاعاجم يقال لهم الافغان».

و نهر كابل، رافـد من روافـد نهر الانـدس (نهر مهران)، و يتكون من التقاء جـدولين ينحـدران من جبال هندوكش و هى الجبال التى فى شمال كابل .

و عنـد منبعه الشـرقى جبـل الفضه، و قـد سـماه العرب بنجهير (من بنـج- هير أى خمسه جبـال، فى لغه تلـك البلاـد). و منه كان يسـتخرج مقدار كبير من هذا المعدن الثمين. و صارت بنجهير دارا للضـرب فى أيام بنى الصفار فى المئه الثالثه (التاسعه). و كان على دراهمها اسم الخليفه العباسـى و لا شك. وصف ابن حوقل مدينه بنجهير بقوله «مدينه على جبل، و تشـتمل على نحو عشـره آلاـف رجـل، و يغلب على أهلها الغبث و اللغب و الفساد». و جاربايه، تجاورها على نهر بنجهير أيضا، أى نهر كابل، و كان هـذا النهر حين ذاك ينحدر منها الى سـهول الهند مارا بفروان و هى مدينه كبيره لها جامع. و ذكر المقدسـى أيضا مدينه شيان، و قال انها من رستاق اسكيمشت «و بها عين عجيبه، و على حافتها مسجد قتيبه بن

مسلم» و هو القائد المشهور فى الفتوح الاسلاميه الأولى. و أسهب ياقوت فى حديثه عن جبل الفضه و عن المعدّنين من أهله، و فيهم شرّ، قال:

ان الجبل كان كالغربال من كثره الحفر. و كان الرجال يتبعون عروق الفضه فى أعماق الارض، مستعينين بالمصابيح، و هم يتسابقون و يتنافسون فى البلوغ اليها. «و الرجل منهم يصبح غنيا و يمسى فقيرا، أو يصبح فقيرا و يمسى غنيا».

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۹۰

و يتفق أن ينفق الرجل منهم على الحفر ثلاثمئه ألف درهم (۱۲ ألف پاون) .

و قد خرب جنكيزخان هذا الموضع. و حين زارها ابن بطوطه فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) و تكلم على نهر پنجهير العظيم الأزرق، لم يشاهد هناك من مناجم الفضه الا بقايا الحفر القديمه.

أما تجارات سجستان، فقليله. و ما ذكره المقدسى منها: «التمور و الزنابيل و الحبال من الليف و الحصر» .

اما المسالك فى سجستان، فكلها تجتمع فى زرنج، فاليها ينتهى طريق المفازه من نرماسير مارا بسنيج و قد جاء وصفه فى الفصل السابق. و من زرنج يتجه طريق نحو الشمال قاصدا هراه مارا بكركويه و منها يعبر جسرا على نهر هيلمند الى جوين و هى على نهر فره. و من جوين يصل طريق الى فره يصعد مع النهر و يعبر النهر على قنطره فره (و قد ذكرها فى الصفحه ۳۷۹). و ما وراءها مدينه فره نفسها. و على ثلاث مراحل شمال فره مدينه أسفزار (أو سبزوار هراه) أولى مدن خراسان. و لم تنته الينا يا للأسف مسافات هذا الطريق بالفراسخ، بل وصلنا ما فيه من مراحل الايام. و أوثق مراجعنا فيها: الاصطخرى

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد،

النص، ص: ٣٩١

و ابن حوقل . و الى ذلك، فيشك فى تهجئه أسماء كثير من المحطات.

و من زرنج يتجه الطريق شرقا الى حرورى على نهر خواش، و منها يقطع المفازه بخط مستقيم فيبلغ مدينه بست فى خمس مراحل. و عند بست تنقسم الطرق: طريق يذهب الى بلاد زمين داور فى أعالى هيلمند، و طريق الى پنجواى رخج فى انحاء قندهار. و عند پنجواى تنقسم الطرق ثانيه: طريق يأخذ الى الشمال الشرقى الى غزنه، و طريق ثان الى سيبى مارا ببلده يقال لها أسفنجاى.

و مما يلاحظ، ان المسافات فى هذه الطرق قد جاءت أيضا بالمراحل فقط. و ان كثيرا من أسماء المراحل يشك جدا فى قراءته .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٩٢

الفصل الخامس و العشرون قوهستان

اقليم قوهستان، هو تونوكاين(Tunocain) لدى ماركوبولو- قاين و تون- ترشيز و رستاق بشت: سروه زرادشت العظيمه- زاوه- بوزجان و اقليم زم- رستاق باخرز و مالن- خواف- زير كوه- دشت بياض- كناباد و بجستان- طبس التمر- خوست أو خوسف برجند و مومناباد- طبس مسينان، و دره.

عدّ البلدانيون العرب اقليم قوهستان، من أعمال خراسان كسجستان.

و قوهستان معناه بلاد الجبل. و انما سمى هذا الاقليم بذلك، لطبيعه أرضه.

فالجبال فيه تضادد السهول فى اقليم سجستان، الذى فى شرق قوهستان على دلتا هيلمند. و أشار ابن حوقل الى ان أكثر مدن قوهستان صروديه و ان النخيل لا ينمو الا فى طبس گيلكى عند حافه المفازه الكبرى. و كان «يسكنها فى المئه الرابعه (العاشره) الأكراد و أصحاب السوائم من الابل و الغنم». و لا ريب فى ان هذا الاقليم يطابق «مملكه تونوكاين» التى ذكرها ماركوپولو. و قد ركّب اسمها من اسمى مدينتيها الكبيرتين: «تون» و «قاين»،

و يريد به البلاد كلها .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۹۳

و أجلّ مدن قوهستان: قاين. قال فيها ابن حوقل: «لها قهندز، و عليه خندق، و مسجد جامع و دار الاماره فی القهندز. و ماؤهم من القنی، و بساتينهم قليله، و قراها متفرقه، و هی ناحيه من الصرود». و لقاين ثلاثه أبواب، و هی فرضه خراسان. و ذكر ابن حوقل «فی حد قاين منها، على مسيره يومين مما يلی نيسابور، الطين النجاحی الذی يحمل الى الآفاق للأكل» و زار ناصر خسرو مدينه قاين سنه ۴۴۴ (۱۰۵۲) و وصف المدينه الداخله و قال هی قلعه حصينه، و بها مسجد جامع به مقصوره عليها عقد عظيم لم أر أكبر منه فی خراسان.

و على جميع بيوت المدينه قباب. و أهم ما نوه به المستوفی فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) موقع قاين المركزی بين المدن. فهی حسب قوله على عشرين فرسخا من كل مدينه جليله من مدن قوهستان. و كانت مدينه حسنه، و شرب أهلها فی البيوت من قنی، و لها سراديب تتخذ فی أيام القيظ. و تبكر أثمارها فی النضج و تجنی محاصيلها قبل غيرها. و يكثر فيها القمح و الفواكه و لا سيما الزعفران.

و تجود المواشی فی مراعيها لكثره عشبها. و زاد المستوفی على ذلك ان أهلها شديد و السمره.

أما مدينه تون، فهی على نيف و خمسين ميلا من غربی قاين الى شمالها قليلا.

قال المقدسی فيها، انها عامره آهله، أصغر من قاين، عليها حصن و لها جامع حسن، و أكثر أهلها حاكه. و أطرى ناصر خسرو سجادها، و كان بها اربعمئه نول لعمل السجاد حينذاك و لما رآها كان الخراب غالبا عليها، أما حصنها

فكـان ما زال باقيا. و فى أرباضـها الشـرقيه بساتين كثيره حسـنه، وافره الفسـتق. و قال المسـتوفى، ان تون أول ما بنيت، بنيت على غرار مدينه صـينيه، و لكنه لم يوضح أمر ذلك. و تكلم على قلعتها العظيمه و خندقها الجاف العميق. و كان يحف بالقلعه شوارع و أسواق المـدينه الخارجه. و رساتيقها وافره الخيرات لأن أهلها، على ما ذكر، يحـذقون بناء السـدود (البند) فيجمعون عندها مياه الأمطار و يحبسونها، و كانوا ينتجون من أراضيهم البطيخ و هو مشهور بحلاوه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٩۴

طعمه. و يكثر عندهم القمح و الفواكه. و تغلّ كثيرا من الحرير لأن هواء تون معتدل، و قنيّها عديده .

و فى شمال غربى قوهستان، رستاق بشت أو پوشت، أو بشت العرب.

و أجل مدنه: ترشيز و كندر . و قد ذكر البلدانيون العرب اسمها القديم بصوره طريثيث و طرثيث ثم كتبت ترشيش و ترشيس. و عرفت أحيانا بحومه نيساپور.

و قال ابن حوقل ان ترشـيز كثيره الأهل و الخير. و كان فى رسـتاق بشت سبع مدن أخرى حوقل ان ترشيز كثيره الأهل و الخير. و كان فى رستاق بشت سبع مدن أخرى فيها مساجد جامعه. و وصف المقدسى جامع ترشيز بقوله «بها جامع ليس بعد جامع دمشق أغنى منه، و عند بابه حوض للماء مدّور» و بها أسواق عامره فكانت خزانه خراسان، و منها تحمل التجارات الى فارس و اصـفهان و منهما اليها.

و كانت مدينه كندر القريبه منها، فى نحو ترشيز خيرات و غنى، و فى رستاقها ٢٢۶ قريه كبيره.

و ذكر ابن الاثير انه فى سنه ۵٢٠ (١١٢۶)، حاصر وزير السلطان سنجر السلجوقى مدينه ترشيز و نهبها، و هى التى

أصبحت بعدئذ من مدن الاسماعيليه أی الحشيشيه. فان «شيخ الجبل» استولی علی أكثر الاماكن الحصينه فی جوارها و بنی كثيرا من القلاع لارهاب هذه الانحاء من قوهستان. و قد جعل ياقوت قدوم الاسماعيليه الی هذه المواضع فی سنه ۵۳۰ (۱۱۳۶) و روی ان رئيس هـذه الناحيه، استمد الاتراک لنصرته، لردّ الملاحده، و هم الاسماعيليه، فرأی ثقل و طأه الاتراک و قله غنائهم، و لم تكن همتهم صادقه فی دفع العدو، و انما كان قصدهم تحصيل ما يحصلونه مما ألحق الدمار بترشيز. و فی منتصف المئه السابعه (الثالثه عشره)، تمكن هولاكو خان المغولی من القضاء علی قوه الاسماعيليه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۹۵

و استولت جيوشه فيما يقال علی سبعين قلعه من قلاعهم فی اقليم قوهستان. ثم سرعان ما استعادت ترشيز مكانتها حتی ان المستوفی بعد ذلک بقرن، قال انها من أجل مدن قوهستان و ان كان بعضها ما زال خرابا. و ذكر القلاع الاربع المشهوره القريبه منها و هی قلعه بردارود، و قلعه ميكال (أو هيكال)، و مجاهد اباد، و آتشگاه (بيت النار)- و قد كانت كلها و لا ريب من قلاع الاسماعيليه. و نوّه بوفره قمح ترشيز، و قال انه كان يحمل الی الانحاء الشماليه حول نيسابور.

و فی ختام المئه الثامنه (الرابعه عشره)، كانت ترشيز من القلاع المنيعه التی لا تقتحم لعلو أسوارها، و لكنها ما عتمت ان انهارت أمام تيمور و لم يبق من ترشيز قائما بعد نهبها غير أنقاض. و كان ذلک فی سنه ۷۸۳ (۱۳۸۱).

و منذ ذلک الحين، اختفی اسم ترشيز من الخارطه .

و ذكر المستوفی، انه ما زالت فی قريه كشمر قرب ترشيز، شجره السرو المشهوره التی

غرسها زرادشت تخليدا لاعتناق الملك كشتاسب المجوسيه.

و قد نمت هذه الشجره نموا عظيما، حتى أضحت شجره لم ير مثلها فى عظمها.

و هى، على ما جاء فى الشاهنامه، قد نشأت من غصن أتى به زرادشت من الجنه. و قد كان لهذه السروه من المقدره شى ء عظيم حتى انها حالت دون وصول ضرر الزلازل الى كشمر. و ذكر القزوينى ان الخليفه المتوكل، أمر بقطع هذه السروه العظيمه فى سنه ۲۴۷ (۸۶۱) و حملها قطعا على الجمال عبر فارس لاستعمالها فى بناء قصره الجديد فى سامراء، فقطعت و لم تنفع شفاعه الشافعين و تضرّعهم. و لما وصلت السروه الى ضفاف دجله كان المتوكل قد لقى حتفه غيله على يد ابنه .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۹۶

و الى شرق رستاق ترشيز، رستاق زاوه. و كان رستاق زاوه، أو بعضه، يعرف أيضا باسم رخ و قصبتها بيشك أو مدينه زاوه. و كان اسم رخ حين كتب ياقوت، يلفظ رخ عاده. و فى المئه السابعه (الثالثه عشره) اشتهرت زاوه: بكونها مقام الولى المعروف بحيدر كان يلبس اللبّاد و فى الصيف يدخل النار و فى الشتاء يدخل فى وسط الثلج. و اليه تنتسب طائفه الحيدريه من الفقراء (الدراويش).

و كان هذا الشيخ باقيا الى مجئ التتر سنه ۶۱۷ (۱۲۲۰). ثم عرف باسم الشيخ قطب الدين. و لما زار ابن بطوطه زاوه فى المئه الثامنه (الرابعه عشره)، وصف مريدى الشيخ فقال «يجعلون حلق الحديد فى أيديهم و أعناقهم و آذانهم» و يجعلونها فى أعضاء أخرى من أجسامهم فكان ذلك اظهارا لتقواهم و زهدهم.

و وصف المستوفى زاوه بانها مدينه حسنه تقوم فى ناحيه كثيره الخيرات و من أعمالها خمسون قريه، و

لها قلعه حصينه من اللبن، و سقيها وافر يكثر فيها القمح و القطن و الاعناب و الفواكه و كذلك الحرير. و تكلم أيضا على تربه الشيخ الذى كان مكرما فى زمنه. و زاوه اليوم، هو الاسم الشائع للناحيه، أما المدينه فتعرف عاده بتربه الحيدرى. و ما زالت هذه التربه تزار .

و الى شرق رستاق زاوه، فى شمال شرقى قوهستان، قرب نهر هراه: ناحيه زام، أو جام و كانت قصبتها فى المئه الرابعه (العاشره) بوزجان. و كانت مدينه كبيره، من أعمالها: مئه و ثمانون قريه. و كان الفرس يلفظون بوزجان بصوره بوزكان، و فى الازمنه الحديثه كتبوه پوچكان. و وصفها المستوفى فى المئه الثامنه (الرابعه عشره)، و قد سماها جام، فقال تقوم فى ناحيه عظيمه الخيرات وافره المياه و الحرير بها كثير لكثره شجر التوت. و اشتهرت المدينه بكثره مزاراتها،

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٣٩٧

فقد دفن فيها كثير من الرجال الصالحين. و ذكر ابن بطوطه أشهرهم و هو الولى الزاهد شهاب الدين أحمد الجامى، و أولاده و أحفاده «و لهم بها نعمه و ثروه». و كان هذا الولى مشهورا حتى ان تيمور، فى ختام المئه الثامنه (الرابعه عشره) زار قبره بنفسه. و تعرف المدينه اليوم، و ما زالت موضعا زاهرا، بشيخ جام، و هى اليوم عامره .

أما ناحيه باخرز، أو گواخرز، ففى جنوب جام الى غرب نهر هراه، و عندها يتجه مجراه نحو الشمال. و كانت قصبه باخرز مدينه مالن. و يظهر من المسافات الوارده فى كتب المسالك ان موضعها يطابق مدينه شهر ناو (المدينه الحديثه) الحاليه. و كانت فى المئه الرابعه (العاشره) مدينه عامره «و يرتفع منها الحبوب و الزبيب و

ثیاب کثیره». و فسر یاقوت اسم باخرز فقال «اصلها باد هرزه لانها مهب الریاح، و هی باللغه البهلویه، تشتمل علی مئه و ثمان و ستین قریه» منها جوذقان. أما المستوفی فقد ذکر اسم قصبتها بصوره مالان.

و أفاض فی ذکر خیراتها و لا سیما بطیخها الطویل و قد کان مشهورا فی انحاء خراسان .

و الی جنوب غربی باخرز، ناحیه خواف (و هی خواب قدیما) و تکتنف قصبتها المسماه باسمها. و اشتهرت خواف فی المئه الرابعه (العاشره) بکثره ما فیها من الزبیب و الرمان. و کانت سلومک، ثم کتبت سلام، أکبر مدن هذه الناحیه فی الازمنه الاولی، و من مدنها المهمه أیضا سنجان (أو سنکان) و خرجرد. و قد ذکر ابن حوقل هذه المدینه بصوره خرکرد، و کذلک مدینه فرکرد (و قد کتبها یاقوت فرجرد أو فلجرد) علی مرحله من شرقها. أما کوسوی أو کوسویه، فکانت أقرب الی نهر هراه شمال فرکرد. و کانت کوسویه أکبر هذه المدن الثلاث، و نحو ثلث مدینه بوشنج المجاوره لها فی خراسان، و سنأتی علی

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۳۹۸

وصفها. و یعدّ کثیر من المراجع هذه المدن الثلاث من أعمال اقلیم خراسان. و بناء أهل کوسوی من طین. و مع صغر المدینتین الآخریین، فان فیهما بساتین حسنه و میاه کثیره. و ذکر یاقوت أیضا مدینتی سراوند و لاز، و قال انهما فی زمنه من المدن المهمه فی ناحیه خواف، و لا یعرف موضعاهما. و أطری المستوفی الاعناب و البطیخ و الرمان و التین فی خواف، و قال ان الحریر یکثر فی ناحیتها. و ذکر أن سلام و سنجان و زوزن (أو زوزن) أهم مدنها فی المئه الثامنه

(الرابعه عشره). و كانت زوزن لما كتب المقدسی، «عامره كثيره الحاكه و صنّاع اللبود». و كانت نقطه مهمه فی نظام الطرق، فهی تتصل بقاين و سلام (سلومک) و فرجرد. و سمی ياقوت زوزن «البصره الصغری» لكثره تجارتها، و أشار الی ان فيها بيت نار للمجوس، و من أعمالها مئه و أربع و عشرون قريه .

و ذكر المستوفی، و قد كتب فی المئه الثامنه (الرابعه عشره)، جمله مواضع فی أواسط قوهستان ما زالت تری فی الخارطه الا ان البلدانيين العرب الاولين لم يذكروها. فقد أشار الی ناحيه زير كوه (أی أسفل الجبل) و قال انها كثيره الخيرات يكثر فيها القمح و القطن و الحرير و يحمل الی سائر البلاد. و ما زالت البلاد الجبليه جنوب زوزن و شرق قاين تعرف بهذا الاسم. و ذكر المستوفی المدن الثلاث المهمه فيها، و هی: شارخس، و إسفد، و إستند و ما زالت الی يومنا. و فی شمال غربی قاين، ناحيه كتب اسمها بصوره دشت بياض و معناه السهل الابيض، و ينطق بها الفرس اليوم دشت پياز، و كانت قصبتها مدينه فارس، و قد أطری المستوفی جوزها و لوزها و قال انها كانت ييلاق، أی مصايف لأهل تون و جناباد.

و تعرف المدينه الاخيره اليوم باسم گناباد، و هی مدينه كبيره فی شمال شرقی تون، سماها ابن حوقل ينابذ، و المقدسی جناود، و فيها غير ذلک من

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۳۹۹

القراءات. كان بناؤها فی المئه الرابعه (العاشره) من طين، و من أعمالها سبعون قريه، و ماؤها من القنی. و قال ياقوت انها تسمی گنابذ عوضا عن جنابذ. و قال المستوفی: لها قلعتان كل قلعه علی جبل

فی طرف من المـدینه، یقـال لاحـداهما قلعه خواشـر و للاـخری قلعه درجـان، و کان یری منهما القری المجاوره و ما وراءها من المفازه. و نوّه بان الرمل لم یغز بساتین گناباد علی نحو ما حدث فی بعض انحاء قوهستان. و ماؤها من قنی، طول تلک القنی فی الغالب أربعه فراسـخ، ماؤها من عیون فی سـفح الجبل و ذکران میاهها عند رأس العین تجتمع فی آبار یبلغ عمقها أحیانا سـبعمئه ذراع. و کان یرتفع منها حریر کبیر و قمح و یحمل الی المدن الاخری. و علی ثلاثین میلا شـمال غربی گناباد، و مثلها من شمال تون، المـدینه الصـغیره بجسـتان، و یبـدو ان یاقوت الحموی أول من ذکرها و قال انها قریه فی زمنه. و ذکر المسـتوفی انها تشـبه تون، و لم یزد علی ذلک .

و قد کانت و ما زالت فی قوهسـتان، مدینتان یقال لهما «طبس»، و لذلک کثیرا ما ذکرهما البلدانیون العرب بصیغه المثنی، فقالوا طبسـین. و الی ذلک، فقـد کان أحیانا یطلق خطأ الاسم طبسـین (المثنی) علی هـذه المدینه أو تلک و یراد واحده منهما، علی ان البلدانیین العرب، کان یمیزون بین المدینتین، فسموا الواحده طبس التمر، و الاخری طبس العنّاب.

و کـانت طبس التمر، علی شـفیر المفازه العظمی، و ینتهی الیها کثیر مما کان یجتاز المفازه من طرق. و لـذلک سـماها البلاذری باب خراسان. و کانت هـذه المدینه فی المئه الرابعه (العاشـره)، علی ما ذکر ابن حوقل، أصـغر من قاین، و علیها حصن، و نخیلها کثیر «و هی ناحیه جرومیه» لانها علی حافه المفازه.

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۴۰۰

و ماؤها من القنی، کثیر. و تکلم المقدسی علی جامعها اللطیف و

قال «شربهم من حياض تجرى اليها قنى ظاهره، و رأيت بها حمامات طيبه، و لم أر بقوهستان نهرا جاريا و لا موضعا ذا مشاجر الا طبس، فانى سرت نحو مرحله كلها قرى و نخيل و قنى».

و قال ناصر خسرو، و قد مرّ بطبس سنه ۴۴۴ (۱۰۵۲) انها مدينه حسنه عامره لا سور عليها، و تحفّ بها البساتين و النخيل. و كان يقبض على زمامها بيد من حديد أبو الحسن گيلكى بن محمد- و هو من گيلان- مما أشاع الامن و السلام فى أنحائها، فعرفت بطبس گيلكى نسبه الى هذا الامير المشهور، و كان على ما ذكر ناصر خسرو معروفا بحزمه و عدله. و فى النصف الثانى من المئه الخامسه (الحاديه عشره)، انتقلت طبس الى ايدى الاسماعيليه. و فى سنه ۴۹۴ (۱۱۰۲ ه) حاصرها الجيش الذى بعثه السلطان سنجر السلجوقى لمقاتله الحشيشيه و خرّب بعض أبنيتها. و سمى ياقوت و المستوفى طبس التمر هذه بطبس گيلكى. و ذكرها المستوفى فى موضعين، و ذلك فى كلامه على المفازه العظمى و فى وصفه قوهستان. و يرتفع من طبس، ما سوى التمور، الليمون و النارنج أكثر من سائر مدن خراسان. و ماؤها كثير من عين، و هو يكفى لاداره رحيين. و كان على طبس حصن منيع، و حولها كثير من القرى .

و على حافه المفازه شمال طبس، فى نصف طريق ترشيز، قريه بن.

و كانت، على ما ذكر ابن حوقل، عامره و فيها نحو من خمسمئه رجل. و الظاهر ان هذا الموضع يطابق أفريدون، المرحله التى ذكرها ابن خرداذبه. و يبدو ان ابن حوقل ذكر فى مسالكه قريه أخرى و قال انها «بن» أخرى. و يؤخذ مما أورده من مسافات

ان هاتين المرحلتين ان لم تكونا موضعا واحدا، فهما قريتان متجاورتان باسم واحد. و بن اليوم، تمثلها ده نابند (فلا تلتبس بالمدينه التى فى المفازه ذات الاسم نفسه، و قد مرّ وصفها فى الصفحه ٣٦٣).

و كانت قريه مهمه، لان عندها يدخل قوهستان أحد طرق المفازه الآتى من

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۰۱

جرمق .

و على نحو من ثلاثه فراسخ جنوب شرقى طبس، على حافه المفازه، حيث يدخل المفازه طريق شور الآتى من كوه بنان، كانت كرى أو كرين. قال البلاذرى انها احدى قلعتى طبس. و هذا قد يسوغ تسميه طبس التمر وحدها بطبسين.

و قد وصف ابن حوقل كرى بأن عندها تتجمع طرق كثيره، «و هى قريه فيها نحو ألف رجل و لها رستاق كبير». و ذكرها المقدسى باسم كرين و قال انها أصغر من طبس. و من أعمالها قريه الرقه.- و قد كانت على ١٢ فرسخا من طبس و ٢٠ من تون- . و كانت الرقه حين زارها ناصر خسرو فى سنه ۴۴۴ (١٠۵٢) قد صارت مدينه حسنه لها مسجد جامع و حولها بساتين و مياهها وافره.

و على نحو ثلاث مراحل جنوب شرقى طبس مدينتا خور و خوست، و كانتا مرحلتين ينتهى اليهما الطريقان اللذان يقطعان المفازه من راور و خبيص فى كرمان (أنظر الصفحه ٣۶۶). و كانت خور، على ما ذكر ابن حوقل، أصغر من طبس، و لها جامع و ماؤها شحيح و لها بساتين قليله و لم يكن لها حصن على قول المقدسى.

أما خوست، فهى و ان لم يكن فيها مسجد جامع فى المئه الرابعه (العاشره)، الا انها كانت موضعا ذا شأن. فهى حصينه و لها قلعه، و أبنيتها من طين و

لها بساتين قليله «و شربهم من القنى، و بمائهم ضيق». و قال المقدسى «هى أكبر و أقل أهلا من تون، قليله الاشجار». و وراءها، تقوم جبال قوهستان الجرد.

و كتب ياقوت اسمها خطأ بصوره جوسف و هو و هم من الناسخ فى كتابه خوسف، أو خوسب، الحديثه لاسمها. و أول من ذكره المستوفى. و ياقوت، و ان اعترف بانه لم يتحقق ضبط الاسم و قال «و وجدتها فى بعض الكتب هذا، و بعضهم يسميها جوزف، بالزاء»، الا انه ذكرها فى ماده أخرى باسمها الصحيح خوست، حين نقل عن المقدسى. و قد أشرنا الآن، ان المستوفى أول من ذكر اسمها بتهجئته الحديثه، و وصف خوسف بانها بلده صغيره و لها قرى «يسقيها نهر، فيكثر فيها

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۰۲

القمح .

و على نحو من عشرين ميلا شرق خوسف، مدينه برجند، و قد صارت اليوم قصبه قوهستان عوضا عن قاين. و لم يذكر برجند قبل ياقوت، على ما يظهر أحد من البلدانيين العرب. قال ياقوت فى المئه السابعه (الثالثه عشره) انها من أحسن قرى الاقليم. و أشار المستوفى اليها فى المئه التاليه لها، فقال انها قصبه اقليم جليله، تحفّ بها الرساتيق و القرى العامره، و كان يكثر فيها الاعناب و الفواكه الاخرى و الزعفران. و لا يجود فيها القمح. و على مسيره يوم شرقى برجند، الناحيه الجبليه التى ما زالت تعرف بمومناباد- أى بلد المؤمن- قال فيها المستوفى:

عليها حصن منيع و كانت قبلا من قلاع الحشيشيه. و لها قرى عامره كثيره، أشار المستوفى بوجه خاص الى شاخن و كانت على نهر يقال له فشارود، و هى ما زالت قائمه على مسيره ثلاثه أيام من

جنوب شرقى قاين .

و على نحو خمسين ميلا من شرق برجند، مدينه طبس الثانيه التى عرفها البلدانيون العرب بطبس العنّاب، و سماها الفرس طبس مسينان. و قد وصف ابن حوقل هذه المدينه فى المئه الرابعه (العاشره) و قال هى «أكبر من ينابذ (گناباد فى شمال غربى قاين)، و لها حصن خراب و لا قهندز لها، و أبنيتها من طين».

و ذكر المقدسى انها كثيره العنّاب. و قال القزوينى فى المئه السابعه (الثالثه عشره):

على قله جبل، بقرب طبس، قريه ايراوه، و لها قلعه حصينه، كثيره البساتين و الاشجار و المياه. و أشار المستوفى الى أن مياه طبس مسينان تكفى المدينه أيام الجدب سبعين يوما. أما رساتيقها فلا يكفيها ماؤها أكثر من سبعه أيام. و روى انه كانت فيها بئر، فى قاعها ماده سامه، كل من شرب منها صدفه مقدارا ضئيلا، حتى و ان كان بقدر حبه الدخن مات لساعه، و لهذا كان الناس يحكمون سد

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۰۳

فوهتها. و كان فيها بئر أخرى تبتلع فى الشتاء كل ما اجتمع فيها من ماء. و فى الصيف تسقى رساتيق المدينه كلها دون ان ينضب ماؤها. و فيها بئر ثالثه كل من حدق بباطنها رأى صوره سمكه. و ما زالت هذه المدينه الى اليوم تعرف بطبس مسينان، و هى مدينه جليله يقال لها أيضا سنى خانه (أى بيت أو منزل السنّه) لان أكثر أهلها اليوم من الافغان السنّه. و على نحو ستين ميلا جنوب طبس العنّاب، قريه دره، و فيها قلعه قديمه تقوم على جبل قريب منها. و الظاهر ان البلدانيين العرب لم يذكروا دره، و أول من نوّه بها المستوفى فقد ذكر ان

قلعه دره من الامكنه المنيعه، فيها عين ماء قد انبطت فى داخل القلعه. و يكثر فيها شجر العنّاب و القمح، و أقل من ذلك الاعناب و الفواكه الأخرى.

أما تجارات قوهستان، فقليله. أوجز المقدسى ذكرها بقوله: «يرتفع من قوهستان ثياب تشابه النيسابوريه، بيض، و بسط و مصليات حسنه» .

أما ما يعرف من المسالك فى قوهستان، فالافضل ان نتكلم عليها فى فصل آت لاتصالها بطرق خراسان. و قد ذكر المقدسى و غيره المسافات بين مدن قوهستان بالمراحل. و لكنه لم يذكر ما بينها من فراسخ. و يظهر ان الطرق المستقيمه فى هذا الاقليم الجبلى قليله.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۰۴

الفصل السادس و العشرون قومس و طبرستان و جرجان

اشاره

اقليم قومس- الدامغان- بسطام- بيار- سمنان و خوار- طريق خراسان المار بقومس- اقليم طبرستان أو مازندران- آمل- ساريه- جبل دماوند و رساتيق فادوسبان و قارن و روبنج- فيروز كوه و غيرها من القلاع- ناتل و سالوس و ناحيه رويان- حصن الطاق و ناحيه رستمدار- ممطير و طميسه- كبود جامه و خليج نيم مردان- اقليم كركان أو جرجان- نهر جرجان و نهر اترك- مدينه جرجان و أستراباد- ميناء أبسكون- ناحيه دهستان و آخر- مسالك طبرستان و جرجان.

يمتد اقليم قومس الصغير فى محاذاه جبل ألبرز الذى سيأتى وصفه أدناه و تحده من الشمال هذه المرتفعات، و تؤلف أراضيه رقعه ضيقه بين حافه هذه الجبال و بين المفازه الكبرى فى جنوبه. و يقطع طريق خراسان هذا الاقليم من أقصاه الى أقصاه، آتيا من الرى، فى اقليم الجبال، الى نيسابور فى خراسان.

و تقوم أهم مدن اقليم قومس، على امتداد هذا الطريق. و قد بطل اليوم استعمال اسم قومس، و صار معظم الاقليم ضمن حدود خراسان الحديثه. أما

طرفه فی أقصی الغرب، فقد صار ناحیه من نواحی الری أی طهران الحدیثه .

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۴۰۵

و کانت قاعده الاقلیم: دامغان، و کتبها العرب الدامغان. و کثیرا ما أشاروا الیها، علی عادتهم، باسم قومس (أی مدینه قومس)، فاقتبست العاصمه اسم اقلیمها. و الدامغان، علی ما ذکر ابن حوقل، «قلیله الماء، و هی متوسطه العماره، و یرتفع منها أکسیه معروفه تحمل الی الامصار، و هی فاشیه فی جمیع الارض».

و قال المقدسی ان الدامغان قد خربت أطرافها فی المئه الرابعه (العاشره) و لکن کان «علیها حصن بثلاثه أبواب: باب الری و باب خراسان» و لم یذکر اسم الباب الثالث. و قال لهم سوقان: أعلی و أسفل «و الجامع فی الازقه بهیّ نظیف و لهم حیاض مثل مرو». و ذکرت جمیع المراجع المتأخره، کثره ریاحها، و قال یاقوت و غیره ان الریاح تهب علیها من واد مجاور لها. فکانت أشجار الدامغان لا تنقطع عن الاهتزاز. و فی المدینه، بناء عظیم من زمن الاکاسره، یقسم المیاه الجاریه الی الدامغان علی مئه و عشرین نهرا للسقی . و تکثر فی بساتینها الکمثری الفاخره. و قال المستوفی ان محیط أسوار دامغان عشره آلاف خطوه. و قال یاقوت ان علی مسیره یوم من الدامغان (ثلاثه فراسخ، علی ما ذکر المستوفی)، فی وسط الجبل، قلعه گرد کوه، و الواقف بالدامغان یراها، و هی من قلاع الحشیشیه المشهوره. و قال المستوفی ان هذه القلعه کان یقال لها دزگنبدان (أی القلعه المقبّبه)، و یعرف رستاقها الخصب، بمنصور اباد. و أشار المستوفی أیضا الی معدن الذهب فی جبل کوه زر (جبل الذهب) قرب الدامغان، و لکنه لم یعین موطن الذهب

.

و المدینه الثانیه فی الکبر بقومس: بسطام (أو بسطام) و تلفظ الیوم

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۴۰۶

بسطام. قال ابن حوقل ان رستاقها أخصب رساتیق الاقلیم. و تکثر الفواکه فی بساتینها. و أشار المقدسی الی جامعها فقال «ظریفه، الجامع کأنه حصن، فی وسط الاسواق». و یظهر ان ناصر خسرو، و قد زارها فی سنه ۴۳۸ (۱۰۴۶)، عدّها قصبه الاقلیم، اذ سماها مدینه قومس. و أشار الی قبر مشهور فیها للصوفی العظیم الشیخ ابی یزید المعروف بابایزید البسطامی و قد توفی و دفن فیها سنه ۲۶۰ (۸۷۴). و ما زال قبره مکرما فی یومنا. و أطری یاقوت تفاح بسطام اطراء عارف به. و قال «و علی تل بازائها، قصر مفرط السعه، علیه سور، و یقال انه من بناء سابور ذی الاکتاف (سابور الثانی)». و أشار یاقوت أیضا الی أسواق المدینه و کثره نعمها. و ذکر ابن بطوطه عنها، و قد زارها فی المئه الثامنه (الرابعه عشره)، مثل ذلک و أشار الی القبه التی فوق قبر الشیخ الصوفی .

و علی أربعه فراسخ من بسطام، فی الطریق الذاهب الی استراباد: مدینه خرقان، و قد کانت موضعا ذا شأن فی المئتین السابعه و الثامنه (الثالثه عشره و الرابعه عشره). قال المستوفی انها کالقریه، هواؤها طیب، و ماؤها کثیر، و فیها قبر الولی ابی الحسن الخرقانی المشهور. و علی نحو من خمسین میلا جنوب شرقی بسطام، عند شفیر المفازه الکبری، المدینه الصغیره بیار، و یقال لها الیوم بیار جمند. وصفها المقدسی فی المئه الرابعه (العاشره) فقال انها مدینه صغیره لیس بها مسجد جامع، و فیها حصن، و أسواق عامره، و مزارعها خصبه. و تکثر فی بساتینها الکروم

و الثمار. «و هى معدن الابل و الأسمان و الأغنام». و فى حصنها الداخل مسجد، و على المدينه حصن له ثلاثه أبواب حديد، و فيه باب

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۰۷

واحد الى الحصن الداخل .

و قال المستوفى ان هواءها طيب معتدل، و فيها قمح جيد. و فى أقل من نصف الطريق بين الدامغان و الرى، مدينه سمنان أو سمنان، على طريق خراسان. قال المقدسى بها جامع لطيف فى السوق، و حياض للماء عظيمه. و قال المستوفى ان فستق سمنان مشهور، و تكثر فيها صنوف الفواكه. و ذكر أيضا أهوان، و قال انها مدينه صغيره بين سمنان و الدامغان، فيها قبور للصالحين، و يكثر فيها القمح و الفواكه .

و خوار، أبعد مدن قومس غربا، على طريق خراسان، و أهم مدينه فى شرق الرى، و قد كتبها العرب: الخوار. قال ابن حوقل فى المئه الرابعه (العاشره) ان مدينه خوار «مدينه لطيفه صغيره، نحو ربع ميل، و هى عامره ... و فيها ماء جار يخرج من ناحيه دنباوند (جبل دماوند)»، و زاد على ذلك قوله «و خوار، أشدّ تلك النواحى (أى قومس) بردا ... و لها ضياع و رساتيق». و قال القزوينى فى خوار «بها قطن كثير، يحمل منها الى سائر البلاد». و ذكر المستوفى انها مشهوره بالقمح و الشلتوك، و هو الرز الشلب.

و سميت هذه المدينه خوار الرى، تمييزا لها عن خوار التى فى فارس (أنظر ص ۳۱۵)، و بهذه التسميه جاءت فى أخبار حروب تيمور. و ذكر المستوفى، ان خوار هذه كان يقال لها أيضا بالفارسيه محله باغ، أى محله البستان.

و ذكر المقدسى تجارات قومس، فقال: «لهم المناديل البيض من القطن المعلمه،

صغار و كبار، و سواذج و محشّاه، ربما يبلغ المنديل منها ألفى درهم

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۰۸

(نحو ثمانين باونا). و لهم أيضا أكسيه (من الصوف) و طيالسه (للرأس)» .

و اقليم قومس، كان يخترق طوله كله طريق خراسان العظيم، على ما بيّنا.

و قد أجمعت على ذلك كتب المسالك من ابن خرداذبه الى المستوفى. فاذا غادر هذا الطريق مدينه الرى، وصل خوار فى ثلاث مراحل. يليها بمرحله، قصر أو قريه الملح، و يقال لها بالفارسيه ده نمك على ما فى المستوفى، و هو اسمها اليوم.

و المرحله التاليه، على ما فى كتب المسالك كلها، كانت رأس الكلب، و لا يرى هذا الاسم الآن فى الخارطه، و لكن موضعه حيث قلعه لاسگرد العجيبه (و لا أثر لهذا الاسم فيما كتبه بلدانيون القرون الوسطى). و هذه القلعه اليوم تتوّج جرفا جبليا يشرف على المفازه. و تليها، بعد مرحله طويله: سمنان. و الى شرقها، على مرحله طويله أيضا: الدامغان (و هى التى ذكرتها كتب المسالك القديمه باسم قومس). و على مرحله مما يلى الدامغان، كانت الحدّاده و قد جاءت فى المستوفى باسم مهمان دوست (أى الضيف الصديق). و منها الى بسطام مسيره يوم. أما اذا سلك الطريق الأسفل، فالمرحله عند محطه البريد التى على فرسخين من المدينه، و قد كانت و ما زالت تعرف بقريه بذش، و منها تدخل اقليم خراسان فتسلك طريق البريد الى نيسابور. و جاء فى المقدسى، ان الطريق من بسطام الى بيار يقطع فى ثلاثه أيام. و من بيار كان يقطع المفازه مسافه ۲۵ فرسخا و يرجع غربا الى الدامغان .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۰۹

طبرستان أى مازندران

كانت منطقه

الجبـال العـاليه- و يتـألف معظمهـا ممـا يعرف اليوم بجبـال ألبرز الممتـده فى حـذاء الساحل الجنوبى لبحر قزوين، مما فى شـرق قومس و شـمالها- تعرف لـدى البلـدانيين العرب الاولين بطبرسـتان. و «طبر» فى لغه تلك البلاد معناها «الجبل». فطبرسـتان، تعنى «بلاد الجبل».

و فى المئه السـابعه (الثـالثه عشـره)، أى فى نحو من زمن الفتوحـات المغوليه، بطل اسـتعمال اسم طبرسـتان، على ما يظهر، و حلّ محله مازنـدران. و منـذ ذلك الحين أصـبح مازنـدران الاسم الشائع لهـذا الاقليم. و ربما شـمل اسم مازندران أيضا اقليم جرجان المجـاور له. و نوّه يـاقوت، و هو أول من ذكر اسم مازنـدران، بـانه لاـ يـدرى متى أخـذ بهـذه التسـميه. و مع انه لم يعثر عليه فى الكتب السـالفه، فـانه كـان شـائع الاسـتعمال فى جميع أنحـاء البلاـد. و قـد كـان الاسـمان: طبرسـتان و مازنـدران فى تلك الايام مترادفين فى واقع الامر. و لكن بينما كان الاسم الاول يطلق على الجبال العاليه بوجه خاص، و يشـمل بصوره ثانويه الرقعه الضيقه من الارض الخفيضه المحاذيه للبحر، الممتده من دلتا سـفيد رود الى جنوب شـرقى بحر قزوين، ظهر اسم مازندران أول مره دالا فى بادئ أمره على هذه الاراضى الخفيضه فقط. ثم شمل المنطقه الجبليه أيضا. و لا يستعمل اليوم اسم طبرستان.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۱۰

و فى صـدر أيـام الخلاـفه، لم يكن لهـذا الاـقليم من الوجهه السياسـيه الاـ بعض الشـأن. فقـد كان فى الواقع، آخر جزء من أجزاء الدوله الساسانيه قبل بالاسلام دينا. و ظل ملوكه من أهل البلاد- و يعرفون باصفهبذ أو اصبهبذ طبرستان نيفا و قرنا من الزمان بعد فتح العرب بقيه بلاد فارس مستقلين فى بلادهم الجبليه، يضربون نقودهم

و عليها الرموز الفهلويه حتى منتصف المئه الثانيه (الثامنه).

كما ظل الدين المجوسى يهيمن على غابات الجبال العظيمه و غياضها. و كانت غلات هذا الاقليم فى المئه الرابعه (العاشره)، على ما ذكر المقدسى: الثوم و الرز و القنب و طير الماء و الاسماك. فان هذا الاقليم غزير الامطار، بخلاف بقيه بلاد ايران.

و بعد ذلك الزمن، ذكر القزوينى ان أهلها «يتعانون تربيه دود القز، فيرتفع منها الابريسم الكثير، و يحمل الى سائر البلاد». و تعمل فيها أكسيه الصوف و السجاد و الميازر و المناديل الرفيعه و الثياب. «و بها الخشب الخلنج، يتخذ منه الظروف و الآلات و الاطباق و القصاع». «و أكثر أبنيتها الخشب و القصب» على ما ذكر ابن حوقل. و قال أيضا هو اقليم كثير الامطار، و ربما اتصل المطر فى الصيف و الشتاء، فجعلوا سطوح بيوتهم مسنمه بالقراميد» .

و كانت قصبه طبرستان فى العصر العباسى الأخير: آمل. و ان أقام الطاهريون، فى المئه الثالثه (التاسعه) فى مدينه ساريه. و كانت آمل، على ما ذكر ابن حوقل، أكبر من قزوين و ليس فى نواحيها أعمر منها. و قال المقدسى بها بيمارستان و جامعان، العتيق فى طرف الاسواق، بين الاشجار. و الآخر بقربه، قرب سور المدينه. و فى كل جامع رواق عظيم. و تجارات آمل كثيره، يكثر فيها الرز، و لها نهر كبير يشق المدينه و يسقى المزارع. و لم يزد ياقوت على وصف المقدسى شيئا. الا ان المستوفى أشار الى حرها و وخامه هوائها، و قال تكثر فيها التمور و الاعناب و الجوز و النارنج و الاترنج و الليمون، و لطيوبها و عطورها شهره واسعه فى سائر البلاد. و كانت فرضه آمل تقوم حيث يقع

نهرها فی بحر قزوین، و هی بلده صغیره یقال لها عین الهم، و قد کتب یاقوت اسمها

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۴۱۱

بصوره أهلم و قال انها لیست بالکبیره. و قد خرّب تیمور مدینه آمل فی ختام المئه الثامنه (الرابعه عشره) و أمر بنقض قلاع ماهانه سر الثلاث، و کانت هذه القلاع علی أربعه فراسخ من المدینه بازاء ساحل البحر.

و کانت قصبه طبرستان الثانیه، و هی القدیمه، مدینه ساریه، و یقال لها الیوم ساری، فی شرق آمل. قال المقدسی ان ساریه عامره فیها ثیاب فاخره و أسواق، و هی حصینه، حولها خندق، و لها جامع فیه نارنجه، و فی قنطره الجسر تینه ظاهره و جسورها مشهوره. و لم ینته الینا الا شی ء قلیل عن ساریه فی أواخر أیامها، فقد عانت کثیرا من الأذی فی المئه السابعه (الثالثه عشره) خلال الفتح المغولی. و کانت حین کتب المستوفی خرابا یبابا. غیر ان رساتیقها کانت کثیره الاعناب و القمح، و بها الحریر لکثره ما یربی فیها من دود القز .

و یهیمن جبل دماوند العظیم علی أنحاء طبرستان کلها، و تری قممه التی لا یفارقها الثلج من سهول بلاد ایران التی تبعد مئه میل أو أکثر عن جنوب طهران. بل قال المستوفی انها تری من مسافه مئه فرسخ، و أشار الی أن قممه لا تفارقها الثلوج. و جبل دنباوند علی ما کتب اسمه البلدانیون القدماء، تعدّه الاساطیر الفارسیه موطن سیمرغ، الطیر الخرافی الذی ربّی زال أبا رستم و حاماه. و حکی المستوفی کثیرا من القصص الخیالیه عن هذا البطل القومی.

و قال ابن حوقل، ان هذا الجبل العظیم یری من قرب ساوه «و هو فی وسط جبال

يعلو فوقها كالقبه، و لم أسمع ان أحدا ارتقاه الى أعلاه». و زاد على ذلک «و يرتفع من قلته دخان دائم، الدهر كله». «و يتحدث فى خرافات الفرس، ان السحره من جميع أقطار الارض، تأوى اليه و ان الضحاک (زهاک، طاغيه بلاد ايران القديم) حىّ فى هذا الجبل».

و سميت باسم دماوند، بلده صغيره تقوم على قلله الجنوبيه، قال المستوفى انها تعرف بپشيان أيضا؛ كما سميت به الناحيه الخصبه العريضه الشقه الممتده حول سفوحه. و كان فى هذه الناحيه، فى المئه الرابعه (العاشره) مدينه ويمه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۱۲

و تجاورها شلنبه. و قد وصفهما ابن حوقل، بقوله: «لهما زروع و مياه و بساتين و أعناب كثيره». و قال ياقوت، و قد رأى ويمه (أو ويمه)، قد استولى عليها الخراب و ذكر ان قلعه (فيروز كوه ترى منها. و قد زار ياقوت هذه القلعه أيضا. و ذكر المستوفى ان ماءها من ينابيع النهر الذى ينساب الى السهل و يشق خوار الرى فى قومس. و كانت فيروز كوه، من قلاع مازندران التى ذكرت فى جمله ما حاصره تيمور من قلاع و استولى عليه. و فى سفوح دماوند، قلعه أخرى، لا تقل شأنا عن الاولى، هى قلعه أستوناوند، أو أستناباد. قال القزوينى «عمرت منذ ثلاثه الآف سنه، لم يعرف انها أخذت قهرا»، الى ان ورد التتر سنه ۶۱۳ (۱۲۱۶) فاستولوا عليها عنوه. و ذكر ياقوت ان هذه القلعه يقال لها جرهد أيضا. و تبعد عشره فراسخ عن الرى. و قال كانت حصنا للاصبهبد، الملک المجوسى القديم لتلک البلاد، و قد حاصره يحيى البرمكى حتى غلبه و أخذ بناته الى بغداد، احداهن، و اسمها البحريه،

تزوجها الخليفه المنصور و صارت أم المهدی أبی هرون الرشيد . ثم ان فخر الدوله البويهی قد جدد بناء هذه القلعه سنه ۳۵۰ (۹۶۱) ثم استولی عليها الحشيشيه .

و ذكر بلدانيو العصور الوسطی، أسماء كثيره من القلاع و المدن فی طبرستان، لم يعد لها ذكر فی الخارطه. و هی اما ان الخراب لحقها من الغزو المغولی فی المئه السابعه (الثالثه عشره) أو ان تيمور لنك دمرّها، فقد اكتسح مازندران غير مره فی ختام المئه الثامنه (الرابعه عشره). و الی ذلك، فان أسماء معظم هذه المدن و القلاع الضائعه، لم تذكرها كتب المسالك، فحال كل

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۱۳

ذلك دون تعيين مواضعها فی الخارطه، و لو بصوره تقريبيه. و فی المئه الرابعه (العاشره) وصف ابن حوقل ثلاث نواح جبليه بقوله: «فيها أشجار عاليه، و الغياض و المياه، و هی خصبه جدا»، كانت فی جنوب ساريه، بينها و بين هذه النواحی مرحله، و تمتد غربا الی حدود الديلم فی اقليم گيلان. و أولی تلك النواحی: جبل فاذوسبان و هو جبل بادوسبان (الصيغه الفارسيه للاسم). و بادوسبان اسم الاسره الحاكمه شبه المستقله التی ساد رؤساؤها هذه النواحی نحوا من ثمانمئه سنه، أی من أيام الفتح الاسلامی حتی زمن الغزو المغولی، و كانت القری تنتشر فی هذه الناحيه الجبليه، و أكبرها، قريه يقال لها قريه منصور. ويليها أرم خاست، أو أرم خاسته، و هی قريتان: عليا و سفلی، و تبعد هذه القريه نحو ارم خاست، أو ارم خاسته، و هی قريتان: عليا و سفلی، و تبعد هذه القريه نحوا من مرحله عن ساريه، و لم يكن فی هذه الجبال مدينه كبيره ذات مسجد جامع.

و كان يجاور

فاذوسبان، الناحيه الجبليه المسماه جبل قارن، و هى مستقر آل قارن. و يقال انهم من الفرثيين. و مهما يكن من أمر، فقد جاءت اسماء آل قارن فى أخبار الساسانيين و فى الزمن الاسلامى، و كانوا ما زالوا رؤساء تلك الناحيه، و كان أمنع معاقل آل قارن التى توارثوها منذ أيام أكاسره الساسانيين:

فرّم (فريم) و أعمر مدنهم، مدينه سهمار (أو شهمار). و فيها المسجد الجامع و لا ثانى له فى سائر تلك الانحاء. و لم تذكر كتب المسالك، يا للأسف، موضع فريم، بوجه التحقيق. ذكرها ياقوت، و كذلك المستوفى فى المئه الثامنه (الرابعه عشره)، فقال انها عند حد قومس. و كانت الناحيه الجبليه الثالثه، جبل الروبنج، و هى شمال الرى، و من ثمه، فهى أقرب من غيرها الى حدود الديلم. و لم ينته الينا اسم مدينه أو قريه فى هذه الناحيه، الا انها على ما يقال كانت فى غايه الخصب و ماؤها كثير، و فى جبالها الاشجار و الغابات .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۱۴

و على مسيره يوم، أى خمسه فراسخ، من غرب آمل، فى السهله التى قرب البحر، مدينه ناتل أو ناتله. و على مثل تلك المسافه من غرب ناتل، مدينه سالوس أو شالوس، قال المقدسى «بها قلعه من حجاره، الجامع على جانب».

و جاء اسمها أيضا بصوره سالوش. و بالقرب منها مدينتان أخريان هما الكبيره و كچّه. و ورد اسم شالوس فى أخبار حروب تيمور بصوره جالوس. و الظاهر ان تيمور لنک قد خرب فى خلال حروبه جميع هذه البلاد و كذلك البلاد الجبليه التى فى جنوبها، أى رويان و رستمدار .

و مدينه كلار، و قد ظنها ياقوت انها مدينه كچه

المذکوره أعلاه، کانت علی مرحله من شالوس، و لکن فی الجبال. و من کلار الی حدود الدیلم مرحله.

و فی هـذه الاسـماء شـی ء من اللبس. و لکن یظهر ان کلاـر و کچه و رویان مـدن متجاوره ان لم تکن تشـیر الی مـدینه واحـده بـذاتها. و کانت رویان، الی ذلک، اسم رسـتاق کبیر من رساتیق البلاد الجبلیه عنـد الحـد الغربی لطبرسـتان. و ذکر ابو الفـداء ان مـدینه رویان، کان یقال لها شارسـتان أیضا، و انها کانت تتوّج قمه درب جبلی یبعد ۱۶ فرسـخا عن مدینه قزوین. و ذکر یاقوت ان رویـان قصـبه النـاحیه الجبلیه فی طبرسـتان، مثلما کانت آمل قصـبه السـهول الخفیضه فیه. کان بها أبنیه حسـنه و بساتین کثیره الثمار. و کان بالقرب من رویان (أو کلار) مدینه سعید اباد الصغیره.

أمـا حصن الطـاق العظیم عنـد حـدود الـدیلم، و هو آخر معقل لجأ الیه اصـبهبد طبرسـتان بعـد ان غلبته جیوش الخلیفه المنصور، فینبغی ان یکون فی ناحیه

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۴۱۵

رویان هذه، و قد أسهب یاقوت و القزوینی فی وصف هذا الموضع ناقلین عمن سبقهما من المصنفین. کان الطاق حصنا منیعا، «و کان فی قدیم الزمان خزانه ملوک الفرس، و هو نقب فی موضع عال فی جبل صـعب المسلک. و هذا النقب شبیه بالباب الصغیر، فاذا دخل فیه الانسان مشـی فیه نحوا من میل فی ظلمه شدیـده. ثم یخرج الی موضع واسع شبیه بالمدینه قد احاطت به الجبال من جمیع الجوانب، و فی هـذه الرحبه مغـارات و کهوف، و فی وسـطها عین غزیره المـاء ینبع من صـخره و یغور ماؤهـا فی صـخره أخری» علی مقربه من الاولی. و أفاض یاقوت بعد هذا

الکلام فی ذکر عجائب هذا الموضع.

و عند منابع شاهرود- و هو الفرع الشرقی لسفید رود (أنظر ص ۲۰۴ أعلاه)- ناحیه رستمدار. قال المستوفی ان فیها نحوا من ثلاثمئه قریه. و هذه الناحیه التی کانت تسقیها أنهار کثیره تأخذ من شاهرود، کانت بین مدینه قزوین و آمل، و فی شرق ناحیه رویان. و کان علی ما بیّنا فی الفصل الخامس عشر (فی الصفحه ۲۵۵) أعظم قلاع الاسماعیلیه أی الحشیشیه. و ربما کان فی ناحیه رستمدار هذه، قلعه کلام، و قد وصفها یاقوت بقوله انها «قلعه قدیمه فی جبال طبرستان، ملکها الملاحده، فأنفذ السلطان محمد بن ملکشاه (السلجوقی) من حاصرها و ملکها و خرّبها» .

و علی فرسخین من شرق آمل، فی طریق الساحل، مدینه میله. و علی ثلاثه فراسخ مما یلیها: برجی، و هی علی مرحله من ساریه. و کانت مدینه ممطیر، أو مامطیر، علی مرحله من کل من آمل و ساریه، علی سته فراسخ من البحر، و هی تطابق بارفروش الحدیثه. قال یاقوت: «بها مسجد و منبر، و لها رساتیق و قری و عمارات کثیره». و بالقرب من ساریه، و ربما الی شرقها، کانت نامیه (أو نامشه) و لها رستاق حسن، و هی علی عشرین فرسخا من ساریه.

و مهروان، علی عشره فراسخ من ساریه، بها مدینه ذات منبر و حامیه من

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۴۱۶

ألف رجل. و لا یعرف، وآ أسفا، الموضع الصحیح لهاتین المدینتین. و فی آخر الحدود الشرقیه لطبرستان، علی ثلاث مراحل من ساریه، فی طریق استراباد علی مرحله من الاخیره: مدینه طمیس، أو طمیسه. و تقوم علی درب عظیم ممدود من الجبل الی جوف البحر، وسط المناقع. قال

یاقوت ان کسری أنوشروان (العادل) بناه لیکون دربا یسلکه من یخرج من طبرستان .

و فی جنوب شرقی بحر قزوین، خلیج اشراده، علی ما یسمی الیوم، و عنده لسان رملی طویل یمتد شرقا حتی یکاد یصل ساحل جرجان. و قد وصف المستوفی هذا الخلیج و جزیرته، أو شبه جزیرته، باسم نیم مردان، فیها موضع آهل فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) و کان فرضه تقصدها السفن من سائر أنحاء بحر قزوین. و کانت الفرضه تبعد ثلاثه فراسخ عن استراباد. و یقال للمدینه التی وراءها: و هی ذات تجارات رائجه. و بجوارها ناحیه یکثر فیها الحریر و القمح و الکروم، یقال لها کبود جامه، و قد کانت بلادا کثیره الغنی و الخیر، الا ان الخراب استولی علیها فی حروب تیمور، فی ختام المئه الثامنه (الرابعه عشره). و مدینه روعد، أو روغد، و قد جاء ذکرها فی خبر مرور تیمور بها فی زحفه علی مازندران، ربما کانت فی ناحیه کبود جامه.

قال المستوفی کانت مدینه وسطه محیطها ۴۰۰۰ خطوه، تقوم فی وسط رساتیق خصبه یکثر فیها القمح و القطن و صنوف الفواکه.

أما تجارات طبرستان، فالی ما نوّهنا به فی الصفحه ۴۱۰، ذکر المقدسی الاکسیه الحسنه و الطیالسه و ثیاب الخیش المحموله الی الآفاق. و کان یرتفع منها أیضا خشب الخلنج، و قد مرّ ذکره، و کان یقطع قطعا و یحمل منها فتصنع منه فی الری القصاع و الاطباق و الاوانی. و الخلنج خشب متنوع الالوان طیب

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۴۱۷

الرائحه تصنع منه أحیانا خرز السبحات. و أحسن أنواعه ما ینمو فی جبال طبرستان .

جرجان

یمتد اقلیم جرجان، أو گرگان، علی ما ینطق به الفرس، فی

جنوب شـرقى بحر قزوين. و يضم فى الاغلب السهول العريضه و الأوديه التى يسقيها نهرا جرجان و أترك. و قد كان هذا الاقليم فى الأـزمنه الاولى، قائما بنفسه، و ان كان مضافا الى خراسان. و لكن ما أحـدثه الفتـح المغولى من تغيير أدى الى الحاقه سياسـيا بمازنـدران. و هـذا الاقليم، كغيره من نواحى جنوبى بحر قزوين، قد أغارت عليه جحافل المغول و خربته فى المئه السابعه (الثالثه عشره) ثم دمرته حروب تيمور فى ختام المئه الثامنه (الرابعه عشره).

و جرجـان، على ما ذكر المقدسـى، وافر الانهار، و فى سـهوله و جباله النخل، و يكثر فيها النارنـج و الاعناب. و أهم نهر فى هـذا الاقليم كان يعرف باسـمه، أى نهر جرجان. و هو النهر الـذى قال المقدسـى، فى المئه الرابعه (العاشـره)، انه يعرف ب «طيفورى». كمـا انه لم يـذكر نهر أترك. و فى المئه الثـامنه (الرابعه عشـره)، جاء اسم النهر فى المسـتوفى بصوره آب جرجان، و قال ان نهر جرجان ينبع فى وادى شـهر ناو (المدينه الجديده) و منها يشق سـهل سـلطان درين فيصل الى مدينه جرجان فاذا جاوزها وقع فى بحر قزوين قرب جزيره ابسكون فى خليج نيم مردان. و مجرى هذا النهر برمته كان عميقا لا يكاد يعبر.

و كثيرا ما غرق فيه من حاول عبوره من المسافرين. و كانت مياهه فى موسم الفيضان تجرى فى أنهار للسـقى، و ان كانت تذهب هدرا فى الغالب.

أما نهر أترك، فهو أطول من جرجان، و مخرجه فى سهول خراسان بين

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۱۸

نسا و خبوشان قرب منابع نهر المشهد. و يجرى نهر المشهد نحو الجنوب الشرقى فى اتجاه معاكس للاول. و نهر أترك

عميق الغور و معظمه صعب العبور، كنهر جرجان، على ما ذكر المستوفى. و بعد ان يجرى محاذيا حدود دهستان فى الجانب الشمالى من اقليم جرجان، يقع فى بحر قزوين. و طول مجراه نحو من ۱۲۰ فرسخا. و يقال ان اسم أترك ان هو الا صيغه جمع ترك. فنهر أترك انما سمى بذلك لان الأتراك كانوا يعيشون فى زمن ما على ضفافه. و لم نعثر على اسم لهذا النهر فى كتب البلدانيين العرب الاولين. و المستوفى، فى المئه الثامنه (الرابعه عشره)، من أقدم من سماه بنهر أترك، و هى التسميه التى ما زال يعرف بها .

أما قصبه جرجان، فهى مدينه بالاسم نفسه، و يقال لها اليوم «من گرگان».

وصفها ابن حوقل فى المئه الرابعه (العاشره) بقوله انها مدينه حسنه «بناؤها من طين، و هى أيبس من آمل تربه» و المطر فى جرجان أقل منه فى طبرستان.

و جرجان جانبان، بينهما يجرى نهر جرجان، «عليه قنطره معقوده بين الجانبين». فجرجان الجانب الشرقى، و بكر أباذ الجانب الغربى. و الجانبان، على وصف ابن حوقل و قد رآهما، فى نحو مدينه الرى كبرا. و تكثر فى بساتينها الفواكه، و يعمل بها الابريسم. و سمى المقدسى الجانب الشرقى من جرجان: شهرستان. و قال انها حسنه المساجد و الاسواق، و فى بساتينها رمان و زيتون و بطيخ و باذنجان و نارنج و ليمون و أعناب، و هى جيده فاخره رخيصه.

و فيها أنهار عليها جسور و طيقان، و بها ميدان بازاء دار الامير. و لها تسعه أبواب.

و حر جرجان شديد، و ذبابها كثير، و حشراتها مؤذيه، لا سيما براغيثها فانها ضاريه تعرف بگرگان، أى الذئاب. و كانت بكر أباذ، حسب تهجئه المقدسى لها «شبه

مدینه عامره بها مساجد» و تبتعد أبنیتها مسافه کبیره عن النهر و تمتد قلیلا بمحاذاه ضفته الغربیه.

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۴۱۹

و لما کتب القزوینی فی المئه السابعه (الثالثه عشره)، کانت جرجان مشهوره لدی العلویین، لان فیها مشهدا یقال له گور سرخ (أی القبر الاحمر) و یقال انه لبعض أولاد علی الذی سماه المستوفی محمد بن جعفر الصادق الامام السادس. و ذکر المستوفی، ان حفید ملکشاه السلجوقی قد جدّد بناء المدینه، و کان محیط أسوارها سبعه آلآف خطوه. و لما کتب فی المئه الثامنه (الرابعه عشره)، کان الخراب قد دبّ فیها، و لم تقم لها قائمه بعد اکتساح المغول لها.

و أطری فواکهها الفاخره و قد ذکر، عدا الفواکه المنوّه بها قبلا: شجر العنّاب و هو ینبت من نفسه و تثمر اشجاره، و عمرها لا یزید علی السنتین أو الثلاث، مرتین فی السنه. و کان أهل جرجان فی أیامه من الشیعه و لکنهم غیر کثیرین.

و فی سنه ۹۷۵ (۱۳۹۳) کان تیمور، الذی خرّب مازندران و البلاد المجاوره لها، قد وقف فی جرجان و ابتنی له علی ضفاف نهرها قصره العظیم شاسمن.

و قد نوّه حافظ أبرو بذکره .

و ثانیه مدن اقلیم جرجان: استراباد، قرب حدود مازندران، وصفها المقدسی فی المئه الرابعه (العاشره) بقوله انها مدینه أطیب هواء و أصح ماء من جرجان کلها. و یکثر فیها القز. و قد خرب حصنها فی أیامه لان البویهیین خربوا کل هذه البلاد فی أثناء قتالهم بنی زیار. و زاد المقدسی علی ذلک انه کان لها مسجد جامع بنی فی أیام الفتوحات الاسلامیه الاولی، و ما زال قائما فی السوق قرب باب المدینه. و کل ما أورده

یاقوت و المستوفی عنها ان هو الا تأیید لما مرّ ذکره، و أطریا هواء استراباد و وفره طعامها، و لم یزیدا علی ذلک شیئا. و کانت فرضه جرجان و استراباد علی بحر قزوین، مدینه ابسکون، و تبعد عن کل منهما مسیره یوم. و الظاهر ان موضعها قد غمره البحر فی غضون المئه السابعه

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۴۲۰

(الثالثه عشره) بعد الغزو المغولی. و قد جاء فی الاصطخری و ابن حوقل، فی المئه الرابعه (العاشره)، ان أبسکون سوق کبیر لتجاره الحریر و کانت فی ذلک الزمن ثغرا تصدّ الاتراک و الغزّ، و هی فرضه تجاره بحر قزوین التی تحمل الی کیلان. و کان علیها حصن منیع من الآجر، و مسجدها الجامع فی السوق. و قال المقدسی «هی فرضه جرجان». و زاد یاقوت علی ذلک ان بحر قزوین کان یسمی غالبا بحر أبسکون. و اشتهرت أبسکون فی التاریخ بکونها آخر مدینه التجأ الیها محمد، آخر من حکم من شاهات خوارزم، و قد فرّ أمام جحافل المغول و مات فیها ذلیلا فی سنه ۶۱۷ (۱۲۲۰) .

و علی مسیره سته أیام (أو خمسین فرسخا) من شمال أبسکون، و علی أربع مراحل من مدینه جرجان، موضع یعرف بدهستان فی ناحیه بالاسم نفسه.

و کانت فی المئه الرابعه (العاشره) ثغرا فی حد الترک. قال ابن حوقل: دهستان بالقرب من بحر قزوین. و لم یکن فیها غیر القری و بعض البساتین، و أهلها مبعثرون فیها. و بالقرب منها، خلیج ضحل فی بحر قزوین کانت السفن ترسو فیه، و یصید أهل الساحل سمکا کثیرا منه. و أهم تلک القری: آخر، و قد أشار المقدسی الی انها مدینه، حولها أربع و

عشرون قريه و هذه القرى «من أجل أعمال جرجان». و فى آخر: «مناره ترى من البعد فى وسط القرى».

و الى شرق آخر، مدينه الرباط و هى «على فم المفازه» حيث يدخل هذه الناحيه الطريق الذاهب الى خوارزم. قال المقدسى: «قد خرّب السلطان حصنه، و كان بثلاثه أبواب، و هو عامر ظريف. و أسواق بهيه و منازل لطيفه و مساجد حسنه. و المسجد العتيق فيه سوارى خشب» و كان النصف الاسفل منه، فى أيام المقدسى، تحت الأرض. و للمدينه جامع آخر، فيه مناره جميله . و ذكر

ياقوت هذه المواضع مع مواضع أخرى فى ناحيه دهستان، هى: خرتير و فرغول و هبراثان، و لم يصفها. و ذكر المستوفى، و قد وصف الطريق من جرجان الى خوارزم، مخترقا دهستان، ان هذه الناحيه، كانت الحد بين المسلمين و الكفره من الترك و الكرد. و هواؤها حار، و لها نهر يسقيها، و لكن فواكهها قليله .

و على أربع مراحل من دهستان، عند حد المفازه، حيث يبدأ الطريق باجتيازها الى خوارزم، تقوم مدينه فراوه. ذكر الاصطخرى انها ثغر فى باديه الغزّ. و كان «يقيم بها المرابطون» فى المئه الرابعه (العاشره). و كان بها رباط يحمى البلاد التى وراءها لئلا ينتابها الاتراك «و ليست لهم بساتين و لا زروع الا مباقل، و أهلها دون ألف رجل». و قد كتب المقدسى اسمها بصوره أفراوه.

و قال ياقوت انها كانت رباطا بناه عبد اللّه الطاهرى فى خلافه المأمون. أما موضعها، فأكبر الظن ان فراوه تطابق قزل أروات الحديثه، و هذا الاسم تحريف قزل رباط (أى الرباط الاحمر). و لم يذكر ياقوت غير أسماء بعض المواضع الاخرى

فی اقلیم جرجان و قد كانت قرى من أعمال مدينه جرجان أو استراباد. و لم ينته الينا شى ء عنها و لم تحدد مواضعها. و يغلب ان تكون قراءه الاسم غير مضبوطه .

و ذكر المقدسى مما اشتهرت من تجارات جرجان، صنفا من «المقانع القزّيه» كان يحمل فى أيامه الى اليمن فى جنوبى بلاد العرب. و كان بها ديباج دون.

و كان يكثر فى جرجان الاعناب و التين و الزيتون .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۲۲

و ليست المسالك فى طبرستان و جرجان كثيره. لان الجبال فى الاقليم الاول تكاد لا تخترقها الطرق. و ذكر الاصطخرى (و منه اقتبس ابن حوقل) و المقدسى، الطريق الآخذ شمالا من الرى الى آمل، قاطعا الجبال، مارا بآسك و بلور (پلور). و يصعب اليوم بل يستحيل تعيين كثير من مراحله. و الطريق الذاهب غربا من آمل فى محاذاه الساحل، ذكر فيه ابن حوقل و الاصطخرى المراحل الى ناتل و سالوس فالى حد كيلان (الديلم)، و كذلك ذكرا مراحل الطريق الذاهب شرقا من آمل الى استراباد و مدينه جرجان. و الطريق من مدينه جرجان الذاهب شمالا الى دهستان، ذكر المقدسى مراحله، و كذلك ذكر المستوفى المراحل فى كلامه على الطريق من بسطام فى قومس الى عاصمه خوارزم. و جاء فى المقدسى أيضا وصف الطريق من بسطام الى مدينه جرجان قاطعا الدرب الجبلى مارا بجهينه، و هى، على ما ذكر ابن حوقل «واد لقريه حسنه». و أخيرا وصف المقدسى الطريق من جرجان الذاهب شرقا الى خراسان و هو يقطع فى خمسه أيام الى اسفرايين فى سهل جوين فيجتاز أجغ و يقال لها اليوم أشك. و سنأتى على وصف هذه الناحيه فى

الفصل القادم .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۲۳

الفصل السابع و العشرون خراسان

أرباع خراسان الأربعه- ربع نيسابور- مدينه نيسابور و شاذياخ- كوره نيسابور- طوس و المشهد- بيهق و سبزوار- جوين و جاجرم و اسفرايين- استوا و كوجان- رادكان و نسا و ابيورد- كلات- خابران و سرخس.

خراسان فى الفارسيه القديمه، معناها «البلاد الشرقيه». و كان هذا الاسم فى أوائل القرون الوسطى، يطلق بوجه عام، على جميع الاقاليم الاسلاميه فى شرق المفازه الكبرى حتى حد جبال الهند. فخراسان فى مدلولها الواسع هذا، كانت تضم كل بلاد ماوراء النهر التى فى الشمال الشرقى، ما خلا سجستان و معها قوهستان فى الجنوب. و كانت حدودها الخارجيه، صحراء الصين و الپامير من ناحيه آسيه الوسطى، و جبال هندكوش من ناحيه الهند. الا ان حدودها هذه صارت بعد ذلك، أكثر حصرا و أدق تعيينا. حتى ليمكن القول ان خراسان، و قد كان أحد أقاليم بلاد ايران فى القرون الوسطى، لم يكن يمتد الى أبعد من نهر جيحون فى الشمال الشرقى، و لكنه ظل يشتمل على جميع المرتفعات فى ما وراء هراه، التى هى اليوم القسم الشمالى الغربى من أفغانستان. و الى ذلك، فان البلاد فى أعالى نهر جيحون، من ناحيه الپامير، كانت على ما عرفها العرب

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۲۴

فى القرون الوسطى، تعد ناحيه من نواحى خراسان البعيده. و كان اقليم خراسان فى أيام العرب، أى فى القرون الوسطى، ينقسم الى أربعه أرباع، نسب كل ربع الى احدى المدن الاربع الكبرى التى كانت فى أوقات مختلفه، عواصم للاقليم بصوره منفرده أو مجتمعه و هذه المدن هى: نيسابور، و مرو، و هراه، و بلخ.

و بعد الفتح الاسلامى

الاول، كـانت عاصـمتا خراسان فى مرو و فى بلـخ. الا ان الامراء الطاهريين، نقلوا دار الاماره الى ناحيه الغرب فجعلوا نيسابور فى أيامهم عاصمه الاقليم، و هى أيضا أكبر مدينه فى أقصى الارباع غربا .

و فى الفارسيه الحديثه يلفظ اسمها: نيشاپور. و هى فى العربيه: نيسابور.

و هو مشتق من نيوشاه بور فى الفارسيه القديمه، و معناه: « (شى ء أو عمل أو موضع) سابور الطيب». و انما سميت المدينه بذلك، نسبه الى الملك سابور الثانى الساسانى الذى جدّد بناءها فى المئه الرابعه للميلاد، اذ ان مؤسس نيسابور كان سابور الاول بن أردشير بابكان. و قد سرد البلدانيون العرب فى المئه الثالثه (التاسعه) ثبتا طويلا بأسماء أكبر المدن فى كوره نيسابور التى كانت تضم معظم اقليم قوهستان، و قد مرّ وصفه. و أهم ما قد يفيدنا به هذا الثبت، التهجئه القديمه لبعض الاسماء، و كثير من هذه المواضع لا يمكن تعيينه اليوم .

و فى صدر العهد الاسلامى، كان يقال أيضا لنيسابور: أبرشهر، و معناه:

مدينه الغيم فى الفارسيه. و بهذه التسميه ظهرت فى الدراهم القديمه التى ضربها فيها الخلفاء الامويون و العباسيون. و سماها المقدسى و غيره باسم ايرانشهر- أى مدينه ايران- أيضا. و لكن هذا الاسم ربما لم يكن غير اسم رسمى و لقب شرف

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۲۵

لها. كانت نيسابور فى المئه الرابعه (العاشره) مدينه عامره جليله مفترشه البناء، نحو فرسخ فى مثله، و لها مدينه و قهندز و ربض. و مسجدها الجامع فى الربض، و هو من بناء عمرو الصفار، مقابل ميدان يعرف بالمعسكر. و بقربه دار الاماره، و تفضى الى ميدان آخر يقال له ميدان الحسينيين و الحبس لا يبعد

كثيرا عن دار الاماره، و بين بناء و بناء من هذه الأبنيه الثلاثه نحو من ربع فرسخ.

و للقهندز بابان. و للمدينه أربعه أبواب. أحدها يعرف بباب القنطره، و الثانى بباب سكه معقل، و الثالث بباب القهندز (أى باب القلعه) و الرابع بباب قنطره تكين. و أرباضها فى خارج قهندزها و مدينتها، و تحفّ بهما. و أسواقها فى أرباضها، و لها أبواب كثيره. منها باب يعرف بباب القباب. و يخرج منه الى الغرب. و يقابله باب جنك (أى باب الحرب) أمام ناحيه بشتفروش .

و باب فى الجنوب يعرف بباب أحوص أباذ و هنالك أسماء أبواب أخرى. و أعظم أسواقها: سوقان أحدهما يعرف بالمربعه الكبيره، و الاخر بالمربعه الصغيره. و كان سوق المربعه الكبيره، قرب المسجد الجامع، و قد تقدم ذكره. و سوق المربعه الصغيره على بعد قليل من السوق الآخر، فى الارباض الغربيه قرب ميدان الحسينيين و دار الاماره. و هى أسواق طويله مكتظه بالدكاكين، تمتد من مربعه الى المربعه الاخرى، و تقطعها متعامده معها أسواق أخرى، بقرب المربعه الكبيره و هى تمتد جنوبا الى مقابر الحسينيين، و تنتهى شمالا برأس القنطره على النهر.

و فى هذه الاسواق، خانات و فنادق يسكنها التجار، و فيها التجارات كل صنف منها على حده. و للأساكفه و البزّازين و الخرّازين و غيرهم من أصحاب الحرف خاناتهم. و لكل دار فى المدينه قناه تأخذ ماءها من نهر يقال له وادى سغاور، ينحدر الى نيسابور من قريه بشتنقان المجاوره لها. و على هذا الوادى و القنى قوّام و حفظه، و عمق بعض القنى تحت الارض ربما بلغ مئه درجه.

و هذه القنى، اذا ما جاوزت المدينه ظهرت على وجه الارض فتسقى المزارع و

البساتين.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۲۶

و ليس فى كل خراسان، على ما ذكر ابن حوقل، مدينه «أصح هواء و أفسح فضاء و أشد عماره من نيسابور». و تجارها أهل ثراء، و تؤمّها السابله و القوافل فى كل يوم. «و يرتفع منها من أصناف ثياب القطن و الابريسم، ما ينقل الى سائر البلدان». و أيد المقدسى ما سبق ذكره، و زاد عليه اشياء أخرى قال: فى نيسابور اثنتان و أربعون محله، منها ما يكون مثل نصف شيراز.

و دروبها المؤديه الى الابواب زهاء الخمسين. و مسجدها الجامع أربع رحبات، بناه عمرو الصفار، على ما قد بيّنا، و يقوم سقفه على أساطين الآجر، يدور على صحنه ثلاثه أروقه. و أهم بناء فيه قد زوّقت حيطانه بالقرميد المذهب.

و للجامع أحد عشر بابا بها أعمده رخام. و حيطانه و سقفه مجمّله مزوّقه.

و نهر نيسابور، على ما سبق ذكره، يأتى من قريه بشتنقان، كان يدير سبعين رحى. و منه تحمل قنى كثيره تجرى تحت الارض، و يجرى النهر فيها مسافه فرسخ. و كان فى داخل المدينه و فى دورها آبار كثيره عذبه الماء .

و قال ياقوت، ان فى أيامه، أى فى المئه السابعه (الثالثه عشره) كانوا يلفظون اسم هذه المدينه: نشاوور. و أبان عن ان نيسابور بالرغم مما أصابها من الخراب فى زلزال سنه ۵۴۰ (۱۱۴۵)، فقد أعقب ذلک نهب عشائر الغز لها سنه ۵۴۸ (۱۱۵۳)، و لم ير ياقوت فى خراسان مدينه أحسن منها، و اشتهرت بساتينها بالريباس و غيره من الفواكه. و بعد فتک الغزّ بها و أسرهم السلطان سنجر السلجوقى و تخريبهم المدينه انتقل الناس الى محله منها يقال لها شاذياخ، عمّرها و سوّرها

المؤيد عاملها من قبل الملک الأسير سنجر. و محله شاذياخ، و يقال لها الشاذياخ، کانت قديما بستانا لعبد اللّه بن طاهر فى أوائل المئه الثالثه (التاسعه) حين نزل نيسابور و اتخذها دارا للاماره. و قامت حول قصره، حيث نزل جنده، و صارت أکبر أرباض نيسابور، ثم أضحت بعد غزو

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-کورکيس عواد، النص، ص: ۴۲۷

الغزّ عاصمه. و نزل ياقوت، حين مقامه وقتا قصيرا بنيسابور سنه ۶۱۳ (۱۲۱۶)، فى الشاذياخ، و قد وصفها. و بعد ذلک بزمن يسير، أى فى سنه ۶۱۸ (۱۲۲۱) استولى المغول عليها بقياده جنکيز خان و نهبوها، على ما انتهى خبره الى ياقوت.

و قد کان حينذاک استأمن فى الموصل. و قال ياقوت ان المغول «لم يترکوا بها جدارا قائما».

على ان نيسابور، صلح أمرها بعد غزو المغول، فان ابن بطوطه حين زارها فى المئه الثامنه (الرابعه عشره)، وجدها مدينه عامره. و قال ان مسجدها بديع ويليه أربع مدارس، و يقال لها دمشق الصغيره لکثره فواکهها و بساتينها. و تسقيها أربعه أنهار تنحدر اليها من الجبال المجاوره. و زاد ابن بطوطه على ذلک انه يصنع بنيسابور «ثياب الحرير من النخ و الکمخاء» و يحمل الى أسواقها کثير من التجارات. أما المستوفى، معاصره، فقد روى حديثا طويلا عن مدينه نيشابور و کورتها. قال ان مدينه نيشاپور القديمه أسست فى أيام الاکاسره على تخطيط کرقعه الشطرنج، فى کل ضلع ثمانيه مربعات على ما يقال. ثم اتسعت رقعتها و عظمت ثروتها فى أيام بنى الصفار و صارت أجل مدن خراسان، حتى حلت سنه ۶۰۵ (۱۲۰۸) فخرّبتها الزلازل. و قد کان بعد هذا التاريخ، على قول المستوفى، انتقال السکنى منها لاول مره الى الشاذياخ. و

كان حول هذه البلده، سور دوره ۶۷۰۰ خطوه. على ان نيشاپور، قـد جدّد بناؤها فى الوقت نفسه، و لكن الزلازل خربتها ثانيه فى سنه ۶۷۹ (۱۲۸۰)، فابتنيت مدينه نيشاپور الثالثه فى موضع آخر، و هذه هى المدينه التى وصـفها المسـتوفى. و كان دور أسوارها حينذاك ۱۵۰۰۰ خطوه، و هى تقوم عنـد حـافه الجبـل مقـابله للجنوب. و كـانت مياههـا كثيره، لاـن نهر نيشـاپور، و هو ينبع فى الجبال على فرسـخين أو أزيد فى شـرقها، وافر الماء يدير أربعين رحى قبل وصوله الى المدينه. و قال أيضا ان لأكثر دور نيشاپور صهاريج يخزن الماء فيها لأجل موسم الجفاف.

و تقوم مـدينه نيسـابور الحـاليه، فى الجـانب الشـرقى من سـهل نصف دائرى، تكتنفه الجبـال و يواجه المفازه و هى فى جنوبه. و يسقى هذا السهل أنهار كثيره

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۲۸

تنحدر اليه من المرتفعات التى فى شماله و شرقه. و سرد المستوفى أسماء عدد كبير من هذه الانهار، و هى بعد أن تسقى رساتيق نيسابور، تفنى فى المفازه.

و على خمسه فراسخ من شـمال المدينه، عند منابع نهر نيشابور، كانت بحيره صـغيره فى الجبال فى أعلى المضيق يقال لها چشمه سبز، أى «العين الخضراء».

و منها كان يخرج، على ما ذكر المسـتوفى، نهران يجرى أحدهما الى الغرب و الآخر الى الشرق. و ينحدر النهر الشرقى الى وادى المشـهد. و الظـاهر ان هـذه البحيره، كانت فى جبل يقال له كوه گلشان، و فيه كانت مغاره الرياح العجيبه، التى يهب من أعماقها ريح و يندفع منها فى الوقت نفسه ماء تكفى قوته لاداره رحى.

و ذكر ان محيط بحيره چشمه سبز نحو فرسخ، و حكيت عنها عجائب كثيره، و قيل

انها لا قرار لها، و ان رمى سهم من جانب، لا يقطعها الى الجانب الآخر.

و اشتهرت فى سهل نيسابور، أربعه رساتيق بوفره خصبها، و ذكر المقدسى فى المئه الرابعه (العاشره) هذه النواحى، و هى: الشامات (أى شامات الحسن)، و ريوند، و ما زالت قائمه فى غرب نيشابور، و ما زل، و بشتفروش. و كان رستاق ما زل فى الشمال و أكبر قراه بشتقان (أو بشتنقان) و هى على فرسخ من نيسابور و فيها أنشأ عمرو الصفار بستانا له مشهورا. و يرتفع منها ريباس فائق. و يعرف رستاق بشتفروش اليوم باسم پشت فروش، يمتد مسيره يوم الى الشرق من باب جنك فى نيسابور، على ما ذكر المقدسى، و كانت بساتين قراه المئه و الست و العشرين، على ما ذكر ياقوت، ذات غله كبيره من المشمش الذى يحمل الى سائر الانحاء. و كان رستاق الشامات، يسميه الفرس على ما ذكر المقدسى تك آب، أى «اليه يجرى الماء» و هذا الرستاق فى غايه الخصب. أما ريوند، فمدينه صغيره فى رستاق على اسمها و هى على مرحله غرب نيسابور. و كان للمدينه فى المئه الرابعه (العاشره) جامع بالآجر، و يشقها نهر، و هى كثيره الاعناب، و بها سفرجل جيد لا نظير له.

و من أكبر انهار كوره نيسابور، على قول المستوفى، شوره رود

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۲۹

«النهر الملح». و كانت تلتقى فيه مياه النهر الآتى من دزباد، و بعد ان يسقى رساتيق كثيره، يفنى فى المفازه. و قد ذكر المستوفى أيضا انهارا أخرى، غير ان كثيرا من أسمائها مغلوط التهجئه و يصعب اليوم معرفتها، على ان بعضها لا صعوبه فى معرفته. من ذلك نهر بشتقان،

و مخرجه من جهه چشمه سبز، على ما قد بيّنا. و نهر بشتفروش، و كلاهما يفيض فى الربيع، على قول المستوفى، و يلتقى مع شوره رود. ثم هنالك نهر يقال له عطشاباد «أى نهر العطش» و هذا النهر، و ان كان ماؤه فى الربيع كافيا لاداره عشرين رحى فى مدى عشرين فرسخا من مجراه، فانه فى الفصول الاخرى لا يبقى فيه من الماء ما يروى عطش انسان، و من ذلك جاء اسمه المشؤوم .

و الى جنوب شرقى نيسابور، ينقسم طريق خراسان العظيم، عند مرحله عرفها العرب باسم قصر الريح، و الفرس باسم دزباد أو ده باد. و قد مرّ بنا آنفا ذكر نهرها بين الانهار التى تصب فى نهر شوره. و منها كان طريق مرو يتجه شرقا، و طريق هراه يدور الى الجنوب الشرقى. و عند هذه الاخيره، و على مرحلتين من ده باد، كانت قريه فرهادان، و هى التى سماها ياقوت فرهاذ جرد.

و أطلق المقدسى على ناحيتها التى كانت تعد من أعمال نيسابور، اسم أسفند، و كتب ابن رسته اسمها بصوره أشبند، و كتبه ياقوت: أشفند، و زاد على ذلك ان بها ثلاثا و ثمانين قريه. و الظاهر، ان اسم الناحيه القديم قد ضاع اليوم، و لكن القريه التى يقال لها فراجرد (عوضا عن فرهاذ جرد القديم) ما زالت يؤشر عنها فى الخوارط فى الموضع الذى ذكرته كتب المسالك .

و مدينه المشهد- أو مشهد الامام- فى الجهه الشرقيه من نيسابور، و تفصلها عنها سلسله الجبال التى فيها مخارج أكثر أنهار سهل نيسابور. و هى اليوم

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۳۰

قاعده القسم الايرانى من خراسان. و على بضعه أميال من شمال

المشهد، أطلال طوس المدينه القديمه . و كانت طوس فى المئه الرابعه (العاشره) المدينه الثانيه فى ربع نيسابور من أرباع خراسان. و تتألف من المدينتين التوأمين الطابران و نوقان. و على مرحلتى بريد عنها: البستان العظيم فى قريه سناباذ، حيث قبر الخليفه هرون الرشيد و قد توفى فيها سنه ۱۹۳ (۸۰۹) و قبر الامام الثامن على الرضا و قد مات من سم دسه له المأمون سنه ۲۰۲ (۸۱۷)، و كان يقال لقريه سناباذ هذه: برذعه أيضا، و تسمى كذلك المثقّب . و يظن ان هذه التسميه جاءت من الكوى التى فى الضريح أو من سبب و همى آخر.

و كانت نوقان فى المئه الثالثه (التاسعه)، على ما ذكر اليعقوبى، أكبر نصفى طوس، الا ان الطابران قد جاوزتها كبرا فى المئه التاليه لها، و بقيت المدينه الكبرى حتى أيام ياقوت، حين أخربت جحافل المغول طوس. و كانت نوقان مشهوره بصنع البرام التى تحمل منها الى سائر البلدان، و يستخرج من جبالها معدن الذهب و الفضه و النحاس و الحديد. و بالقرب من طوس أيضا: الفيروزج، و حجر يقال له الخماهن و الدهنج، و كانت هذه المعادن تجلب الى أسواق نوقان للبيع.

و هذا القسم من طوس ماؤه قليل. و كان الحصن المجاور للطابران بناء فخما عظيما يرى من بعيد، على قول المقدسى. و أسواق هذا النصف من المدينه عامره و جامعها حسن البناء بديع التزويق. و كان على القبرين فى سناباذ، فى المئه الرابعه (العاشره)، حصن حصين منيع، و فيه قوم معتكفون، على ما ذكر ابن حوقل.

و قال المقدسى: ان الامير عميد الدوله فائقا، بنى على قبر الامام على الرضا، مسجدا

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص،

«ما بخراسان أحسن منه» و بنى قبر هرون الرشيد بجانب ضريح الامام. و قامت فى أرض البستان الكبيره دور كثيره و سوق.

و لم يزد ياقوت فى وصفه مدينه طوس شيئا على ما مرّ ذكره، غير انه ذكر ان من أشهر القبور فى الطابران: قبر الفقيه السنى العظيم الامام الغزالى المتوفى سنه ۵۰۵ (۱۱۱۱) و قد عاش فى بغداد بضع سنين مدرسا فى المدرسه النظاميه. و كان اسم طوس حين كتب ياقوت فى المئه السابعه (الثالثه عشره) يدل فى الغالب على ناحيتها، و كان بها أكثر من ألف قريه. على ان هذه البلاد، و بضمنها مدينتا طوس و القبران فى سناباذ (المشهد)، قد خربتها و نهبتها جحافل المغول فى سنه ۶۱۷ (۱۲۲۰). و الظاهر ان طوس لم تقم لها قائمه بعد نهب المغول لها، و لكن القبرين المجاورين لها، نالا عنايه الاثرياء من الشيعه فاستعادا بهاءهما السابق، فكان المستوفى فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) من أوائل من أشار الى قريه سناباذ مسميا اياها «المشهد»، و هو الاسم الذى عرفت به منذ ذلك الحين.

و قال القزوينى فى قبرى الخليفه و الامام «أن الرشيد فى القبر الذى يعرفه الناس للرضا، و الرضا فى القبر الذى يعرفه الناس للرشيد، و ذلك من تدبير المأمون (و هو ابن هرون الرشيد الذى دس السم لعلى الرضا). و القبران متقاربان فى قبه واحده. و أهل تلك القريه شيعه، بالغوا فى تزيين القبر الذى اعتقدوا انه للرضا و هو للرشيد». و لما كتب المستوفى، صارت المشهد مدينه عظيمه حولها قبور عديده مع قباب مشهوره كثيره منها قبر الغزالى و قد مرّ ذكره الآن و هو فى شرق قبه الضريحين، و هناك أيضا

قبر الفردوسی الشاعر المشهور.

و حول المدينه أرض سهله خصبه يقال لها مرغزارتكان، طولها اثنا عشر فرسخا و عرضها خمسه. يكثر فيها العنب و التين. و أهل ناحيه طوس، على ما ذكر المستوفى، من أحسن الناس أخلاقا و ألطفهم مع الغرباء.

و انتهى الينا من ابن بطوطه، و قد زار مشهد الامام الرضا بعد ذلك ببضع

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۳۲

سنين، وصف حسن للضريح، قال: مدينه كبيره ضخمه عامره الاسواق و حولها جبال، و على المشهد قبه عظيمه، و تجاوره مدرسه. و هذه الابنيه قد زوقت جدرانها بالقاشانى «و على قبر الامام، دكّانه خشب، ملبّسه بصفائح الفضه، و عليه قناديل فضه معلقه. و عتبه باب القبه فضه. و على بابها ستر حرير مذهب، و هى مبسوطه بأنواع البسط». و ازاء هذا القبر، قبر الخليفه «و عليه دكانه خشب، يضعون عليها الشمعدانات» و اذا دخل الشيعى للزياره ركل قبر هرون الرشيد برجله و سلم على قبر الامام الرضا. و قد تنبه الى فخامه ضريح الامام و جلاله، السفير الاسبانى كلافيجوClavijo الذى زار بلاط تيمور فى سنه ۸۰۸ (۱۴۰۵) فقد مرّ فى طريقه بالمشهد. و مما يذكر ان النصارى فى تلك الايام كان يسوغ لهم دخول المشهد، فلم يكن الشيعه الفرس على ما هم عليه اليوم من تعصب فى هذا الامر .

و على مسيره أربعه أيام من غرب نيشابور فى رستاق بيهق، مدينتا سبزوار و خسروجرد، و بينهما فرسخ. و سبزوار أكبرهما، و كانت تسمى هى نفسها فى العصور الوسطى بيهق. و رستاق بيهق يمتد الى آخر حدود ريوند، و قطره خمسه و عشرون فرسخا من كل جهه. و به، على ما قال ياقوت ۳۲۱

قريه، و زاد على ذلك ان أصل بيهق بالفارسيه بيهه أى بهاين و معناه الأجود.

و أشار ياقوت أيضا الى أن سابزوار أصح تسميه للمدينه، و ان قالت العامه سبزوار. و قد كانت خسروجرد فى الاصل قصبه الرستاق، و لكن سبزوار قد حجبتها فى أيامه و صارت فى مكانها. و قال المستوفى ان أسواق هذه المدينه كانت

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۳۳

ذات سقوف من الخشب تقوم على طيقان متينه البناء. و تكثر فى هذا الرستاق الاعناب و الفواكه الاخرى. و كان جلّ أهله من الشيعه فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) .

و قد كان يصل بين بسطام (فى اقليم قومس) و نيسابور: طريقان، أقصرهما طريق البريد، و كان فى محاذاه شفير المفازه و يشق سبزوار. و أطولهما طريق القوافل و هو فى الشمال، و يدور فى هضبه جوين التى يفصلها عن المفازه الكبرى سلسله من الجبال. و كان رستاق جوين هذا، و هو ما قد سماه المقدسى گويان، رستاقا واسعا كثير الخير، و اسم مدينته: أزاذوار أو أزادوار. و كان رستاق اسفرايين فى شماليه. و فى الطرف الغربى على حد قومس كان رستاق أرغيان، حول جاجرم. و كان من أعمال أزاذوار نحو من مئتى قريه، على قول ياقوت. و أزاذوار، على وصفه، كانت مدينه عامره بها مساجد حسنه، و بظاهرها عند الباب خان كبير للتجار. و أسواقها زاخره بالتجارات. و كانت بساتين قراها متصله حتى الوادى. و سقيها من قنى تأخذ ماءها من عيون فى الجبال الجنوبيه. و فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) انتقلت قصبه رستاق جوين، على ما ذكر المستوفى، الى فريومد، و هى على بضعه أميال جنوب ازاد وار. و كانت

خداشه، و هی علی مرحله شرق أزاد وار فی طریق القوافل، موضعا ذا شأن حیث قتل فی ختام المئه الثامنه (الرابعه عشره) حاجی برلاس عم تیمور، حسبما ذکر علی الیزدی فی تاریخه .

أما مدینه جاجرم، و یقال لها أیضا أرغیان، و هو اسم ناحیتها بوجه خاص، فان المقدسی قال فیها جامع حسن و کانت محصنه و من أعمالها سبعون قریه.

و وصف یاقوت مدن سملقان أو سمنقان الثلاث و قال انها شرق جاجرم، و هی

راونیر (أو راونسر) و بان و هما فی رستاق أرغیان أو جاجرم، و لم یعین موضعیهما. و ذکر أیضا: سبنج أو اسفنج، و هی ما زالت قائمه فی جنوب غربی جاجرم علی طریق بسطام. و قد سمی المستوفی هذا الموضع رباط سونج.

و وصف المستوفی جاجرم بانها مدینه لا بالکبیره و لا بالصغیره و لا یمکن لأی جیش أن یهاجمها. لکونها وسط بریه تحیط بها مسیره یوم من کل جهه یکسوها عشب سام یفتک بالماشیه. و لکن قد کان عند قاعده قلعتها، شجرتان من الچنار من مضغ شیئا من لحائها فی صباح الاربعاء شفی من وجع الاسنان. و زاد المستوفی علی ذلک ان هذا اللحاء کان یحمل الی سائر البلدان. و کان رستاقها کثیر الخیر، فیه الفواکه و القمح. و نهر جاجرم، و کان یجری نحو الجنوب و ینتهی بالمفازه، قد سماه المستوفی جغان رود، و مخرجه من ثلاثه ینابیع کل منها یدیر رحی.

و بعد ان یجتمع ماؤها، یجری مسافه اثنی عشر فرسخا أو أکثر. و هذا الماء کان یستعمل أکثره للسقی .

و سهل أسفرایین العظیم، قد قال المقدسی فیه ان به مزارع الارزاز

الكثيره و الاعناب. و مدينته على اسمه، عامره ذات أسواق حسنه. و ذكر ياقوت ان مدينه اسفرايين كان يقال لها قديما مهرجان، و قد كان هذا الاسم حين كتب فى المئه السابعه (الثالثه عشره) ما زال اسما لقريه قرب المدينه الخربه. و من أعمالها احدى و خمسون قريه. و اسم اسفرايين على ما قال ياقوت، أصله «من اسبرايين، و أسبر بالفارسيه هو الترس، وايين هو العاده. فكأنهم عرفوا قديما بحمل التراس، فسميت مدينتهم بذلك». و روى المستوفى انه كان فى جامع اسفرايين وعاء عظيم من النحاس لم ير أعظم منه، فان محيط حافته الخارجه كان اثنتى عشره ذراعا. و كان فى شمال المدينه قلعه زر، أى قلعه الذهب.

و ماء البلده من نهر يمر من أسفل التل الذى عليه القلعه. و كانت تكثر فى

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۳۵

رستاقها أشجار الجوز. و هواؤها رطب و يكثر فيها الاعناب و القمح .

و فى المستنقعات التى يخرج منها نهر أترك فيجرى الى الغرب، ثم ينعطف باتجاه معاكس لمجراه الاول، أى الى الشرق، و يخرج أيضا نهر المشهد: تقوم مدينه كوچان. و كان يقال لها فى العصور الوسطى خبوشان أو خوجان. و قد سمى البلدانيون العرب رستاقها أستوا و أطروا خصوبه أرضه، و يقال ان معنى اسمها «الارض المشرفه» . و كان يلى أستوا من الشرق، رستاق نسا. قال ياقوت ان اسم قصبته كان يلفظ فى أيامه خوشان و يشتمل على ثلاث و تسعين قريه.

و جاء اسمها فى جهان نما بصوره خوچان. و ذكر المستوفى انه و ان كان اسم استوا ما زال يشار به الى الرستاق فى السجلات الماليه، فانه لم يكن شائعا فى أيامه.

و

أطرى خصوبه أرضه و زاد على ذلك ان هولاكو خان المغولى قد أعاد بناء خبوشان فى المئه السابعه (الثالثه عشره) ثم وسّع حفيده أرغون، من ايلخانيى فارس، هذه المدينه كثيرا. و فى نحو من نصف الطريق بين خبوشان و طوس، مدينه راذگان، ذكرها ابن حوقل و وصفها ياقوت بقوله: بليده، يقال ان منها نظام الملك وزير ملكشاه السلجوقى .

و رستاق نسا أو نسا المشهور، هو الوادى العريض المعروف اليوم ب «درّه گز» أى وادى المن و قد وصف ابن حوقل مدينه نسا بانها فى الكبر نحو سرخس، و مياهها جاريه، مخرجها فى الجبال المجاوره. و امتدح المقدسى جامعها الظريف و سوقها العامره و قال «أقل دار، الا و بها بستان و ماء جار».

و بها قرى كبار تنتشر حولها فى الوادى. أما ياقوت فقد قال فى نسا «هى

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۳۶

مدينه و بئه جدا يكثر بها خروج العرق المدينى حتى ان فى الصيف قلّ من ينجو منه من أهلها»، و ذكر القزوينى، ان نسا كان يقال لها شهر فيروز، لان فيروز الملك الفارسى القديم قد بناها على ما يقال .

و الى شرق نسا، فى ما وراء الجبل، و على حافه مفازه مرو: كانت أبيورد و يلفظ هذا الاسم أحيانا باورد. قال المقدسى «ابيورد أعجب الىّ من نسا و أحر سوقا و أرخى و أخصب، و الجامع بالسوق». و أطرى المستوفى فواكهها. و قال ان الرباط فى كوفن تابع لأبيورد، و هو فى قريه على سته فراسخ منها. بنى هذا الرباط عبد اللّه بن طاهر فى المئه الثالثه (التاسعه)، و كان له اربعه أبواب، و فى وسطه جامع. و كان يقال

لرستاق أبيورد: خابران، أو خاوران.

و قصبته مهنه أو ميهنه. و ذكر ياقوت مواضع أخرى مهمه فى هذا الرستاق، منها أزجاه و باذن و خرو الجبل و شوكان، الا ان ميهنه كانت خرابا حين كتب. و فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) تكلم المستوفى على بساتين رستاق خاوران الكثيره الحسنه- و جاء فيه الاسم بصوره خوردان أيضا- و قال ان فى قصبتها كان يعيش الشاعر أنورى، من أهل المئه السادسه (الثانيه عشره) مادح السلطان سنجر السلجوقى .

و فى الجبال، فى نحو من نصف الطريق بين أبيورد و مهنه، تقوم القلعه الطبيعيه الهائله المعروفه اليوم ب «كلات نادر»، نسبه الى نادر شاه ملك بلاد

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۳۷

فارس المشهور فى المئه الثامنه عشره للميلاد الذى أخفى كنوزه فيها. و الظاهر ان هذا المعقل الحصين لم تذكره كتب المسالك و لم ينوه به البلدانيون العرب فى المئتين الثالثه و الرابعه (التاسعه و العاشره) و لم يتنبّه اليه ياقوت و أقدم ذكر انتهى الينا عن كلات، جاء به العتبى فى كتابه تاريخ محمود الغزنوى. فقد ذكر عرضا، ان أميرا من الامراء ذهب من نيشابور الى كلات، و تكتب بالعربيه بصوره قلعه. و قد أوجز المستوفى و أفاد فى صفه هذا الموضع و قال ان أهم مدنه يقال لها جرم و مرينان، و ان كلات بها ماء وافر و أرضها زراعيه و فى نواحيها كثير من القرى. و أول اشتهارها فى التاريخ جاء من حصار تيمور لقلعتها فى ختام المئه الثامنه (الرابعه عشره) و بعد ان سقطت بيده، أمر باعاده بناء حصونها و تمكين بنائها .

و تقوم مدينه سرخس فى أقصر طريق من طوس الى مرو

الكبرى، على ضفه نهر المشهد اليمنى أى الشرقيه، و يقال له اليوم تجند. و الظاهر، ان هذا النهر لم يذكره بلدانيو القرون الوسطى. و مخرجه، على ما قد مرّ بيانه، فى المناقع القريبه من كوچان. و هو يجرى أولا نحو الجنوب الشرقى مارا بالمشهد.

فاذا ما جاوزها مسافه تقرب من مئه ميل، استقبل من الجنوب رافدا كبيرا هو نهر هراه. ثم يتجه نحو الشمال فيجرى الى سرخس. و على مسافه قليله من شمال ذلك، عند خط طول ابيورد، تتوزع مياهه ثم تفنى فى رمال المفازه عند موضع يقال له الأجمه حيث تكثر أشجار الطرفاء. و لم ينوّه الاصطخرى و ابن حوقل بنهر تجند هذا الا بقولهما انه نهر «من فضل مياه هراه».

و قال ابن رسته، و قد كان رأيه فى هذا النهر رأى من ذكرنا، اذا صار نهر هراه (أى القسم الاسفل من تجند) على فرسخين من سرخس، انشعب منه نهر

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۳۸

الى هذه المدينه، و انشعبت أيضا انهار كثيره تسقى رستاق سرخس، أهمها نهر يعرف ب «خشكروذ» (أى النهر الجاف) و عليه قنطره حجاره عظيمه.

و لكن فى أكثر أيام السنه، لا يدوم الماء فى النهر، حتى عند سرخس.

و كانت سرخس فى المئه الرابعه (العاشره)، مدينه عظيمه نحو من نصف مرو، صحيحه التربه و الهواء، و تكثر فى مراعيها الجمال و الاغنام، و لو ان ما يزرع من أراضيها محدود المساحه لقله مائها. و قال المقدسى ان فيها جامعا و أسواقا حسنه و لها بساتين كثيره فى أرباضها. و قال القزوينى ان سرخس مدينه كبيره آهله «و لاهلها يد باسطه فى عمل العصائب و المقانع المنقوشه بالذهب، منها تحمل

الی سائر الآفاق». و فی المئه الثامنه (الرابعه عشره)، وصف المستوفی أسوار سرخس و قال ان دورها خمسه آلاف خطوه، و علیها قلعه حصینه، و شربهم من نهر یأتی من طوس و هراه (و لم یذکر اسم تجند). و هو نهر حسن، ماؤه یساعد علی الهضم، و کان یسقی مزارع سرخس التی یکثر فیها البطیخ و العنب .

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۴۳۹

الفصل الثامن و العشرون خراسان «تابع»

ربع مرو- نهر مرغاب- مرو الکبری و قراها- آمل وزم علی جیحون- مرو الروذ او مرو الصغری و قصر احنف.

یمتد ثانی أرباع خراسان، و هو ربع مرو، علی نهر مرغاب أی نهر مرو.

و ینحدر هذا النهر من جبال الغور فی شمال شرقی هراه، ثم یمرّ بمرو الصغری و یدور منها شمالا الی مرو الکبری، حیث تتشعب منه جمله أنهار، ثم یفنی ماؤه فی رمال مفازه الغز، و هی فی نحو من خط طول سباخ نهر تجند أی نهر هراه، و لکنها تبعد نحوا من میلا عن شرق هذا النهر.

و ما خلا المدن المختلفه المنتشره علی نهر مرغاب، فان ربع مرو، یشتمل أیضا علی المواضع القائمه علی طریق خراسان العظیم، مما یلی مرو الی الشمال الشرقی من نهر جیحون عند آمل، حیث معبر الطریق الی بخارا.

و اسم مرغاب، أو مرغاب، أصله علی ما ذکر ابن حوقل، مرو آب (أی ماء مرو) الا ان الاصطخری قال ان مرغاب اسم موضع ینبع فیه هذا النهر.

و سمی المقدسی نهر مرغاب نهر المروین، و قال هو «یمد الی مرو العلیا (أی الصغری) ثم یعطف الی السفلی (أی مرو الکبری)» فاذا صار من مرو الکبری علی نحو من مرحله سدّ قاعه من الجانبین بالحطب

فانحبس بذلك الماء و امتنع

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۴۰

مجراه عن أن يتحول. و كان على هـذا السد فى المئه الرابعه (العاشـره) أمير لحمايته تحت يده عشـره آلاف رجل، و عليه حراس يحفظونه لئلا ينبثق «و لا ترى أحسن و لا أتقن من قسـمته». و قد أقيم لوح على السد لقياس علو الماء وقت الفيضان. «و ربما علا الماء فبلغ طوله فى اللوح ستين شعيره، و يستبشر الناس بذلك، و اذا كانت ست شعيرات، كانت سنه قحط».

و على فرسـخ من جنوب مـدينه مرو الكبرى، أقيم فى النهر سد شـبه حوض عظيم مسـتدير، منه تخرج أربعه أنهار الى محلات و ارباض المدينه المختلفه. و قد أقيم فى الحوض أبواب و مقاسم تضـبط علو الماء فى الحوض. و يبتهج الناس حين يصل الفيضان حدا عاليا، فتفتح السدود المختلفه و يوزع الماء على الانهار «قدر الحاجه». و أسـماء هذه الأنهار الأربعه، الماده الى المدينه، على ولاء، هى:

نهر هرمز فرّه و يجرى غربا. و فى شـرقه نهر الماجان، ثم نهر الزرق أو الرزيق، و آخرها نهر أسعدى. و يبدو ان عمود نهر مرغاب هو نهر الماجـان أحـد هـذه الانهـار الاربعه. و هو بعـد أن يشق البلـد و يتخلل أرباضـها، و عليه هناك جسور، يخرج الى المفازه فيوالى جريه حتى تضـيع مياهه فى السبخه. و ذكر ياقوت فى المئه السابعه (الثالثه عشره) ان نهر مرغاب كان يعرف فى أيامه بنهر رزيق (و لعله يطـابق النهر المـذكور أعلاـه) و قال ان هـذا الاسم كثيرا ما أخطأوا فيه فقالوا: زريق. و هناك صوره ثالثه سـماه بها كتاب جهان نما و هى زربق. و جاءت هذه الاسماء فى المستوفى أيضا،

و قد ذكر ان مرغاب هى التسميه الشائعه فى أيامه.

و ما زال هذا النهر الكبير معروفا بهذا الاسم حتى اليوم .

و كانت مرو الكبرى تعرف فى العصور الوسطى بمرو الشاهجان تمييزا لها عن مرو الروذ و هى مرو الصغرى. و لعل الشاهجان ليس الا الصيغه العربيه ل «شاهگان» الفارسيه القديمه، و معناها «السلطانى» أو «يخص السلطان».

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۴۱

اما ياقوت الحموى و غيره فقالوا ان الشاهجان معناه «نفس السلطان». و مرو، على ما وصفها الاصطخرى و ابن حوقل و المقدسى، تتألف من قلعه داخله (قهندز)، و القهندز مرتفع «و مقداره مقدار مدينه» حوله المدينه الداخله، و لها أربعه أبواب، ويليها أرباض واسعه تمتد على ضفاف الانهار الكبيره.

و الابواب الاربعه للمدينه الداخله: باب المدينه (فى الجنوب الغربى)، و اليه ينتهى طريق سرخس. و باب سنجان (فى الجنوب الشرقى)، و يفضى الى ربض بنى ماهان و نهر أسعدى. و باب درمسكان (فى الشمال الشرقى)، و منه يخرج الى ماوراءالنهر. و الباب الرابع يعرف بباب بالين (فى الشمال الغربى).

و كان فى مرو فى المئه الرابعه (العاشره) ثلاثه مساجد جامعه: أولها مسجد القلعه، و يقال له مسجد بنى ماهان. ثم المسجد العتيق، و كان على باب المدينه المفضى الى سرخس. و المسجد الثالث هو المسجد الجديد فى ربض ماجان فى خارج باب ماجان، جنب الاسواق الكبرى فى مرو.

و نهر رزيق يدخل المدينه من باب يقال له باب المدينه ثم يدخل المسجد العتيق، فتتفرق مياهه فى حياض لشرب أهل المحله. و يجرى نهر ماجان فى غربه و هو يسقى ربض ماجان الكبير، و كان حول الميدان، و فى الميدان المسجد الجديد و دار الاماره

و الحبس، و هی من بناء أبی مسلم (الخراسانی) أكبر دعاه العباسیین، و كان له الفضل الأول فی نیلهم الخلافه، علی ما فی التاریخ. و فی دار الاماره، قبه من الآجر سعتها خمسه و خمسون ذراعا علی ما ذكر الاصطخری، و عندها «صبغ أول سواد و لبسته المسوّده» و اتخذ السواد شعارا للدوله الجدیده.

و فی غرب نهر ماجان، علی ما بیّنا، نهر هرمز فرّه، و كان فی نهایه أرباض مرو. و علی ضفافه أبنیه و بیوت كثیره و علیه بنایات حسین الطاهری، و كان قد نقل كثیرا من الاسواق الی هذا الربع. و تكلم یاقوت بعد ذلك بزمن علی ربض ماجان الغربی العظیم و ذكر دربین من دروبه هما الدرب المعروف ب «برارجان» (عوضا عن برادرجان) أی «نفس الاخ» فی ماجان الاعلی. و درب تخاران به. ثم

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-كوركیس عواد، النص، ص: ۴۴۲

یصل نهر هرمز فره الی بلده بهذا الاسم قرب سباخ نهر مرغاب، فیها جامع. و كان علی فرسخ من هرمز فره بلده باشان، فیها أیضا مسجد جامع. و فی هذا الجانب من مرو بلده خرق (أو خره) و بلده السوسنقان ، و بینهما فرسخ. و كان فی كل واحده منهما مسجد جامع.

و علی مرحله من غرب مرو، مدینه یقال لها سنج (و كتبها المقدسی:

سنک). و فیها مسجد جامع حسن علی نهر و بها بساتین كثیره. ویلیها علی مرحلتین من جنوب غربی مرو، فی الطریق الی سرخس، مدینه الدمدانقان.

و كانت مدینه صغیره محصنه لها باب واحد و حمامات فی ظاهر سورها. و رأی یاقوت خرائبها فی المئه السابعه (الثالثه عشره) فان الاتراک الغزیه خربوها فی سنه ۵۵۳ (۱۱۵۸). و عندها تنتهی

مزارع مرو فی الجنوب الغربی. أما کشمیهن، و هی علی مرحله من مرو فی طریق بخارا آخر حد الزراعه من الشمال الشرقی. و کانت کشمیهن أو کشماهن مشهوره، علی ما ذکر الیعقوبی، بالزبیب الکشماهنی. و فیها مسجد جامع حسن و أسواق عامره و یسقیها نهر عظیم و فیها کثیر من الخانات و الحمامات. و تکثر فی بساتینها الفاکهه.

و فی ظاهر باب درمسکان من أبواب مرو، و کان یفضی الی بلده کشمیهن، قصر المأمون و فیه عاش أیام مقامه بمرو، حتی أفضت الیه الخلافه بعد أخیه الامین، فانتقل الی بغداد. و کان باب مرو الجنوبی الشرقی، و هو باب سنجان، یفضی الی نهر أسعدی، و علیه کانت دور بنی ماهان (أو میرماهان) و قصر مرزبان مرو و هو حامی السباخ الفارسی. و من هذا الباب، کان الطریق یذهب الی نهر مرغاب بالقرینین الی مرو الروذ. و علی سته فراسخ من المدینه فی اتجاهه هذا، کانت مدینه جیرنج (و هی کیرنک فی المقدسی) علی ضفه النهر. و علی فرسخ مما یلیها زرق. و بجنبها الطاحونه التی اختفی فیها یزدجرد الثالث آخر ملوک الساسانیین و قتله الطحان طمعا بکنوزه. و کان فی قریه زرق هذه، علی

ما ذکر ابن حوقل، مقسم ماء نهر مرغاب، فتخرج منه أنهار تسقی البساتین حول مرو . و کانت هذه البساتین مشهوره بجوده بطیخها. و فی مفازتها یکون الاشترغاز الذی یحمل الی نواح أخری من خراسان. و یرتفع من مرو:

الابریسم و القز الکثیر و الثیاب المرویه المشهوره .

و فی النصف الثانی من المئه الرابعه (العاشره)، زار المقدسی مدینه مرو، فرأی ثلث ربضها مهدما، و قهندزها

ليس بأحسن حالاـ على ان فى المئه التاليه اتسعت المدينه و عظم شأنها فى أيام السلاجقه. و فيها دفن السلطان سنجر آخر السلاجقه العظام سنه ۵۵۲ (۱۱۵۷) و ما زالت بقايا قبره فيها حتى اليوم.

و وصف ياقوت، و قد كان فى مرو سنه ۶۱۶ (۱۲۱۹) قبر السلطان سنجر، قائلا «قبره بها، فى قبه عظيمه زرقاء تظهر من مسيره يوم، لها شباك الى الجامع.

بلغنى ان بعض خدمه بناها له بعد موته». و فى قريه أندرابه، على فرسخين من مرو، و هى من أملاك السلطان سنجر كانت ترى بقايا قصره فى المئه السابعه (الثالثه عشره). و كانت أسواره باقيه الا ان سائره قد استولى عليه الخراب و كذلك كان حال القريه المجاوره له، على ما ذكر ياقوت.

و قال ياقوت ان بمرو فى أيامه كان «جامعان للحنفيه و الشافعيه، يجمعهما

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۴۴

السور». و أقام ياقوت فى مرو ثلاثه أعوام يجمع ماده لكتابه «معجم البلدان» لان مرو كانت قبل ورود التتر اليها مشهوره بخزائن كتبها فنوه بذلك قائلاـ لو لاـ ما عرا من ورود التتر الى تلك البلاد و خرابها، لما فارقتها الى الممات» و ذكر من بين خزائنها، خزانتين فى الجامع، «احداهما يقال لها العزيزيه، و كان فيها اثنا عشر الف مجلد أو ما يقاربها. و الاخرى يقال لها الكماليه، و بها خزانه شرف الملك فى مدرسته. و خزانه نظام الملك (الحسن ابن اسحق) فى مدرسته، و خزانتان للسمعانيين، و خزانه أخرى فى المدرسه العميديه»، و فيها أيضا خزانه المدرسه الخاتونيه و خزانه لمجد الملك، و بها خزانه الضميريه فى خانقاه أى زاويه الدراويش و ليس فيها الا ۲۰۰ مجلد، و

لكن كل مجلد قيمته على ما ذكر ياقوت مائتا دينار ذهبا، لان كل كتبها فريد لا يقدر بثمن .

و بورود التتر الى مرو فى سنه ۶۱۷ (۱۲۲۰)، هرب ياقوت الى الموصل فى اقليم الجزيره، أما ما فى خزائن مرو من نفائس الكتب فقد أضحت طعمه للنيران عقب نهب المغول لهذه المدينه العظيمه. و بقى من جراء ذلک تسعه ملايين جثه بين أنقاضها لم تدفن . و قال ابن الاثير «ثم انهم أحرقوا تربه السلطان سنجر». و أحرقوا أيضا الجوامع و الخزائن و غيرها. و زاد حافظ أبرو على ذلک، ان التتر كسروا السدود و خربوا المسنّيات و مقاسم الماء فى نهر مرغاب التى كثرت فى أيام السلاجقه. فان السلاجقه قد عنوا بمياه هذا النهر عنايه فائقه و رتبوا أمر توزيعها على هذه الواحه التى تحولت الآن سبخه مقفره و حين اجتاز ابن بطوطه بمرو فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) رآها فاذا هى جميعا خربه عظيمه.

و تكلم معاصره المستوفى على ماضى مرو الزاهر و مجدها الغابر فى المئه الثانيه (الثامنه) حين كان يتولاها أبو مسلم الذى مكن العباسيين من الوصول الى

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۴۵

الخلافه، و حين كان يقيم بها المأمون قبل شخوصه الى بغداد. ثم نقل بنو الصفار عاصمه خراسان الى نيسابور، الا ان السلاجقه جعلوا مرو أولى المدن مره أخرى.

و بنى السلطان ملكشاه سورا عظيما حول المدينه دوره ۱۲۳۰۰ خطوه، و كانت غلات واحه مرو مفرطه المحصول. فقد روى المستوفى ان قمحها كان يعطى الواحد فى السنه الاولى مئه ضعف و ما تخلف من حب يعطى الواحد فى السنه الثانيه ثلاثين. و يعطى الواحد فى السنه الثالثه عشره حتى

و ان لم تزرع، على ان هواءها كان وخما و بيئا. و كان «الرشته» فيها أى «العرق المـدينى» من الآفات الخبيثه التى تعترى أهلها. و كانت الرمال المتحركه من المفاوز المجاوره لها قد طمرت فى أيامه كثيرا من رساتيقها الخصبه، و لكن بطيخها الجيد بقى يزرع فيها و يجفف و يحمل الى سائر البلدان و كذلك كان فيها عنب و كمثرى.

و قال المستوفى فى سياق وصفه مرو، ان الخراب ما زال مستوليا على أكثرها، و ان استعادت فى ختام المئه الثامنه (الرابعه عشره) شيئا من بهائها الاول. فان تيمور لنك كان كثيرا ما ينزل عندها حين يخفت دوى الحرب. بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد ؛ النص ؛ ص۴۴۵

كان غالبا ما يقيم فى موضع سماه على اليزدى ماخان، و لعله تصحيف النساخ لاسم ماجان، و هو على ما بيّنا، كان يطلق قديما على الربض الغربى العظيم فى مرو.

و ذكر ياقوت موضعا سماه أيضا ماخان و قال انه قريه قرب المدينه.

و استعادت مرو عظمتها الاولى فى أيام شاه رخ، حفيد تيمور. فقد جدد قسما كبيرا من المدينه فى سنه ۸۱۲ (۱۴۰۹)، حتى ان حافظ أبرو، حين كتب فى سنه ۸۲۱ (۱۴۱۸)، قال انها قد عادت ثانيه الى ما كانت عليه من عمران و ازدهار .

و مدينه آمل كانت فى يسار نهر جيحون، على نحو من ۱۲۰ ميلا شمال شرقى مرو، حيث يعبره طريق خراسان الذاهب الى بخارا و ماوراء النهر. و على نحو من مئه ميل من شرق آمل فى أعلى هذه الضفه نفسها، كانت مدينه زمّ و هى عند معبر النهر أيضا. أما آمل، و قد كانت تعرف فى العصور الوسطى بأمويه، ثم عرفت بچهار

جوی (أی الاربعه أنهار، و ما زال موضعها یعرف

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۴۴۶

بهـذا الاـسم). فقـد وصـفها ابن حوقـل بأنها مـدینه صـغیره طیبه عظیمه الشأن، لان بها مجمع طرق خراسان الی ماوراءالنهر. و فی طریق مرو المـاد نحو الجنوب الغربی، آبـار فی کـل مرحله. و مـا سوی ذلـک، فقـد کانت المفازه تحیط بها من کل جانب حتی ضفه النهر. و امتدح المقدسـی أسواق آمل العامره. و قال ان جامعها علی نشزه، و هی علی فرسخ من نهر جیحون، کثیره الضیاع، و فیها أعناب نفیسه. و کان بازاء آمل، علی ضفه النهر الیمنی فی رستاق بخارا، مدینه فربر.

و لکی یمیز بین آمل هذه و مدینه آمل الاخری التی کانت قاعده طبرستان، (أنظر صفحه ۴۱۰ أعلاه) فقد ذکرتها المراجع، علی مـا جاء فی یاقوت، باسم آمل زم (نسـبه الی مـدینه زم، و هی فی أعلاها علی نهر جیحون) و آمل جیحون، و آمل الشط، و آمل المفـازه. علی ان آمـل، فی زمنه کـان یقـال لهـا أمو و أمویه، و بهـذه التسـمیه وردت فی أخبـار حروب المغول و أخبـار حروب تیمور. و کانت تعرف أیضا بقلعه أمویه. و فی المئه الحادیه عشـره (السابعه عشـره) أطلق أبو الغازی علیها اسم أمویه حین وصف زحف جنکیزخان. و لکنه حین تکلم علی حوادث زمنه، ذکر اسم چهار جوی و هو یقصـد هذا الموضع علی نهر جیحون، و انما أراد بهما موضـعا واحـدا. أما مدینه زم، و قد بیّنا انها علی جانب خراسان من النهر، فهی کرخی الحدیثه. و فی العصور الوسـطی، کان بازائها من جانب بخارا، مدینه أخسیسک. و تکلم ابن حوقل علی زم و قال انها

نحو من آمل فی الکبر. و لا یمکن الوصول الیها من آمل، الا من جانب خراسان، فی الطریق الصاعد بمحاذاه جیحون بعد مسیره أربع مراحل. فالطریق من زم الی مرو کان یخترق المفازه المجدبه. و من زم، یصل باتجاه الشرق الی بلخ و بعد عبوره نهر جیحون یبلغ ترمذ. و قد أشار المقدسی الی زم أیضا بایجاز فقال ان الجامع وسط الاسواق. و هذا یدل علی انه کان لمدینه زم، فی المئه الرابعه (العاشره)، بعض الشأن .

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۴۴۷

و لنعد الی الکلام ثانیه علی نهر مرغاب. فعلی نحو من ۱۶۰ میلا فوق مرو العظمی، تقوم مرو العلیا أو الصغری، فی موضع من النهر حیث ینعطف شمالا بعد خروجه من جبال الغور فیقطع البریه الی مرو الکبری. و مرو الصغری أی مرو العلیا علی ما سماها المقدسی و غیره، هی الموضع المعروف لدی الفرس باسم بالا مرغاب أی «مرغاب الاعلی». و هی الیوم خراب و قد ظلت علی خرابها منذ غزو تیمور لها. الا ان مرو الروذ، أی مرو الشط، علی ما کانت تسمی به فی المئه الرابعه (العاشره)، کانت حینذاک أکبر مدینه فی هذا الرستاق العامر الآهل. و هنالک ما عداها، أربع مدن أخری بها منابر. و من مرو الروذ الی نهر مرغاب، غلوه. و لها علیه بساتین و کروم، و تبعد ثلاثه فراسخ عن الجبال التی فی غربها، و فرسخین عن الجبال التی فی شرقها. و جامعها فی السوق، و هو علی ما ذکر المقدسی، علی سواری خشب. و زاد قدامه علی ذلک ان علی فرسخ من «مرو الاعلی» (حسب تسمیته لها) موضعا یقال له قصر عمرو،

فى الجبل على فم الشعب. و ذكر ياقوت ان اسم مرو الروذ فى أيامه كان يلفظه الناس مرّوذ. و الظاهر انها لم يصبها من التدمير ما أصاب مرو الكبرى على أيدى المغول. و مهما يكن من أمر فان المستوفى، فى المئه الثامنه (الرابعه عشره)، قال انها موضع، عامر، عليه سور دوره خمسه آلاف خطوه، بناه السلطان ملكشاه السلجوقى. و كانت رساتيقها فى غايه الخصب، يكثر فيها العنب و البطيخ.

و المعيشه فيها رخيصه .

و على مسيره يوم من مرو الروذ، على الضفه نفسها من ناحيه مرو الكبرى، كان القصر المعروف بقصر أحنف، نسبه الى أحنف بن قيس القائد العربى فى أيام الخليفه عثمان، و قد أخضع هذه البلاد للاسلام فى سنه ۳۱ (۶۵۲).

و كانت بلده قصر أحنف كبيره على ما ذكر ابن حوقل، لها بساتين و كروم حسنه.

و هى طيبه الهواء و التربه. و قال المقدسى ان جامعها فى السوق. و تؤشر موضع

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۴۸

قصر أحنف اليوم قريه مروچك أى مرو كوجك (مرو الصغرى) على ما يسميها الفرس. و كان فى العصور الوسطى، على أربعه فراسخ فوق مرو الروذ، بلده دزه، و يشقها نهر مرغاب الى نصفين، بينهما قنطره. و لها جامع حسن. و زاد ياقوت على ذلك انها كانت تسمى فى الاصل سنوان .

و قرى پنج ديه (أى الخمس قرى)، أسفل من مروچك، على نهر مرغاب. و قد زارها ناصر خسرو. فى سنه ۴۳۷ (۱۰۴۵) فى طريقه الى مكه.

و رآها ياقوت فى سنه ۶۱۶ (۱۲۱۹) و ذكر انها مدينه حسنه. و جاء ذكر هذا الموضع أيضا فى زمن تيمور فى ختام المئه الثامنه (الرابعه عشره) فقد قال على

اليزدى انها تعرف باسم پنـدى (و لكن قراءتها غير مضـبوطه على ما يظهر، و قـد جاءت فى بعض المخطوطات بصوره ينـدى). و فى أوائـل العصور الوسـطى، كـانت البلاـد من مرو الصـغرى الى مرو الكـبرى، على جـانبى مرغـاب، مزروعه تنبثّ فيهـا القرى و المدن، و كانت القرينين، و قد نوهنا بها، على أربعه فراسخ فوق مرو الكبرى و فرسخين أسفل من مرو الروذ. و فى نصف الطريق بين القرينين و المدينه الاخيره: لوكر أو لوكرا، و كانت على ما ذكر المقدسـى عامره، فى كبر قصـر أحنف. و فوق مرو الروذ فى أعلى مرغاب فى جبال غرجسـتان، نواح و رساتيق عامره كثيره سـتكون موضوع بحثنا فى الفصل القادم فى كلامنا على الغور فى ربع هراه .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۴۹

الفصل التاسع و العشرون خراسان «تابع»

ربـع هراه- نهر هراه أو هرى رود- مـدينه هراه- مـالن و المـدن الـتى فى أعلى نهر هرى رود- بوشــنج- كـوره أسـفزار- كـوره بادغيس و مدنها- كنج رستاق- رساتيق غرجستان و الغور- الباميان.

يقع ربع هراه برمته، فى البلاد المعروفه اليوم بأفغانستان. و يسقى معظمه نهر هراه أو هرى رود. و مخرج هذا النهر فى جبال الغور. و يجرى فى أوله مسافه نحو الغرب. و لسقى وادى هراه شقت منه أنهار كثيره، بعضها فى أعلى مدينه هراه و بعضها فى أسفلها. و قد سمى المقدسى سبعه من هذه الانهار بوجه خاص و قال انها تسقى ما حول القصبه من رساتيق خصبه.

و يجرى نهر هراه فى أوله من الشـرق الى الغرب و يمر بمـدينه هراه على سـبعه أميال من بابها الجنوبى بالقرب من مدينه مالن. و عليه هناك جسر قال المقدسى فيه «ليس بجميع خراسان

أعجب عملا منه. بناه رجل مجوسی و کتب علیه اسمه- و یقال ان سلطانا أراد ان یکتب علیه اسمه- منهم من قال أسلم، و منهم من قال طرح نفسه فی النهر». و ذکر المستوفی أسماء تسعه من أنهار السقی الکبیره التی کانت تأخذ من هری رود من جوار هراه. و فی ما یلی هراه، کان هری رود یمر بمدینه فوشنج قرب ضفته الجنوبیه، ثم یعطف شمالا فیجری

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۴۵۰

الی سرخس، و قبل ان یصلها، یستقبل میاه نهر المشهد، علی ما بینا فی الفصل السابق. ثم فی ما یلی ذلک تفنی میاهه فی المفازه شمال سرخس. و قال حافظ ابرو ان نهر هراه یعرف أیضا باسم خجاچران (و تهجئه هذا الاسم تتعدد بتغیر نقاط الاعجام، أما التهجئه الصحیحه فغیر معروفه). و هو یؤکد ان مخرجه کان فی عین لا تبعد کثیرا عن موضع مخرج نهر هیلمند .

و فی المئه الرابعه (العاشره) کانت هراه، علی ما وصفها به ابن حوقل و المقدسی، مدینه جلیله علیها حصن و سور له أربعه أبواب: باب سرای مما یلی الشمال فی الطریق الی بلخ. و الباب الثانی الی الغرب یفضی الی نیسابور، و هو باب زیاد. و باب فیروز اباد، و قد سماه المقدسی باب فیروز، کان فی الجنوب، یخرج منه الی سجستان. و کان فی الشرق باب خشک، و یؤدی الی جبال الغور. و کانت أبوابها هذه خشبا الا باب سرای فقد کان حدیدا، علی قول ابن حوقل. و کان لحصن هراه (و یقال له القهندز) أربعه أبواب أیضا «بحذاء کل باب من أبواب المدینه باب لهذا الحصن و یسمی باسم ذلک الباب».

و المـدينه مقـدار نصف فرسـخ فى مثله. و دار الامـاره بمكان يعرف بخراسان أباذ فى ظاهر البلـد بينهما ميل، على طريق فوشـنج الـذاهب غربا. و عنـد كل باب من أبواب المـدينه الاربعه، سوق و فى ظاهر الباب ربض واسع. و كان المسـجد الجامع فى وسـط أسواق المدينه. «و ليس بخراسان و سجستان مسجد أعمر بالناس من مسجد هراه».

«و السجن على ظهر قبله مسجد الجامع» أى فى غربه.

و فى شـمال هراه: الجبـال، و هى من المـدينه على فرسـخين. و الاراضـى هنـا بـاديه لا تسـقى. و يرتفـق النـاس من هـذه الجبـال «بالحجاره للأرحيه و الفرش.

و على رأس هـذا الجبل بيت نار (قديم) يسـمى سـرشک» كان يقصده المجوس فى المئه الرابعه (العاشـره). و فى نصف المسافه بين بيت النار و المدينه بيعه للنصارى. و الى جنوب هراه، فى طريق مالن، قنطره على هرى رود. و بينها

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۵۱

و بين المدينه بساتين كثيره و رساتيق عامره تسقيها أنهار عديده. و قراها متصله مقدار مرحله على طريق سجستان.

و اسـتمرت هراه على ازدهارهـا و عمرانها حتى اجتياح المغول لها. و حين كان ياقوت فيها سـنه ۶۱۴ (۱۲۱۷) أى قبل أن تنكب بهذه الكارثه بأربع سنوات، وصفها بقوله «لم أر (بخراسان) مدينه أجل و لا أعظم و لا أفخم و لا أحسن و لا أكثر أهلا منها، فيها بساتين كثيره و مياه غزيره». و أيد معاصـره القزوينى كلامه هذا و أشار الى أرحيتها التى «تديرها الريح بنفسـها كما يديرها الماء» و هو منظر لم يألفه القزوينى. على ان هراه قد انتعشت بعد ما أصابها من كوارث على يد التتر، فان المستوفى فى المئه التاليه لها،

أیـد قول ابن بطوطه فی انها کانت أکبر المـدن العامره فی خراسان، بعد نیسابور. و دور أسوارها حینذاک تسـعه آلاف خطوه، و لها ۱۸ قریه یسقیها نهر (نهریچه) یأخذ من هری رود.

و کان یجود فیها صنف من الاعناب یقال له «الفخری» و کذلک التین. و کان أهل هراه فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) من السنّه. و قـد کان أقصـی ما بلغته هراه من ازدهار، علی قول المسـتوفی، فی المئه السادسه (الثانیه عشـره) أیام حکم الـدوله الغوریه فیها. فقد کان فیها حینذاک ۱۲۰۰۰ دکان، و ۶۰۰۰ حمام، و ۶۵۹ مدرسه، و عدد سکانها ۴۴۴۰۰۰.

و کان فی شمال هراه، حین کتب المستوفی، حصن مکین یقال له شمیران، بنی فی موضع بیت النار المسمی سرشک و قد ذکره ابن حوقـل، و هو علی رأس جبـل یبعـد فرسـخین عن المـدینه. و عرف هـذا الحصن أیضـا بقلعه امکلچه. و فی ختام المئه الثامنه (الرابعه عشـره)، بعـد ان تملک تیمور هراه، نقض أسوارها و أرسل معظم الحذّاق من صـناعها الی مدینته الجدیده شـهر سبز فی مـاوراء النهر تکثیرا لسـکانها. و جـاء فی کتـاب جهان نما بالترکیه، انه کان لهراه فی زمن کتابته، أی سـنه ۱۰۱۰ (۱۶۰۰) خمسه أبواب: باب یقال له دروازه ملک فی الشمال، و باب عراق فی الغرب، و باب فیروز أباد فی الجنوب،

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۴۵۲

و باب خش فی الشرق، و باب کپچاق فی الشمال الشرقی، و الاخیر أحدثها.

و ذکر جهان نما أیضا البلوکات العشر أی الرساتیق التی حول هراه، و لکنه لم یذکر موضع کل بلوک من الآخر .

و علی فرسخین، أی مسیره نصف یوم، من جنوب هراه، مدینه مالن أو مالن، و

يخمّن انهـا فى مـا يلى القنطره العظيمه التى كانت على هرى رود و بها عرفت القنطره. و حول المـدينه رسـتاق على اسـمها مـداه مسـيره يوم. و كان يقال لمالن هذه السفلقات و مالن هراه، تمييزا لها عن مدينه بالاسم نفسه فى رستاق باخرز بقوهستان (و قد مرّ ذكرها فى الفصل الخامس و العشرين، ص ۳۹۷).

كانت مالن بلده صـغيره مشتبكه البساتين كثيره الكروم. زارها ياقوت و كتب اسمها مالين و لكنه قال ان الناس فى أيامه يسمونها مالان. و فى رستاقها خمس و عشرون قريه خص بالذكر منها أربعا: مرغاب و باشينان و زنسان و عبسقان.

و على مرحله من شـمال هراه، بلـده كروخ أو كاروخ. قال ابن حوقل انها كانت فى المئه الرابعه (العاشـره) أكبر مـدن كوره هراه بعـد قصـبتها. و يرتفع من كروخ المشـمش و الزبيب و يحمل الى سائر البلدان «و مسـجدها الجامع بمحله منها تعرف بسبيدان، و بناؤها من طين، و هى فى شـعب بين جبال مقدار عشرين فرسخا و جميعها مشتبكه البساتين و المياه و الاشجار و الغياض و القرى العامره».

و يصب أكبر أنهارها فى هرى رود، و يظهر انه هو النهر الذى سماه ياقوت نهر كراغ.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۵۳

و الى شـرق هراه، فى وادى هرى رود العريض، تقوم مدن تلى احداها الاخرى ذكرها بلدانيو المئه الرابعه (العاشـره)، و هى بشان على يوم من هراه، م خيسار فأستربيان فماراباذ فأوفه. تبعد الواحده عن الاخرى شرقا مسيره يوم.

ثم على يومين ممـا يلى أوفه، مـدينه خشت و كـانت تعـد من نـاحيه الغور. و من بين هـذه المـدن التى ذكرناهـا كانت أوفه نحو كروخ فى الكبر و تليها فى

الشأن.

أما المدن الاربع الاخرى، فقد تشابهت فى الوصف، فلكلها مياه و بساتين و زروع. و كلها أصغر من مالن و كانت استربيان لا كروم فيها، و هى فى جبال.

و ماراباذ «يرفع منها أرز كثير يجلب الى النواحى» .

و على مسيره يوم من غرب هراه مدينه بوشنج أو فوشنج الجليله. و الظاهر انها حيث تقوم غريان الحاليه على شى ء يسير من ضفه هرى رود اليسرى فى جنوبها. و قد وصف ابن حوقل بوشنج بانها كانت فى المئه الرابعه (العاشره)، نحوا من نصف هراه، «و هى و هراه فى مستواه و من بوشنج الى الجبل نحو فرسخين». و بناؤها حسن تحف بها الاشجار. و بها من أشجار العرعر ما ليس فى غيرها و يحمل خشبه الى سائر النواحى. و لبوشنج سور و خندق و ثلاثه أبواب. باب يسمى باب على يفضى الى نيسابور، و باب هراه الى الشرق، و باب قوهستان الى الجنوب الغربى. و كان ياقوت، قد رآها و هو مار فى طريقه، فى واد كثير الشجر، و سماها بوشنج و فوشنج و ذكر ان «العجم يقولون بوشنك بالكاف». و وصف المستوفى مدينه فوشنج، فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) و قال انها مشهوره بالبطيخ و الاعناب، و بها من الاعناب مئه و خمسه أصناف. و مما خصت به، الأرحيه التى تديرها الريح. و أصلها يعزى الى فرعون مصر من أيام موسى، فقد بلغ هذه المدينه فى احدى حملاته نحو الشرق. و فى سنه ٧٨٣ (١٣٨١) غزا تيمور مدينه فوشنج و نهبها، و قد استولى عليها بالرغم من علو أسوارها و عمق ماء خندقها، على ما نوّه به على اليزدى. و بعد ذلك اختفى اسم فوشنج من

التاريخ لغير ما سبب واضح ثم قامت بعد زمن مدينه غريان،

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۵۴

المدينه العامره اليوم، على خرائب المدينه التى نهبها تيمور و خرّبها. و مما تحسن الاشاره اليه، ان المدن الثلاث: فرجرد و خرجرد و كوسوى، و قد سبق وصفها بين مدن اقليم قوهستان (أنظر ص ۳۹۷- ۳۹۸)، غالبا ما عدت من أعمال فوشنج .

و كوره أسفزار، فى جنوب هراه فى طريق زرنج. كان فيها فى المئه الرابعه (العاشره) أربع مدن مهمه، ما خلا القصبه أسفزار، و هى ادرسكر و كوران و كوشك و كواشان. و أسفزار اليوم أكبر المدن، و يقال لها فى وقتنا سبزوار (و تسمى أيضا سبزوار هراه، تمييزا لها عن سبزوار التى فى غرب نيسابور. أنظر ص ۴۳۲). الا ان أكبر مدن هذه الكوره قديما كانت كواشان.

و مقدار الكوره مسيره ثلاثه أيام من الشمال الى الجنوب، و عرضها مرحله يوم. قال الاصطخرى كان عندها شعب يسمى كاشكان، و فيه قرى عامره. و نهرها و منابعه بالقرب من اسفزار (سبزوار) هو النهر المعروف اليوم بهارود سيستان و يقع فى رأس بحيره زره غرب جوين. و مدن أسفزار هذه تحيط بها كلها الاراضى الخصبه و البساتين. و ذكرت كتب المسالك اسما ثانيا لاسفزار، هو خاشتان (أو جاشان فان قراءته غير محققه) و لا يستبعد ان تكون خواشان صوره أخرى لهذا الاسم. فتكون هذه المدينه فى الواقع اذا، مطابقه لاسفزار (سبزوار). و مدينه أدرسكر أو أردسكر، على ما تلفظ به أيضا، ما زالت قائمه فى شرق أسفزار، و يكتب اسمها اليوم بصوره أدرسكن. و ذكر ياقوت ان اسفزار من أعمال سجستان، و تكلم عليها المستوفى بانها مدينه

ليست بـالكبيره و لاـ بالصـغيره، لها قرى كثيره و بساتين وافره الاعناب و الرمان. و كان جل أهلها فى المئه الثامنه (الرابعه عشـره) من السـنه على المـذهب الشافعى. و مما يؤسف عليه ان كتب المسالك لم تبين مواضع المـدن الاخرى فى هذه الكوره، بالنسبه الى بعضها .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۵۵

و الطريق من هراه الضارب شـمالا الى مرو الروذ، يجتاز كوره باذغيس العظيمه، و كانت تمتد بين نهر هراه من الغرب (فى شمال فوشـنج) و مياه نهر مرغاب الاعلى من الشـرق و هى الآتيه من جبال غرجسـتان. و كان يسـقى باذغيس نفسها كثير من روافد نهر مرغاب اليسـرى. و كان القسم الشرقى من باذغيس، و هو يبدأ على نحو من ۱۳ فرسخا من شمال هراه، يعرف بكنج رستاق، و له ثلاث مدن كبيره هى: ببن، و كيف، و بغشور. و قد عينت كتب المسالك مواضـعها على وجه التقريب أما فى بقيه باذغيس، فقد ذكر المقدسـى تسع مـدن كبيره و لكن مما يؤسف عليه انه لا يمكن تعيين موضع واحده من هذه المدن، لان كتب المسالك لم تذكرها. و هذه البلاد اليوم، غامره لا سـكان فيها، فقد خربتها الغزوات المغوليه فى المئه السابعه (الثالثه عشـره). و تشهد الخرائب الكثيره المنتشـره فى تلـك البقعه على مـا كـانت عليه هـذه البلاـد قبلاـ من وفره فى الميـاه و ازدهـار فى العمران. الا ان اسـماءها الحديثه هى غير تلك التى ذكرها بلدانيو القرون الوسطى.

أمـا أطلاـل مـدينه بغشور، و هى من مـدن كنـج رسـتاق الكبيره، فالظاهر انها هى المعروفه بقلعه مور. وصف ابن حوقل فى المئه الرابعه (العاشره) مدينه بغشور بقوله انها من أحسن مدن خراسان

و أكثرها ثروه، و هى نحو بوشنج.

و كان سلطان هـذه الناحيه يقيم فى ببن أو ببنه و هى أكبر هذه المدن، بل أكبر من بوشـنج. أما «كيف» فكانت نحوا من نصـف بغشور. و هـذه المـدن حسـنه، بناؤها من طين. و حولها البساتين و الزروع، و فيها مياه كثيره جاريه و آبار. و قـد رأى ياقوت هذه البلاد فى سنه ۶۱۶ (۱۲۱۹)، و أيـد ما كانت عليه بغشور السابقه و المـدن المجاوره لها من ثروه، و لكنه قال «الخراب فيها ظاهر» مع ان ذلك كان قبل الغزو المغولى. و زار ياقوت ببنه و سـماها: بون و بون. و زار أيضا بلده أخرى يقال لها الباميان، أو بامنج، و هى على شى ء يسير من ببنه. و قال انها «ذات خير و رخص يكثر فيها شجر الفستق» .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۵۶

أمـا القسم الجنوبى من كوره بـاذغيس، فان ما يقال عن سابق عمران كنـج رسـتاق و ازدهارها، يقال عن هـذا القسم أيضا. الا ان مـدنه قد زالت اليوم جميعا من الخارطه، و يصـعب تعيين مواضع أسـمائها التى عرفت فى القرون الوسـطى أو مطابقتها مع أسـماء الخرائب الحاليه. و قـد اتفقت الاخبار على ان قصـبه هـذا القسم كانت دهسـتان، و موضـعها قد يتفق هو و مرقد خواجه دهسـتان الحـالى فى شـمال شـرقى هراه. و ذكر المقدسـى أسـماء سبع مـدن أخرى، هى: كوغانابـاذ و كوفا و بشت و جاذاوا و كابرون و كالوون و جبل الفضه. و لا يمكن معرفه مواضـعها الا بوجه تقريبى. كانت دهستان فى المئه الرابعه (العاشره) ثانى المدن الكبرى فى باذغيس، مثل نصف بوشنج، و هى على جبل، و بناء أهلها

طين و لهم أسراب تحت الأرض لأيام الحرّ، و بساتينها قليله و مزارعها مباخس. و كان سلطان الناحيه يقيم فى كوغاناباذ، و هى أصغر من دهستان. و مدينه جبل الفضه كانت على ما يدل عليه اسمها، عند جبل فيه معدن الفضه فى الطريق الماد رأسا من هراه الى سرخس. و الظاهر انها فى شمال كوغاناباذ. و يكثر فى ناحيتها الحطب. و كانت كوفا أكبر من جبل الفضه، فى بريه، لها بساتين حسنه. و لكن المقدسى لم ينوه بشى ء عن المدن الاربع الاخرى، الا قوله ان هذه المدن كانت تقوم قرب الطريق الذاهب شمالا من هراه الى سرخس.

و ذكر ياقوت، و قد قال ان دهستان «ناحيه بباذغيس»، ان «أصلها بالفارسيه باذ- خيز، معناه قيام الريح أو هبوب الريح لكثره الرياح فيها».

أما كلام المستوفى على باذغيس فيصعب فهمه لان أسماء الامكنه كثيره التصحيف فى المخطوطات. قال ان دهستان كانت القصبه و أشار الى جبل معدن الفضه بالتسميه الفارسيه كوه نقره «جبل الفضه». و فيها موضع ثالث ذو شأن هو كوه غناباد (عوضا عن كوغاناباذ)، و فيها كان يقيم الامير. و جاء ذكر مدينه رابعه يقال لها بزرگترين. و لكن قراءه الاسم غير معتمد عليها. و ذكر المستوفى أيضا مدينه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۵۷

باسم كاريز (أو كاريزه) أى «الكهريز» و قال انها كانت مقام حكيم برقعى- «الحكيم المبرقع»- المعروف لدى الناس بصانع القمر بنخشب، و هو نبى خراسان المبرقع الذى ثار فى المئه الثانيه (الثامنه) على الخليفه المهدى و اقتضى لقمع ثورته جهد كبير .

و قد انتهت الينا أسماء مواضع أخرى أيضا ذكرها المقدسى و البلدانيون العرب الاولون (و يعتور اسماءها كثير من

التصحيف فى متون كتبهم) دون ان يـذكروا شيئا عنهـا. و فى المئه الثامنه (الرابعه عشـره)، كانت باذغيس على قول المستوفى، مشهوره بغابات الفستق. و فى موسم جمعه كان يخرج كثير من الناس فيحملون منه ما قدروا على حمله، و كان يحمل الى سائر البلدان المجاوره. و كانت أشجار الفستق من الكثره فيها حتى ان المستوفى قال ان كثيرا من الناس يعتاشون السنه كلها على ما يربحون مما جمعوه فى موسم جنيه. و ما أعجب مرأى أشجاره.

و فى ختام المئه الثامنه (الرابعه عشره) استولى الخراب على باذغيس نهائيا على ما يظهر بمرور جيوش تيمور بها فى اثناء زحفها الماحق من هراه الى مرو الروذ .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۵۸

و الى شرق باذغيس عند منابع نهر مرغاب، البلاد الجبليه المعروفه لدى بلدانيى العرب الاولين ب «غرج الشار». و يلقب ملك هذه الجبال ب «الشار».

و الغرج على ما ذكر المقدسى، هى الجبال فى لغتهم، فتفسير غرج الشار جبال الملك. و صاروا يسمون هـذه البلاد فى أواخر العصور الوسطى: غرجستان.

و بهذا الاسم جاءت فى أخبار الحروب المغوليه. ثم ان ياقوت الحموى أشار الى ان غرجستان تكتب غالبا: غرشستان أو غرستان و كثيرا ما كان يلتبس اسمها بغورستان أى بلد الغور الذى فى شرقها و هى مدار بحثنا الآن. و الشار، أى ملك غرجستان، كان يعرف لدى العرب بملك الغرجه. و فى المئه الرابعه (العاشره) كان فى هذه الناحيه الواسعه، عشره جوامع فى مختلف بلدانها.

و أكبر مدينتين فى غرجستان، هما: أبشين و شورمين، و لا يعرف موضعاهما الصحيحان. كانت أبشين (أفشين أو بشين) على غلوه من الضفه الشرقيه لأعلى نهر مرغاب، و على أربع مراحل

فوق مرو الروذ، حولها بساتين حسنه، و يرتفع منها أرز كثير يحمل الى بلخ. و كان لها حصن مكين و مسجد جامع. و شورمين (او سورمين) فى الجبال على اربع مراحل جنوب ابشين، و على مثل ذلك من كروخ، فى شمال شرقى هراه. «و يرتفع منها زبيب كثير يحمل الى النواحى».

و ليس مقام ملك هذه الناحيه، و هو الشار، بهما بل بقريه كبيره فى جبل، تعرف ب «بليكان» (أو بلكيان). و ذكر ياقوت اسم مدينتين أخريين فى غرجستان، هما سنجه و بيوار. و غايه ما ذكره عنهما انهما فى الجبال، نقلا عن رجل من هذه البلاد. و لم يشر الى موضعيهما .

و البقعه الجبليه العظيمه التى فى شرق غرجستان و جنوبها، كانت تعرف بالغور أو غورستان، تمتد من هراه الى الباميان و تخوم كابل و غزنه. و هى جنوب

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۵۹

نهر هراه. و أشار بلدانيو العصور الوسطى الى انها البلاد التى فيها مخارج كثير من الانهار الكبيره، أى منابع نهر هرى رود، و هيلمند، و نهر خواش، و نهر فره (و يقع فى بحيره زره)، و كان يخرج من حدود غرجستان نهر مرغاب. أما صفه هذه البلاد الجبليه الواسعه فلم ينته الينا شى ء عنها يا للأسف. فلا يعرف مواضع مدنها و قلاعها المذكوره فى تاريخها. و فى المئه الرابعه (العاشره) كانت الغور دار كفر على ما ذكر ابن حوقل، و ان كان بها مسلمون. و فيها شعاب عامره ذات عيون و بساتين و أنهار. و قد اشتهرت بمعادن الفضه و الذهب، و أكثرها عند الباميان و پنجهير (أنظر ص ۳۸۹- ۳۹۰). و أغزر هذه المعادن، فى موضع يقال

له خرخيز. و بعد سقوط دوله محمود الغزنوى، استقل رؤساء الغور و قد كانوا قبلا من أعوانه. و أنشأوا لهم عاصمه فى فيروز كوه، و هى قلعه عظيمه فى الجبال لا يعرف موضعها.

و قد استقل الغوريون فى حكمهم منذ منتصف المئه السادسه (الثانيه عشره) حتى سنه ۶۱۲ (۱۲۱۵) حين غلبهم خوارزمشاه. و بعد بضع سنين، زالت دولتهم لما غزاهم المغول. الا ان الغوريين قبل ذلك، تمكنوا فى سنه ۵۸۸ (۱۱۹۲) من فتح معظم شمالى الهند و بسط سلطانهم على جميع البلدان من دهلى الى هراه.

و بعد أن قضى المغول على دولتهم قضاء مبرما، استمر مماليكهم على حكم دهلى فى سلسله طويله من السلاطين، حتى سنه ۹۶۲ (۱۵۵۴).

و بلغت الغور، أو غورستان، أوج عزها و أعظم ثرائها، ما بين سنه ۵۴۳ و ۶۱۲ (۱۱۴۸ و ۱۲۱۵) فى أيام السلاطين الغوريين من سلاله سام. و قد تكلم ياقوت على عاصمتهم العظيمه فى فيروزكوه أو بيروزكوه (أى جبل الفيروز) و لكنه لم يفصل القول فيها. و لمح المستوفى أيضا الى هذه القلعه، و ذكر، ان من مدنها الكبيره أيضا: هنگران، غير انه يشك فى هذه القراءه. و فى سنه ۶۱۹ (۱۲۲۲) اكتسح جنكيز خان هذه البلاد جميعا، و استولى على فيروز كوه عنوه و أنزل فيها الخراب و الدمار. و جاء ذكر قلعتين أخريين أتعبتا الجيش المغولى، و هما: كليون و فيوار، و بينهما عشره فراسخ. و لكن لا يعرف موضع

كلتيهما. و يقال ان جنكيزخان قد خربهما تخريبا تاما. و ذكر القزوينى فى المئه السابعه (الثالثه عشره) مدينه أخرى من مدن الغور الكبيره، و هى خوست، و لعلها تطابق

مـدينه خشت و قد مرّ ذكرها فى صـفحه ۴۵۳، بانهـا قرب منـابع هرى رود. و لم يـذكر من مواضع الغور فى أيـام تيمور، على ما يبدو، غير قلعه خستار، و هذه أيضا لا يعرف شى ء عن موضعها .

أما مـدينه الباميان، فقد كانت قصـبه كوره عظيمه على اسـمها. و تؤلف القسم الشـرقى من الغور. و يسـتدل ببقاياها السـحيقه فى القـدم انها كانت مركزا بوذيا عظيما قبل الاسـلام بزمن طويل. و قـد وصف الاصـطخرى الباميان فى المئه الرابعه (العاشـره) فقال «تكون نحوا من نصف بلخ، و هى على جبل و ليس لها سور» و ناحيتها فى غايه الخصب يسـقيها نهر كبير. و أشار المقدسـى الى مـدينه اللحوم و قراءه اسـمها مشـكوك فيه، و قد أشاد بذكر هذه المدينه و قال «هى احدى فرض خراسان و خزائن السـند. البرد فيها شديـد و الثلوج كثيره. و من اختلف اليها أفاد انها جيـده لا براغيث و لا عقارب بها». و فى المـدينه جامع و أسواق عامره فى أرباضـها. و لهـا أربعه أبواب تفضـى الى خارج المـدينه. و فى المئه الرابعه (العاشـره) كان فى ناحيه الباميان مـدن كبيره كثيره و لكن مواضعها قد ضاعت علينا اليوم. و من أكبر مدنها، ثلاث، هى: بسغورفند و سكيوند و لخراب.

و فى أوائل المئه السابعه (الثالثه عشـره) أفاض ياقوت فى وصف أصنام البد العظيمه التى كانت حينذاك فى الباميان. قال: «و بها بيت ذاهب فى الهـواء بأسـاطين مرفوعه منقوش فيه كـل طين خلقه اللّه تعـالى على وجه الاـرض. و فيه صـنمان عظيمـان نقرا فى الجبل من أسفله الى أعلاه، يسمى أحدهما سرخبد، و الآخر

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۶۱

خنكبد (أى بوذا

الاحمر و بوذا الاشهب) و قيل ليس لهما فى الدنيا نظير».

و تكلم القزوينى على «بيت ذهب» فى الباميان كما تكلم على الصنمين العظيمين للبد. و ذكر أيضا ان بها معادن زئبق و عين كبريت. و خراب الباميان و مدن كورتها كلها حتى پنجهيير، على ما قد بيّنا، انما كان من غضب جنكيز خان و سخطه لمقتل حفيده العزيز موتوكن بن جغتاى فى حصاره الباميان، فأمر جنكيز جيشه بتخريب أسوار المدينه و بيوتها و دكها الى الارض. و منع الناس من العوده الى بنائها أو العيش فيها. و غيّر اسم الباميان الى موبلق و معناه بلغته التركيه:

المدينه الملعونه. و أصبحت الباميان منذ ذلك الحين قفرا بلقعا .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۶۲

الفصل الثلاثون خراسان «تتمه»

ربع بلخ فى اقليم خراسان- مدينه بلخ و النوبهار- ناحيه الجوزجان- الطالقان و الجرزوان- ميمنه أو اليهوديه- الفارياب، شبرقان، انبار، و أندخود- ناحيه طخارستان- خلم، سمنجان و اندرابه- و رواليز و الطايقان- تجارات خراسان و غلاته- المسالك فى خراسان و قوهستان.

بلخ،- «أم البلاد»- قد سمى بها رابع أرباع خراسان و ما كان من هذا الربع خارج حد قصبته، انقسم الى قسمين: الغربى منهما فى الجوزجان، و الشرقى فى طخارستان، ناحيتيه العظيمتين.

و فى المئه الثالثه (التاسعه) تكلم اليعقوبى على بلخ، و قال انها مدينه خراسان العظمى، و كان عليها فى متقدم الايام ثلاثه أسوار و ثلاثه عشر بابا . و زاد المقدسى عليه: «يقال ان اسمها فى كتب الاعاجم بلخ البهيه». و فى ظاهر المدينه ربض النوبهار. و كانت مساحه المدينه ثلاثه أميال فى مثلها. و لبلخ، على ما ذكر اليعقوبى نيف و أربعون منبرا . و أشار الاصطخرى الى ان

مدينه بلخ «فى مستو و بينها و بين أقرب الجبال اليها نحو أربعه فراسخ، و يسمى جبل كو».

و قال ان بناءها من الطين و كذلك سور المدينه. و يحف بالسور خندق عميق.

و كان المسجد الجامع فى المدينه فى وسطها، و أسواقها حوالى المسجد الجامع،

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۶۳

و لها نهر يسمى دهاس و معناه (بالفارسيه) على قول ابن حوقل «عشر أرحيه».

و هو بعد ان يديرها يمر على باب النوبهار و يسقى رساتيقها الى سياه جرد فى طريق ترمذ. و يحف ببلخ البساتين و فيها النارنج و النيلوفر و قصب السكر و الاعناب، و تحمل منها الى سائر الجهات. و أسواقها عامره كثيره التجار.

و للمـدينه سـبعه أبواب، هى: بـاب النوبهار، و باب رحبه، و باب الحديـد، و باب الهنـدوان (أى باب الهنـدوس) و باب اليهود، و باب شـست بند (أى باب الستين سدّا) و باب يحيى. و وصف المقدسى حسن موقعها و بهاءها و يسارها و كثره أنهارها و رخص أسعارها و وفره غلاتها وسعه طرقها. و ذكر سورها و مسجد جامعها و اشراق قصورها. و بقيت بلخ على ما كانت عليه من بهائها هذا و حسنها، حتى منتصف المئه السادسه (الثانيه عشره) حين استحوذ عليها الخراب أول مره باستيلاء الغزّ الاتراك عليها فى سنه ۵۵۰ (۱۱۵۵). الا ـ انهم بعـد أن تخلّوا عنهـا عـاد اليهـا أهلها و جـدّدوا بناء مـدينتهم فى موضع آخر مجاور لموضـعها الاول، و ما عتمت بلخ ان استعادت بعض سابق عزّها، فوصفها ياقوت فى أوائل المئه السابعه (الثالثه عشره)، و هى فى حالها هذا، قبيل خرابها الثانى على يد المغول.

أما ربض بلخ الكبير، المسمى النوبهار، و قد كان

فيه أيـام الساسـانيين على مـا ذكر المسـعودى، بيت نار من أكبر بيوت المجوس، فقـد جاءنا عن ياقوت وصف طويل له، نقله عن عمر بن الأزرق الكرمانى. و للقزوينى وصف مشابه له.

كـان السادن الاكبر لبيت النار هـذا، يسـمى برمك، و هو جـد البرامكه. و كانت هـذه الاسـره فى أيام الساسانيين تتوارث رئاسـه الدين الزردشتى فى هذه المدينه.

و جاء عن النوبهار انهم اتخذوا بيت النار فيها «مضاهاه لبيت اللّه الحرام» فى مكه.

فزينوا جـدرانه بـالجواهر النفيسه و علقوا عليهـا سـتائر الـديباج و الحرير و كانوا يكلّلونه بالريحان لا سـيما فى وقت الربيع. فمعنى نوبهار أول الربيع و بواكيره.

و فيه يكون الحج الى هذا البيت. و كان على البناء قبه عظيمه يسـمونها الأستن، «و ارتفاعها فوق مئه ذراع بأروقه مستديره حولها، و كان حول البيت ثلاثمئه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۶۴

و ستون مقصوره يسكنها خدّامه و قوّامه و سدنته. و كان على كل واحد من سكان تلك المقاصير خدمه يوم لا يعود الى الخدمه حولاـ كاملاـ». و كـانت الأعلاـم تنصب على أعلى قبته. و يقـال ان الريـح ربما حملت الحرير من العلم الـذى فوق القبه مسافه لا تصدق. و كان فى هذا البيت كثير من الأصـنام؛ بينها الصـنم الاكبر، يحج الناس اليه من كابل و من الهند و الصـين، فيسجدون له ثم يقبّلون يـد برمـك السـادن الاكبر. و كان ما حول النوبهار من الارضـين سـبعه فراسـخ فى مثلها وقفا على هـذا البيت تغلّ مالا عظيما. و لما افتتح الأحنف بن قيس بلاد خراسان فى أيام عثمان بن عفان، نقض بيت النوبهار العظيم و أدخل أهلها فى الاسلام .

و فى سنه ۶۱۷ (۱۲۲۰) دمّر المغول مدينه

بلـخ. و ذكر ابن بطوطه ان جنكيز خـان «هـدم من مسـجدها نحو الثلث بسـبب كنز ذكر له انه تحت ساريه من سواريه». و لما زار ابن بطوطه هذه الناحيه فى النصف الاول من المئه الثامنه (الرابعه عشره) كانت بلخ «خاويه على عروشها غير عامره، و مساجدها و مدارسـها بـاقيه الرسوم». يزورهـا أهـل التقى و الورع. و كـثيرا مـا تردد ذكر بلـخ فى أخبـار حروب تيمور، فى ختـام المئه الثـامنه (الرابعه عشـره) و هـذا يـدل على انهـا اسـتعادت حينـذاك شـيئا من سـالف مجـدها. و كان تيمور قـد جـدّد القلعه التى فى ظاهر أسوارها المعروفه بقلعه الهندوان أى قلعه الهندوس، و أتخذت مقاما لعامله عليها. ثم انه جدد بناء قسم كبير من المدينه القديمه.

أما اليوم، فان بلخ تعد من أجل مدن أفغانستان الحديثه. و فيها المزار العظيم المشهور المعروف ب «مزار شريف» حيث دفن على ما يقال، الخليفه على

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۶۵

- و يسـمى شاه مردان «أى ملك الرجال»-. و على قول خوانـدامير، ان هـذا القبر الوهمى لعلى الشـهيد قد اكتشف فى سـنه ۸۸۵ (۱۴۸۰) يوم كان ميرزا بيقرا حفيـد تيمور واليا على بلـخ. ففى السـنه المـذكوره أطلع ميرزا بيقرا على كتاب تاريـخ كتب فى أيام السـلطان سـنجر السـلجوقى، جـاء فيه ان عليا مـدفون فى قريه خواجا خيران و هى تبعـد ثلاثه فراسـخ عن بلـخ. و بناء على ذلك، ذهب الوالى الى تلك القريه، ليتحرى الامر فاكتشف لوحا فيه ما نصه بالعربيه: «هذا قبر أسد اللّه و وليّه على أخى (عوضا عن ابن عم) رسول اللّه». فأقيم على هذا القبر مزار عظيم، و صار منذ ذلك الحين مكرما عظيم التكريم لدى

أهل آسيه الوسطى، و هو ما زال من المواضع الشريفه التى تزار .

و كانت الجوزجان (الجوزجان أو جزجانان) الناحيه الغربيه من ربع بلـخ، و بها يمرّ الطريق من مرو الروذ الى مـدينه بلخ. و كانت فى العصور الوسطى من أعمر النواحى و أكثرها أهلا، فيها مـدن كثيره لم يبق منها اليوم غير ثلاث تعرف بأسـمائها القـديمه. أما مواضـع المـدن الاـخرى فقـد ذكرهـا بلـدانيو العرب، و من الممكن تعيينهـا بالاسـتناد الى كتب المسالـك. و مع ان اسـماءها قد تبـدلت، غير ان الخرائب مـا زالت تعين مواضـعها القـديمه. و كانت هـذه الناحيه عظيمه الخصب كثيره التجارات، و أكثر ما كان يرتفع منها الجلود المدبوغه التى تحمل الى سائر خراسان .

و على ثلاث مراحل من مرو الروذ من جهه بلخ، مدينه الطالقان. و لم يبق لهذا الاسم ذكر فى الخارطه. غير ان المرتفعات و بقايا الآجر بالقرب من چاچكتو، قد تعين موضعها. و كانت الطالقان فى المئه الثالثه (التاسعه) مدينه جليله الشأن.

قال اليعقوبى «بها تعمل اللبود الطالقانيه». و هى بين جبلين عظيمين، بها مسجد جامع واسع. و فى المئه التاليه لها، قال الاصطخرى «الطالقان مدينه نحو من

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۶۶

مرو الروذ فى الكبر. و هى أصـحّ هواء و بناؤهـا من طين». و كـان بـالقرب منها قريه جنـدويه و فيها على ما قال ياقوت وقعت فى المئه الثانيه (الثامنه) «أول وقعه بين أصحاب أبى مسلم الخراسانى (داعى العباسيين) و بين أصحاب بنى أميه، و هى وقعه مشهوره لها ذكر». و بعد مضـى زمن يسـير على ما كتبه ياقوت، اسـتولى جنكيز خان على الطالقان فى سنه ۶۱۷ (۱۲۲۰) بعد أن حاصرها سبعه أشهر، و

قتل جميع أهلها و سوّى قلعتها بالارض.

و كانت الجرزوان بين الجبال- و هى أشبه شى ء بمكه، لانها بين جبلين- و فيها كان أمير الجوزجان يقضى أيام الحر. و اسم المدينه بهذه الصوره، انما هو بحسب تسميه العرب لها. أما الفرس فيقولون كرزوان. و كانت تكتب أيضا جرزبان أو كرزبان. و هى بين الطالقان و مرو الروذ فى ما كان من نحو تخوم الغور. قال ياقوت «هى مدينه آهله، و أهلها كلهم مياسير». و لا يرى اليوم فى الخارطه موضع بهذا الاسم. الا ان الخرائب المعروفه بقلعه و الى، تشير فى أكثر الاحتمال اليها.

أما مدينه ميمنه، و هى على مرحلتين مما يلى الطالقان فى طريق بلخ، فما زالت مدينه عامره. و كان يقال لها فى العصور الوسطى اليهودان أو اليهوديه.

و كانت تعد فى الغالب قصبه الجوزجان. قال ابن حوقل ان لمسجدها الجامع منارتين. ذكر ياقوت، و قد أورد أسمها بصوره يهودان الكبرى أيضا، ان اليهود لما أخرجوا من البيت المقدس فى أيام بختنصر كانوا أول من نزل موضعها.

ثم بدل اسمها الى ميمنه «أى المدينه الميمونه أو الموفقه» تيمنا بذلك، لأن اسم اليهوديه يأباه المسلمون. و ما زالت تعرف باسم ميمنه الى هذا اليوم. و الظاهر

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۶۷

ان المستوفى ذكر ميمنه أيضا فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) فقال هى بلده وسطه من البلاد الحاره، ينمو فيها القمح و الفواكه و التمور، و ماؤها من نهر قريب منها.

و لعل هناك بعض الالتباس بين ميمنه الجوزجان هذه و ميمند، عوضا عن ميوند فى زابلستان، فى نصف الطريق بين كرشك و قندهار. و ظهر مثل هذا الالتباس فى صفحات معجم ياقوت و

قـد كتب عن ميمنـد غزنه قال هى «بين باميان و الغور» و يريـد بذلك على ما يبدو ميمنه أى اليهوديه. و على مرحله من اليهوديه أى ميمنـه، كـانت مــدينه كنــدرم، و تكتـب أيضـا كنـددرم. و هى على مـا ذكر اليعقـوبى «يســكنها ملـك الجوزجـان». و قـال الاصطخرى «كنددرم فى الجبل، و هى مدينه كثيره الكروم و الجوز و لها مياه كثيره» .

و من أجـلّ مـدن الجوزجـان فى العصور الوسـطى: الفاريـاب. و لم يبق لاسـمها ذكر فى الخارطه. الا انه يؤخـذ من وصف كتب المسالك لموضـعها، ان خرائبها قـد تطابق ما يعرف اليوم ب «خيراباد» حيث توجـد قلعه قـديمه تحيط بها تلول من الآجر. كانت الفارياب، على ما ذكر ابن حوقل، فى المئه الرابعه (العاشره)، مدينه أصغر من الطالقان، الا انها أكثر بساتين و مياها، و أصح هواء منها، «جامعه للصـنائع و التجاره، و ليس لمسـجد جامعها مناره». أما ياقوت، و قد كتب اسـمها فيرياب، فانه ذكر موضـعها بالنسبه الى الطالقان و شـبورقان، و لم يزد شـيئا على ذلك. و فى سنه ۶۱۷ (۱۲۲۰) أى بعد مقامه فيها بشـى ء يسير، خرّب المغول مدينه الفاريـاب عن آخرهـا. و لم يـذكرها المسـتوفى الاـ لمما. و كان بين اليهوديه و الفارياب، على قول ابن حوقل، مـدينه مرسان . و كـانت «تقـارب اليهوديه فى الكـبر» فى المئه الرابعه (العاشـره). و لعلهـا تطـابق قريه نريـان التى ذكرهـا يـاقوت فى مـا يشـبه هـذا الموضع. و فى هذه البلاد الجبليه كانت بلده سان الصغيره، قال فيها ابن حوقل لها بساتين كثيره مثمره بها الأعناب و الجوز،

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۶۸

و مياهها وافره .

و شبرقان، و جاء اسمها بصوره أشبورقان،

أو أشبرقان، و كذلك شبورقان أو سبورغان، ما زالت قائمه، صارت فى المئه الثالثه (التاسعه) مره قاعده الملك فى ناحيه الجوزجان، ثم انتقلت منها الى اليهوديه (ميمنه) و كانت حينذاك تقاربها كبرا. و بساتينها و مزارعها فى غايه الخصب، كثيره الفواكه، تحمل منها الى سائر الانحاء. و قال ياقوت، و قد كتبها بصوره شبرقان و شفرقان و شبورقان، انها كانت فى سنه ۶۱۷ (۱۲۲۰) فى أيام الغزو المغولى «عامره آهله يقصدها التجار و يبيعون فيها الامتعه الكثيره». و تكلم عليها المستوفى بعده بقرن بما يشبه ذلك، جامعا بين شبورقان و فارياب، و قال ان القمح فيهما كثير رخيص.

و على يوم جنوب شبورقان، فى نحو من المسافه نفسها شرق اليهوديه، مدينه أنبار، و كتبت أيضا أنبير. قال فيها ابن حوقل: هى أكبر من مرو الروذ و بها مقام سلطان تلك الناحيه فى الشتاء. و لم يبق مدينه باسمها اليوم، غير انه يؤخذ من موضعها ان أنبار قد تطابق سرپول فى أعلى نهر شبورقان، و هذه ما زالت ذات شأن. و كانت الكروم تحف بأنبار، و بناؤها من طين. و تعد فى الغالب أكبر مدن الجوزجان، و لعلها هى البلده التى زارها ناصر خسرو فى طريقه الى شبورغان و جعلها قصبه الجوزجانان، و تكلم على مسجدها الجامع العظيم، و أشار الى ادمان أهلها شرب الخمر. و فى البريه، شمال غربى شبورقان، مدينه أندخوى، و قد كتب البلدانيون الاولون اسمها بصور مختلفه: أندخذ، أدخود، أنخد، و قال ابن حوقل فى المئه الرابعه (العاشره) انها «مدينه صغيره فى مفازه لها سبع قرى و بيوت للأكراد من أرباب الأغنام، و لهم ابل». و ذكرها ياقوت دون أن يزيد شيئا على

ما تقدم. و كثيرا ما ورد اسمها أيضا فى أخبار حروب

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۶۹

تيمور .

و ناحيه طخارستان العظيمه، فى شرق بلخ، ممتده بحذاء الضفه الجنوبيه لنهر جيحون حتى حدود بدخشان. و تحدها من الجنوب الجبال التى فى شمال الباميان و پنجهير. و كانت تنقسم الى قسمين: طخارستان العليا و هى فى شرق بلخ فى محاذاه نهر جيحون، و طخارستان السفلى و هى فى جنوبها الشرقى على حدود بدخشان. و قد ذكر بلدانيو القرون الوسطى عددا من مدن طخارستان، و لكنهم لم يأتوا بشى ء كثير عنها، و لهذا اذا استثنينا المدن التى ذكرتها كتب المسالك، و ما زالت قائمه، تعذر علينا معرفه مواضع معظم المدن الاخرى.

و على يومين من شرق بلخ، مدينه خلم. وصفها المقدسى بقوله «صغيره، الا ان قراها و رستاقها و مزارعها كثيره، و هواءها صحيح». و على يومين أيضا من خلم، سمنجان و رؤب و هما متصاقبتان. و لعل مدينه هيبك الحاليه تمثل كلتيهما و هى جنوب مدينه خلم القائمه فى أعالى نهر خلم. قال المقدسى: «سمنجان أكبر من خلم، بها منبر واحد و بها ثمار». و قال ياقوت فيها انها بين شعاب، و قد نزلها عرب من بنى تميم. و ذكر المستوفى سمنجان بقوله: انها مدينه كبيره و كانت خرابا فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) و لكن القمح يزرع فيها بكثره و كذلك القطن و العنب. و ذكرها على اليزدى بصوره سمنكان فى سياق وصفه لزحف تيمور من خلم الى حدود الهند.

و فيما يلى سمنجان، فى جنوبها الشرقى كانت بغلان: العليا و السفلى و الاخيره كانت القصبه، على ما ذكر المقدسى فى المئه الرابعه (العاشره) و

بها جامع. و يظهر ان بغلان، أو بقلان، بحسب تهجئه على اليزدى لاسمها، كانت تتاخم طريق اندرابه و هى اندراب، و قد وصفها المقدسى بقوله «لها أوديه مشجره و بها أسواق حاره». و كانت هذه الاوديه فى سفوح جبل پنجهير الشماليه، و فيها معدن الفضه على ما ذكر ابن حوقل، و قال أيضا ان نهر أندراب

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۷۰

و نهر كاسان، ينحدران من هذه الناحيه. و لم يزد ياقوت شيئا على ما مرّ ذكره، و قد كتب اسمها بصوره أندراب أو أندرابه .

و نهر خلم، لا يصب فى جيحون. بل تفنى مياهه فى المناقع على بضعه أميال شمال خرائب المدينه القديمه. و فى عدوه جيحون القريبه من خلم، كان رباط حصين منيع فى المئه الرابعه (العاشره) يقال له رباط ميله، حيث يعبر الطريق الآتى من بلخ، النهر العظيم الى ماوراءالنهر و بلاد الختّل فى ثلاث مراحل.

و على مرحلتين من شرق خلم، كانت و رواليز أو و رواليج، و قد وصفها ابن حوقل و غيره بانها كانت فى المئه الرابعه (العاشره) مدينه كبيره، و ليس هناك اليوم مدينه قائمه بهذا الاسم، الا ان موضعها، بناء على وصف كتب المسالك، ينبغى ان يكون قريبا جدا من موضع قندز. و لم يضف ياقوت الى ذلك شيئا الا انه و هم، على ما يظهر، فى كتابه اسمها فجعله و زوالين، كما ان قندز لم يذكرها ياقوت و لا غيره من البلدانيين الاولين، و لا ريب ان اسمها مختصر من قهندز اللفظه الفارسيه الدارجه للقلعه. و على ذلك فان قندز قد تكون القلعه القديمه لورواليز .

و على يومين من شرق و رواليز، مدينه الطايقان

أو طالقان طخارستان و هی ما زالت قائمه (و ينبغی ان لا يلتبس اسمها مع طالقان الجوزجان و قد مرّ وصفها فی صفحه ۴۶۶) كانت فی المئه الرابعه (العاشره) من أعمر مدن هذه الناحيه و أكثرها سكانا. و ذكرها المقدسی بصوره الطالقان، و ان كانت الطايقان الصيغه المفضله لاسمها. و قال «لها سوق كبير» و كانت «فی مستواه، و بينها و بين الجبل غلوه» و كانت فی المئه الرابعه (العاشره) نحوا من ثلث بلخ. يسقيها نهر يأخذ من جيحون يقال له ختلّاب (و قد كتب أحيانا خيلاب) و نهر و تراب (أو تراب، فانه يشكّ فی قراءه هذين الاسمين). و الظاهر ان هذا النهر كان من فروع

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۷۱

نهر ختلاب و يلتقی به فوق قندز. و كانت هذه البقعه فی غايه الخصب و النزهه يكثر فيها، على ما ذكر المستوفی، القمح و الفواكه. و كان جل سكانها فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) من الحاكه. و كان لها حينذاک قلعه منيعه، حولها رساتيق كثيره الزرع، يكثر فيها العنب و التين و الخوخ و الفستق. و قد ذكر علی اليزدی الطايقان غير مره فی حديثه عن حروب تيمور. و على سبعه أيام من شرقها، على ما ذكر البلدانيون الاولون: بذخشان، و سننّوه بها فی الفصل القادم .

و أشهر تجارات خراسان، على ما نوه ابن حوقل، ما يرتفع من نيسابور و مرو من ثياب القطن و الابريسم. و تكثر فيها الابل و الغنم و هی رخيصه، «و أنفس الرقيق ما يقع من بلاد الترک»- فقد بيع الرقيق، غلاما كان أو جاريه، على قوله، بخمسه آلاف دينار (نحو ۲۵۰۰ پاون)- و الاطعمه

فيها وافره و سرد المقدسى غير ذلك من التجارات فذكر ان نيسابور كانت مجمع الصناعات. فمنها «ترتفع الثياب البيض و العمائم الشهجانيه الحفيه و الراختج و التاختج و المقانع و بين الثوبين و الملاحم بالقزّ و المصمت و العتابى و السعيدى و الظرائفى و الحلل و ثياب الشعر و القز». و يرتفع من نيسابور أيضا الحديد و غير ذلك كالابر و السكاكين.

و بساتين نيسابور مشهوره بالتين و الكمأه و الراوند. و من جبال رستاق ريوند فى نيسابور يرتفع معدن الفيروزج.

و يرتفع من نسا و أبيورد: القز و ثيابه و ما تنسجه النساء فى رساتيقهما.

و يرتفع منهما أيضا فراء الثعالب. و فى نسا نوع من البزاه، و فيها سمسم كثير.

و يرتفع من طوس البرام الفائقه و الحصر و الحبوب و التكك الحسنه و الابراد الجيده. و من هراه البز الكثير و الديباج. و يرتفع منها «الزبيب و دوشابه و ناطفه و البولاذ و الفستق». و يرتفع أيضا من هراه الحديد. و من غرج الشار البلاد الجبليه: اللبود و البسط الحسان و الحقائب و السروج و الذهب و الخيل الجيده و البغال و تحمل منها الى سائر الانحاء.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۷۲

و يرتفع من مرو القز و الابريسم و القطن و منها تعمل المقانع و أنواع الثياب.

و يرتفع من رساتيقها الشيرج و التوابل و العطور و المن. و تصنع فيها أوانى النحاس. «و ليس فى الدنيا مثل خبز مرو و لا نظير له فى أقاليم الاعاجم».

و يرتفع من بلخ السمسم و الارز و اللوز و الجوز و الزبيب و صابونها مشهور.

و يعمل العسل فيها من العنب و التين و لب الرمان، و

يحمل منها الدوشاب و السمن. و فى أطرافها معادن الرصاص و الزاج و الكبريت و الزرنيخ و طيوب بلخ مشهوره و كذلك الكركم و الادهان. و يحمل منها الجلود المدبوغه و الحلل.

و يرتفع من ترمذ فى ماوراءالنهر الصابون و الحلتيث. و يحمل من و رواليج الى بذخشان، على ما ذكر المقدسى، من أنواع الفواكه الجوز و اللوز و الفستق و الكمثرى و كذلك كثير من الارز و السمسم. و يحمل منها أيضا الجبن و السمن و القرون و الفراء و لا سيما جلود الثعالب .

أما المسالك التى كانت تخترق خراسان و قوهستان فهى: طريق خراسان العظيم، و كان يدخل خراسان مما يلى بسطام (فى قومس. أنظر ص ۴۰۵- ۴۰۶) و كان من هذا الموضع الى نيسابور طريقان: الشمالى و هو طريق القوافل من بسطام الى جاجرم ثم منها مارا بأزادوار مخترقا بريه جوين الى نيسابور، و هو الطريق الذى وصفه المستوفى، و وصف بعضه الاصطخرى و ابن حوقل. و الطريق الجنوبى، و هو أقصرهما، هو طريق البريد الى نيسابور. و كان يبدأ من بذش، و قد مرّ ذكرها (ص ۴۰۸)، و كانت على فرسخين من بسطام. و هذا الطريق يتاخم الجبال، و المفازه على يمينه، و يصل الى اسداباد ثم يجتاز بهمن اباد أو مزينان، و عندها يتفرع منه طريق نحو الشمال الى ازادوار. و يتابع طريق البريد سيره شرقا فيجتاز سبزوار حتى يصل نيسابور و هذا هو الطريق الذى وصفه ابن خرداذبه و جميع كتب المسالك القديمه. و كان من اسداباد الى الجنوب الشرقى، على ما ذكر المقدسى، طريق يقطع هذا الطرف من المفازه العظمى، طوله ثلاثون فرسخا الى ترشيز فى قوهستان. أما الطريق

من نیسابور الی ترشیز، فقد

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۴۷۳

ذکره ابن خرداذبه و المقدسی، کما ذکر المقدسی مراحل الطریق من نیسابور شمالا الی نسا .

و علی مرحله مما یلی نیسابور، عند قصر الریح، أی دزباد، ینشطر طریق خراسان شطرین. الایمن و هو الجنوبی الشرقی، ینزل الی هراه و سنأتی علی وصفه فی الفقره الآتیه. و من قصر الریح ینعطف الطریق الی الیسار فالی الشمال الشرقی الی المشهد و طوس. و منها عن طریق مزدران الی سرخس عند معبر نهر تجند. و من سرخس یقطع المفازه الی مرو الکبری و منها یخترق المفازه ثانیه حتی یصل ضفه جیحون عند آمل (أی چهار جوی). ثم انه اذا غادر خراسان، وقع منتهاه فی بخارا. و قد جاء وصف هذا القسم من طریق خراسان من نیسابور الی آمل عند معبر جیحون فی جمیع کتب المسالک تقریبا مع اختلاف طفیف. و ما زال أکثر مراحله قائما الی الیوم معروفا بأسمائه القدیمه .

مرّ بنا القول ان طریق خراسان ینشطر من یمینه طریق علی مرحله مما یلی نیسابور، و منها یبلغ هراه. و کان ینشطر من یمینه أیضا طریقان عند سرخس و مرو، یذهب کلاهما الی مرو الروذ، و کان ینتهی الی هذه المدینه أیضا طریق من هراه ضارب الی الشمال. و من مرو الروذ، کان طریق خراسان الکبیر یتجه الی الشمال الشرقی نحو بلخ، فاذا تجاوزها عبر نهر جیحون الی ترمذ. فاذا أخذنا أولا طریق هراه من موضع انشطاره عند قصر الریح، نجد انه یصل الی بوزجان فی أربع مراحل، و فی مثل هذه المسافه الی بوشنج. ثم الی هراه فی مرحله یوم. و قد وصف هذا

الطريق ابن رسته و بلدانيو المئه الرابعه (العاشره) و كذلك المستوفى. و يخرج من بوزجان و من بوشنج طريقان نحو الجنوب الغربى و الغرب، يجتمعان فى قاين. و قد أورد الاصطخرى و غيره

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۷۴

المسافات بين مدن قوهستان المختلفه. و تجتمع فى قاين أيضا الطريق الآتيه من طبس و خور على حدود المفازه الكبرى .

و من هراه ينزل الطريق جنوبا الى زرنج مارا باسفزار قاطعا حد سجستان بين تلك المدينه وفره (أنظر ص ۳۷۹ أعلاه)، و قد جاء وصف هذا الطريق فى ابن رسته و البلدانيين الثلاثه من أهل المئه الرابعه (العاشره). و الطريق من هراه شرقا يصّعد فى وادى هرى رود الى حد الغور، و قد ذكر هؤلاء البلدانيون أنفسهم أسماء ما فيه من مدن، بين المدينه و المدينه يوم. و ذكر بلدانيو المئه الرابعه (العاشره) أيضا، مسافات الطريق من هراه فكروخ الى شرمين و ابشين فى غرجستان بالايام. ثم ينحدر الطريق الى نهر مرغاب فيصل الى مرو الروذ. و جاء ذكر الطرق الى مرو الروذ أو قصر الأحنف (مروچك) التى تجتاز باذغيس ماره ببغشور، قصبتها) فى الاصطخرى و ابن حوقل و المقدسى، و كذلك فى المستوفى فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) .

و كان يجتمع فى مرو الروذ طريقان: من سرخس و من مرو الكبرى يقطع أولهما المفازه بين النهرين الكبيرين. و الثانى يصعد مع نهر مرغاب مارا بالاراضى الخصبه و بما على ضفافه من مدن. اما طريق المفازه الذى يمرّ بجمله رباطات، فلم يذكره غير المقدسى، و قد نقل عنه المستوفى و جهان نما الكتاب التركى.

و ذكر ابن خرداذبه و قدامه الطريق من مرو الكبرى الى نهر

مرغاب و كذلك المقدسى و لكن وصفه كان لغير هذا الطريق .

و من مرو الروذ الى بلخ، ذكر ابن خرداذبه و كتب المسالك القديمه طريقا يخترق ناحيه الجوزجان و يمر بالطالقان، و منها الى بلخ مارا اما بفارياب و شبورقان، و اما باليهوديه (ميمنه) و أنبار. و ذكره الاصطخرى و المقدسى مع

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۷۵

بيان المسافات بالمراحل. و ذكر المستوفى طريقا من مرو الروذ الى بلخ بشى ء من الاختلاف، كان يمر فى غرب كل من الطالقان، و تبعد عن يمين الطريق سته فراسخ، و الفارياب و تبعد فرسخين عن يمينه أيضا، فيصل الى شبورقان، ثم يعبر قنطره جموخيان الى بلخ. و قد نقل جهان نما هذا الوصف للطريق. و من بلخ كان الطريق يصل الى نهر جيحون عند موضع منه بازاء ترمذ فى مرحلتين مارا بسياه جرد .

و من شرق بلخ، يضرب الطريق الى حدود بذخشان مارا بخلم و الطايقان.

و يتفرع منه طريق من خلم يتجه نحو الجنوب الشرقى الى اندرابه و معادن پنجهير شمال كابل. و قد أجمل الاصطخرى و المقدسى أيضا ذكر طرق من بلخ محتازه الجبال الى باميان، ثم منها نحو الجنوب الى قصدار ماره بغزنه. و يتفرع من غزنه طريق نحو الشرق الى حدود الهند. الا انه يشك فى مراحل هذه الطرق، لان الامكنه المسماه بها غير معروفه .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۷۶

الفصل الحادى و الثلاثون ماوراءالنهر (نهر جيحون)

بلاد ماوراءالنهر اجمالا- اسما جيحون(Oxus) و سيحون(Jaxartes) - روافد نهر جيحون العليا- بذخشان و وخان- الختل و الوخش- القباذيان و الصغانيان و مدنهما- قنطره الحجاره- ترمذ- الأبواب الحديد- كالف و اخسيسك و فربر- بحر آرال أى بحيره خوارزم-

انجماد ماء جيحون شتاء.

كـان نهر جيحون القـديم يعـدّ الحـدّ الفاصـل بين الاقوام الناطقه بالفارسـيه و التركيه، أى ايران و توران. فما كان فى شـماله، أى ورائه، من أقاليم، قد سماها العرب ماوراءالنهر (و هو نهر جيحون) و كذلك سموها الهيطل. و قد كان الهياطله فى المئه الخامسه للميلاد أعدى أعداء الدوله الساسانيه. و هم الافثلاطيون(Ephthalites) لدى المؤلفين البزنطيين، و يعرفون بالهون البيض.

على ان مصـنفى القرون الوسـطى من العرب، كانوا لا يتقيدون فى استعمال اسم الهيطل فقد أطلقوه اعتباطا على جميع الشعوب و البلاد التورانيه فى ماوراء جيحون و على ذلك جرى المقدسى فى استعماله اياه.

و قـد يكون من الملائم تقسـيم هذه البلاد بين خمسه أقاليم. أجلها شأنا كان الصـغد، و هو صـغديانا(Sogdiana) القديمه مع قصبتيه بخارا و سمرقند.

و فى غرب الصغد: خوارزم، و هو الاقليم المعروف اليوم ب «خيوه».

و يشتمل على دلتا نهر جيحون. و فى الجنوب الشرقى: الصغانيان و معه الختّل و غيرهما

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۷۷

من الكـور الكـبيره الـتى فى أعـالى نهر جيحـون. و اليه أيضـا تعـود بـذخشان، و ان وقعت فى ضـفته اليسـرى أى الجنـوبيه، فـان المنعطف الكبير للنهر فيما وراء طخارسـتان يكاد يطوقها. ثم اقليما نهر سيحون، و هما فرغانه فى أعلى النهر و اقليم الشاش (و هو اليوم تاشكند أو طشقند) مع النواحى التى فى الشمال الغربى الممتده حتى مصب سيحون فى مناقع بحر آرال.

و أطلق العرب فى القرون الوسطى على نهر أوكسس Oxus و نهر جكزرتس Jaxartes اسمى: جيحون و سيحون على ولاء. و هما كدجله و الفرات يعدان من أنهار الجنه حسب ما يروى. و يعتور الغموض أصل هذين الاسمين، انما يبدو ان العرب قد

اقتبسوهما من اليهود. فجيحون و سيحون ليسا الا صورتين مصحفتين لاسمى النهرين المذكورين فى سفر التكوين (٢: ١١ و ١٣): جيحون (گيحون(Gihon و فيشون (پيسون(Pison .

و فى أواخر العصور الوسطى، فى نحو من زمن الغاره المغوليه، كاد يبطل استعمال اسمى جيحون و سيحون. فعرف نهر اكسس فى الغالب ب «أمويه» أو «أمودريا» أما جكزرتس فعرف ب «سير دريا»، على ما سنبينه فى فصل قادم. و أصل لفظه أمويه أو أمو غير واضح كل الوضوح فحافظ أبرو فسره بانه ليس الا اسم مدينه و كوره على ضفه جيحون من جانب خراسان كتبت فى الاصل بصوره آمل (و هى چهار جوى. أنظر ص ۴۴۵- ۴۴۶ أعلاه). و لعل أمر ذلك بالعكس، فيكون التفسير الصحيح ان مدينه آمل ربما سميت أمويه أو أمو نسبه الى اسم محلى (فارسى) للنهر العظيم، شاع استعماله و حل محل اسم

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۷۸

جيحون (العربى) الأبعد زمنا. على انه يلاحظ ان العرب قد سموا الانهار بأسماء ما عليها من مدن كبيره. و من ثمه فان اكسس أى أمودريا هو نهر أمو، و كان يعرف فى الغالب أيضا بنهر بلخ، و ان قامت هذه المدينه على بضعه أميال من ضفته الجنوبيه. أما اسم اكسس، و به عرف اليونان هذا النهر العظيم فقد حافظ عليه وخش- آب، أى نهر الوخش و هو من روافده العليا. الا ان العرب، لم يطلقوا أبدا على ما يظهر اسم الوخش على عمود النهر نفسه.

و منابع نهر جيحون، على ما ذكره ابن رسته و غيره من البلدانيين الاولين، و ما قالوه صحيح، من بحيره فى التبت الصغرى و فى الفامر (پامير(Pamir و ذكر الاصطخرى،

و قد نقل عنه من جاء بعده من المصنفين، أسماء أربعه أنهار من روافد نهر جيحون العليا الكثيره. و ليس من اليسير التحقق منها و لكنه قد تسنّى تعيين الاسماء الآتيه منها: فعمود نهر جيحون الاعلى كان نهر جرياب، و هو اليوم نهر پنج، و كان يصل الى بذخشان من الشرق. و يخرج من بلاد يقال لها وخّان. و كان يقال لنهر جرياب أيضا نهر وخّاب و كان عمود جيحون هذا ينحدر من الهضاب الشرقيه و يدور دوره كبيره حول بذخشان و يضرب نحو الشمال، ثم يتجه غربا فجنوبا قبل أن يبلغ أطراف خلم. و ينصب فى يمين مجراه هذا الذى يؤلف ثلاثه أرباع الدائره، كثير من الروافد الكبيره أولها نهر أنديجاراغ، و قرب ملتقاه بجيحون مدينه باسمه. و الظاهر انه هو نفسه نهر برتنک اليوم. ثم يلتقى معه نهر فارغر (و كتب أيضا بصوره فرغار، فرغان، فرغى) و هو ينحدر من بلاد الختل و يطابق نهر ونج اليوم. و فى أسفله يستقبل نهر أخشوا (أخش) و هو يقابل عمود نهر جيحون، و عليه مدينه هلبک قصبه بلاد الختل.

و من منابعه: نهر بلبان أو بربان. و هذه الانهار المتحده تعرف اليوم باسمها التركى آق صو، أى النهر الابيض. فهذه روافد نهر جيحون العليا الاربعه على ما جاءت فى الاصطخرى. و قد قال ان هذه المياه تجتمع كلها فيه فوق معبر النهر فى آرهن.

و فوق هذا المعبر أيضا، و لكن فى يسار النهر، يصب فى جيحون نهر

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۷۹

بذخشان، المعروف اليوم ب «گكچه» و يقال له نهر الضرغام. و تحت معبر آرهن، يستقبل نهر جيحون رافده الايمن الكبير وخشاب و

هو نهر الوخش، و منه اشتق اليونان، على ما قلنا، تسميتهم له ب «اكسس»(Oxus) ، و هذا النهر يفصل بلاد الختل و بلاد الوخش اللتين فى شرقه عن ناحيتى القباذيان و الصغانيان اللتين فى غربه. و نهر وخشاب، هو النهر المعروف اليوم بسرخاب أى النهر الاحمر. و فى الموضع الذى يتجه فيه نهر جيحون الى الغرب، بعد انعطافه حول بدخشان من ثلاثه جوانب، يستقبل فى يساره، أى فى ضفته الجنوبيه، نهرى الطايقان و قندز الآتيين من طخارستان. و هذان النهران هما اللذان سماهما ابن رسته بنهر ختلاب و نهر وتراب على الولاء، على ما قد بيّنا فى الفصل السابق (ص ۴۷۰) و يلتقى نهرا القباذيان و الصغانيان- و الاخير، و هو يمرّ بترمذ، قد سماه ابن رسته بنهر زامل- بجيحون فى ضفته الشماليه أى اليمنى.

و مخرجهما فى جبال البتّم. و تفصل هذه الجبال فى الشمال مياه جيحون عن مياه زرفشان التى فى الصغد. فهذه هى آخر روافد النهر العظيم، لان نهر جيحون لا يستقبل غيرها من الانهار اذا ما جاوز غرب بلخ. فيجرى فى المفازه باتجاه غربى و شمالى غربى حتى دلتاه فى جنوب بحر آرال .

و بلاد بذخشان فى شرق طخارستان، يحدق بها من ثلاثه جوانب المنعطف العظيم فى نهر جيحون الاعلى، على ما مرّ بنا. و قد وصف الاصطخرى هذه البلاد بقوله: «لها رستاق كبير عامر جدا خصب و بها كروم و أنهار» و قصبتها باسمها، الا ان نهر بدخشان (أى گكچه) كان معروفا عند العرب بنهر الضرغام على ما قد بيّنا. أما موضع مدينه بذخشان، فلم تفصح عنه كتب المسالك التى انتهت الينا. الا انه نظرا الى مناعه أكثر هذه البلاد، فمن

المحتمل على ما يبدو، انها كانت فى الوادى حيث تقوم اليوم مدينه فيض أباد (فيزاباد)، قصبه البلاد الحاليه.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۸۰

و كانت بـذخشان تشـتهر منـذ القديم بأحجارها الكريمه، لا سـيما «معدن البلخش المقاوم للياقوت و بها معدن اللازورد» . و قال المقدسـى فى المئه الرابعه (العاشـره) انه كان فيها عنـد معادن الجوهر حصن لزبيـده زوجه هرون الرشـيد و نسب اليها. و فيها غير الياقوت و البلخش و اللازورد: البلور و حجر البازهر.

و بها أيضا «الاسبست» و قد سماه العرب حجر الفتيله و هو لا تحرقه النار.

قال المقدسـى «و ينسج منه الخوان، فاذا اتسـخت و أرادوا غسلها طرحوها فى التنور فتعود نظيفه». و هكذا كانوا يصنعون بحجاره الفتيله اذا اتسـخت فـانهم يطرحونهـا فى النـار المتأجـجه سـاعه فتعود الى مـا كانت عليه، و زاد المقدسـى على ذلك انه كان بها «حجر يجعل فى البيت المظلم فيضئ أدنى شى ء». و لعل هذا الحجر ضرب من الحجر الفسفورى المضئ (نوع من حجر الفلور).

و قـد أعـاد القزوينى نقـل أكـثر هـذا القـول، و ذكر ان فى بـذخشان، غير هـذه الاحجـار الكريمـه، حجر البجـاذى «و هـو حجر كاليـاقوت». و قـال ان حجر الفتيله كان يحسـبه العامه فى أيامه «ريش الطائر لا تحرقه النار» . و كان معـدن البلخش يكثر بالقرب من مدينه يمكان فى جوار معدن الفضه. و ذكر أبو الفداء مدينه جرم و هو الاسم الذى أطلقه على اليزدى على نهر بذخشان.

و لما غزا تيمور بذخشان فى النصف الثانى من المئه الثامنه (الرابعه عشـره) كانت قصبتها كشم، و فيها مقام ملك بذخشان. و من أكبر مدنها كلاوقان، الا انه لم ينته الينا وصف لهما. و

لا تعرف مواضعهما.

و فی شرق بذخشان فی أعالی جیحون، مدینه وخان. قال ابن حوقل انها فی الطریق الی التبت (الصغری). و یرتفع منها المسک. و کانت من دور الکفر تتاخم بلادا یقال لها السقینه و کرّان (أو کرّام). و یلی هذه البلاد من جهه کشمیر ناحیه بلحور «بها موضع فی کل سنه ثلاثه أشهر یدوم فیه الثلج و المطر بحیث لا یری فیها قرص الشمس». و کانت معادن الفضه فی وخان مشهوره فی المئه الرابعه (العاشره)، و فی أودیه أنهارها معدن الذهب. و کانت قوافل

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۴۸۱

الرقیق من أواسط آسیه تجتاز هذه البلاد الی خراسان و منها الی أسواق المدن الاسلامیه فی الغرب .

و کان أکبر روافد جیحون، نهر وخشاب، علی ما مر بیانه. یصب فی یمینه آتیا من الشمال. و کانت البقاع الجبلیه العظیمه الواقعه فی الزاویه التی یؤلفها نهر وخشاب مع جیحون، تعرف بالختل. و کان هذا الاسم یطلق دون تقید علی جمیع بلاد الکفر مما یلی شرق خراسان و شمالها . و کانت الختل تشتمل علی بلاد الوخش فی قسمها الشمالی حیث مخرج نهر وخشاب و هی علی ما ذکر الاصطخری فی غایه الخصب، و بها الخیول و دواب الحمل، و بها جمله مدن کبیره علی ضفاف أنهارها الکثیره. و یکثر فیها القمح و الفواکه.

و کانت قصبه الختل فی المئه الرابعه (العاشره)، مدینه هلبک. و بها یقیم السلطان (و لعلها کانت بالقرب من موضع خلاب الحالیه). الا ان مدینه منک و هلاورد، کانتا أکبر من هلبک. و من مدنها الکبیره أیضا اندیجاراغ (أو انداجاراغ) و فرغان (أو فارغر) و هما علی نهرین باسمیهما. و فیها

كـذلك مـدينه تمليـات و لاوكنـد، و هـذه الاـخيره كـانت على نهر وخشـاب أسـفل من قنطره الحجاره (بالقرب من كرگان تپه الحديثه). وصف المقدسى هلبك فقال:

«هى قصبه الختل، الجامع وسط البلد، شربهم من نهر» يسمى نهر أخشوا.

و كانت مدينه انديجاراغ قريبه من ضفه جيحون حيث يصب رافد باسمها فيه.

و ربمـا كـانت فى موضع قلعه ومر الحاليه. أما منك فهى أكبر مـدينه فى هـذه البلاد، و هى فى شـمال هلبك و شـرق تمليات. و كانت هلاورد على نهر وخشاب. قال المقدسى: «هى أجل من هلبك، كبيره». و كانت تمليات بين منك و قنطره

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۸۲

الحجاره على وخشاب و لعلها فى موضع بلجوان الحاليه. و قد ذكر على اليزدى بلجوان فى سياق حديثه عن حروب تيمور .

و قنطره الحجـاره المشـهوره الـتى على نهر وخشـاب، مـا زالت قـائمه. ذكرهـا ابن رسـته و الاصـطخرى و كثيرون من المصـنفين المحـدثين بانها تقوم على وخشاب حيث يعبره الطريق من تمليات الى مـدينه و اشـجرد فى قباذيان. و الى الشـمال بلاد الكميـذ، بحسب تسـميه ابن رسـته لها، ويليها أيضا بلاد الراشت عند منابع وخشاب. و كانت قنطره الحجاره هذه على ما ذكر الاصطخرى، حيث يضـيق مجرى النهر فى جبـل هناك. و قال «لا يعلم ماء فى كثرته يضـيق مثل ضـيقه فى هـذا الموضع». و مثل ذلك ما قاله القزوينى و غيره من المصـنفين. و أشار على اليزدى الى القنطره أيضا، و سـماها باسـمها الفارسـى پول سـنگين، و باسمها التركى تاش كوپرک. و قد وصف الرحالون المحدثون هذا الموضع غير مره .

و الى غرب نهر الوخش، ناحيه يحدها من جنوبها نهر جيحون، سماها العرب الصغانيان، و كتب

اسـمها بالفارسـيه چغانيان. و كان القسم الشـرقى من هذه الناحيه يعرف بالقباذيان نسبه الى مدينه بهذا الاسم كانت على أول نهر يلتقى بجيحون غرب وخشـاب. وصف ابن حوقـل قباذيان، أو قواذيان، بقوله «هى أصـغر من الترمـذ بكثير، و تسـمى فز. و يرتفع منها الفوّه و يحمل منها

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۸۳

الى بلـد الهنـد». و نهر القباذيان الذى تقوم عليه المدينه فى غايه الطول. و كان فى هذه الناحيه، على ما ذكر المقدسـى، كثير من المدن الجبليه، منها أوزج، و لعلها أيوج الحاليه. و هى على ضـفه جيحون الشماليه فوق الترمذ و تحت رباط ميله الذى فى الضفه اليسرى. و ذكر ياقوت ان هذه الناحيه مشهوره بفواكهها.

و فى أعالى نهر القباذيان و غرب قنطره الحجاره، و اشـجرد، و هى على ما ذكر الاصـطخرى «نحو الترمذ فى الكبر». و على شى ء يسـير من جنوبهـا، قلعه شومـان أو الشومـان العظيمه. و كـان يكثر فى هـذه الناحيه حول شومان: الزعفران و منها يحمل الى سائر الآفاق. و أشار المقدسـى الى شومان فقال «شومان من الامهات، عامره طيبه». و زاد ياقوت على ذلك قوله فى أهلها «قوه و امتناع عن السـلطان». و كـانت فى أيـامه من الثغور الاسـلاميه أمـام الترك. و كثيرا ما أشار على اليزدى اليها فى وصـفه لحروب تيمور، باسم حصار شادمان و غالبا ما اختصره بلفظه حصار أو حصارك فقط. و تعرف اليوم بحصار أيضا .

و مـدينه الصـغانيان، هى مـدينه سرآسـيا الحـديثه على مـا يحتمـل، فى أعـالى نهر الصـغانيان، و يقـال له أيضـا نهر زامـل. كانت الصغانيان فى المئه الرابعه (العاشره)، على ما ذكر الاصطخرى، «مدينه أكبر من ترمذ الا ان الترمذ

أكثر أهلا و مالا.

و للصغانيان قلعه» و كانت تقوم على جانبى النهر. أما المقدسى فقال: الصغانيان تكون مثل الرمله فى فلسطين و جامعها وسط السوق، «و هى من معادن أجناس الطيور و موضع الصيد». و من أعمالها ۶۰۰۰ قريه ، و بها خبز رخيص.

و كانت مدينه باسند الصغيره «رحبه كثيره البساتين»، تبعد مرحلتين عن مدينه الصغانيان تقوم فى الجبال المشرفه على النهر. و على نهر زامل أسفل منها فى نحو من نصف الطريق بين الصغانيان و ترمذ، كانت دارزنجى. و فيها، على ما ذكر ابن حوقل، رباط جليل «و عامه أهلها صوافون يعملون الاكسيه، و الجامع وسط الاسواق». و فى جنوبها أيضا، بالقرب من نهر زامل، مدينه صرمنجى أو

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۸۴

صرمنجان. و كان بها فى المئه الرابعه (العاشره) رباط جليل أيضا «لأبى الحسن بن حسن ماه (و هو أميرها)، يصدق فيه بدينار (۱۰ شلنات) خبزا فى كل يوم».

على ان أجل مدن ناحيه الصغانيان، مدينه ترمذ (أو الترمذ) فى شمال مضيق نهر جيحون و هو آت من بلخ بالقرب من ملتقى نهر زامل به. و كان لترمذ فى المئه الرابعه (العاشره) قلعه فيها دار الاماره، و الربض حول المدينه التى كان عليها سور داخل، و على الربض سور ثان، و مسجدها الجامع من اللبن فى أسواق المدينه. و كانت أسواقها بالآجر و معظم سككها مفروش بالآجر. كانت ترمذ فرضه التجارات المحموله من الشمال الى خراسان. و للمدينه ثلاثه أبواب، كانت على قول المقدسى حصينه منيعه. و فى سنه ۶۱۷ (۱۲۲۰) غزتها جحافل المغول و هى فى طريقها جنوبا الى خراسان. و قامت بعد هذه الغزوه مدينه جديده فى نحو

مـن القـديمه كـبرا على مـا ذكر ابـن بطـوطه، و قـد زارهـا فى المئه التـاليه لهـا فقـال بنيت هـذه الحـديثه على ميلين من القـديمه المهجوره. و قد أحاطت بها البساتين الكثيره و بها العنب و السفرجل كثير متناهى الطيب.

و فى يمين نهر جيحون، على شـى ء يسـير اسـفل الترمـذ، كـانت نويـده. و فيها يعبر النهر من أراد سـمرقند من بلـخ. و فى نويـده مسـجد جامع فى وسط البلـد، و كانت آخر ما على نهر جيحون من مـدن الصـغانيان. و على مرحله شـمال غربى ترمذ، فى طريق كش و نخشب فى الصـغد، مدينه هاشم جرد، و قد كان لهذه المدينه بعض الشأن فى المئه الرابعه (العاشره). و على مرحلتين من شمالها كان الطريق يجتاز باب الحديد المشهور.

و هذا المضـيق الذى فى الجبال، قد وصفه الرحاله الصينى هوين تسانك(Hwen Thsang) و كان قد زار الهند فى سنه ۶۲۹ للميلاد بصفته حاجا بوذيا . و تكلم البلدانيون العرب على مدينه فى هذا الموضع، قد سماها اليعقوبى

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۸۵

بمدينه باب الحديد. و ذكر أيضا انه يقال لها بالفارسيه دراهنين. و نوّه كل من الاصـطخرى و ابن حوقل و المقدسـى، باسم باب الحديـد فى مسالكهم، و لكنهم لم يـذكروا شـيئا عنها. و اشـتهرت باب الحديد باسـمها الفارسـى دربند آهنين منذ أيام تيمور. و ذكرهـا على اليزدى أيضـا بتسـميتها الـتركيه قهلغـه على انـه لـم يأتنـا بوصـف لهـذا الموضـع. و قـد قطـع هـذا المضـيق كلافيجو(Clavijo) السـفير الاسـبانى الى بلاط تيمور فى شهر آب سنه ۱۴۰۵ للميلاد، قال: ان هـذا المضـيق يبدو كأنه قدّته يد الانسان. و تسمق الجبال على جانبيه الى علو شاهق و الدرب فيه ممهد

عميق جدا. و فی وسط الدرب قریه یرتفع الجبل وراءها الی علو عظیم. و یقال لهذا الدرب أبواب الحدید. و لا تری فی کل هذه الجبال دربا آخر غیره، فهو یحمی بلاد سمرقند من ناحیه الهند. و تدر أبواب الحدید هذه دخلا لتیمور لان کل التجار القادمین من الهند یمرّون بهذا الدرب .

و فی أسفل ناحیه الصغانیان، یشق جیحون طریقه فی المفازه فلا یستقبل نهرا مهما فی کلا جانبیه. ثم یصل دلتاه فی جنوب بحر آرال حیث اقلیم خوارزم الذی سنأتی علی وصفه فی الفصل القادم. و علی امتداد المفازه تقوم عده مدن علی یمین النهر و یساره- عامتها ذات جانبین- فی المواضع التی تعبر النهر العظیم الطرق الآتیه من خراسان الی بلاد الترک. و قد مرّ بنا فی الفصل السابق وصف أکثر ما فی جانب خراسان من مدن. فمدینه کالف أو کیلف فی ضفته الشمالیه (و هی ما زالت قائمه) قد کانت فی العصور الوسطی تقابل ربضا لها فی جانب خراسان یقوم حول رباط یقال له رباط ذی الکفل. و کانت کالف فی ذلک الزمن علی جانبی جیحون «علی عمل بغداد و واسط» علی قول المقدسی. و کان فی جانبها الشمالی رباط نسب الی الاسکندر الکبیر فسمی برباط ذی القرنین.

و قال یاقوت کان لکالف قلعه حسنه علی ثمانیه عشر فرسخا من بلخ فی الطریق الذاهب منها الی نخشب فی الصغد. و تکلم المستوفی علی جبل عظیم

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۴۸۶

بالقرب من کالف دوره ثمانیه فراسخ کله من تراب أسود و فی أعلاه ماء و مرعی حسن. و زاد علی ذلک ان کالف فی المئه الثامنه (الرابعه عشره) کانت مدینه

كبيره فى غايه المناعه.

و كان أسفل هذه المدينه، بازاء زمّ، و قد مرّ وصفها (أنظر ص ۴۴۶) مدينه أخسيسكث كان يخرج منها طريق الى نخشب. وصفها ابن حوقل بقوله مدينه صغيره أهلها يعبرون الى زمّ للصلاه فى جامعها فلم يكن فى مدينتهم جامع . و كانت المفازه تحف بأرضها من كل جانب، و لكنها كانت خصبه «و الغالب على أطرافها السوائم من الابل و الغنم». و فى أسفل هذه المدينه، بالقرب من ضفه جيحون اليمنى، مدينه فربر بازاء آمل أى آمويه. و هى فى طريق بخارا، حولها رستاق خصب، و قرى آهله كثيره. قال المقدسى ان فربر تبعد نحو فرسخ من ضفه جيحون الشماليه «لها قهندز عامر و بها رباطات حسنه و الجامع على باب المدينه من نحو بخارا و المصلى خارج الباب. و ثمّ رباط (لنصر بن أحمد) فيه ضيافه لأبناء السبيل». و كانت فربر موصوفه بأعنابها. و يقال لهذه المدينه أيضا قريه على أو رباط طاهر بن على .

و بعد أن يمر جيحون بن يدى فربر و أمويه، يبقى جاريا فى وسط المفازه مسافه مئه و اربعين ميلا حتى الطاهريه، و عندها تبدأ أراضى الدلتا المزروعه. و من هذه المدينه يجرى النهر العظيم فى طريقه الى بحر آرال و فى نحو من ثلاثمئه ميل من مجراه كانت تمد منه كثير من أنهار الرى فتسقى الاقليم الخصب فى العصور الوسطى بخوارزم. و منذ الفتح العربى الأول غيّر نهر جيحون مجراه فى أراضى الدلتا هذه مرارا، و كان انبثاق سدوده فى أيام الغزو المغولى فى المئه السابعه (الثالثه عشره) سببا فى تحول مجراه الاسفل، على ما سنصفه فيما بعد.

على انه ما زال فى وسعنا، بالاستناد

الی وصف البلدانیین العرب الاولین، ان نرسم خارطه تقریبیه لخوارزم فی المئه الرابعه (العاشره). و واضح ان نهر جیحون فی تلک الایام کان یجری فی مجری واحد صالح للسفن حتی مناقع

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۴۸۷

الساحل الجنوبی لآرال و هو البحر الذی سماه العرب ببحیره خوارزم.

و بحر آرال قد کان ضحلا یغطیه القصب، و لم یکن یصلح لسیر السفن علی ما یظهر. و کان یستقبل من شماله الشرقی میاه نهر سیحون. و لکن السفن الآتیه من جیحون لم تکن تدخل شقیقه النهر الثانی. و کانت البلاد المتاخمه لساحل آرال الشرقی، بین فمی جیحون و سیحون، فی المئه الرابعه (العاشره) و ما بعدها تعرف بمفازه الترکمان الغز. و هذا الاسم یطلق فی الغالب علی مفازه مرو فی شرقی بلاد ایران. و قد کان البلدانیون العرب الاولون یعدّون انجماد میاه نهری جیحون و سیحون فی الشتاء من العجائب، فقد کانت القوافل الموقره تعبرهما ماشیه فوق السطح المنجمد. و هما یبقیان علی هذه الحال من شهرین الی خمسه أشهر فی الشتاء. و قد یبلغ ثخن الجلید خمسه أشبار أو أکثر. و لقد ذکر القزوینی ان أهل خوارزم «کانوا یحفرون فیه آبارا بالمعاول حتی یخرقوه الی الماء ثم یسقون منها کما یسقون من البئر لشربهم و یحملونه فی الجرار». و اشار الاصطخری الی جبل یقال له جبل جغراغز علی ساحل بحر آرال، کان الماء أسفل منه یبقی جامدا طوال أشهر السنه.

و کان بحر آرال، و لا سیما قسمه الجنوبی قرب سیف «الخلیجان» حیث یصب جیحون، مشهورا بمصائد السمک، الا انه لم تقم عند حافه البحر قریه بل و لا بیت. و قد بیّنا انه کانت

تمـد من نهر جيحون، فى مجراه الاسـفل الذى يخترق الدلتا، أنهار للرى كبيره و صـغيره من يمينه و يساره، كان كثير منها صالحا لسـير السـفن و كانت مياهها أخيرا تسـقى أراضى الدلتا. و كان أكثر المدن الكبرى فى خوارزم الكبرى على هذه الانهار، لا على جيحون للخطر الناجم من دوام تغير مجراه. و قد كان نهر جيحون صالحا لسير السفن فى جميع مجراه الاسفل. قال ابن بطوطه: «و يسافر فى أيام الصـيف بالمراكب الى ترمذ، و يجلبون منه القمح و الشـعير، و هى مسـيره عشر للمنحدر» الى أسواق خوارزم لتباع فيها.

و كان انجماد جيحون فى الشتاء يجعل الملاحه فيه خطره أو مستحيله. فقد حكى ياقوت انه فى شوال من سنه ۶۱۶ (كانون الاول ۱۲۱۹) حين ذهابه من مرو

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۸۸

الى الجرجـانيه و كـان بعض طريقه نهر جيحون بالسـفن، أشـرف هو و من معه على الهلاـك «من ألـم الـبرد و جمود نهر جيحون على السـفينه» و لم ينزلوا الى البر الاـ بعـد عناء و كانت الثلوج أيضا تغطى البر و قـد أضلّ ياقوت دابته التى كان يركبها و لم ينج الا بنفسه .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۸۹

الفصل الثانى و الثلاثون خوارزم

اقليم خوارزم- قصـبتاه: كـاث و الجرجـانيه- أركنـج القـديمه و الجديـده- خيوه و هزار اسب- أنهار خوارزم و المـدن التى على يمين جيحون و يساره- المجرى الاسفل لجيحون الى قزوين- تجارات خوارزم و غلاته.

كـان لاـقليم خـوارزم فى صـدر العصـور الوسـطى، قصـبتان: أولاهمـا فى الجـانب الغربى، أى الفارسـى من نهر جيحون، تسـمى الجرجانيه، أو أرگنج.

و الاخرى فى الجانب الشرقى، أى التركى من النهر. و يقال لها كاث. و قد

كانت فى المئه الرابعه (العاشره)، فى منزله تفوق صاحبتها.

و مدينه كاث، ما زالت قائمه. الا ان مدينه العصور الوسطى العظيمه ربما كانت تقوم على بضعه أميال من جنوب شرقى البلده الحديثه. و فى أوائل المئه الرابعه (العاشره) خرّب بعضها طغيان نهر جيحون، فقد كان عرض هذا النهر عندها نحوا من فرسخين. و كانت المدينه تبعد قليلاـ عن يمين النهر، تقوم على نهر يقال له جردور يشق البلد. و كان السوق، و طوله نحو من ميل، على جانبى هذا النهر. و كان لكاث فى تلك الأزمان الاولى، قهندز (أى قلعه) فخرّبها النهر و أتى عليها. و كان الجامع و الحبس على ظهر القهندز و كذلك قصر لسلطانهم الملقب بخوارزم شاه. و قد أتى فيضان النهر على

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۹۰

هذه الاجزاء جميعها، فلم يبق منها رسما و لا طللا حين كتب ابن حوقل. فابتنى الناس مدينه جديده الى الشرق من الاولى على مسافه من جيحون تقيها عواقب طغيانه.

و كان الفرس يسمون المدينه الجديده، على قول المقدسى، شهرستان- أى القصبه-. و كانت فى ما قال «نحو نيسابور» فى خراسان. «لها جامع فى وسط الاسواق على أساطين حجاره سود الى قامه، ثم فوقها سوارى الخشب.

و دار الاماره، وسط البلد. و لهم قهندز قد خرّبه النهر» فلم يجدّدوه. و للبلد أنهار كثيره تشق شوارعها. و على ما ذكر المقدسى، كانت البلده أوسخ من أردبيل (فى أذربيجان) لان أهلها، «عامه تغوّطهم فى الشوارع ... و هم يدوسونها بأرجلهم الى الجماعات (أى الى الجامع)». الا ان أهلها مع ذلك كانوا مياسير و أسواقها حافله بالخيرات و التجارات، و بناؤوها حذّاق، فكانت كاث من أفخم المدن مظهرا.

على انهـا ما عتمت فى ختام المئه الرابعه (العاشـره) أن بـدأ نجمها بالأفول و مكانتها بالخفوت و فقـدت مركزها كأهم قصـبه فى خوارزم، و لعـل مردّ ذلـك ما كان ينتابها بين آن و آخر من طغيان جيحون عليها، فكان يخرب منها أحياء مختلفه كل مره، حتى آل أمرها الى بلده ليس لها شأن كبير.

فاذا انتهينا الى مطلع المئه السابعه (الثالثه عشـره)، وجـدنا ان مدينه كاث لم تعان كثيرا من مصائب الفتح المغولى على ما يبدو. و حين مرّ بها ابن بطوطه فى المئه الثامنه (الرابعه عشـره) فى طريقه من أركنـج الى بخارا، و قـد كتب اسـمها ألكات قال انها «بلـده صغيره حسـنه». فيهـا بركه مـاء كـانت وقت زيـارته لها «قـد جمـدت من البرد، فكان الصبيان يلعبون فوقها و يزلقون عليها». و فى ختام المئه الثامنه (الرابعه عشـره) كاد تيمور أن يقضـى على كاث، و لكنه بعـد ذلك أمر بتجديـد أسوارها، فذكرها على اليزدى غير مره بقوله انها مدينه ذات شأن فى أيامه .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۹۱

أما قصـبه خوارزم الثانيه التى أصـبحت بعـد سـقوط كاث أولى مـدن الاقليم، فكانت گرگانج و قد سـماها العرب الجرجانيه، ثم عرفت بعـد هذا الزمن بارگنج، تروى أخبار الفتوح الاسـلاميه، ان العرب فى سـنه ۹۳ (۷۱۲)، لمـا غزوا خوارزم بقياده قتيبه، كان يقال لقصبه الاقليم التى استولوا عليها: الفيل. ثم صار اسمها المنصوره. و يقال ان هذه المدينه كانت تقوم على الجانب الأبعد من نهر جيحـون فى موضـع يقابـل الجرجـانيه المحــدثه. غير ان فيضـان جيحـان مـا عتـم ان طغى على المنصـوره و خرّبهـا فأخـذت الجرجانيه مكانها .

و الجرجانيه فى المئه الرابعه (العاشره)- و ان كانت

حينـذاک مـدينه الاقليم الثانيه ليس الا، لکن کاث کانت ما زالت قصـبته متجر البلاد و فيها مجتمع القوافل الآتيه من بلاد الغز. و منها تخرج الى بلاد خراسان. و الجرجانيه على غلوه من غرب نهر کبير تجرى فيه السفن، يأخذ من جيحون، و يجرى محاذيا له.

و قد احتالوا فى رد خطر الماء باقامه السدود من الخشب و الحطب. قال المقدسى فى المئه الرابعه (العاشره) ان للبلد أربعه أبواب «و هى کل يوم فى زياده.

و على باب الحجاج قصر بناه المأمون، عليه باب ليس بجميع خراسان أعجب منه.

و قـد بنى ابنه على آخر قدّامه، على بابه سـهله تشاکل سـهله بخارا، فيها تباع الاغنام». و بانحطاط کاث أصـبحت الجرجانيه أولى مدن اقليم خوارزم، و من ثم قصبته الوحيده. و فى الأزمنه الاخيره، کانت تعرف بوجه عام بمدينه خوارزم.

و فى سنه ۶۱۶ (۱۲۱۹) زار ياقوت الجرجانيه، أو کرکانـج على ما سـماها به، قبيل ان يکتسـحها المغول بقياده جنکيزخان، فقال فيهـا «لا أعلم انى رأيت أعظم منها مـدينه و لا أکثر أموالا و أحسن أحوالا» فاسـتحال ذلک کله بتخريب التتر اياها فى سـنه ۶۱۷ (۱۲۲۰). و قـد حـدثت فى سـدود النهر العظيم فتوق عظيمه و تحولت مياه جيحون الى مجرى جديـد، على ما سـنبينه فيما بعد، و غمرت الميـاه المـدينه کلهـا. و لما سارت عنها جحافل المغول قال ياقوت فيها «لم يبق فى ما بلغنى، الا معالمها، و قتلوا جميع من کان بها». على ان قصبه خوارزم ما عتمت ان نهضت

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-کورکيس عواد، النص، ص: ۴۹۲

من کبوتها بعد بضع سنين، فابتنى الناس بلدا قريبا منها، و کان ذلک فى سنه ۶۲۸ (۱۲۳۱) على ما جاء

فی تاریخ ابن الاثیر المعاصر لتلک الایام، قال: «و عمروا مدینه تقارب مدینه خوارزم، عظیمه». و کان قبل الغزو المغولی لهذه الارجاء، علی ما ذکر یاقوت و غیره، مدینه تعرف بکرکانج الصغری. و سماها الفرس کرکانچک علی نحو من ثلاثه فراسخ من القصبه کرکانج الکبری. و من المحتمل، علی ما یظهر، ان خوارزم الجدیده، قد اختیر لها موضع کرکانج الصغیره.

و سرعان ما صارت خوارزم الجدیده قصبه الاقلیم. وصفها المستوفی و ابن بطوطه فی المئه الثامنه (الرابعه عشره). و ذکر القزوینی، و هو ممن کتب فی النصف الاخیر من المئه السابقه، ان أهل کرکانج (الجدیده)، «أهل الصناعات الدقیقه کالحداد و النجار و غیرهما. فانهم یبالغون فی التدقیق فی صناعاتهم، و السکاکون یعملون الآلات من العاج و الآبنوس، لا یعمل فی غیر خوارزم الا بقریه یقال لها طرق من أعمال أصفهان. و نساؤها یعملن بالابره صناعات ملیحه کالخیاطه و التطریز و الاعمال الدقیقه». و قال القزوینی أیضا: «و من عجائبها زراعه البطیخ الذی لا یوجد مثله فی شیء من البلاد حلاوه و طیبا». و قد أید هذا الامر أیضا ابن بطوطه.

و قال المستوفی، و قد سمی هذه المدینه باسمها الشائع أرکنج، و کذلک خوارزم الجدیده، انها علی عشره فراسخ (و لعله و هم فی ذلک، و یرید عشره أمیال) من ارکنج العتیقه. و رأی ابن بطوطه، معاصره، خوارزم (علی ما سمی البلده) مدینه من أعظم المدن و أجملها، لها الاسواق الملیحه و الشوارع الفسیحه «و هی ترتج بسکانها لکثرتهم و تموج بهم موج البحر». و لها سوق یقال له الشور، و هو بناء عظیم بالقرب منه الجامع و المدرسه. و فیها مارستان کان له حین زیاره ابن

بطوطه «طبيب شامی يعرف بالصهيونی، نسبه الی صهيون من بلاد الشام». و ما كادت المئه الثامنه (الرابعه عشره) تأذن بالختام، الا و اجتاح تيمور مـدينه خوارزم هـذه و تركها قاعا صفصـفا بعد حصار دام ثلاثه أشـهر. الا ان تيمورلنک أمر بتجديد بنائها فكمل ذلک فی سنه ۷۹۰ (۱۳۸۸). و كان أبو

الغازی أمير خوارزم، و سنأتی قريبا علی ما قاله فی مجری جيحون الاسـفل، يعقـد مجلسه فی مطلع المئه الحاديه عشـره (السابعه عشـره) فی هذه البلده، و هی التی يسـميها أركنج. قال فيها انها بلد حسن كثير البساتين. الا انه بعد هذا الزمن تربعت مدينه خيوه فی مكانها ثم صارت قصـبه الاقليم الجديـده. أما خرائب اركنـج هـذه، أی المدينه التی ابتنيت بعد الغزو المغولی، فهی المعروفه اليوم باركنج العتيقه (كهنه اركنج) .

أما خيوه- و هی التی أخذت فی عهد الرؤساء الازبک بعد زمن تيمور تحجب بالتدريج مدينه اركنج و صارت قصـبه خوارزم و شمل اسمها مع الايام الاقليم كله- فقد ذكرها غير مره بلدانيو المئه الرابعه (العاشره) بأنها بلده صغيره.

كـانت تهجئه اسـمها القـديمه خيوق، و كان هـذا الاسم هو الشائع حتی زمن ياقوت. قال فيها المقدسـی «خيوه، علی فم المفازه، رحبه، علی شـعبه من النهر (تأخـذ من يسـار جيحون)، بها جامع عامر» فكانت فی المئه الرابعه (العاشـره) موضـعا ذا شأن. و تكلم ياقوت، و قد قال ان اسمها يلفظ أيضا خيوق، علی حصنها و قال ان أهلها فی المئه السابعه (الثالثه عشره) شافعيه «دون جميع بلاد خوارزم فانهم حنفيه».

و فی هذا الزمن اشتهرت خيوه بانها بلد الشيخ نجم الدين الكبری، و كان قد أبلی بلا عظيما فی

الدفاع عن أركنج بازاء المغول حتى قتلوه [سنه ۶۱۸ ه] فصارت تربته موضعا يزوره الناس للتبرك و هى بالقرب من اركنج على ما ذكر ابن بطوطه فى القرن الذى تلا استشهاده. و ذكر على اليزدى مدينه خيوه و وصف مغامره وقعت لتيمور فيها أيام شبابه. و قد أمر بعد زمن بتجديد أسوار خيوق

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۹۴

(على ما كانت تسمى حينذاك). و فى المئه الحاديه عشره (السابعه عشره) ذكر أبو الغازى هذه المدينه مرارا، و قد عاش فيها أحيانا كما عاش أيضا فى كات (أو كاث) عند عدم مقامه فى اركنج. و استمرت خيوه بالتعاظم منذ أيامه حتى اليوم، فأصبحت الآن قصبه الاقليم المعروف باسمها .

أما هزار اسب (و معناها بالفارسيه «الف فرس») فهى فى سمت خيوه، الا انها أقرب منها الى ضفه جيحون اليسرى. و هى موضع ذو شأن قد حافظ على اسمه دون ما تغيير منذ الفتح الاسلامى حتى هذا اليوم. ذكر المقدسى فى المئه الرابعه (العاشره) انها فى نحو من خيوه كبرا، لها أبواب خشب و خندق. و تكلم ياقوت عليها و قد كان فيها سنه ۶۱۶ (۱۲۱۹) قائلا هى قلعه حصينه و مدينه جيده، فيها أسواق كثيره و بزازون و أهل ثروه، و كان الماء محيطا بها كالجزيره «و ليس اليها الا طريق واحد على ممر قد صنع» يقبل اليها من نواحى اركنج قاطعا السهله الممتده من ضفاف جيحون.

و فى نحو من نصف الطريق بين الطاهريه- حيث تبدأ أراضى الدلتا الزراعيه- و هزار اسپ، يخترق نهر جيحون مضيقا جبليا يقال له اليوم ديوه بويون (أى رقبه الجمل) و هو فى جروف جبليه عاليه يضيق النهر

عندها «حتى يعود عرض الماء الى نحو من الثلث». و قد سمى الاصطخرى هذا الموضع أبو قشه أو بوقشه، و زاد على ذلک قوله «هو موضع يخاف على السفن منه من شده جريه و الهور الذى عند مخرجه». اما المستوفى، و قد سمى هذا الموضع تنگ دهان شير (مضيق فم الاسد)، فقال ان جرفى المضيق المتقابلين لا يبتعدان عن بعضهما أكثر من مئه «گز» (أى: ذراع). و على جانبه الايسر رباط. و فى أسفل هذا الموضع يجرى جيحون، حسب قوله، تحت الارض مسافه فرسخين فلا يرى منه شى ء.

و بين الطاهريه و هزار اسپ ثلاث مدن على ضفه جيحون اليسرى، كانت على

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۹۵

بعض الشأن فى العصور الوسطى: فعلى الجاده، أسفل الطاهريه بمرحله، جكربند، تحفّ بانهارها الاشجار و البساتين. و فيها، على ما ذكر المقدسى، جامع حسن فى وسط سوقها. و على مرحله أخرى شمالها قرب مضيق نهر جيحون، مدينه درغان. قال فيها المقدسى انها تقارب الجرجانيه كبرا «لها جامع حسن ليس بالناحيه مثله، فيه جواهر رفيعه و تزاويق حسنه» و المدينه تمتد فرسخين على الشط، حولها الكروم نحو من خمسمئه. و كانت درغان أول مدينه عظيمه فى خوارزم تقوم على الطريق الآتى من مرو. و ذكر ياقوت، و قد كان فيها سنه ۶۱۶ (۱۲۱۹)، «هى مدينه على جرف عال و ذلک الجرف على سن جبل ... و بينها و بين جيحون مزارع و بساتين لأهلها، و بينها و بين نهر جيحون نحو ميلين. بناحيه البر منها رمال». و بين درغان و هزار اسپ تقوم سدور على ضفه النهر و هى حصينه و بها جامع وسط البلد، و حولها

أرباض .

و أول الانهار العظيمه فى خوارزم كان يأخذ من ضفه جيحون اليمنى أى الشرقيه فى موضع بازاء درغان و كان يقال له گاوخواره و تفسيره «أكل البقر» و كان يحمل السفن و عمقه نحو من قامتين و عرضه خمس، و يجرى شمالا فيسقى كثيرا من المزارع حتى كاث. و مما يلى مخرجه بخمسه فراسخ، كان يحمل منه نهر صغير يسمى نهر كريه «يعمر به بعض الرساتيق». و ذكر المقدسى أربع مدن قليله الشأن تقوم على الجانب الشرقى هذا من جيحون بين الواحده و الاخرى نحو من مرحله يوم فى الرساتيق جنوب كاث. و كانت أبعدها. عن كاث: مدينه نوكفاغ و كانت فى وسط الانهار، و هى مدينه حسنه قرب شفير المفازه. و أقرب منها الى كاث كانت ارذخيوه و لعلها تطابق الموضع الذى سماه ياقوت حصن خيوه و قال انه يبعد خمسه عشر فرسخا عن خيوه الجانب الغربى.

و كانت أرذخيوه «على فم البريه عليها حصن بباب واحد تحت جبل». و كانت و ايخان حصنا أيضا حولها خندق «و على الابواب عرّادات». و هى على مرحله أيضا نحو الشمال. ثم تليها غردمان و كانت على مرحله من كاث «عليها حصن

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۹۶

و لها بابان و خندق ملآن من الماء سعته رميه سهم».

و كان يأخذ أيضا من غرب جيحون، أى يساره، جمله أنهار، أولها نهر يمر بهزار اسپ و يسقى رساتيقها. و هو نهر تجرى فيه السفن و ان كان نحوا من نصف سعه كاوخواره. و كان يعود مرتدا فى انعطاف دائرى لو تابع اتجاهه لوصل مدينه آمل. و على فرسخين من شمال هزار اسپ، يأخذ من جيحون نهر

كردران خواش و يمر بمدينه باسمه، و كانت فى نصف الطريق بين هزار اسپ و خيوه و هو أكبر من نهر هزار اسپ. و مدينه كردرانخاس (على ما سماها المقدسى) حولها خندق و لها أبواب خشب. و من شمال ذلك كان يحمل منه أيضا نهر خيوه، و هو نهر أكبر من سابقه تجرى فيه السفن الآتيه من جيحون الى هذه المدينه. و يحمل منه أيضا نهر رابع من موضع يبعد عن شمال نهر خيوه، و هو نهر مدرا، و هو ضعف نهر كاوخواره الآخذ من ضفته الشرقيه، و كان يسقى مدينه مدرا و ما جاورها.

و كاث، قصبه الاقليم الشرقيه، على ما بيّنا، بعيده عن جيحون، على نهر يقال له جردور كان يأخذ من جيحون على شىء يسير من جنوب المدينه.

و على فرسخين شمال كاث كان يأخذ من ضفه جيحون اليسرى، أى الضفه الغربيه، نهر و ذاك الكبير (و جاء اسمه أيضا و داك أو ودان) و كان يحمل السفن الى نحو الجرجانيه قصبه خوارزم الغربيه. و مخرج نهر وداك على نحو من ميل شمال مخرج نهر مدرا. و كان يأخذ من يسار جيحون فى شماله أيضا، نهر آخر يسمى نهر بوّه (أو بوه و بويه) و يجتمع ماؤه و ماء وداك فى الشمال الغربى على غلوه من قريه تعرف بأندرستان على نحو من مرحله يوم من جنوب الجرجانيه. و كان وداك أكبر من بوّه و تجرى فيهما السفن الى الجرجانيه «ثم يكون هناك سكر يمنع السفن» من مواصله سيرها شمالا. و كانت على ضفافه سدود عظيمه قد انشئت لتقى المدينه من طغيان مياهه، على ما بيّنا .

و كان الطريق الذاهب شمالا من خيوه الى الجرجانيه

فى العصور الوسطى، يتخلل

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۹۷

كثيرا من المدن الكبيره التى لم يبق منها أثر اليوم. فعلى مرحله من خيوه كانت أرثخشميثن أو راخشميثن و هى التى ذكر ياقوت، و قد أقام فيها سنه ۶۱۶ (۱۲۱۹)، انها مدينه كبيره ذات أسواق عامره و نعمه وافره «و هى فى قدر نصيبين (من أعمال الجزيره) الا انها أعمر و آهل منها». و الظاهر ان المغول قد خربوها فى غزوهم لها. و الى شمال هذه المدينه: روزوند كانت على ما ذكر المقدسى «متوسطه فى الرقعه، محصنه بخندق ...، و شربهم من عين لهم ...، و الجامع على طرف السوق». فاذا جاوزنا قريه أندرستان، بلغنا مدينه نوزوار و هى عند ملتقى نهر و داك بنهر بوه على مرحله جنوب الجرجانيه. قال المقدسى «نوزوار صغيره، عليها حصن و خندق ...، لها بابان (حديد) و جسر يرفع كل ليله. و الجامع فى الاسواق ...، و على باب المدينه الغربى حمام ليس بالاقليم مثله» و لعلها هى المدينه التى سماها ياقوت نوزكاث، و معناه على قوله «كاث الجديده» أو «الحائط الجديد». و قد أزال المغول هذه المدينه عن آخرها بعد أن غادرها ياقوت بمده قصيره.

و زمخشر، بين نوزوار و الجرجانيه، و قد كان فى هذه المدينه فى المئه الرابعه (العاشره) جسور عند أبوابها ترفع «و عليها حصن و خندق و محبس و أبواب محدده و الجامع ظريف». و فى المئه السابعه (الثالثه عشره) قال ياقوت فيها انها قريه جامعه اشتهرت لأن الزمخشرى صاحب التفسير المعروف قد ولد فيها سنه ۴۶۷ (۱۰۷۵) و مات سنه ۵۳۸ (۱۱۴۴). و قد زار ابن بطوطه قبره فيها فى المئه الثامنه

(الرابعه عشره) و ذكر ان زمخشر على مسافه أربعه أميال من أرگنج الجديده. و الى شمال أرگنج كانت تربه نجم الدين الكبرى، و قد مرّ ذكرها. و يلى هذه البلده أيضا، و على خمسه فراسخ من الجرجانيه، عند شفير المفازه، تحت الجروف العاليه فى الجانب الغربى لنهر جيحون، مدينه جيث أو گيث و قد ذكرها البلدانيون الاولون غير مره. و هى كبيره واسعه الرساتيق لا تبعد كثيرا عن ضفه النهر اليسرى بازاء مذمينيه و هى على أربعه فراسخ من يمين النهر. و يبدو ان جيث كانت فى الموضع الذى قامت فيه مدينه محدثه يقال لها وزير (أو شهر وزير). و ربما قد حلت محلها بعد فتره من الاضطراب الذى انتابها فى اثناء الفتوحات المغوليه و حروب تيمور. و كثيرا ما ذكر أبو

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۴۹۸

الغازى مدينه وزير، كما ذكرها جهان نما. و الى ذلك فمن المحتمل ان شهر وزير هذه هى المدينه التى زارها انطونى جنكنسن(Anthony Jenkinson) و وصفها باسم محرف بعض التحريف و هو سليزور(Sellizure) أو شيزور(Shaysure) حين كان يجوب بلاد خوارزم فى المئه العاشره (السادسه عشره) .

و فى ضفه جيحون اليمنى، على نحو من أربعه فراسخ شمال كاث، كان يأخذ أول الانهار الاربعه الماده شمالا، و بعد أن يجرى مسافه قليله، يلتقى به الانهار الثلاثه الصغيره الاخرى، فتؤلف مياهها المجتمعه نهر كردر و يقال أن هذا النهر، و قد كان بكبر نهر وداك وبوه، فى الجانب الغربى، كان من سواعد نهر جيحون فى الاصل يجرى نحو الشمال الشرقى الى بحر آرال. و كان يقال للرستاق الذى فيما بين مجرى نهر جيحون نفسه و نهر كردر رستاق مزداخگان (أو

مزداخقـان) و كانت تسـقيه أنهار صـغيره كثيره تأخـذ من يمين جيحون. و يقال انه كان فى هـذا الرسـتاق اثنا عشـر ألف قريه، و قصـبته كردر. و قـد وصف المقدسـى هذه البلده بقوله انها بلده كبيره حصـينه جدا، حولها قرى كثيره و برارى واسـعه ترعى فيها الماشـيه. و على مرحله يومين منها، عنـد حد خوارزم الشـمالى الشـرقى، قريه كبيره يقال لها قريه براتكين (أو فراتگين) و بالقرب منها مقالع الحجاره التى تحمل الى أنحاء خوارزم للبناء.

و قد كان فى براتكين فى المئه الرابعه (العاشره) أسواق عامره و جامع حسن.

و فى غرب هـذه المـدينه كانت مـذمينيه، و تبعـد أربعه فراسـخ من يمين جيحون بازاء جيث. و من هذه المدينه حتى ساحل بحر آرال، لا يرى بناء و لا قريه و لا أرض مزروعه، الا مناقع يكثر فيها القصب تقع عند فم نهر جيحون العظيم .

و فى المئه الرابعه قبـل الميلاد، فى زمن فتوحـات الاسـكندر الكبير فى آسـيه الغربيه، كـان جيحون، على ما وصف به آنـذاك، يصب فى بحر قزوين، و لم

يكن البلـدانيون اليونـان يعرفون شـيئا عن بحر آرال على مـا يظهر. أمـا متى جرى تبـدل مجراه من بحر قزوين الى بحر آرال فغير معروف. و مع ان نهر جيحون اليوم مثل سـيحون يصب فى بحر آرال، فان عقيقه القـديم الذى كان يتجه الى بحر قزوين ما زالت معالمه موجوده و تعينها خوارطنا الحـديثه. و قد ارتاده جماعه فى أيامنا. كان مجرى جيحون فى صدر العصور الوسـطى، على ما وصفه البلدانيون العرب فى المئه الرابعه (العاشره) هو مجراه الحالى فى جملته.

الا ان عقيقه القديم الماد الى بحر قزوين قد

ذكره المقدسی، فقال: فی القدیم کان العمود ینتهی الی مدینه خلف نسا فی خراسان یقال لها بلخان (أو أبو الخان).

ثم انه بعد المقدسی بقرنین و نصف عاد جیحون ثانیه الی مجراه الاقدم علی ما یظهر.

و هذا ما أفادنا به المصنفون الفرس المعاصرون لذلک الزمن. و من ثمه، فالحقیقه التی لا یشک فیها هی ان نهر جیحون- فیما عدا فضله من مائه تحملها بضعه انهار صغیره الی بحر آرال- کان منذ أوائل المئه السابعه (الثالثه عشره) حتی نحو من ختام المئه العاشره (السادسه عشره)، یصل الی بحر قزوین، جاریا فی عقیقه القدیم الذی کان أیام الاسکندر الکبیر. و ان کان هذا المجری الیوم بل منذ نهایه المئه العاشره (السادسه عشره) قد تعطل ثانیه و صار جافا فی الغالب.

و جاء فی تاریخ ابن الاثیر، علی ما قد بینا، ان جحافل المغول بثقت السدود فی سنه ۶۱۷ (۱۲۲۰) للاستیلاء علی أرگنج بعد ان حاصرتها خمسه أشهر فغمرت میاه جیحون و فروعه هذه المدینه و منذ ذلک الحین أخذت میاهها تجری من شرق هذه المدینه فی غیر مجاریها الاولی. لقد عمت المیاه سطح البلاد کلها و بعد مضی زمن أخذت المیاه الفائضه تنصرف باتجاه الجنوب الغربی مالئه عقیق جیحون القدیم و جاریه فی خطه المنخفض الی بحر قزوین عند منقشلاغ. و کان یاقوت، و هو ممن عاصر تلک الاحداث، قد تکلم علی هذه المدینه قائلا انها قلعه حصینه تقوم علی ساحل بحر طبرستان (أی قزوین) «الذی یصب فیه جیحون» حسب قوله.

و هذا الدلیل المستخلص من اشارات عابره قد عززه و أیده المستوفی فی المئه الثامنه

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۵۰۰

(الرابعه عشره). فانه فی سیاق وصفه

مجرى جيحون، ذكر انه و ان كـان جزء قليـل من مياهه ما زالت تحملها الى بحر آرال أنهار تأخـذ من يمينه، فان عموده بعـد أن يمرّ بأركنج القديمه ينحدر مارا بعقبه عاليه يقال لها حلم يسمع هدير انصباب الماء عندها من مسافه فرسخين، و من هذا الموضع يجرى مسيره سته أيام حتى يصب فى قزوين (بحر الخزر) عند خلخال و فيها يصاد السمک.

و موضع عقبه حلم التى يطلق عليها الترک، على قول المسـتوفى، اسم كرلاوه (أو كرلادى) قد ذكرها المستوفى فى مسالكه، لان بلـده حلم الجديـده تقوم فى نحو من نصف الطريق بين أركنـج القـديمه التى خرّبها المغول قبل قرن من زمنه و أركنـج الحديثه التى ابتنيت فى مكانهـا. و الى ذلک، فان المسـتوفى فى كلامه على بحر قزوين و وصـفه للميناء الـذى فى جزيره أبسـكون (أنظر الصفحه ۴۱۹– ۴۲۰)، قال ان هـذه الجزيره قـد اختفت فى أيامه فى البحر لأن جيحون الـذى كان يصب قبلا فى البحيره الشـرقيه (أى آرال) مما يلى بلاد ياجوج و ماجوج، قد غيّر مجراه منذ الفتح المغولى فصار يصب اليوم فى بحر الخزر (أى قزوين).

و بما ان هذا البحر الاخير لا منفذ له، فان سطح الماء فيه قد ارتفع و غمر الارض اليابسه (أى جزيره أبسكون).

و ما ذكرناه أعلاه قد أيدته الاخبار التى كتبها عن جيحون فى سـنه ۸۲۰ (۱۴۱۷) حافظ ابرو، فقد كان من رجال حكومه شاه رخ ابن تيمور و خلفه و هو و لا شک كان حسن الوقوف على جغرافيه هذه البلاد بما اطلع عليه بنفسه. فقد كتب فى السنه المذكوره فى كلامه على موضعين متباينين، ان جيحون الذى كان قديما يصب فى بحيره خوارزم (أى

آرال) قد اتخذ له مجری جدیدا، فصار الآن ینحدر مارا بکرلاوو، و تسمی أیضا أقرنچه، الی بحر الخزر (أی قزوین).

و زاد علی ذلک ان بحر آرال فی أیامه کاد أن یختفی. ثم ان روی کنزالیز دی کلافیجو(Ruy Gonzalez de Clavijo) السفیر الاسبانی الذی زار هذه البلاد سنه ۸۰۸ (۱۴۰۵) أی قبل ان کتب حافظ أبرو أخباره ببضع سنین، قد عزز ذلک بما بیّنه عن ان جیحون «یصب فی بحر باکو» و هذا لا یعنی الا

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۵۰۱

قزوین. علی ان مما ینبغی الاشاره الیه، ان کلافیجو لم یکن فی ما کتبه فی هذا الشأن الا راویا ما نقل الیه.

اما سبب عوده جیحون الی ان یصب فی بحر آرال ثانیه فغیر معروف. و لکن هذا التحول العظیم لا بدّ ان حدث قبل ختام المئه العاشره (السادسه عشره)، لان أبا الغازی، و هو من أهل أرگنج، قد أشار الی ذلک و کأن الامر قد کان حقیقه راهنه فی سنه ۹۴۸ (۱۵۷۶) أی قبل مولد أبی الغازی نفسه بنحو من ثلاثین سنه. فقد ذکر ان جیحون فی التاریخ المذکور قد اتخذ له مجری جدیدا، و بعد ان ینعطف أسفل من خست مناره سی (أی برج خست)، یتجه رأسا الی بحر آرال و بهذا التحوّل قد جعل الاراضی التی بین أرگنج و بحر قزوین صحراء ماحله. و فی موضع آخر من کتابه، فی سیاق کلامه علی الأزمنه الاولی، ذکر فی جمله حوادث سنه ۹۲۸ الی ۹۳۷ (۱۵۲۲- ۱۵۳۱) ان الطریق من أرگنج الی أبو الخان علی قزوین کان کله حقولا- مزروعه و کروما تحفّ بما کان حینذاک مجری جیحون الاسفل. علی ان الظاهر، ان

أبـا الغـازى، يعيّن حصول التغير فى مجرى النهر فى زمن متأخر كثيرا. ذلك ان أنطونى جنكنسن حين طوافه فى روسـيا الى خيوه فى سنه ۹۶۶ (۱۵۵۸) تكلم على نهر جيحون فقـال انه يصب «لا ـ فى بحر قزوين، على ما كان حاله فى الأزمنه السالفه». فانه حين رآه كان هذا النهر العظيم قد اتخذ مجراه رأسا الى بحر آرال «بحيره كثى(Kithay) أى الخطا» .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۰۲

و أهم تجارات خوارزم، الطعام و الحبوب و الفواكه. و هى بلاد خصبه.

و يرتفع منهـا قطن كثير، و من أغنامهـا الصوف. و ترعى فى مناقعها قرب آرال قطعان الماشـيه. و كان يحمل منها اصـناف كثيره من الجبن و اللبن. و فى أسواق الجرجانيه أشهر أنواع الفراء و أغلاها. و تجلب اليها من بلاد البلغار على الفولجا.

و ذكر المقدسـى و غيره اصنافا كثيره منها. و مما اشتملت عليه: فراء الدلق (أو الدله) و السمّور و الثعالب و نوعين من القندس. و كذلك فراء السنجاب و قاقوم (قاقم، قاقون) و الفنك و ابن عرس، و تعمل منها الحلل الطويله و القصيره.

و يحمل منها جلود الارانب و المعزى المدبوغه. و كذلك جلود الحمر الوحشيه.

و من غلات خوارزم و صـناعاتها: الشمع و لحاء شجر و الحور الابيض المسمى التوز و هو يتخذ غلافا للدروع، و غراء السمك و أسنان السمك و العنبر و الخلنج و العسل و البندق و السيوف و الدروع و القسىّ. و عرفت خوارزم أيضا بالبزاه.

و يرتفع منهـا أيضـا عنب و عنّاب و سـمسم كثير. و يعمـل فيها البسط و ثياب اللحف و الـديباج المنسوج من القطن و الحرير. و تحمل منها الأزر و المقانع

من القطن و الحرير و غيرها من الثياب الملونه. و الحدادون يعملون الاقفال. و تنحت فيها السفن من جذوع الاشجار و تتخذ للملاحه فى الانهار الصغيره الكثيره. على ان أهم تجارات خوارزم فى المئه الرابعه (العاشره) كانت جلب الرقيق، فقد كانوا يشترون أو يسرقون أولاد و بنات الأتراك من بدو تلك البرارى، و بعد أن يعلموهم و يؤدبوهم بالآداب الاسلاميه، يجلبون منها الى سائر بلاد الاسلام فكانوا يتولون، على ما يروى التاريخ، أجل مناصب الدوله و وظائفها .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٥٠٣

الفصل الثالث و الثلاثون الصغد

بخارا و المدن الخمس داخل أسوارها- بيكند- سمرقند- جبل البتم و نهر زرفشان أى نهر السغد- كرمينيه- دبوسيه و ربنجن- كش و نسف و المدن المجاوره لهما- غلات الصغد و تجاراته- مسالك ماوراء جيحون حتى سمرقند.

يمكن القول ان اقليم الصغد، و هو صغديانا Sogdiana القديمه، كان يشمل الاراضى الخصبه فى ما بين نهرى جيحون و سيحون، التى كانت تسقيها مياه نهرين، هما زرفشان أى نهر السغد، و عليه كانت تقوم سمرقند و بخارا، و النهر المنساب حيال مدينتى كش و نسف. و كان هذان النهران ينتهيان الى مناقع أو بحيرات ضحله فى المفازه الغربيه من جهه خوارزم. مع ذلك، فانه لمن الأوجه أن يعد الصغد اسما للرساتيق المحيطه بسمرقند. فان بخارا و كش و نسف كانت كل واحده منها تعد كوره بذاتها.

و كان الصغد، يحسب احدى جنان الدنيا الاربع، و قد بلغ أوج ازدهاره فى النصف الاخير من المئه الثالثه (التاسعه) فى أيام الامراء السامانيين. و مع ذلك فقد ظل هذا الاقليم فى المئه التاليه لها، فى خصب و يسار لا نظير لهما. و كانت أجل مدنه: سمرقند و

بخارا، و یمکن القول ان الأولی کانت مرکزه السیاسی،

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۵۰۴

بینما کانت بخارا عاصمته الدینیه. الا ان کلا من المدینتین کانتا فی مرتبه واحده و تعدان قصبتی الصغد .

و کان یقال لبخارا أیضا: نومجکث . کان علیها فی المئه الرابعه (العاشره) سور سعته «نحو فرسخ فی مثله». و هی مدینه فی مستواه من الارض، علی مسافه قصیره من جنوب عمود نهر السغد. و لا جبال بالقرب منها، و حولها کثیر من المدن و القصور و البساتین و المحال، یجمعها حائط سعته اثنا عشر فرسخا فی مثلها، و یزید دوره علی مئه میل. و یشق ما یضمه هذا السور العظیم نهر السغد و الانهار الکثیره الآخذه منه.

اما مدینه بخارا نفسها، فلها فی خارج السور الی شماله الغربی، قهندز متصل بها، «و هو فی مقدار مدینه صغیره. و فیه مساکن الولاه و الحبس و الخزانه». و فی خارج المدینه و حولها، أرباض واسعه تمتد حتی عمود النهر و تحفّ بضفته الجنوبیه. و من أجلها الارباض التی فی شرقها، و هی: درب النوبهار و درب سمرقند و درب الرامیثنه و غیرها من الدروب التی لا مجال لذکرها لکثرتها، و لا یمکن الیوم تعیین مواضعها الصحیحه. و لسور المدینه سبعه أبواب:

باب المدینه، و باب نور (أو نوز)، و باب حفره، و باب الحدید، و باب القهندز، و باب مهر، و باب بنی أسد و آخرها باب یعرف ببنی سعد . أما مواضع هذه الابواب فغیر معروفه، الا ان باب قهندز ینبغی ان یکون فی الشمال الغربی و هو المفضی الی الریگستان، السهله العظیمه أی رحبه بخارا و قد اشتهرت فی کل زمان.

و

بابا القلعه هما: باب الريگستان أى باب السهل، و باب الجامع و هذا

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۰۵

الاخير كان يفضى الى المسجد الجامع القائم فى الريگستان على باب القهندز المار الذكر. و كان يشق الارباض عشره دروب، ينتهى كل درب ببابه، و قد عنى كل من الاصطخرى و المقدسى بسرد أسمائها. و الى ذلك فقد كان للمدينه أبواب أخرى عديده تقوم فى سككها و شوارعها تفصل بين الاحياء المختلفه. و كثير من هذه الابواب حديد. و كان المسجد الجامع بالقرب من القلعه. و للمدينه أيضا مساجد صغيره متعدده و أسواق و حمامات و رحاب لا تحصى. و فى ختام المئه الرابعه (العاشره) كانت دار الاماره فى ظاهر القلعه فى رحبه كبيره يقال لها الريگستان.

و قد أسهب ابن حوقل فى ذكر أنهار المدينه الآخذه من يسار نهر السغد، التى تسقى بخارا و بساتينها و رساتيقها، ثم تفنى أخيرا فى المفازه التى فى الجنوب الغربى قرب بيكند فى طريق آمل، فلا يصل نهر منها الى جيحون. و كان المجرى الاسفل للنهر فى هذا الموضع يقال له سامخاس أو خواش .

و ترى خرائب بخارا القديمه التى كانت فيما قبل الاسلام، على بضعه أميال من شمال غربى المدينه الاسلاميه قرب ضفه النهر. و يقال لهذه الخرائب ريامينن، قال فيها المقدسى فى المئه الرابعه (العاشره): «هى بخارا القديمه، كبيره خربه الاطراف». و كان فى داخل السور الكبير (أى حائط بخارا) الذى يجمع سهله بخارا خمس مدن زاهره، منها: خجده أو خجاده و هى على فرسخ غرب الدرب المنحدر من بخارا الى بيكند، على ثلاثه فراسخ من القصبه. وصفها المقدسى بقوله «كبيره، عليها حصن فيه الجامع، حسنه

ظريفه». و تليها بلده مغكان، و كانت على خمسه فراسخ من بخارا و ثلاثه من الدرب لصق الجانب الغربى من السور الكبير. و كان لمغكان «حصن و ربض حسن و جامع ظريف به ماء جار، كثيره القرى».

و كانت تمجكث أو تمشكث (و غالبا ما كتبت و هما بصوره بمجكث و بومجكث) مدينه صغيره فى شمال غربى بخارا على أربعه فراسخ منها و نصف فرسخ عن الدرب الذى الى يسار الطريق الذاهب الى طواويس. و الطواويس

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۰۶

(و تكتب معرّفه فى الغالب) أعظم المدن الخمس التى فى داخل السور الكبير.

و كانت مدينه جليله «لها سوق، و مجمع عظيم ينتابه الناس من أقطار أرض خراسان فى وقت معلوم من السنه. و يرتفع منها من ثياب القطن ما يحمل منه لكثرته الى العراق. و فيها قهندز، و المدينه عليها حصار، و مسجد جامعها فى المدينه». و آخر المدن الخمس الداخله، كانت زندنه، و ما زالت قائمه الى يومنا، قيل انها تبعد عن شمال بخارا أربعه فراسخ. «لها حصن به الجامع و ربضها عامر». و زاد ياقوت على ذلك ان اليها تنسب الثياب الزندنجي و هى ثياب مشهوره فى الآفاق.

و على فرسخين من خارج السور الكبير و خمسه من بخارا، فى الطريق المنحدر الى جيحون عند فربر، مدينه بيكند و ما زالت قائمه. كان على بيكند فى المئه الرابعه (العاشره) «حصن بباب واحد و جامع فى محرابه جواهر» و لها ربض فيه سوق و لم يكن لها قرى، انما فيها عدد كبير من الربط قيل انه يبلغ الألف.

ويلى المدينه مفازه رمليه الى حد جيحون.

و حافظت بخارا على مكانتها الرفيعه فى أوائل العصور

الوسطى، و لكن فى سنه ۶۱۶ (۱۲۱۹) ادركها الغزو المغولى فنهبت المدينه و دمرت عن آخرها. و لم تنهض مما أحاق بها من دمار و خراب مدى قرن و يزيد. و فى اوائل المئه الثامنه (الرابعه عشره) حين زار ابن بطوطه الموضع، نزل فى ربض يقال له فتح أباد. و كان معظم الجوامع و المدارس و الاسواق، على الحال المشعثه التى كانت عليها حين غادرها جنكيز خان. و فى الواقع ان بخارا لم تستعد شيئا من ازدهارها السابق الا فى ختام المئه الثامنه (الرابعه عشره) فى عهد تيمور فقد اتخذ سمرقند عاصمه له و استعادت بخارا أختها شيئا من سابق بهائها .

أما سمرقند، فكانت فى أعلى النهر، على نحو من ۱۵۰ ميلا من شرق بخارا، تقوم على مسافه قصيره من ضفه نهر السغد الجنوبيه على نشز من الارض. و على

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۰۷

المدينه سور حوله خندق عميق و لها قلعه مرتفعه عن الارض، و فى أسفلها قرب النهر أرباض كبيره، تحف بها البساتين و الاشجار، «و قلّ دار تخلو من بساتين و لا دار الا و فيها ماء جار الا القليل». و تكثر فيها أشجار السرو. و فى القلعه دار الاماره و الحبس، و لكن حين كتب ابن حوقل كان الخراب قد استحوذ على أكثر هذه القلعه. و قد كان عليها «باب حديد من داخله باب آخر حديد» على ما ذكر ياقوت. أما المدينه نفسها فلها أربعه أبواب، هى: باب الصين فى جهه المشرق، «ينزل عنه بدرج كثيره العدد، مطل على نفس وادى السغد». و باب بخارا فى جهه الشمال، و باب النوبهار فى جهه المغرب، و هو على

النشز أيضا.

و الباب الكبير و يعرف أيضا بباب كش فى جهه الجنوب.

و مساحه المدينه، على ما ذكر ياقوت، ۲۵۰۰ جريب (أى ۷۵۰ اكرا)، فيها الاسواق و الحمامات. و لهذه المدينه مساكن كثيره «و ماء جار يدخل اليها فى نهر من رصاص، و هو نهر قد بنيت له مسناه عاليه من حجاره يجرى عليها الماء من الصفارين حتى يدخل من باب كش، و وجه هذا النهر رصاص كله».

و سوق سمرقند الكبير يعرف برأس الطاق كان سوقا رحبا و فى أسفل القلعه المسجد الجامع و دار الاماره. و دورها قد بنى كلها بالخشب و الطين. و كانت المدينه مكتظه بالسكان.

و أرباض سمرقند تمتد بامتداد ضفه النهر، فى بسيط من الارض، و عليها سور نصف دائرى طوله فرسخان، يحيط بها من ناحيه البر، و النهر من ناحيه الشمال، احاطه القوس بالوتر، فيتم بذلك خط دفاعها. و للربض ثمانيه أبواب تفضى منها دروب مختلفه، هذه أسماؤها: أولا- باب شداود، ثم باب أشبسک، ثم باب سوخشين، و باب أفشينه، ويليه باب كوهك (أى باب الجبل) و يفضى الى النشز حيث المدينه و القلعه. و يليه باب ورسنين، فباب ريودد. و أخيرا باب فرخشيذ. و مجمع أسواق الربض رأس الطاق فى المدينه «و البلد كله: طرقه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۰۸

و سككه و أسواقه، الا القليل، مفروش بالحجاره». و كانت أسواق ربضها مجمع التجارات، زاخره بالسلع الوارده اليها من جميع الانحاء، فقد كانت سمرقند فرضه تجاريه عظيمه لبلاد ماوراءالنهر. و من جمله ما اشتهرت به الكاغد السمرقندى، فهو يحمل منها الى سائر بلاد الشرق، و كانت صناعته قد دخلت اليها من الصين. و هواء سمرقند رطب، و

لکل دار فی المدینه و ربضـها بسـتان «حتی انک اذا صـعدت أعلی القلعه لم تبد المدینه للنظر لاستتارها بالبساتین و الاشجار». و فی جنوبها جبل صغیر یقال له کوهک یمتد طرفه الی مرحله یوم عن المدینه.

و یرجع سـبب الخراب الوقتی الـذی حلّ بسـمرقند الی المغول، علی ما أوقعوه فی سائر أنحاء ماوراءالنهر. فقـد خرّبوا معظم البلد فی سنه ۶۱۶ (۱۲۱۹) حتی ان ابن بطوطه لمـا زارها فی المئه التالیه لـذلک الزمن، قال فیها «لا سور لها و لا أبواب علیها»، و أکثر دورها خراب و القلیل منها آهل. و قد سمی نهرها (أو لعله أراد نهرا کان یأخذ من نهر السغد) نهر القصّارین «علیه النواعیر».

و مع ذلک فقـد اسـتعادت سـمرقند مجـدها السابق بعـد ذلک بقلیل، و ذلک فی ختام المئه الثامنه (الرابعه عشـره) حین اتخـذها تیمور عاصمه له فجدّد البلد و شیّد المساجد و أقام الربط، و قد شاهد ذلک کله السفیر الاسبانی کلافیجو Clavijo فی سنه ۸۰۸ (۱۴۰۵) و مـا زال بعض ذلک قائما الی یومنا. و ذکر علی الیزدی ان مسـجدها الجامع قـد أنشأه تیمور عنـد عودته من فتـح الهند فکان مردّ بهائه و جماله الی ما وضـعه فیه من غنائم تلک الحمله. و وصف کلافیجو سـمرقند فی هـذا الزمن بقوله انها یحیط بها سور طین و ان کبر البلد فی نحو مدینه اشبیلیه، موطنه .

أمـا رساتیق سـمرقند فکان جلها فی شـرقها و جنوبها، و بعضـها فی شـمال نهر السـغد، و کلها خصـبه وافره الخیرات. فعلی تسـعه فراسخ من شرق سمرقند

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۵۰۹

و مثل ذلک من جنوب النهر، مدینه بنجیکث، (ما زالت قائمه حتی الیوم باسم پنجکند)

حولها رستاق كثير الثمار خصب، مشجّر باللوز و الجوز. و تمتد حقول القمح على الانهار. و بين هذه المدينه و سمرقند، القريه الكبيره و رغسر و رستاقها خصب تسقيه أنهار تأخذ من نهر السغد. و فى الناحيه الجنوبيه من القصبه كان رستاق ما يمرغ فيه قريه ريودد على فرسخ من سمرقند، و يجاوره رستاق سنجرفغن. «و ليس فى جميع الرساتيق أكثر قرى و أشجارا و خيرات منه (أى مايمرغ)». و الى جنوبه، الرستاق الجبلى المعروف بجبال الساودار و هو أصح رساتيق الاقليم هواء. و فى هذا الرستاق، على ما ذكر ابن حوقل، «عمر للنصارى- ربما كانوا من النساطره- يعرف بوزكرد». و كان يزار كثيرا، و دخله عظيم. و كانت الاوديه التى فى هذه الجبال، فى غايه الخصب، و على أنهارها تنبث القرى، و خيراتها وافره. و رستاق الدرغم «أزكى الرساتيق و أكثرهن مراعى و مياها. و يفضل من أعنابه ما يحمل الى غيرها من الرساتيق».

و على حده كان رستاق أوفر أو أبغر، و هو «رستاق، عامته مباخس، كثير القرى، أهله أصحاب مواش»، قطره نحو من فرسخين و هذا الرستاق هو آخر الرساتيق فى جنوب سمرقند و النهر.

و فى شمال ضفه نهر السغد، فى تخوم أشروسنه، رستاق بوزماجن أو بوزماجز، و مدينته باركث أو أباركث، و هى على أربعه فراسخ أو مرحله يوم من سمرقند الى شمالها الشرقى. و على أربعه فراسخ أخرى شمالا، كشفغن و هى قريه ذات شأن عرفت فى الازمنه الاخيره برأس القنطره. ويليها رستاق برنمذ، أو فورنمذ، و هو يتاخم أشروسنه، ويليه رستاق ياركث و هو أعلى الرساتيق الشماليه. و تكثر فى هذين الرستاقين المراعى.

و على سبعه فراسخ من شمال سمرقند، مدينه

اشيخن، لها قهندز و ربض و أنهار تأخذ من نهر السغد، و هى مشهوره بكثره زروعها. و نعتها الاصطخرى بقلب السغد لخصبها. و على سبعه فراسخ أخرى شمالا كانت الكشانيه أو كشانى «و هى أعمر مدن السغد» و أهلها من ذوى اليسار و الثراء. و الى شمالها أيضا،

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۱۰

رستاق كبوذنجكث، و هو على ما ذكر ياقوت يبعد فرسخين عن سمرقند، و مدينته يقال لها لنجوغكث. و على ظهر هذا الرستاق، رستاق و ذار و أرضه جبليه و مدينته على اسمه، و فيها يعمل الثياب الوذاريه القطنيه. و أخيرا رستاق المرزبان «و هو المرزبان بن تركسفى» من دهاقين الصغد، أى نبلائه. و يتصل هذا الرستاق برستاق و ذار .

أما نهر السغد، أو زرفشان (ناشر الذهب) على ما يسمى به اليوم، فان منابعه فى جبال يقال لها البتّم، و هو يفصل بين أنهار اقليم الصغد من جهه و أنهار الصغانيان و وخشاب من جهه أخرى و قد مر ذكرهما فى الفصل الثانى و الثلاثين، و هما من روافد يمين نهر جيحون. و سفوح جبل البتم و ان كانت عاليه شديده الانحدار، فان القرى كانت تنبث فوقها، و فيها، معادن الذهب و الفضه و كذلك يستخرج منها الحديد و الزئبق و النحاس و الآنك و النفط و القير، و يحمل من هذا الرستاق الزفت و الفيروزج «و حجاره تحرق عوضا عن الفحم» و النوشاذر.

و النوشاذر يجمع من غار يرتفع فيه بخار، ذكر الاصطخرى ان فى الجبل «مثل الغار، يبنى عليه بيت، و يستوثق من أبوابه و كواه، فيرتفع من الغار بخار يشبه بالنهار الدخان و بالليل النار، فاذا تلبد هذا

البخار، قلع منه و هو النوشاذر.

و لا يتهيأ لاحد أن يدخله من شده حره الا ان يلبس لبودا و يدخل بها كالمختلس.

و هذا البخار يتّنقل من مكان الى مكان فيحفر عليه حتى يظهر، فاذا انقطع من مكان حفر عليه من مكان آخر فظهر منه» .

و مبـدأ نهر السـغد فى موضع يقـال له جن أو جى، و هو «مثل بحيره حواليها قرى، و تعرف الناحيه ببرغر» أو ورغر، فينصب النهر من البحيره بين جبال حتى ينتهى الى بنجيكث ثم ينتهى الى مكان يعرف بورغسر «و تفسـيره رأس السـكر» فى لغتهم. لان عنـده تتشـعب من النهر أنهار تسقى سمرقند و رساتيقها التى فى شمال نهر السغد. و من الانهار الآتيه الى سمرقند اثنان يحملان السفن، و قد

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۱۱

سرد ابن حوقل أسماء هذه الانهار المختلفه و الرساتيق التى تسقيها و ما فيها من قرى.

و كان على النهر فى سـمرقند قنطره حجاره يقال لها قنطره جرد، كانت مياه الفيضان أحيانا تغمرها كلها. و يأخـذ من النهر أسـفل سمرقند أنهار أخرى تسقى الرساتيق التى حول الدبوسيه و كرمينيه. و سنصفهما الآن. ثم يصل نهر السغد الى قرب بخارا، فيسمى النهر فى هـذا الموضع بنهر بخـارا، و كان يأخـذ منه فى ظاهر سور بخارا الكبير أنهار تسـقى المـدينه و ما يليها من أرضـين. و قد سرد ابن حوقل أسـماء هذه الانهار أيضا و ما عليها من قرى و بعض هذه الانهار يؤلف شبكه للسقى تعود مياهها الى عمود النهر، بينما كان غيرها يفنى بعـد السـقى، و هو ما كان فى الجنوب الغربى. و المعروف ان الانهار الكبيره التى كانت تصل مـدينه بخارا يصلح

كلها لسير السفن .

و كان بين بخارا و سمرقند فى ضفه السغد الجنوبيه ثلاث مدن كبيره فى المئه الرابعه (العاشره)، هى كرمينيه (و ما زالت قائمه) و الدبوسيه و ربنجن. أما كرمينيه فهى على مرحله بريد شرق الطواويس فى ظاهر السور الكبير، و هى أكبر من الطواويس و أعمر و أكثر عددا، و لها قرى كثيره، و أراضيها خصبه و انهارها وافره تأخذ ماءها من نهر السغد. و قد ذكر ياقوت كثره أشجارها.

و على مرحله بريد من شرقها، مدينه الدبوسيه و هى كذلك على نهر يأخذ من ضفه السغد الجنوبيه و لكنها لا قرى كبيره فيها و لا أعمال لها.

و بلده خديمنكن، كانت تبعد فرسخا عن كرمينيه و غلوه عن شمال الطريق العام. و على ضفه السغد الشماليه، على فرسخ فوق خديمنكن، بلده مذيامشكث. و كانت أسفل منها بفرسخ قريه خرغانكث و هى على ضفه النهر الشماليه بازاء كرمينيه و لا تبعد عنها غير فرسخ. و هذه القرى الثلاث، كانت من الكبر فى المئه الرابعه (العاشره) بحيث ان لكل منها مسجدا جامعا. و ذكر ياقوت ان خديمنكن «تختص بأصحاب الحديث». اما اربنجن، أو ربنجن،

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٥١٢

فعلى مرحله بريد من شرق الدبوسيه و أكبر منها. و الى شرقها أيضا، فى نصف الطريق بين ربنجن و سمرقند، على سبعه فراسخ من هذه القصبه، كانت زرمان.

هذا، و قد سرد المقدسى أسماء عدد كبير من المدن الصغيره الاخرى حول بخارا، و وصفها. و لكن مما يؤسف عليه انه لم يذكر المسافات بينها ليتسنى تأشير مواضعها .

و فى الناحيه الجنوبيه من نهر السغد، يجرى نهر مواز له، و ينتهى مثله فى مناقع بيد

أنه أقصر منه، يقال له اليوم كشكه دريا، و عليه تقوم شهر سبز و قرشى. كانت شهر سبز (أى المدينه الخضراء) فى العصور الوسطى، تعرف باسم كشّ. قال فيها ابن حوقل: «مدينه لها قهندز و حصن و ربض. و مدينه أخرى متصله بالربض» لعلها هى المعروفه اليوم بكتاب. و كان يقال لها قديما المصلى، فيها الخانات و دار الاماره. و فى ربضها الاسواق. «و الحبس و المسجد الجامع فى المدينه الداخله، و مقدارها نحو ثلث فرسخ فى مثله (أى ربع ميل مربع)، و بناؤها من طين و خشب، و هى مدينه خصبه جدا، جروميه، تدرك فيها الفواكه أسرع مما تدرك بسائر ماوراءالنهر، و تأتى بواكيرها الى بخارا». و لمدينه كش الداخله أربعه أبواب هى: باب الحديد، و باب عبيد اللّه، و باب القصابين، و الرابع باب المدينه الداخله. و للمدينه الخارجه بابان، أحدهما باب بركنان «و بركنان قريه ينسب اليها الباب»، و باب المدينه الخارجه .

و النهر المعروف اليوم بنهر كشكه كان يقال له فى المئه الرابعه (العاشره) نهر القصارين «و يخرج من جبل سيام و يجرى فى جنوبى المدينه» أى مدينه كش. و يجرى فى شمالها نهر أسرود. و فى ما يلى طريق سمرقند، على فرسخ، كان يقطع هذا الطريق نهر يقال له جاى رود، و الى جنوبه، على فرسخ من كش فى طريق بلخ، نهر خشك رود (أى النهر الجاف). و فى ما يلى

هذا النهر، على ثمانيه فراسخ منه، نهر خزار رود. و هذه الانهار، بعد أن تسقى رساتيق كش، تجتمع فضلاتها فتصير نهرا واحدا يمر بمدينه نسف.

و كان «طول عمل كش نحو أربعه

أيام فى مثلها». و هو معروف بوفره خصبه.

و فى الجبال المجاوره لكشّ: الملح «و بها يسقط المن المسمى الترنجبين و العقاقير الكثيره» و كانت تحمل الى كثير من آفاق خراسان. و اشتهرت كش فى الازمنه الاخيره بان فيها ولد تيمور الذى جدد فى أواخر المئه الثامنه (الرابعه عشره) المدينه و بنى فيها القصر الابيض- آق سراى- و كان يؤثر الاقامه فيه. و فى هذا الزمن عرفت كش باسم شهر سبز (المدينه الخضراء) و ما زالت تعرف به حتى اليوم .

و على مئه ميل و نيف فى منحدر النهر أسفل كش من ناحيتها الغربيه، المدينه المعروفه اليوم باسم قرشى و كان يسميها عرب القرون الوسطى نسف و الفرس نخشب. كان لنسف فى المئه الرابعه (العاشره) قهندز، و ربض عامر فى ظاهر المدينه، له سور و أربعه أبواب هى: باب النجاريه و باب سمرقند و باب كش و باب غوبذين. و تقوم نسف على النهر الذى يتألف، على ما بيّنا، من مجتمع فضلات أنهار عديده تأتى من رساتيق كش. و على ضفته: دار الاماره، عند الموضع المعروف برأس القنطره. و حبسها عند دار الاماره، و المسجد الجامع قرب باب غوبذين. «و أسواقها فى الربض مجتمعه ما بين دار الاماره و مسجد الجامع و المصلى بناحيه باب النجاريه داخل الباب». و قد أطرى المقدسى كثره أعناب نخشب الجيده و تكلم على أسواقها الحسنه. و كانت مزارعها خصبه و بساتينها كثيره. الا انها «ليست لها قرى كثيره و لا نواح» مثلما كان لكش.

و عرفت نسف أو نخشب فى التاريخ بأنها موطن المقنع- نبيّ خراسان- الذى نهض فى النصف الاخير من المئه الثانيه (الثامنه) و صنع العجائب. فقد كان يصعد

من بئر فی نخشب لیله بعد لیله القمر أو ما هو مثل القمر، فکان الناس یتعجبون من ذلک. و کان الفرس یلقبون المقنع ب «ماه سازنده» أی صانع

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۵۱۴

القمر. و تروی الاخبار التاریخیه ان فتنه اتباع المقنع قد عانی منها کثیرا قاده جیش الخلیفه المهدی مدی سنین. أما مدینه نخشب، فقد ابتنی فیها کپک خان بعد الغزو المغولی فی المئه السابعه (الثالثه عشره)، قصرا له فی موضع علی فرسخین من المدینه القدیمه، و «القصر» فی اللغه المغولیه یسمی «قرشی» فسری هذا الاسم علی الربض الذی قام حوله و حل محل نسف القدیمه أی نخشب. نزل ابن بطوطه هنا فی أوائل المئه الثامنه (الرابعه عشره)، و وصف قرشی بانها بلده صغیره تحفّ بها البساتین. و فی ختام هذا القرن، کان تیمور کثیرا ما یشتی فی قرشی، ثم بنی قربها حصارا أی قلعه .

و کان قرب نسف، فی المئه الرابعه (العاشره) و ما بعدها، مدینتان لکل منهما جامع، صغراهما بزده أو بزدوه. لها قلعه قویه و هی علی سته فراسخ غرب نسف فی طریق بخارا. و الاخری، و هی الکبیره کسبه، کانت علی أربعه فراسخ من نسف فی طریق بخارا. و لها أسواق عامره علی ما ذکر یاقوت. و کان الی ذلک، بین نسف و کش، علی مرحله برید غرب المدینه الاخیره، المدینه أو القریه الکبیره المسماه نوقد قریش. و علی مرحله أخری جنوب شرقی نسف، فی الطریق الی باب الحدید (أنظر صفحه ۴۸۵)، کانت سونج، و هی قریه کبیره. و فی جوارها علی فرسخ منها: اسکیفغن، و یسقی هاتین القریتین نهر خزار و قد سبق ذکره .

اما حاصلات اقلیم

الصغد و صناعاته، فعديده. فكان يرتفع من بخارا بطيخ فائق يحمل الى الآفاق، و يرتفع منها أيضا البسط و المصليات و الثياب الرخوه و ثياب الفرش التى كانت تفرش فى حجرات الضيوف، و كانت تنسج فى محابسها حزم الخيل، و تدبغ فيها جلود الضأن، و يرتفع منها الشحم و دهن الرأس و تحمل الى الآفاق. و أكثر ما اشتهرت به سمرقند: الكاغد. يعمل فيها ثياب

حمر و ديباج و قز. و كان الصفارون يصنعون القدور العظيمه من النحاس، و غيرهم يعملون الركب و السيور و أحزمه السرج و كذلك أصناف القماقم و القنانى.

و يحمل من رساتيقها البندق و الجوز. و كان يرتفع من كرمينيه بين بخارا و سمرقند: المناديل. و من الدبوسيه: ثياب و ديباج. و من ربنجن: اللبود الحمر و مصليات و طاسات و الجلود و حبال القنب و الكبريت و يرتفع منها أيضا أزر النساء .

و لقد بيّنا فى الفصل الثلاثين (ص ۴۷۳)، ان طريق خراسان كان يقطع جيحون مما يلى أمويه الى فربر، و منها يتابع الى بيكند فيدخل باب السور الكبير الى بخارا. و من هذه القصبه يصعد الطريق فى محاذاه ضفه نهر السغد اليسرى الى سمرقند مارا بمدن هذه الناحيه الكبيره. و قد وصف هذا الجزء من الطريق جميع المصنفين القدماء باختلاف طفيف فيما بينهم. غير ان ابن حوقل و المقدسى ذكرا أيضا المسافات بين المدن الخارجه فى رساتيق بخارا و سمرقند .

و الطريق الذى يخترق خراسان الى بلخ (أنظر صفحه ۴۷۴) يعبر جيحون الى ترمذ، و عندها يتشعب الى طرق مختلفه: ففى الشمال طريق يتخلل الصغانيان و قباذيان الى واشجرد. و

منها يعبر قنطره الحجاره فيصل الى ناحيتى الوخش و الختل. و فى الشمال الغربى، يصعد طريق آخر من ترمذ الى باب الحديد.

و فى ما يلى كندك بمرحله، يتشعب: فالى الشمال يذهب الطريق الايمن الى كش و منها يبلغ سمرقند و الى الشمال الغربى ينتهى الطريق الايسر الى نخشب.

و هناك ينعطف فرع منه يتجه شرقا فيعود الى كش. أما الطريق الكبير نفسه، فانه يقطع المفازه الى بخارا. و قد وصف هذه الطريق، مع ذكر المسافات القصيره فى الغالب، الاصطخرى و بعضها المقدسى .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۱۶

و كانت دلتا جيحون فى اقليم خوارزم، يصلها من آمل فى جانب خراسان طريق يصعد فى محاذاه ضفته اليسرى الى الطاهريه حيث يبدأ حد الزراعه و منها يتابع الى هزار اسب. و هنا طريق يذهب يسارا مارا بخيوه الى الجرجانيه (اركنج). و طريق آخر ينعطف الى كاث و المدن التى على يمين جيحون. و قد وصف الاصطخرى و المقدسى هذه الطرق. و كذلك الطريق الذى يقطع المفازه نحو الجنوب الشرقى من كاث الى بخارا رأسا. و الى ذلك، فقد ذكر المستوفى فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) طريقين يأتيان من الجنوب و يجتمعان فى اركنج، فيذهب أحدهما شمالا من فراوه (هى الآن قزل اروات. أنظر صفحه ۴۲۱) الى اركنج قاطعا المفازه. و الآخر يذهب من مرو و يقطع المفازه أيضا و يجتاز فى مواضع كثيره الرمال المتحركه حتى يصل الى الطاهريه على جيحون. و قد ذكر هذا الطريق الاخير أيضا جهان نما. و من هزار اسب يكاد هذا الطريق يتابع الطريق نفسه، الذى وصفه البلدانيون العرب المنتهى بقصبه خوارزم فى الجرجانيه .

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس

عواد، النص، ص: ۵۱۷

الفصل الرابع و الثلاثون اقاليم نهر سيحون

اقليم اشروسنه- بونجكث و هى قصبته- زامين و المدن الاخرى- اقليم فرغانه- نهر جكسارتس Jaxartes أى سيحون- اخسيكث و انديجان- أوش و اوزكند و المدن الاخرى- اقليم الشاش أى بنكث- بناكث أى شاه رخيه و المدن الاخرى- ناحيه ايلاق و مدينه تونكث. و معادن الفضه فى خشت- ناحيه اسبيجاب- مدينه اسبيجاب أى سيرام- جمكند و فاراب أى أترار- يسى و صبران- جند و ينغكنت- طراز و ميركى و مدن الترك النائيه- حاصلات أقاليم سيحون- المسالك التى فى شمال سمرقند.

اقليم أشروسنه- و كتب أيضا: أسروشنه و سروشنه و ستروشنه- يقع فى شرق سمرقند، بين الرساتيق الممتده فى محاذاه يمين نهر السغد و الرساتيق التى فى يسار نهر سيحون، و لا يدخل هذان النهران ضمن اقليم أشروسنه. و أرض الاقليم سهول و جبال، و لا تتخللها أنهار كبيره. أما حده الشرقى على ما ذكر البلدانيون العرب، فكان پامير (الفامر).

و كانت قصبته مدينه أشروسنه، و يقال لها أيضا بونجكث و بنجكث

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۱۸

و بنوجكث، و موضعها يطابق مدينه أراتپه الحاليه. كانت بونجكث فى المئه الرابعه (العاشره) «مدينه يحزر رجالها نحو عشره آلاف رجل، و بناؤها طين و خشب، و لها مدينه داخله منها، عليها سور بذاتها، و سور على ربضها، و لها سور آخر من وراء ذلك. و للمدينه الداخله بابان: أحدهما يدعى باب الاعلى، و الآخر باب المدينه. و داخل المدينه القهندز و السجن و مسجد الجامع و الاسواق. و يجرى بالمدينه الداخله نهر كبير عليه رحى». و يشتمل سورها المحيط بالربض، أى المدينه الخارجه، على الدور و البساتين، و يبلغ دوره نحوا من ثلاثه فراسخ. و

كان لهـذا السور أربعه أبواب، هی: باب زامین، و باب مرسـمنده، و باب نوجکث، و باب کهلباذ. و کان لهذه المدینه سـته أنهار صغیره تسـقی اراضـیها سـرد ابن حوقل اسـماءها. و جمیع هذه الانهار «من منبع واحد و عین واحده، و یکون مقدار ما یدیر عشر أرحیه، و من المدینه الی منبع الماء أقل من نصف فرسخ». و کانت المدینه مشهوره بکثره النزه و البساتین.

و زامین، و هی ما زالت قائمه، الی الشرق من بونجکث. و هی علی طریق خراسان الآتی من بخارا و سمرقند، حیث یتشعب أخیرا الی طریقین: احدهما یذهب شـمالا الی الشاش (تاشـکند) و الآخر نحو الشـمال الشـرقی الی فرغانه و ما وراءها. کانت زامین فی المئه الرابعه (العاشـره) تقارب القصـبه بونجکث فی الکبر، و هی مـدینه قدیمه جدا کانت تعرف باسم سوسـنده أو سرسـنده، لها مسـجد جامع و أسواق حسـنه، تحف بها البساتین و المزارع، و لیس علیها سور. و للمدینه نهر علیه جسور صغار. و مدینه ساباط، مـا زالت قـائمه أیضـا و هی بین زامین و بونجکث فی طریق فرغانه. قال فیها المقدسـی «عامره، و بها عین ماؤها جار، یحـدق بها بساتین» .

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۵۱۹

أما مدن اسروشنه الاخری، فقد انتهت الینا اسماؤها، و لکن دون ما وصف، و مواضع أغلبها غیر معروفه. فما زال منها قائما، أو ما یمکن تعیین مواضعه من وصف المسالک، هو مـا یأتی: دیزک، و یقال لها أیضا چیزک فی شـمال غرب زامین. و الی جنوبها، فی الطریق من سـمرقند، مـدینه خرقـانه. و خـاوس، أو خاوص، فی الطریق الـذاهب شـمالا من زامین الی الشاش. و کرکث علی حدود فرغانه

فى نصف الطريق بين سابـاط و خجنـده. و لا يمكن تعيين موضـعى المـدينتين الصـغيرتين مينك و مرسـمنده تعيينا صـحيحا لان كتب المسالـك لم تـذكر و لاـ واحـده منهمـا. و لكن ينبغى ان تكون مرسـمنده مجاوره للقصـبه ان اسـتدللنا بباب مرسـمنده فى بونجكث على ذلـك. كـانت مرسـمنده فى الجبال، شديـده البرد، لها ماء جار، قليله البساتين لارتفاع سـطحها. ذكرها المقدسـى فقـال «بهـا أسواق عـامره، الجـامع على نـاحيه من السوق»، و هى مـدينه جليله. و الظـاهر ان مـدينه مينـك كـانت فى جوارهـا. و اشـتهرت بانهـا الموضع الـذى قاتـل فيه قتيبه [بن مسـلم] و هو القائـد العربى فى الفتـح الاسـلامى الاول لما وراء نهر سـيحون. «و هنـاك حصن يعرف بالافشـين الاـكبر و هو صـاحب المعتصم، و كـان قـد اتخـذه لنزهته». و فى ناحيه مينك و مرسـمنده «تتخذ آلات الحديد التى تعم خراسان و يجهز الى العراق، و ذلك لان الحديد بفرغانه لين ممكن لما يراد قنيته فى أى صنعه قصد منه» .

كـان نهر جكسارتس العظيم يسـميه العرب، على ما قـد بيّنا (ص ۴۷۷)، سـيحون. على ان اسـمه الاكثر شيوعا كان نهر الشاش (و الشاش القديمه هى تاشكند). و انما سمى بذلك لوقوع المدينه المهمه التى بهذا الاسم فى القرب من ضفافه.

و ذكر المسـتوفى انه فى المئه الثامنه (الرابعه عشره) كان المغول القاطنون فى هذه الارجاء يعرفونه باسم گل زريان. و منذ ذلك الحين حتى يومنا هذا، أطلق عليه الترك اسم سير دريا أو سيرصو (نهر سير). و قد ذكره ابو الغازى بهذا الاسم.

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۲۰

و ذكر ابن حوقل ان نهر سيحون، يخرج من بلد الترك، و هو «يعظم من أنهار تجتمع

اليه» تأتى من الجبال و يـدخل وادى فرغانه العظيم من طرفه الشـرقى فى حدود اوزكند. و يمتد اقليم فرغانه نحوا من مئتى ميل و نيف الى شمال و جنوب مجراه الاعلى . فاذا ما جرى نهر سيحون شرقا استقبل روافد عديده و هو يتخلل فرغانه، هى: نهر خرشان و نهرا اورست و قبا و كـذلك نهر جـدغل و لعله هو نهر نرين الحالى، و أنهارا أخرى غيرها. فاذا جاوز أسوار اخسـيكث القصـبه وصل سيحون الى خجنده و عندها يبارح نهائيا اقليم فرغانه. ثم ينعطف شمالا فيستقبل فى يمينه نهرين يقال لهما نهر ايلاق و نهر ترك، و يمرّ بغرب رسـتاق ايلاق و الشـاش. و فى مـا يلى ذلك، ينتهى سـيحون الى رساتيق اسبيجاب ثم اذا اجتاز مفاوز الغز و الترك، توزعت مياهه على أنهار عديـده حتى يقع فى بحر آرال فى القسم الشـمالى الشـرقى منه. و قـد ذكر البلدانيون العرب ان نهر سـيحون صالح لسـير السـفن كنهر جيحون و ان سـيحون يجمد شتاء مده أطول من جيحون فكانت القوافل تعبره. و كان يعد «نحو ثلثى جيحون» .

أما اقليم فرغانه الذى كان الى وقت قريب يعرف بخانيه خوقند، و قد أعادت اليه الحكومه الروسـيه رسـميا اسـمه القديم، فكانت قصـبته فى أوائل العصور الوسطى مدينه أخسيكث، و سماها ابن خرداذبه و غيره مدينه فرغانه. و هى تقوم على ضفه نهر سيحون الشـماليه. و خرائب هـذه المـدينه شـاخصه. و فى المئه العاشـره (السـادسه عشـره) لمـا كان بابر حاكما على فرغانه، كانت مـدينه الاقليم الثانيه، تعرف باسمها المختصر «اخسى». و اندیجان كانت هى القصبه حينذاک.

قال ابن حوقل فى مدينه اخسيكث، انها مدينه واسعه لها قهندز و فيها الجامع و

دار الامـاره و الحبس و لهـا ربض واسع. و المـدينه الـداخله ميـل فى مثله، فيهـا ميـاه جـاريه و حياض كثيره. و فيها و فى ربضـها أسواق، و على ربضها سور.

و للمدينه الداخله خمسه أبواب، هى: باب كاسان، و باب الجامع، و باب

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٥٢١

رهانه، و باب لم يضبط اسمه، و يمكن أن يقرأ بختر. و أخيرا باب المردقشه.

و كان يحف بالمدينه البساتين الملتفه مقدار فرسخين مما يلى أبواب ربضها.

و اذا عبرت جيحون وجـدت فى جانبه الجنوبى المروج و المراعى الكثيره. و الظاهر ان اخسـيكث قـد اسـتولى عليها الخراب كما اسـتولى على مـدن كثيره فى اقليم فرغانه اثناء حروب محمـد خوارزمشاه فى مطلع المئه السابعه (الثالثه عشـره). و ما لم تنله هـذه الحروب بسوء قـد دمرته غزوات المغول، فـانتقلت بعـدها قصـبه الاقليم الى انـديجان. و فى زمن تيمور، ذكر على اليزدى اسـمها بصوره اخسيكنت أو أخسيكت، فاختصر هذا الاسم على ما بيّنا الى أخسى فى أيام بابر .

أما انديگان (انديجان الحاليه)، فقد اتخذها، على ما ذكر المسـتوفى، كيدوخان حفيد اغتاى بن جنكيز قصـبه لفرغانه فى النصف الاـخير من المئه السابعه (الثالثه عشـره). و قـد جاء الاسم انـدگان أو انـدكان بين اسـماء المـدن التى سـردها ابن حوقل فى المئه الرابعه (العاشـره)، و كذلك ذكره ياقوت، و لكن دون أن تجد وصفا لهذه المدينه فى مرجع ما، و ان أشار اليها على اليزدى غير مره فى كلاـمه على حروب تيمور. و يسـتبان من وصف المسالـك ان مـدينه قبا كانت فى المئه الرابعه (العاشـره)، على ما يظهر، موضعا ذا شأن، ينبغى ان يكون قريبا من انديجان. و قبا، على ما فى الاصطخرى،

تقارب اخسيكث فى الكبر «و هى من أنزه تلك المدن». و لها قلعه مكينه فيها الجامع فى وسط ميدانها، و لها ربض فيه دار الاماره و الحبس. و كان على الربض سور محيط به. و فيها أسواق

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۲۲

كثيره عامره .

و فى نصف الطريق بين اخسيكث و قبا: مدينه اشتيقان، لها جامع فى الاسواق. و الى شرق قبا مدينه أوش، و قد كانت فى المئه الرابعه (العاشره) موضعا عظيم الشأن. و فى قلعه اوش دار الاماره و الحبس، حسب المعتاد. و حول المدينه ربض و على الربض سور، «و هى ملاصقه للجبل». و لها ثلاثه أبواب، هى: باب الجبل، و باب الماء و باب مغكذه. و كان جامعها فى رحبه واسعه وسط الاسواق. و المدينه كثيره الانهار التى تسقى أراضيها. و بالقرب منها جبل عليه «مرقب الاحراس على الترك». و كان فى ما يلى أوش، مدينه اوزكند، و هى آخر مدن فرغانه شرقا. «و هى نحو ثلثى أوش، و لها قهندز و بساتين و مياه جاريه». و لها ربض و الاسواق فيه «و هى متجر على باب الاتراك».

و «على بابها نهر ... يحيط بربضها حائط له أربعه أبواب» و جامعها فى الاسواق.

و ما هو فى جنوب نهر سيحون من اقليم فرغانه، يقال له كوره نسيا أو نسائيه. و هى اثنتان: عليا و سفلى بالنظر الى اختلاف مستوى سطحيهما. فالعليا فى الجبل.

و كان فى نسائيه السفلى مدينه مرغينان (مرغيلان الحديثه) و قد كانت فى المئه الرابعه (العاشره) «صغيره و جامعها ناء عن الاسواق». و فى الغرب منها رشتان و كانت فى ذلك الزمن كبيره و لها جامع حسن. أما

خوقند التی صارت فی الازمنه الحدیثه قصبه فرغانه و نسبت الیها خانیتها، فلم یرد ذکرها الا عرضا بین مدن نسائیه العلیا باسم خواکند أو خواقند.

أما خجنده، فانها أول مدن فرغانه من الغرب، اذا جئت من سمرقند تقوم علی ضفه سیحون الیسری. و علی فرسخ من جنوبها: کند و هی ربضها.

و خجنده مدینه «طولها أکثر من عرضها» و لها قلعه قویه فیها السجن، و جامعها فی المدینه. و دار الاماره فی المیدان بالربض. قال فیها ابن حوقل «هی مدینه نزهه». و أهلها لهم سفن یسافرون فیها فی سیحون. و کان ربض کند الخارج

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۵۲۳

یقال له کند باذام (أی کند اللوز) علی ما ذکر القزوینی لان بها لوزا کثیرا «و هو لوز عجیب ینقشر اذا فرک بالید» .

أما مدن شمالی فرغانه، أی ما کان منها فی یمین سیحون، فلا یعرف من أمرها فی الازمنه الاولی الا الشی ء القلیل. فقد ذکر المقدسی مدینه و انکث فقال: لها جامع و أسواق حسنه. و یتبین من وصف المسالک، ان و انکث کانت علی سبعه فراسخ من غرب اخسیکث و علی فرسخ من ضفه سیحون، لا تبعد کثیرا عن حد ایلاق. و الی شمال و انکث، فی وسط الجبال، کانت خیر لم أو خیلام، و هی مدینه فی رستاق میان روذان (أی ما بین الانهار) لها جامع حسن فی وسط الاسواق. و الی شمال هذه أیضا کانت شکت أو سکت، و هی علی قول المقدسی «کثیره الجوز حتی ربما وجدت ألف جوزه بدرهم، و الجامع فی السوق».

اما مدینه قاسان فما زالت قائمه. وصفها البلدانیون الاولون بانها تقوم فی ناحیه مسماه باسمها، و زاد

ياقوت على ذلک ان لها قلعه حصينه، و على بابها نهر يلتقى هو و سيحون عند اخسيكث. و أبعد منها شمالا، ناحيه جدغل و كانت مدينتها أردلانكث. و الى شرق هذه، ناحيه كروان، و اسم مدينتها نجم. و نوه المقدسى أيضا بجمله مدن أخرى و لكن مما يؤسف عليه انه لا يعلم شى ء عن مواضعها .

و الى غرب فرغانه ناحيه الشاش. و هى على ما بيّنا، على ضفه نهر سيحون اليمنى أى الشماليه الشرقيه. و الخرائب المعروفه اليوم بتاشكند القديمه هى موضع المدينه التى سماها العرب الشاش، و الفرس چاچ. كانت فى العصور الوسطى أعظم المدن العربيه فى ما وراء سيحون. و كان يقال لمدينه الشاش أيضا بنكث و ذلک على غرار كثير من أسماء المدن فى بلاد ماوراءالنهر، فان لها تسميتين ايرانيه و تورانيه.

و كان على مدينه الشاش فى المئه الرابعه (العاشره) أسوار كثيره، فقد كان

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۲۴

لها مدينه داخله، لها قهندز أى قلعه تلاصقها. عليهما سور، و فى خارج المدينه الداخله، الربض الداخل، و على هذا الربض سور. ويليه أيضا الربض الخارج و فيه بساتين و حقول كثيره، حوله سور ثالث. و أخيرا السور الكبير على غرار ما كان لبخارا، يحمى الناحيه كلها فيكون حول الشاش من ناحيه الشمال بهيئه نصف دائره يصل ما بين ضفه نهر الترک فى الشرق و سيحون فى الغرب.

فاذا عدنا الى المدينه الداخله و القلعه، وجدنا ان فى القلعه دار الاماره و الحبس، و لها بابان أحدهما يفضى الى المدينه الداخله و الآخر الى الربض.

و كان المسجد الجامع على سور القلعه. و المدينه الداخله فرسخ فى مثله، و فيها بعض الاسواق،

و لها ثلاثه أبواب: باب أبى العباس، و باب كش، و لا شك انه كان يفضى الى الجنوب حيث يصل الطريق الآتى من سمرقند. و أخيرا باب الجنيد. و كان لسور الربض الداخل عشره أبواب (ذكر المقدسى ثمانيه فقط).

و للربض الخارج سبعه أبواب سرد ابن حوقل اسماءها. و كان فى الربض الداخل أسواق مدينه الشاش. و يشق البلد أنهار وقنى كثيره تسقى البساتين و الاشجار التى فى داخل الاسوار.

أما السور الكبير، فانه فى أقرب نقطه منه الى البلد، كان يبعد فرسخا واحدا عن باب الربض الخارج. و هذا السور يبدأ فى الشرق من جبل على نهر الترك يقال له جبل سابلغ. كان يكتنف السهل الواسع المعروف بالقلاص. و قد بنى هذا السور عبد اللّه بن حميد لحمايه الشاش من غارات الترك فى الشمال.

و كان هناك على فرسنخ مما يليه، خندق عميق يمتد من الجبل على نهر الترك الى حافه سيحون فى الغرب. و كان الطريق من شمال الشاش الى اسبيجاب يخترق هذا السور عند باب الحديد.

و فى أوائل المئه السابعه (الثالثه عشره)، لحق الدمار بعض الشاش فى غضون فتوحات محمد خوارزمشاه، ثم كان للغزو المغولى الذى أعقبها ما أضاف الى بؤس أهلها بؤسا على نحو ما حل بغيرها من البلدان. و الظاهر، ان المدينه سرعان ما صلح حالها مما ألم بها من بلايا، فأصبحت موضعا ذا شأن فى المئه الثامنه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۲۵

(الرابعه عشره) حين وقف عندها تيمور بعساكره. و على اليزدى الذى ذكرها غير مره فى وصفه حروب تيمور، تطرق الى ذكرها بأسماء مختلفه مثل الشاش و الچاچ و تاشكنت، و يظهر ان الاسم الاخير قد حرفه السكان

الناطقون بالتركيه من الشاش الى تاش. و تاشكنت معناه مدينه الحجر. و باسمها هذا قد اصبحت اليوم عاصمه تركستان الروسيه .

و نهر الترك المعروف اليوم بنهر چرچك المار بجنوب شرقى الشاش، يخرج، على ما ذكر ابن حوقل، من جبال جدغل فى شمال نهر نرين و من بلد الترك الخرلخيه الذى يقال له بسكام. و فى جنوبى هذا النهر كان يجرى نهر آخر بحذائه يسمى نهر ايلاق، و يعرف اليوم بنهر انگرن. و أسفل من التقائه بنهر سيحون مباشره، تقوم مدينه بناكث، ثانى مدن ناحيه الشاش. و يقال لبناكث أيضا بناكت، و يسميها الفرس فناكنت. و لم يكن لهذه البلده فى المئه الرابعه (العاشره) حصن. و الجامع فى سوقها. و كانت تقوم على ضفه سيحون اليمنى حيث كان طريق خراسان الآتى من سمرقند يعبر النهر الى الشاش. و قد بقيت موضعا كبير الشأن حتى المئه السابعه (الثالثه عشره) لما خرّبها جنكيزخان. و بعد مضى قرن و نيف، أى فى سنه ٨١٨ (١٤١٥)، جدد شاه رخ حفيد تيمور مدينه فناكنت، فنسبت اليه و عرفت ب «شاه رخيّه»، و بهذا الاسم ذكرها على اليزدى غير مره.

و كان الطريق من بناكث شمالا الى الشاش، يخترق مدينه جينانچكث، و هى على ضفه نهر الترك الجنوبيه أى اليسرى على فرسخين فوق ملتقاه هو و سيحون.

كانت هذه المدينه فى المئه الرابعه (العاشره) كبيره ليس عليها حصن، بنيانهم خشب و لبن. و كان فى الجانب الاخر من نهر سيحون الى غربه، على مرحله من جينا نجكث فى طريق جيزك، بلده وينكرد. قال فيها ابن حوقل «و ينكرد قريه للنصارى» (من النساطره) و فى الجانب الآخر من نهر الترك على شى ء قليل من غربه،

فی الزاویه التی أسفل من التقائه هو و سیحون، مدینه أشتورکث أو

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۵۲۶

شترکث (أی مـدینه الجمل). و کان علیها حصن. و ینبغی ان یکون المغول قـد خربوا هـذه البلده، اذ نجد فی النصف الاخیر من المئه الثامنه (الرابعه عشـره) قـد نشأ فی مکانها بلـده چیناس (و ما زالت قائمه) و قـد ذکرها علی الیزدی کثیرا بهذا الاسم. و ذکر ابن حوقل و المقدسی أکثر من عشرین مدینه أخری فی ناحیه الشاش، و لکنهما لم یصفاها. و لهذا لا تعرف مواضع هذه الامکنه الیوم. و ان کـان من الواضـح ان هـذه النـاحیه، و کـذلک ناحیه ایلاق فی جنوبها و اسبیجاب فی شـمالها، کانت فی المئه الرابعه (العاشره) مکتظه بالسکان وافره القری التی تقارب المدن کبرا .

اما ناحیه ایلاق، فکانت فی جنوب نهر ایلاق و شـمال المنعطف الکبیر لنهر سیحون أسفل خجنده، و قصبتها تونکث. کانت هذه الناحیه متصـله بالشاش، و تشـتمل علی ما یقرب من عشـرین مدینه مهمه ذکرها ابن حوقل و غیره. و مواضع هذه المدن ما زالت غیر معینه حتی انه لا یمکن، و یا للأسف، معرفه موضع تونکث قصـبتها. و کانت تونکث، علی ما ذکر ابن حوقل، تقوم علی نهر ایلاـق، علی نحو من ثمـانیه فراسـخ من الشـاش و هی نحو نصف الشـاش . کان لها قهنـدز و مـدینه داخله حولها ربض یحیط به سور. و فی القهنـدز دار الاماره و الحبس و المسـجد الجامع، و الاخیران عند باب القهندز. و أسواقها داخل المدینه و فی الربض. و فیهما ماء جار. و کانت البلاد من الشاش الی ایلاق متصله العماره مختلطه العمل. و قد سرد

ابن حوقل اسماء هذه المدن. و لكن مما يؤسف عليه قد ضاعت علينا جميع مواضعها. و من أهم المدن التى انتهى الينا أمرها، مدينه خاشت الآهله (و يكتب اسمها أيضا بصوره خاش و خاس أو خاص) قرب معادن الفضه فى جبال ايلاق على حد فرغانه. و فى المئه الرابعه (العاشره)، على ما ذكر ابن حوقل، «بايلاق دار ضرب للعين و الورق». و تحفّ بالمدينه قرى

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۲۷

عديده .

و فى شمال الشاش من يمين سيحون فشرقا ناحيه أو اقليم إسبيجاب أو أسبيجاب، و قصبته باسمه. ذكر المقدسى فى المئه الرابعه (العاشره)، نحوا من خمسين مدينه مشهوره فى هذا الاقليم لا يمكننا الآن ان نعين غير عدد قليل منها.

فمدينه اسبيجاب تتفق هى و موضع سيرام التى على نحو من ثمانيه أميال شرق چمكنت على نهر اريس أو بدم، و هو رافدمن روافد سيحون اليمنى .

كانت على ما ذكر ابن حوقل «نحو الثلث من بنكث» أى الشاش «تشتمل على مدينه و قهندز و ربض. و على المدينه الداخله سور، و على الربض. أيضا سور يحيط به مقداره فرسخ. و هى فى مستواه و بينها و بين أقرب الجبال اليها نحو ثلاثه فراسخ». و فى خارجها مياه و بساتين. و كان للمدينه أربعه أبواب، على كل باب رباط. و فى المدينه و ربضها أسواق. و فى المدينه الداخله دار الاماره و الحبس و الجامع. و أشار المقدسى الى سوق الكرابيس (أى سوق القطّانين).

و غله دكاكين السوق فى كل شهر سبعه آلاف درهم (نحو من ۳۰۰ پاون) «يجرى على الضعفاء الخبز و الادام». و الظاهر ان مدينه اسبيجاب قد تغير اسمها بعد الغزو

المغولی الی سیرام، و بهذا الاسم ذکرها علی الیزدی کثیرا فی أخبار فتوحات تیمور.

و کذلک فان علی الیزدی کثیرا ما ذکر چمکنت و کتبت چمیکنت، و یبدو انها توافق المدینه التی کتبها المقدسی بصوره جموکت و قال فیها «کبیره علیها حصن، و الجامع فیه، و الاسواق بالربض» .

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۵۲۸

و علی ضفه سیحون الشرقیه، أسفل انصباب نهر جمکنت فیه مباشره، المدینه التی عند معبر سیحون، المعروفه قدیما بباراب أو فاراب و فی الازمنه الحدیثه باسم أترار، و فیها لقی تیمور حتفه فی سنه ۸۰۷ (۱۴۰۵) و هو علی أهبه السیر لفتح الصین. و کان الاسم فاراب أو باراب یطلق علی الناحیه و المدینه.

و قد حسبت فاراب أحیانا قصبه ناحیه اسبیجاب. و کان یقال أیضا لارباض المدینه فی المئه الرابعه (العاشره) کدر. قال المقدسی فی باراب «هی کبیره، تخرج نحو سبعین ألف رجل، علیها حصن فیه الجامع، و أسواق و قهندز». و کان لکدر أیضا جامعها و کانت هی المدینه الجدیده. و علی ما فی القزوینی، ان فاراب فی أرض سبخه ذات غیاض. و ینسب الیها أبو نصر الفارابی المتوفی سنه ۳۳۹ (۹۵۰) و هو أشهر فلاسفه المسلمین قبل ابن سینا. علی ان ابن حوقل قد نسب مولد الفارابی الی وسیج لا الی فاراب . و وسیج بلده صغیره محصنه علی فرسخین من فاراب، و فی سوقها المسجد الجامع. ثم بعد هذا الزمن، عرفت فاراب باسم أترار أو أطرار و قد نهبها المغول فی أوائل المئه السابعه (الثالثه عشره) و لکنها سرعان ما جدد بناؤها، ففی سرای المدینه توفی تیمور علی ما بیّنا .

و فی نحو من نصف الطریق

بين سيرام و أطرار، مدينه ارسبانيكث أو سبانيكث. قال فيها المقدسى «نبيله، نظيفه، محصنه. الجامع بها، و العمارات فى الربض». و كان يقال لرستاقها كنجيده. و على مرحله يوم شمال أطرار، على ضفه سيحون اليمنى، مدينه شاوغر. قال فيها المقدسى «كبيره، واسعه الرستاق، عليها حصن، و الجامع على طرف السوق، و هى من الجاده بمعزل».

و لم يرد اسم شاوغر لدى البلدانيين المحدثين، و لكن يبدو من موضعها انها تتوافق بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد ؛ النص ؛ ص٥٢٨

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٥٢٩

هى و يسّى، الموضع الذى غالبا ما ذكره على اليزدى، و ما زالت قائمه الى هذا اليوم باسم حضره تركستان، و هو الولى الحامى لبلاد القرغيز المدفون فيها.

و على ما ذكر على اليزدى، انه هو الشيخ احمد اليسّى من أحفاد محمد بن الحنفيه ابن الخليفه على، و قد توفى هذا الشيخ هنا فى أوائل المئه السادسه (الثانيه عشره). و ابتنى تيمور فى ختام المئه الثامنه (الرابعه عشره) الجامع على قبره، و ما زالت بقاياه العظيمه شاخصه. و يزوره الناس من سائر الجهات.

و على مرحله يوم من شمال يسّى أو شاوغر، كانت سوران أو صبران.

و هى ما زالت قائمه الى هذا اليوم، و كانت فى المئه الرابعه (العاشره) ثغرا أمام الغز، و «يجتمع بها الغزيه للصلح و الهدنه و التجارات اذا كان صلح». قال فيها المقدسى «كبيره، عليها حصون سبعه بعضها خلف بعض، و الربض فيها، و الجامع فى المدينه الداخله». و كثيرا ما ذكر على اليزدى صبران حين كلامه على حروب تيمور. و وصف ياقوت قلعتها العاليه المشرفه على حد البلد .

و من جمله المواضع الاخرى على

سیحون، التی أكثر من ذكرها علی الیزدی و لم یشر الیها البلدانیون العرب الاولون: سغناق. قال فیها انها قصبه قبچاق و هی علی ۲۴ فرسخا من شمال اترار. و أبعد منها شمالا كانت جند، و قد ذكرها البلدانیون الاولون و یاقوت، و قالوا فیها انها من مدن الاسلام الكبری فی تركستان فی ما وراء سیحون. و فی أوائل المئه السابعه (الثالثه عشره)، دمّرها المغول. و كان آرال كثیرا ما یسمی ببحر جند، و عنده علی نحو من مرحلتین من فم سیحون، قصبه الغز التی سماها العرب: القریه الجدیده (أو الحدیثه) و عرفت فی الازمنه الاخیره باسم ینغكنت، أو ینگی شهر، أی المدینه الجدیده بالتركیه .

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-كوركیس عواد، النص، ص: ۵۳۰

و علی نحو من ثمانین میلا من شمال شرقی سیرام (أی اسبیجاب) خرائب طراز بالقرب من المدینه الحالیه أولیه- اتا. و كانت طراز أو الطراز، مدینه ذات شأن فی المئه الرابعه (العاشره). قال فیها ابن حوقل «و الطراز متجر للمسلمین من الاتراك. الخرلخیه». و زاد المقدسی علی ذلك انها «مدینه جلیله حصینه كثیره البساتین مشتبكه العماره، لها خندق و أربعه أبواب، و لها ربض عامر، علی باب المدینه نهر كبیر. و الجامع فی الاسواق». و علی ما فی القزوینی ان أهل طراز «فی غایه حسن الصوره، لیس فی تلك النواحی أحسن منهم صوره رجالهم و نساؤهم الی حد یضرب بحسن صورتهم المثل. و هی مدینه طیبه التربه لطیفه الهواء». و من مدن بلاد الترك أیضا، علی نحو من مئه میل من شرق طراز، مدینه بركی أو میركی (و هی مركه) الحدیثه. قال فیها المقدسی: «متوسطه الرقعه، محصنه، و لها قهندز و كان

الجامع فى القـديم كنيسه (للنصارى النساطره)، و قـد بنى الامير عميـد الـدوله فائق (من البويهيين) خارج الحصن رباطا» فى المئه الرابعه (العاشـره). و ذكر المقدسـى أيضا كولان، و هى على مرحله واحده غرب ميركى باتجاه طراز. و كانت قريه كبيره محصنه و لها جامع، تعد موضعا ذا شأن كبير .

و فى الختام، يحسن بنا ان نلاحظ، ان ابا الفداء ذكر جمله قصبات للترك يصعب اليوم تعيين مواضعها الصحيحه. منها بلاساغن و كانت قصبه خانات تركستان فى غضون المئتين الرابعه و الخامسه (العاشره و الحاديه عشره).

و ذكرها أيضا ابن الاثير فى تاريخه، و لا يعرف موضعها الصـحيح. و لمـح ابو الفـداء الى انها كانت قرب كاشـغار و لكن فى ما وراء سـيحون. و قـد عثر على خرائب أمالغ التى اتخـذها المغول عاصـمه لهم فى عهـد جغتاى بن جنكيزخان بالقرب من موضـع كلچه القـديمه على نهر ايله، و قـد أشار الى موضـعها على اليزدى الذى ذكر أيضا نهر إرتش و تلاس. و لكن لم ينته الينا شـى ء عن جميع هذه المدن. و كلها مثل كاشغار و ختن و ياركند و غيرها من المدن التى على حدود الصين، لم تذكرها

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ٥٣١

مراجعنا الا لمما و دون ان تنطوى على فائده جغرافيه ذات بال .

ليس فى اقـاليم سـيحون صـناعات متنوعه كبيره، و كـان جلب الرقيق أهم عمل لمن يقصـدها من التجار. ذكر المقدسـى انه كان يرتفع من ديزك (جيسك) فى اشروسنه اللبود الجياد و الاقبيه. و يرتفع من فرغانه الذهب و الفضه و الفيروزج و الزئبق و الحديد و النحاس و كذلك النوشادر و النفط و الزفت. و اشتهرت فرغانه بحجر الارحاء

و الفحم الحجرى للوقـود. و كـان يرتفـع من بساتينهـا و يحمـل الى الآفـاق: الاعنـاب و التفـاح و الجوز. و من الريـاحين: الورد و البنفسـج. و يرتفع من الشاش ثياب بيض رقيقه، و سـيوف و غيرها من السـلاح، و آلات النحاس و الحديـد كالابر و المقاريض و القدور. و يرتفع منها أيضا «سروج الكيمخت (جلود الحمر الوحشيه) الرفيعه و الجعاب و القسى الجيده و جلود تجلب من الترك و تدبغ و المصليات و الاخبيه». و يرتفع من رستاقها الرز و الكتان و القطن.

و يرتفع من طراز فى بلاد الترك جلود المعز و اشتهرت فى كل وقت بالخيل و البغال التركستانيه .

أما مسالك هـذه الاقاليم، فان طريق خراسان كان يواصل اتجاهه شـمالا من سـمرقند فيعبر نهر السـغد، و منه يصل الى زامين فى اشروسـنه حيث يتشـعب، فكان الطريق الايسـر يذهب الى الشاش و سيحون الاسفل. و الايمن الى أعالى سيحون و فرغانه. و كان الطريق من زامين الى الشاش رأسا، يعبر سـيحون عند بناكث. و هناك طريق آخر من سـمرقند يمرّ بديزك و يقطع المفازه الى و ينكرد، فاذا تجاوزها كان يعبر سـيحون الى شتوركث فيلتقى عندها هو و الطريق من بناكث الى الشاش. و كان يشرق من الشاش طريق الى تونكث قصبه اقليم ايلاق.

و طريق آخر يتجه شمالا الى اسبيجاب، و عندها يتشعب. فكان يذهب من اسبيجاب غربا طريق الى فاراب (أترار) لعبور سيحون، و منها نحو الشمال أيضا بحذاء ضفته اليمنى الى صبران. و الى اليمين من اسبيجاب شرقا كان يذهب طريق آخر الى طراز، و منها الى بركى أو ميركى آخر مدينه اسلاميه فى بلاد الترك فى المئه

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد،

الرابعه (العاشره). و من هذه المدينه أورد ابن خرداذبه و قدامه المراحل التی فی المفازه الی نوشنجان العلیا علی حدود الصین، و ربما کان هذا الموضع یتفق هو و ختن .

و کان الطریق الی فرغانه الذی ینشطر من طریق خراسان عند زامین علی ما بیّنا، یمر بساباط (حیث ینعطف الطریق الی بونجکث قصبه اشروسنه) الی خجنده علی سیحون. و منها یبقی محاذیا ضفه النهر الجنوبیه صاعدا معها حتی یصل الی اخسیکث قصبه فرغانه عند معبر نهر سیحون. و قد أورد الاصطخری و ابن حوقل المسافات من اخسیکث الی المدن المختلفه التی فی شمال أعالی سیحون، کما ذکر ابن خرداذبه و قدامه الطریق من قصبه فرغانه فشرقها مارا بأوش الی اوزکند.

و الی ذلک فقد لمّح المقدسی الی الطریق من اوزکند الی داخل بلاد الترک ثم الی حدود الصین. و یصعب تتبع ما ذکره بهذا الصدد، و لکنه، کابن خرداذبه و قدامه، جعل المرحله الاخیره فیه نوشجان أو برسخان العلیا، التی یحزر انها ختن .

فهارس الکتاب

اشاره

۱- الفهرست البلدانی و یشتمل علی أسماء الأقالیم و المدن و القری و الجبال و الأنهار و الودیان و المفاوز و البحار و البحیرات و غیر ذلک

۲- فهرست الاشخاص و الاقوام ۳- الفهرست العمرانی و یشتمل علی مصطلحات الحضاره و العمران، و علی الألفاظ الدخیله و المعربه

۱- الفهرست البلدانی

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۴۰

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۵۴۴

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۴۷

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۴۹

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۵۰

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۵۵۲

زرند

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۵۵۹

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۶۱

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۶۴

ليلان ١٩٩

م ما بين النهرين ١٥

ماوراءالنهر

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۵۷۰

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۵۷۱

نینوی

بلدان الخلافه الشرقیه/ تعریب بشیر فرنسیس-کورکیس عواد، النص، ص: ۵۷۴

۲- فهرست الأشخاص و الاقوام

اللر ۲۳۵ ۲۷۴

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۸۱

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۸۴

۳- الفهرست العمرانى

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص:

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۸۷

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۹۰

تصويبات د/ ۱۶/ و بماديتا/ و بمباديتا

ه/ ۱۰/ فاقان فافان

ح/ ۱/ خونح/ خونج

ك/ ۱۶/ اسنراباد استراباد

ن/ ۹/ اقاليم/ اقليم

۴۰/ ۸/ الأصل/ التكوين

۶۳/ ۱۹/ على أبى طالب/ على بن أبى طالب

۸۴/ ۲۱/ من/ فی

۱۱۶/ ۳/ من ذلک رستاق نینوی/ اشهرها الرستاق المحیط

و فیه قبر/ بنینوی حیث دفن

۱۲۱/ ۲/ من/ فی

۱۳۶/ ۵/ الحقیقیه/ الحالیه

۱۴۳/ ۵/ الکلک/ کلک (اللام ساکنه)

۱۶۲/ ۲۲/ طرطوس/ طرسوس

۱۹۷/ ۴/ الی قال/ الی أن قال

۲۰۸/ ۲ الحاشیه/ (الحنیه)/ (الحسنیه)

۲۲۰/ ۷/ کرخ/ کرج

۲۲۶/ ۲/ وشیر/ و الشیز

۲۳۶/ ۲۱/

منكربرس/ منكوبرس

۲۹۰/ ۸/ جهرم/ جهرم (۱۲)

۳۱۳/ ۱۰/ جفور/ جفوز

۳۱۸/ ۷/ الاصغر/ الاصفر

۳۶۴/ ۸/ البلدانيون/ البلدانيين

۳۶۷/ ۵ الحاشيه/ القرون المختلفه/ العصور المتوسطه

۳۷۰/ ۶ الحاشيه/ الباكستانيه على/ الباكستانيه الى الوقوف على

۳۷۳/ ۵/ اسفزاز/ اسفزار

۳۹۲/ .۱۰/ تضادد/ تناظر

۳۹۴/ .../ (احذف السطر السابع)

۴۰۰/ ۷ و ۸/ كيلكلى، كيكلى/ كيلكى

۴۱۲/ ۴/ يسق/ يشق

۴۱۶/ ۱۱/ وراءها:/ وراءها: شهر أباد

۴۲۱/ ۱۶/ اشتهرت/ اشتهر

۴۳۵/ ۱۱/ حفيده/ حفيده

۴۴۶/ ۹/ فقر/ فقد

۴۵۷/ ۳ الحاشيه/ الحكم/ الحكيم

۴۸۶/ ۱۸/ الخصب/ الخصب المعروف

۵۳۰/ ۴/ الاتراك. الخرلخيه/ الاتراك الخرلخيه

مطبوعات المجمع العلمى العراقى

۱- مجله المجمع العلمى العراقى (المجلد الاول).

۲- مجله المجمع العلمى العراقى (المجلد الثانى).

۳- کتاب النغم لیحیی بن علی بن یحیی المنجم- تحقیق الاستاذ محمد بهجه الاثری و مقدمه الدکتور جواد علی.

۴- تأریخ العرب قبل الاسلام- تألیف الدکتور جواد علی (الجزء الاول).

۵- تأریخ العرب قبل الاسلام- تألیف الدکتور جواد علی (الجزء الثانی).

۶- تأریخ العرب قبل الاسلام- تألیف الدکتور جواد علی (الجزء الثالث).

۷- تأریخ العرب قبل الاسلام- تألیف الدکتور جواد علی (الجزء الرابع) «تحت الطبع».

۸- صوره الارض للشریف الادریسی، تحقیق الاستاذ محمد بهجه الاثری و الدکتور جواد علی.

۹- موجز الدوره الدمویه فی الکلیه- للدکتور هاشم الوتری.

۱۰- المختصر المحتاج الیه من تأریخ بغداد للحافظ ابن الدبیثی- انتقاء الامام الذهبی، تحقیق الدکتور مصطفی جواد.

۱۱- ابن الفوطی- للاستاذ محمد رضا الشبیبی «یصدر قریبا».

۱۲- مقدمه للریاضیات- تألیف وایتهید، و ترجمه الاستاذ محیی الدین یوسف.

۱۳- خریده القصر و جریده العصر- للعماد الاصبهانی الکاتب، تحقیق الاستاذ محمد بهجه الاثری، و الدکتور جمیل سعید «یصدر قریبا».

۱۴- الدینار الاسلامی فی المتحف العراقی: تألیف السید ناصر النقشبندی.

۱۵- الخطاط البغدادی علی بن هلال- تألیف الدکتور سهیل أنور، و ترجمه الاستاذین محمد بهجه الاثری و

عزيز سامى «تحت الطبع».

بلدان الخلافه الشرقيه/ تعريب بشير فرنسيس-كوركيس عواد، النص، ص: ۵۹۲

۱۶- خارطه بغداد قديما و حديثا- وضع الدكتور أحمد سوسه، و الدكتور مصطفى جواد، و السيد أحمد حامد الصراف.

۱۷- الوقايه من السل الرئوى وال بى. سى. جى- للدكتور شريف عسيران.

۱۸- نزهه الارواح و روضه الافراح- تأليف شمس الدين الشهرزورى، و تحقيق الاستاذ محمد بهجه الاثرى «معدّ للطبع».

۱۹- تاريخ الموصل (الجزء الثانى)- تأليف الشيخ أبى زكريا الازدى، و تحقيق الاستاذ محمد بهجه الاثرى «معدّ للطبع».

۲۰- مجمع الآداب فى معجم الاسماء و الالقاب- تأليف ابن الفوطى و تحقيق الدكتور مصطفى جواد «معدّ للطبع».

۲۱- منازع الفكر الحديث- تأليف سى. أم. جود، و ترجمه المرحوم الاستاذ عباس فضلى خماس، و مراجعه الدكتور عبد العزيز البسام «تحت الطبع».

۲۲- معجم الرياضيات- تأليف جماعه من كبار الاختصاصيين الامريكيين، و ترجمه الاساتذه: محيى الدين يوسف، و محمد بهجه الاثرى، و الدكتور مصطفى جواد، و الدكتور عبد الجبار عبد اللّه، و الدكتور حلمى سماره، و سعدى الدبونى «معدّ للطبع».

۲۳- بلدان الخلافه الشرقيه- تأليف لسترنج، و ترجمه: بشير فرنسيس، و كوركيس عواد. (و هو هذا الكتاب).

۲۴- اليزيديه- تاليف السيد صديق الدملوجى.

۲۵- أنت و الوراثه- تأليف أمرام شاينفلد، و ترجمه السيد بشير اللوس.

۲۶- المدخل الى الفلسفه الحديثه- تأليف سى. أم جود، و ترجمه السيد كريم متى.

۲۷- الديارات- للشابشتى، تحقيق السيد كوركيس عواد.

۲۸- الشرفنامه- تأليف الامير البدليسى، و ترجمه السيد جميل بندى الروزبيانى.

۲۹- ديوان الشرر- للسيد أحمد الصافى النجفى.

۳۰- الدستور و حقوق الانسان- للسيد عطا بكرى (الجزء الاول).

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ۹

المقدمة:
تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فی الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فی العلوم الإسلامية وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فی العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهی منظمة فی برامج إلكترونية وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.
وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوی تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبیّ عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فی المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين فی الحوازت العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فی ملفات الكترونية

السياسات:
مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن یتحمل المؤلف مسؤولیة العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الکتب والملزمات والدوریات

إقامة المسابقات فی مطالعة الکتب

إقامة المعارض الالکترونیة: المعارض الثلاثیة الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمکنة الدینیة والسیاحیة

إنتاج الأفلام الکرتونیة والألعاب الکمبیوتریة

افتتاح موقع القائمیة الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافیة وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدینیة والأخلاقیة والاعتقادیة والردّ علیها

تصمیم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ویب کیوسک kiosk، الرسالة القصیرة ((sms

إقامة الدورات التعلیمیة الالکترونیة لعموم الناس

إقامة الدورات الالکترونیة لتدریب المعلمین

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبیقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ویمکن تحمیلها علی ۸ أنظمة؛

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلکترونیة للکتاب علی موقع القائمیة ویمکن تحمیلها علی الأنظمة التالیة

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربیة والانجلیزیة والفارسیة

الکلمة الأخیرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ٠٣١٣۴۴٩٠١٢۵

هاتف المكتب فی طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.


مركز القائمية اصبهان للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المــركز من فضلــكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹